ديوان

عبد الله البردوني

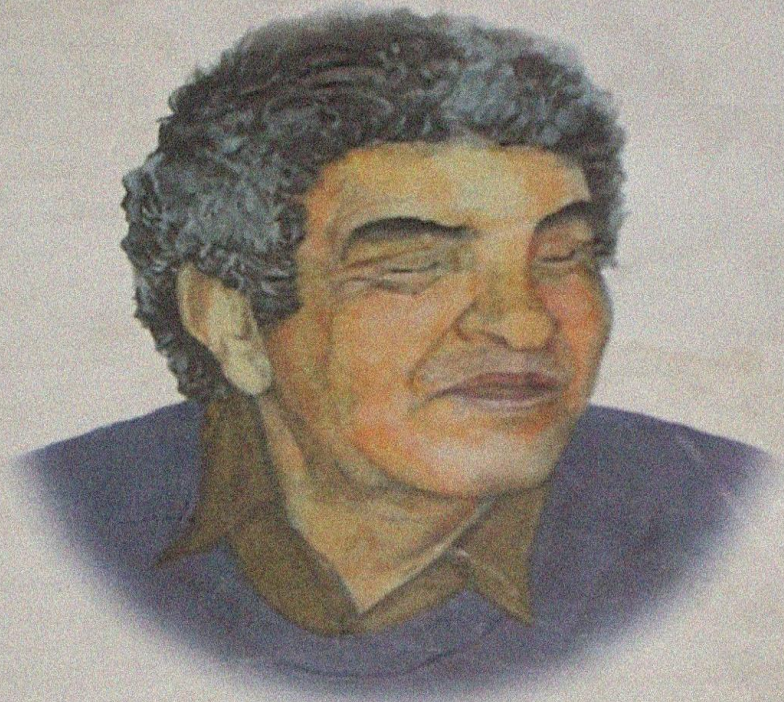

الأعمال الشعرية

المجلد الأول

الهيئة العامة للكتاب
إصدارات الهيئة العامة للكتاب - صنعاء

ديوان

عبد الله البردوني

الأعمال الشعرية

١ - ١٢

المجلد الأول

إصدارات
الهيئة العامة للكتاب
صنعاء

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - 2002 م

تصميم الغلاف ولوحة الغلاف

للفنان حكيم العاقل

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٦٥)

الناشر

الهيئة العامة للكتاب

ص.ب. : ١٩٧٧٤

ت : ٤٤٧٣٧٣ مباشر رئيس الهيئة

فاكس : ٤٤٥٣٦٨

صنعاء - نهاية شارع بغداد

الجمهورية اليمنية

شكرٌ واجب

تتقدم الهيئة العامة
للكتاب بواجب الشكر،
لفخامة الأخ
علي عبد اللَّه صالح
رئيس الجمهورية الذي كان تشجيعه
للهيئة ومتابعته لإنجازاتها
الرافد الأكبر في إنجاز طباعة
هذه المجموعة

تنويه لازم

هذه المجموعة الشعرية للشاعر عبد اللّه البردوني تشمل الدواوين التالية والتي كان قد تم نشرها في حياته:

١ ـ من أرض بلقيس
٢ ـ في طريق الفجر
٣ ـ مدينة الغد
٤ ـ لعيني أم بلقيس
٥ ـ السفر إلى الأيام الخضر
٦ ـ وجوه دخانية في مرايا الليل
٧ ـ زمان بلا نوعية
٨ ـ ترجمة رملية لأعراس الغبار
٩ ـ كائنات الشوق الآخر
١٠ ـ جوّاب العصور
١١ ـ رواغ المصابيح
١٢ ـ رجعة الحكيم بن زايد

وإذا ما تأكد وجود مخطوطات لقصائد أو دواوين جديدة لم تنشر فسوف يتم نشرها في الطبعة الثانية للمجموعة.

شكرٌ خاص

لا بدّ من إعلان التحية والشكر لإخوان كُثر شاركوا في إنجاز وإخراج هذه المجموعة الشعرية إلى النور

- إنني أخصّ بالشكر هنا الصديق الشاعر الحارث بن الفضل الشميري ـ تلميذ البردوني وصفيّه ـ
- والأساتذة محمد علي المهدي، محمد محمد العرشي، العزي الشاطبي، القاضي/ علي بن علي الآنسي، والشاعرين الصديقين/ محمد مباركي، وفؤاد المحنبي، وكذا الأخت الشاعرة/ ابتسام المتوكل، كما أنّ جهود الأستاذة هويدا اليوسفي، وأسامة القرشي، وجميل الصالحي، ومحمد حامد ـ من موظفي الهيئة ـ تستحقُّ الإشادة والذكر.
- أما اهتمام وعناية الصديق الفنان/ حكيم العاقل فيستطيع، القارئ أن يتأمله من خلال الغلاف الخاص بالمجموعة ولمساته الفنية البديعة، فالشكر واجبٌ ابتداءً والتحيةُ لازمةٌ انتهاءً.

* أخيراً، ربما وجبت الإشارة إلى شكرٍ لازم لأولئك الذين كانت إعاقاتُهم للهيئة سبباً في نجاحاتها، وحرائقُ حروبهم الصغيرة وقوداً لعزائمها!

خالد

مُذ بدأنا الشَّوطَ . . جوهَرْنا الحصى
بالـدّمِ الـغـالـي وفـرْدَسْـنَـا الـرِّمَـال

بين يَدَي البردُّوني

خالد عبد الله الرويشان

بعد أن غربتِ الشمسُ، وغاضتْ مياهُ النهر، . . ماذا بقيَ لنحتفلَ بظلامنا، ونحتفيَ بموتنا؟

يا للعارِ! كيف استطعنا أن نبدّد ضوء تلك الينابيع التي تومئ لنا بينما نحن ندير رؤوسنا ونُقفلُ راجعين صوب آكام القسوة ودروبِ النسيان.

لا بدّ من أن أعترف ـ بين يَدَي هذا الديوان ـ بالشعور بوجلٍ وخجلٍ تصعبُ مواراتهما:

الوجل؛ لأن عَالَمَ «عزّافِ الأسى. . عابرِ سبيل»(*) تجلّى لي عوالِمَ رحبةً، هائلةً، وساحرة، على المستويين الإبداعي والإنساني، وتكشّف هذا العالَمُ عن آفاقِ رحلةٍ في بحرٍ بلا ضفاف، زاخرٍ بزبدِ الدهشة، وروعةِ الإكتشاف.

والخجل؛ لأن تساؤلاً مُمضّاً أقضَّ هجعةَ الرضى، وأيقظَ أسنّة اللَّظى. . هل كان لا بدّ أن ينطفئ قلبُ البردّوني كي ندركَ كم كنا مفعمِين باللّامبالاة، مترَعِين بالأوهام!

ربما شعرت ـ بعد تأمّل وتمعّنٍ ـ أنّ الكلَّ أدار رأسَهُ وأغلقَ أذنيه «لعزّاف الأسى» كلٌ بطريقته:

البعض أدار رأسه دورةً كاملةً، وربما بغضب،

وآخر أدار رأسه نصف دورةٍ وبلا اهتمام،

(*) من عناوين قصائد البردوني.

وثالثٌ نظر شزراً ومضى.

وفي هذه البلاد فإن النظر شزراً قد يكون طريقةً للتعبير عن الحب والصداقة والاكتشاف!

رُبَّما أحاط بعضٌ رابعٌ بعزَّاف الأسى، عابر السبيل، مستمتعاً بعزفه، متحلّقاً حول أحزانه، واهماً أنه قريبٌ منه.. لكنّ هذا البعضَ كان ينظرُ ولا يرى، ويسمعُ ولا يعي، وربّما ضحك وسخِرَ بينما عزّافُ الأسى يحسو بكاءه ويستفُّ خيباته وأشجانه.

قِلّةٌ أحاطت به عن قرب، وأصاختِ الفؤادَ، وأرهفتِ الروحَ لنشيدِ العازفِ ونشيجِه. ومن المؤكّد أنها كانت بعضَ عزائِه. لكنها تشعرُ بحسرةٍ ما، ربما لأنها لم تستطع أن تغيّر من أحواله ولو قليلاً وبما يُسعدُ قلبَه، ويُفرحُ رُوحَه.

هل أكونُ صريحاً؟.. ربما شعرتُ أنَّ الجميعَ مترعٌ بالحسرةِ، حسرةِ ما بعد غروبِ الشّمسِ.. حسرةِ ما بعد فواتِ الأوان.

هل يشعر أحدٌ ما في هذه البلادِ أنّه خفّفَ من عذاباتِ عزَّاف الأسى وبما يُسعدُ قلبَ شاعرٍ كفيف ووحيد وبما يُفرحُ روحَه؟

إنني أُهنّئُ كلَّ من لا يَشعرُ بالحسرة!

* * *

كانَ يَبدو كصائمٍ ما تعشَّى ... الملايينُ فيه، جوعى وعطشى
أثّثَ القلبَ للعراةِ ويُحكى ... أنه ما أذاق جنبَيْهِ فَرْشا

* * *

وحدي... نعم كالبحرِ وحدي ... منِّي ولِيْ، جَزري وَمدّي
وحدي وآلاف الرُّبى ... فوقي.. وكلُّ الدّهر عِندي

* * *

لم يكن البردُوني مجردَ «عابر سبيلٍ» في حياتِنا، ولن يكون. وبالنسبة لليمن، فإنّه شاعرُ كلِّ العُصُورِ. إنّه شاعرُ الألفِ عاماً الماضيةِ على الأقل، وأحسب أنّ زمناً طويلاً سيمرُّ قبل أن تعرفَ اليمنُ شاعراً آخر يمكن أن يرتقي هذه الذّرى التي حلّقَ البردُّوني في أجوائها، وقد كانت ذرىً صعبةً مستحيلةً على المستويين الإبداعي والإنساني.

إنَّ مَا يُحزِنُ حَقاً أنّ الضّوءَ لم يُلقَ بما فيه الكفاية على تجربته الإبداعية، والأكثر مدعاةً للحزنِ أنّ الإهتمام ينصبُّ في العادةِ ـ وفي اليمن على وجه التحديد ـ على تأويلاتٍ مُباشِرةٍ لقصائدَ وربما لأبياتٍ ومواقفَ أو حتى لرأيٍ عابرٍ في ظرفٍ عابر.

وفي هذا الموضع رُبما وجبت الإشارة إلى أنه ليس خطأً اهتمام البعض بقضايا كهذه أو مواقفَ معينة للشاعر الكبير، ولكنّ الخطأ بل الخطيئة ـ في ظني ـ هو التركيز عليها فقط، وتلخيص حياة ثريةٍ ضخمةٍ كحياة البردّوني وقامةٍ إبداعية سامقة كقامته في موقف ما أو رأيٍ ما في ظرفٍ ما!

وفي سنواته الأخيرة، فإن هذه النوعية من الاهتمام البليد والقاسي بما يكتبه البردّوني من آراء وهو يقترب من الثمانين عاماً أوشكت أن تغمر شمسَ روحه المشعّة، وتطمرَ سنا هذه الشخصية الفذّة، وألقَ إبداعها المعجز.

وللأسف، فإن ذلك لم يكن إلا من فعل البعض بحسن نيّةٍ أحياناً، وبسوئها في أحيانٍ أُخرى، وبرعونةٍ وجهلٍ في معظم الأحيان.

* * *

وإذا كانت التجربة الإبداعية للبردّوني لم تَلقَ اهتماماً كافياً، أو حتى عادياً، وإذا كان ذلك محزناً ـ وهو مُحزنٌ بحق ـ فإن

تجربته الإنسانية الفريدة وهي تعانق تجربته الإبداعية، لم تَلْقَ اهتماماً من أيِّ نوعٍ على الإطلاق.

وعند تأمّل تفاصيل هذه التجربة الإنسانية، وملامح هذه الشّخصية، لا تستطيع إلا أن تعجبَ وتتساءل.. كيف استطاعت وردةٌ أن تطفح بالحياة، وأن تشرقَ بالأملِ، بين صخور القسوة، وفي قيعان اليأس ووسط بيئةٍ، زهرُ أشجارِها شوكٌ، وأجملُ أيكِها طلحٌ عنيد، يُسقى بالريح ويتيهُ بالياس.

المفارقةُ أنّ صخورَ القسوة وقيعان اليأس هذه تُنبت أحلى عنبٍ تعرفه الدُّنيا! تماماً مثلما أنبتت درّةَ الشعر الخالدة وقيثارتَه العذبة «عبد اللّه البردُوني» في وسطٍ اجتماعي وظرفٍ تاريخي غير مُواتٍ وأسرة فلّاحة بسيطة لم تعرف قلماً أو كتاباً ربما لمئات خَلَتْ من السنين. إنها عبقرية اليمن الخاصة، ومفارقاتها اللافتة!

* * *

أَقولُ مَاذا يَا ضُحَى، يا غُرُوبْ؟ في القلبِ شَوقٌ غيرُ ما في القلوبْ
في القلبِ غيرُ البُغضِ غيُر الهوى فكيفَ أَحكِي يا ضَجِيجَ الدروبْ
لِمْ لا يَذوبُ القلبُ مِمّا بِه كم ذابَ.. لكنْ فيهِ ما لا يَذوبْ

* * *

عند تأمّلِ حياة البردُّوني «الإنسان» يتكشّفُ جانبٌ مغمورٌ لكنّه مُضيءٌ كبرقٍ، ومطمورٌ لكنّه سامقٌ كأُفُق، وهيهات أن تطمح عصورٌ من الشعر والشعراء إلى التحليق في سماواته الرّحبة، وأجوائه الإنسانية العذبةِ والمعذّبة في آنٍ!

تأمّل مَعي - أيّها القارئ العزيز - نُتَفاً صغيرةً من رِيْشِ هذا الطائر الضّخم. مُجرّد نُتفِ ريشٍ يُبهرُنا بهاؤها، ويغسِلُنا ضوؤها وتسحرنا نمائمُ ألوانِها.

كان البردُّوني محبّاً لوطنه متشرّباً معاناتِ شعبه، ولذلك فإنه كان يدفعُ من قُوْتِهِ الخاص أثمان دواوينِه وكتبِه، وحتى يتم بيعُها للجمهورِ بأقلّ من سعرِ التكلفة، وفي أحيانٍ كثيرةٍ بأثمان زهيدة لا تكاد تُذكر.

وأحسبُ أنّ نواصي الشوارع وتقاطعاتِها بصنعاء شهدت ولسنواتٍ طويلة هذه الظاهرة وما تزال.

إنها ظاهرةٌ فريدةٌ لشاعرٍ فريد يعرفها كلّ أبناء اليمن ويعرفها أكثر أطفالٌ وفتيانٌ فقراء عاش مُعظَمُهم ويعيش على ريعِ هذه الكتب وبيعها في الشوارع وتقاطع إشاراتها.

* * *

مُذ بدأنا الشَّوطَ.. جوهَرْنا الحصى بالدّمِ الغالي وفرْد سْنا الرِّمالْ
واتَّقدْنا في حشى الأرضِ هوىً وتحوَّلْنا حُقولاً وتلال
مِن روابي لَحمِنا هذي الرُّبى من رُبى أعظُمِنا هذي الجبال

* * *

وما تزال كتبُ البردُّوني ودواوينُهُ هي الوحيدة ـ من بين الكتب جميعِها التي تحملها أكُفُّ هؤلاء الأطفال والفتيان الفقراء من البائعين المتجولين! ربما لا يعرفُ هؤلاء الأطفالُ والفتيانُ أنّ شاعراً كفيفاً، فقيراً تجاوَزَ السّبعينَ من عُمُرِه، أصرَّ على دفع كلِّ ما يملك بما في ذلك القيمة الماليّة لجائزةٍ عربية ـ أكبر مبلغ حصل عليه في حياته ـ لناشري كتبِه ودواوينِه بهدفِ بيع هذه الكتب والدّواوين للجمهور بنصف التّكلفة وبرُبعِها أيضاً.!

هل عرف ذلك الفتى المتجوّلُ بائعُ الكتُب على ناصية الشّارع أنّ ثمّة فتىً آخر كفيفاً وفقيراً وغريباً كان قد قدِمَ من قريته «البردُّون» ذات يوم قبل ما يقرب من ستين عاماً إلى المدينة ليتعلّم في

مدرستها الشهيرة، وأنّه وبعد عصر يوم مكفهرٌ بالغربةِ والجوعِ، والوحشةِ، شعر أنّه بحاجةٍ ملحّةٍ إلىً ما يمكن أن يَسدّ رَمَقَه، ويسنُدَ قَامَته المتهاوية، وأنّ ذلك الفتى الغريب الكفيف وهو في حَيرته البائسة لم يجد إلّا ثُلّة من صبيةٍ رفعوا عقيرتهم بالسخرية منه وملاحقته بالشتائم.. والحجارة أيضاً!

ولم يحمِهِ من أذيّتهم إلا قُبّةُ سبيلٍ منهجورة عند أطراف المدينة دخلها متعثراً داميَ الروح والوجه والكف.

وعندما حاصره الصّبية ممعنين في أذيّتهم خطر له أن يخيفهم بأن بدأ بإطلاق أصواتٍ مرعبةٍ تنطق بأسماء العفاريت!

ومن داخل القبّة المهجورةِ أطلقَ لصوتِهِ العِنان حتى فرّ الصّبيّةُ المحاصرون له؛ واهمين أنّ العفاريتَ سَتخرجُ عليهم من تلك القبّةِ النائيةِ عندَ أطراف المدينة.

ويمرّ الوقتُ بطيئاً، ثقيلاً على الفتى المختبئ في قبّة النجاة تلك، حتى تأكّد من ذهاب الصّبية. تحسّس بكفّيه المرتعشتين طريقه وخرجَ في هجير تلك الساعة اللافحة بعذاباتها، اللاهبة بأحزانها، واتجه صوب (مقشامة) (*) يَعرِف أنها في نهاية الشارع الترابي.

تأرجح بهامته بينما يداه تترنحان في الهواء وخطواته تئنّ على الثّرى المتلبّدِ باللامبالاة، وثمّةَ عيونٌ متبلّدة تمرُّ بِه بلا فضول، وتتجاوزه بلا سؤال.

* * *

(*) المقشامة قطعة أرض زراعية تكون عادة في وسط المدينة، تزرع بها الخضار وخصوصاً البصل والكراث والفجل وغالباً ما تكون هذه الأراضي من أملاك الوقف.

هل هُنا أو هناك غيرُ جذوعٍ غير طينٍ يضجُّ، يعدو ويقعي
لو عَبَرتُ الطريقَ عريانَ أبكي وأُنادي، من ذا يَعي أو يُوعَي
يا فتى! يا رجالُ! يا.. يا، وأنسَى في دويِّ الفراغِ صوتي وسمعي

* * *

وللهفته وجوعه، وخوفه، فإنه نسي أنَّ (المقشامة) مسوّرةٌ بسُورٍ طينيٍّ عالٍ، ولم يُدرك مدى ارتفاع السّور إلا بعد ارتطام وجهه وكفّيه به.

يا لوجهه الذي فعلَتْ به النّدوبُ والجروحُ ما لم يستطع أن يفعله مرضُ الجدَري بكل جبروته وفتكه.!

تحسّس الفتى الكفيفُ السورَ بكفيّه واعتمدَ عليهما ليجلس على حافّة السّور متهيّئاً للقفز إلى داخل (مقشامة الفجل والبصل)!

أمّا كيف استطاع أن يصعد إلى أعلى السّور وكيف واتته قُواهُ الواهنة فإنّه لا يعرفُ كيف فعلها؟!

يا لجوع الساعة الخامسة قبل الغروب، ويا لرائحة الفجل والبصل في هذه الساعة!

إنه يدرك الآن خطورَةَ بقائِه على حافّةِ السّورِ متردّداً في القفز إلى الداخل، فما أسهل أن يلمحه عابرٌما من شياطين الإنس، أو كلبٌ ما من كلاب الشارع الضالة.

همَّ بالقفز لكنه أحجم بغتةً.. فقد تذكّرَ أنّه وإن كان قد عرف قدرَ ارتفاع السّورِ من الشارعِ وصعد سالماً، فإنّه لا يعرفُ قدرَ ارتفاعِه من الداخل! فربما أن هاويةً ستبتلعه فور أن يقفز! وحتى لو سَلِمَتْ حياته فإنّ كَسْر إحدى قدميه أو كلتيهما أمرٌ وارد.. ثم ما أدراه إن كانت هناك صخرةٌ ما تقف بالمرصاد أسفل السّور لتلتقف جسده الواهن إن هو قفز؟!

شعر بغثيانٍ له طعمُ الهباء.. لعن اليوم الذي غادرَ فيه قريته.

تحسّس بكفيّه المذعورتين السّور باحثاً عن حصواتٍ صغيرة بدأ بقذفها تحته، مصغياً بِروحِه وأذنيه، وبكلّ مَسام جسمِه إلى وقعها محاولاً أن يُقدّر المسافة إثرَ كلّ حصاة مقذوفةٍ إلَى الأسفل.

قدّر الفتى أنَّ ارتفاعَ السّور الطينيّ الأملس من الداخل أعلى قليلاً من ارتفاعه من الخارج، وهمّ بالقفز ـ بعد أن تشهّد وأشْهد! ـ.. وقفزَ أخيراً كمن يقفز في لُجّة ظلام أو هاوية بئر.. ومثلما استوى على ذروة السّور وهو لا يعرف كيف استطاع ذلك، فإنه قام فور ارتطام جسدِه بالأرض ـ قريباً من البصل والفجل وهو لا يعرف كيف نَهضَ من وقْعَتِه المغامرة وهو أكثر حماساً وربما إندفاعاً صوب وجبته المشتهاه قبل غروب شمس ذلك اليوم الجائع البائس.

يا لِلذّة الوجبة، طعماً ورائحَة! هل عليه أن يملأ جيوبه أيضاً!

على عجلٍ، بدأ بملء جيوبهِ بعد أن ملأ معدته. لكنّ يداً ضخمةً عاجلته فجأةً بضربةٍ في رأسه، وألحقتها بأخرى في كتفه، ثم انهمر سيلٌ من الشتائم قبل أن يُمسك صاحبُ (البصل والفجل) بتلابيبه ويُجرْجِرهُ جرجرةً هي إلى السّحب أقرب، صوبَ مكانٍ مظلم خاصٍ بالبهائم، بينما الفتى الكفيف صامتٌ مستسلمٌ بعد أن دهمتَه المفاجأة.. وأخرسته كفّ القشّام الشبيهة بالمجرفة.

مع اقتراب أذان المغرب فُتحت الزريبة المظلمة، ومرةً أخرى إنهمر سيلٌ من الشتائم على رأس الفتى، الذي قُذف به أخيراً في الشارع. ورغم خجله، وفزعه، إلا أنه حمد الله أنّ المغامرة انتهت عند هذا الحد،.. ثم إنّه قد شبع قليلاً!

وهبَّ ماشياً متعثّرَ الخطى مرتطماً بالمارّة وهم في طريقهم إلى المسجد، وتفضّل أحدُهم وقاده صوب المسجد دون أن يسأله حتى عن سبب الخدوش الظاهرة في وجهِهِ وكفّيه..

* * *

المسَافَاتُ مَعِي تَمْشِي، إلى رُكْبَتِي، تَأتي، ومن سَاقي تُغادرْ
مِن هُنا، مِنْ نِصْفِ وَجْهِي، وإلى نصفِ وجهي سَائرٌ، والدربُ سائرْ

* * *

وفي المسجد وأثناء قيامه بالوضوء استعداداً للصلاة حدث له ما لم يخطر على باله أو على بال المدينة برمّتها! بل إنه شعرَ أنّ كل ما لحقه من إهاناتٍ وآلام في ذلك اليوم الأسود لا يُساوي آلام هذه اللحظات الرهيبة في المسجد. فقد حدث أثناء قيامه بالوضوء وفي وسطِ بِركةِ ماءٍ صغيرة أن فاجأه أحدُهم بالضّربِ. كان الضّربُ مؤلماً وقاسياً. لكنّ الأقسى والأكثر إيلاماً أن الفتى الكفيف لم يكن يعرف من أيّ اتجاه تأتيه اللطمةُ تلو اللطمة، ولسوء حظّه فإنه لم يستطع أن يتقي ولو لطمةً واحدة..!

ولعلّه ردّد (ملعونٌ أبو الشعر في هذه البلاد..ملعونٌ أبو الهجاء).

كان اللّاطم من أعيان المدينة وأثريائها، وكان الفتى المغتربُ قد هجاه ببضعة أبياتٍ قبل بضعة أيامٍ، ولعلّ الرجل وقد رآه أمامه فجأةً في المسجد لم يتمالك نفسه، فانقضّ عليه دون وازعٍ من شفقة أو رحمة. ولعلّ الرجل أحسّ بالنّدم بعد أن أشبع الكفيف ضرباً، ولعلّ نظرات المصلّين أصْلته بوابلٍ من عَتَبٍ أو استهجانٍ، فأعطى الفتى الكفيفَ خمسة ريالات فضيّة على الفور، وقبل أن يُكمل وضوءه.

كانت فرحةُ الفتى بالريالات الخمسة كبيرةً، أكبر من آلامه، وأكثر من أحزانه في ذلك اليوم!. وظل لسنواتٍ طويلة يتذكّر بحبوحة العيش التي عاشها لأسابيع بكنزه الصغير..الريالات الخمسة!

كان ذلك مجرّدَ يوم أو نصفَ يوم من أيام صبا البردّوني وشبابه! ولم تكن أيامه وسنَواته الأُوَلْ في العاصمة أفضلَ حالاً . . ، فديوانه الأوّل والذي كان قد صدَرَ قبل الثورة بفترة وجيزة تَقطُرُ قصائدُه أسىً وأبياتُه غربةً وأحزاناً يصعُبُ التِجوالُ في حنايا آلامها وثنايا عذاباتها .

* * *

هو الشرُّ مِلءُ الأرضِ والشرُّ طَبعُها هو الشرُّ مِلءُ الأمسِ واليومِ والغدِ
وهـذَا غُبـارُ الأرضِ آهـاتُ خُـيّـبٍ وهذا الحصى حَبَّاتُ دَمعٍ مُجمَّدِ

* * *

يستطيع ان يكتشف المتأمّلُ للديوان الأولْ عبقريةً شعريةً فريدةً، وجديدةً توشكُ أن تَهلَّ بضوئها على المشهد الشعري اليمني والعربي، وسوف تَتَكشّفَ له من خلال ذلك رُوحٌ غامرةٌ بالحب، ناضحةٌ بالعطف والحنان، تأسى لأحوال ناسها، وأبناء مدينتها بينما هي في أمسِّ الحاجة إلى لمسةِ مواساةٍ أوهمسةِ مَحبّة .

إنَّ هذه الميزة هي ذروةُ ذُرى الشاعر ذي القلب الكبير والحسّ المرهَف، والإحساس الشفيف بآلام البيوت والتوجّع لأنينها، في أزقّة المدينة البائسة اليائسة، بينما هو يمشي هائمَ الخطو، ساهمَ الروحِ، واجفَ القلب، تائهَ الأصابع، راجفَ القدم، متلمّساً ضوءَ ابتسامةٍ في ظلامِ نهارِه، أو يداً حانيةً في وحشةِ ليلهِ .

ورغمَ معاناته الطويلة وعذاباته المستديمة، لم يفقد البردُوني وفاءه وحبّه لأبناء شعبِه، وتحسُّسَه لأحوالهم وإحساسَه بأتراحهم طوال حياته .

تقول ذلك قصائدُهُ، بل دواوينُهُ جميعُها، وتقول ذلك

مؤسّساتُ الدولة، وأروقةُ وزاراتها التي كان يؤمُّها ـ فقط ـ مراجعاً لأديبٍ ريفيٍّ شاب، أو لطالبٍ مُغتربٍ يبحث عن وظيفة، أولسياسيٍّ مُلاحَقٍ هَارب !وكان يقوم بذلك بحماس، وهو الذي لم تفترسهُ غوايةُ حزبٍ، أو غوائلُ رؤيةٍ سياسيةٍ لفردٍ أو جماعة.

كان الناسُ وطنَه، وسُباتُهم أرقَه، وكانت آمالُهم حزبَه، وأحلامُهم قضيَّتَه، وأنّاتُهم جُرحَه.

برعشة كفّيهِ التي أرعشَت دهوراً، أجفلتْ جبالُ نسيانٍ، وتململتْ رقدةُ أزمان.

ببصيرتِه، أضاءت بلادٌ، وبأحزانِ جفنيه أشرقتْ وهادٌ، وبضوء أصابعه، أسرجَ شعبٌ عزمَهُ، وفتّقَ جيلٌ حلْمَه، وشقّ فجرٌ دربَه.

كان خُلاصةَ بلد، وآهةَ عصور، وعبقريّةَ مكان، ووردةَ قفارِ يباس،

وندى صخورِ صبرٍ، واصطِبَار.

البَرَدُّوْنِي

١٩٢٩م - ١٩٩٩/٨/٣٠م
١٣٤٨هـ - ١٤٢٠/٥/١٩هـ

كان «جوّاب العصور» القادم «من أرض بلقيس» يعبر «في طريق الفجر» متجهاً إلى «مدينة الغد»، ترافقه «كائنات الشوق الآخر» في «السفر إلى الأيام الخضر»، وعن بواعث سفره قال: إنه بصدد كتابة «ترجمة رملية.. لأعراس الغبار»، يتناول فيها «رجعة الحكيم ابن زايد». وإنه سيهديها «لعيني أم بلقيس»، التي أعياها «رواغ المصابيح» في «زمان بلا نوعية»، تعيشه «وجوه دخانية في مرايا الليل».

كانت «رحلة ابن من شاب قرناها» أهم «رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه»، نسي معها أن يموت وهو يحلم بقضاء لحظة «عشق على مرافئ القمر».

كتبت هذه الترجمة مستعيناً بأستاذي البردوني رحمه اللّه قبل وفاته بشهر تقريباً.

عبد اللّه بن صالح بن عبد اللّه بن حسن البردّوني:

ولد في قرية (البردّون)، من قبيلة (بني حسن)، في ناحية (الحدأ)، شرقي مدينة ذمار.

والدته: نخلة بنت أحمد عامر، وكانت ذكية، فلاحة، لا تقف عن العمل، وكانت نصف حارثة، ونصف ربة بيت، ولدت لعم البردوني عبد ربه ابنتين وولداً: بخيتة، وظبية، وعبد اللّه، واستخلفها أبو شاعرنا بعد موت أخيه؛ فأنجبت له ثلاثة أبناء:

أحمد، وعبد الله، والثالث مات في شهر ميلاده، ولعل السبب أن ميلاده كان بعد سن الحمل.

وقد تعمرت أكثر من تسعين سنة، وهي حاطبة كالرجال، وسارية الليل كالرجال، تشارك في الفتن المحلية مع قبيلتها، وكانت شديدة على شاعرنا في صغره: لكونه يطلب ما لا تمكنها المحاصيل منه.

تاريخ ميلاد شاعرنا يمكن تقديره بعام ١٩٢٩م، أو ١٩٣٠م لا أزيد ولا أقل، وهذا بالتقدير القائم على أحداث مثل ضرب الشمال بالطائرات البريطانية عام ١٩٢٨م. وبغرق (محمد البدر) ابن الإمام (يحيى)، الذي كان ذا جهد علمي؛ فهو أول من طبع كتب الفقه وكتب السنة، مثل: (نيل الأوطار) للشوكاني، و(الدرر المضيئة)، و(الأدلة المجموعة في الأحاديث الموضوعة).

أصيب بمرض الجدري وهو في الخامسة أو السادسة من عمره، وعلى إثره فقد بصره. في قرية (البردُون) تلقى تعليمه الابتدائي الذي لا يتجاوز قراءة الحروف ومعرفة ضمها، وفتحها، وكسرها، وكان يسمى في أواخر أيام حكم الأتراك العثمانيين في اليمن كتاب (البياض) أو (الباب الصغير)، وحفظها سماعاً في قرية (البردون) عن شيخه (يحيى حسين القاضي) ووالده. ثم درس ثلث القرآن الكريم. بادئاً من أول النصف الأخير، حيث السور القصيرة التي تساعد على تمرين الحافظة واللاقطة. ثم انتقل إلى قرية (المحلّة)، في ناحية (عنس)، جنوبي شرق مدينة ذمار، حيث كانت له أخت متزوجة في تلك القرية؛ ولأن التعليم كان منتظماً فيها؛ فتعلم بقية القرآن الكريم حتى سورة (الأنعام) على يد الفقيه (عبد الله بن على سعيد).

ثم انتقل إلى مدينة ذمار في الثامنة أو التاسعة من عمره؛

حيث أكمل تعلم القرآن الكريم في الصف الأول من المكتب حفظاً وتجويداً، ثم انتقل إلى دار العلوم «المدرسة الشمسية»، نسبة إلى (شمس الدين بن شرف الدين) بانيها، وفيها أعاد تجويد القرآن مرة ثانية على القراءتين «نافع»، و«حفص»، والثالثة والرابعة على القراءات السبع المتواترة. ومن شيوخه في علم القراءات: العلامة (محمد الصوفي)، والعلامة (صالح الحودي)، والعلامة (حسين الدعاني)، والعلامة (أحمد التويْرة).

وحين بلغ الثالثة عشرة من عمره: بدأ يُغرزم بالشعر، وأخذ من كل الفنون؛ إذ لا يمر مقدار يومين ولا يتعهد الشعر؛ قراءةً، أو تأليفاً، ويقرأ ما وقع في يده من الدواوين القديمة. ثم انتقل إلى الجامع (الكبير) في مدينة صنعاء؛ حيث درس لمدة شهور على العلامة (أحمد الكحلاني)، والعلامة (حميد معياد).

ثم انتقل في مطلع الأربعينات إلى (دار العلوم)؛ فدرس من بداية الصف الرابع الذي يحتوي على أربع شعب، وتعلم كل ما أحاط به منهجها حتى الغاية. ومن شيوخه فيها: العلامة (جمال الدين الدبب)، والعلامة (الفخري الركيحي)، والعلامة (العزي البهلولي)، والعلامة (قاسم بن إبراهيم).

حصل على إجازة من دار العلوم برئاسة العلامة (علي فضة) في «العلوم الشرعية والتفوق اللغوي». ثم التحق بالمنهج لكي يتقاضى مرتباً رمزياً كخريج. ثم تعين مدرساً للأدب العربي شعراً ونثراً في نفس المدرسة العلمية، مع متابعة أطوار العصور من الجاهلية إلى عام (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م) ملحقاً بشعراء الماضي شعراء النهضة كـ(شوقي) و(البارودي)، ومن العصر الحديث: (إبراهيم ناجي)، و(علي محمود طه) من مصر، و(أبو القاسم الشابي) من تونس، و(عبد القادر الناصر) من العراق، وغيرهم.

ثم واصل إعادة ما قرأ، وبداية ما لم يقرأ؛ حيث كان يقرأ الكتاب أكثر من مرة في الخمس السنين، إلى جانب الدروس المعروفة بفوائدها والمبعدة رسمياً؛ مثل كتب السنة، وكتب المنطق والفلسفة في عهد حداثتها وفي نشوئها في زمن الإغريق.

شغل العديد من الأعمال الحكومية:

ـ رئيس لجنة النصوص في إذاعة صنعاء، ثم مديراً للبرامج في نفس الإذاعة إلى عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٠م.

ـ كان يستعان به في أي الْتباس لغوي أو فني في الإذاعة، إلى جانب برنامجه الإذاعي الأسبوعي «مجلة الفكر والآداب». والذي بدأ يصدر في عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، وما زال مستمراً حتى تاريخ وفاته.

ـ عمل مشرفاً ثقافياً على مجلة الجيش من ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م إلى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، كما كان له مقالاً أسبوعياً في صحيفة (٢٦ سبتمبر) بعنوان «قضايا الفكر والأدب»، ومقالاً أسبوعياً في صحيفة (الثورة) بعنوان «شؤون ثقافية»، والعديد من المقالات والمقابلات في الصحف والمجلات المحلية والعربية والقنوات الإذاعية والتلفزيونية العربية والعالمية.

ـ كان مع الأوائل ممن سعوا لتأسيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وقد انتخب رئيساً للاتحاد في المؤتمر الأول.

له اثنا عشر ديواناً مطبوعاً وثمان دراسات أدبية، وهي:

*** ـ الشعر:**

١ ـ من أرض بلقيس.

٢ ـ في طريق الفجر.

٣ ـ مدينة الغد.

٤ ـ لعيني أم بلقيس.
٥ ـ السفر إلى الأيام الخضر.
٦ ـ وجوه دخانية في مرايا الليل.
٧ ـ زمان لا نوعية.
٨ ـ ترجمة رملية.. لأعراس الغبار.
٩ ـ كائنات الشوق الآخر.
١٠ ـ رواغ المصابيح.
١١ ـ جوّاب العصور.
١٢ ـ رجعة الحكيم بن زايد.

*** ـ الدراسات:**

١ ـ رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه.
٢ ـ قضايا يمنية.
٣ ـ فنون الأدب الشعبي في اليمن.
٤ ـ اليمن الجمهوري.
٥ ـ الثقافة الشعبية «تجارب وأقاويل يمنية».
٦ ـ الثقافة والثورة.
٧ ـ من أول قصيدة إلى آخر طلقة «دراسة في شعر الزبيري وحياته».
٨ ـ أشتات.

*** ـ تحت الطبع:**

١ ـ رحلة ابن من شاب قرناها.
٢ ـ العشق على مرافئ القمر.
ـ كما كان يعكف على تأليف كتاب عن اليمن الموحد بعنوان «الجمهورية اليمنية».

نال العديد من الجوائز، وهي:

١ ـ جائزة أبو تمام بالموصل عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢ ـ جائزة شوقي بالقاهرة عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣ ـ جائزة الأمم المتحدة «اليونسكو»، والتي أصدرت عُملة فضية عليها صورته في عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م كمعوّق تجاوز العجز وأقدره اللّه على المثابرة في مواصلة التعليم والتأليف نثراً وشعراً وإذاعة.

٤ ـ جائزة مهرجان جرش الرابع بالأردن ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥ ـ جائزة سلطان العويس بالإمارات ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

كتبت عنه العديد من الكتب والدراسات التي تناولت حياته وشعره، وهي:

١ ـ البردوني شاعراً كاتباً، لطه أحمد إسماعيل (رسالة دكتوراه ـ القاهرة).

٢ ـ الصورة في شعر عبد اللّه البردوني، د/ وليد مشوح ـ سوريا.

٣ ـ شعر البردوني، لمحمد أحمد قضاة (رسالة دكتوراه ـ الأردن).

٤ ـ قصائد من شعر البردوني، لناجح جميل العراقي.

٥ ـ البردوني والمقالح شاعران مختلفان، حميدة الصولي.

أعماله المترجمة إلى اللغات العالمية:

١ ـ عشرون قصيدة مترجمة إلى الإنجليزية في جامعة ديانا في أمريكا.

٢ ـ الثقافة الشعبية مترجمة إلى الإنجليزية.

٣ ـ ديوان مدينة الغد، مترجم إلى اللغة الفرنسية.
٤ ـ اليمن الجمهوري، مترجم إلى الفرنسية.
٥ ـ كتاب بعنوان: «الخاص والمشترك في ثقافة الجزيرة والخليج»، مجموعة محاضرات باللغة العربية لطلاب الجزيرة والخليج، ترجم إلى الفرنسية.

الحارث بن الفضل الشميري

تقديم

بقلم:
الدكتور عبد العزيز المقالح

(١)

هل تستطيع الساقية أن تقدم النهر ؟
وهل يستطيع النهر أن يقدم البحر؟

ذلك ما يريده مني صديقي الشاعر الكبير الأستاذ عبد اللّه البردوني. وهي إرادة عزيزة على نفسي، حبيبة إلى قلبي، ولكنها كبيرة على قلمي، ثقيلة على ذهني، هذا الذهن المجهد المكدود الذي أدركه الصدأ بعد أن عدت به إلى الوطن بعد غربة طويلة. فقد عدت مشوقاً لا لكي أكتب أو أتحدث وإنما لكي أرى وأسمع وأقرأ؛ لأرى الشوارع التي مشيت عليها منذ السنوات الأولى من عمري، ولكي أسمع المآذن التي أحببتها في طفولتي، وأقرأ الجبال التي أدهشتني وأخافتني وما تزال تدهشني وتخيفني!!

أيها الصديق العزيز، لقد قرأت شعرك وأنا تلميذ في الابتدائية، وقرأته وأنا طالب في الإعدادية، وقرأته وأنا مدرس في الثانوية، وصار بيني وبينه ألفة العمر. ومن هنا تصورت ـ في فترة من الفترات ـ أنني أعرف الناس به، ثم اتّضح لي وأنا

أعيد قراءته من جديد أن الأشياء التي نألفها لا نعرفها كما ينبغي. لذلك فقد ابتعدت عنه، اغتربت عن شعرك كما اغتربت عن الوطن لا لكي أعرفه أكثر، ولا لكي أحبه أكثر، ولكن لكي استطيع أن أتحدث عنه بعيداً عن عواطف الطفولة وسلطان المألوف!!

وكما كان البعد عن الوطن مثاراً للحنين، ومبعثاً للتوله فقد كان البعد عن شعر البردوني مثاراً للجدل مع النفس، ومجالاً لامتحان الذاكرة.

إن اسم صنعاء حين نذكره في القاهرة أو الجزائر، في تونس أو روما أو برلين، غير اسم صنعاء حين نردده في الصافية أو في شارع عبد المغني، أو في ميدان التحرير. وديوان من «أرض بلقيس» الذي احتفلنا بمولده عام ١٩٦١م غير ديوان «لعينيْ أم بلقيس» الذي لم نحتفل بمولده عام ١٩٧٥م، رغم أن أم بلقيس، هي أرض بلقيس. و«في طريق الفجر» ابن عام ١٩٦٨م غير «السفر إلى الأيام الخضر» مع أنَّ كليهما تعبير عن رحلة نفسية وروحية تبحث في قاع الروح اليمنية الغافية عن بقايا ريش الحضارة المطمورة علّها تصنع من تلك البقايا المتناثرة أجنحة جديدة للتحليق إلى «مدينة الغد»، و«مدينة الغد» ديوان من الشعر حبيب إلى نفسي، وقد يكون أحب دواوين شاعرنا البردوني إلى نفسه؛ لأنه القمة أو الذروة التي وصل إليها الشاعر في رحلته مع الحرف المنغم، وقبلها كان يجاهد إلى الوصول نحو تلك الذروة، وبعدها ظل يراوح في مكانه. ولولا بعض قصائد تمسكه في الذروة وتسكنه في «مدينة الغد» لانحدرت به قصائد أخرى جاءت بعد ذلك خطابية أو مناشيرية، كانت تستدعيها ظروف الوطن ويقتضيها

وضع البلاد، وحينما أسمع من يهاجم هذا النوع من القصائد وفيهم الحريص على الفن، والحريص على السيارة والقصر، أتذكر على الفور قول بريخت: (الحديث عن الأشجار يوشك أن يكون جريمة... لأنه يعني الصمت على جرائم أشد هولاً). تلك هي الحقيقة الناصعة فعندما يكون سيف الإرهاب مسلّطاً على الرؤوس لا تنظر العيون إلى السماء حيث تتلألأ النجوم وإنما تنظر إلى الأرض حيث السيف يوشك أن يسقط على الرقاب فيحزّها كما تحز السكين رقبة الخروف!

٢

الأيام ـ أيام الشاعر ـ جزء من فنه، وبعده الزمني ضارب في بعده الفني والموضوعي، وأيام البردوني هي أيام اليمن، في بلد ضرير كل ما فيه أعمى أو يدعو إلى العمى. ولد عبد الله في قرية «البردون»، وعندما كان طفلاً جاء موسم الجدري، وهو من المواسم الدائمة التي لم تكن لتتأخر عن «يمن الأئمة» كأنه فصل من فصول العام التي لا تتبدل ولا تتغير.

وفي طريقه ـ أي في طريق موسم الجدري ـ أخذ من كل قرية ومن كل مدينة ما استطاع على حمله من الكبار والصغار ليلقي بهم في المقابر، بعد أن ترك بصماته على بعض الوجوه، وبعض الوجوه انتزع منها أغلى ما فيها ـ العينين. وكانت عينا الطفل عبد الله من نصيب ذلك الموسم المتوحش!!

ذهبت عينا الطفل فما قيمته؟ ماذا يساوي بعد في شعب ضرير، في شعب لا قيمة فيه حتى لذي العينين؟ إن أيام طفلنا كانت أحلك من سوداء. هل يتذكر شيئاً منها الآن؟ حاولت

من خلال الأحاديث المتفرقة مع الصديق الشاعر الملم من الذاكرة أطيافاً عن أيامه المليئة بالسواد المادي والروحي والنفسي فأفلحت حيناً وفشلت أحياناً. الكلمات نفسها تعجز عن حمل التجربة الليلية الرهيبة.

ولكن وبالرغم من ذلك الحاجز الأسود شق الضرير الصغير طريقه في الظلام، بين وحل القرية وشوكها، وعانى من هجير النهارات، ومن برودة الليالي، يلتقط كل شيء بقلب ذكي وعقل بصير، فضول في البحث لا حدود له، ورغبة شاسعة في معرفة كل شيء والاستفادة من كل شيء.

وكما انتقل الطفل الضرير طه حسين ـ مع الفارق ـ من قريته إلى «القاهرة»، انتقل الطفل عبد اللّه إلى «ذمار»، وفي مسجدها تعلم شيئاً من أصول الدين وقدراً من علوم اللغة على الطريقة التقليدية، وحين بدأ يعي ما حوله ويتنبّه إلى قلة الزاد الفكري في مسجد ذمار، أخذ يعاند ويكابر ويعادي، يهجو، ويسجن، ويجوع ويتعذب.

وكما سافر طه حسين ـ مع الفارق الشاسع ـ من القاهرة إلى باريس، سافر عبد اللّه من ذمار إلى صنعاء، ذهب ضرير مصر يدرس في السوربون، وذهب ضرير البردون ليدرس في دار العلوم. الفارق واسع وشاسع بين سوربون باريس، ودار علوم صنعاء، ولكن الانتقالات في حكم الزمن تتساوى وربما تزيد هنا عنها هناك. إيقاع الزمن هنا بطيء، القفز إلى أكثر مما يستطيع الضرير الشاب ابن البردون ضرب من المستحيل، لقد وصل ـ رغم أنف ليل التخلف ـ إلى ما لم يصل إليه ملايين المبصرين في بلاده، معلوماته الدينية تزداد، خبرته في علوم العربية تتسع...

ثم هذا الشيء الذي يسمى الشعر بدأ يلين له ويعطيه من بواكير فاكهته. . . ويعجب الشاب الضرير بهذا الزائر الذي يسليه في وحدته ويعزف على أنغامه ألحان طموحه وآلامه.

وتمضي الأيام ـ أيام اليمن أيام الشاعر الشاب الضرير ـ فيتسع مجال القول، ويتسع مجال التعبير، ويبدأ شبح الليل في التلاشي، القصائد الطالعة شموع وجدانية تضيء ظلام هذا الشاعر الضرير، وتبدد مخاوف أيامه. . . لا يريد أن يصبح عالماً، ويرفض أن يصير مقرئاً، قد يكون له كرسي للتعليم في دار العلوم، وقد تستضيفه البيوت في الأفراح والأتراح ليقرأ كل ما تيسر من كتاب اللّه العزيز، لكنه لم يخلق لهذا ـ كل ميسر لما خلق له ـ وقد خلق للشعر. لهذا الشيء الرقيق العنيف، الجميل المتوحش، وقرر عمداً ومع سبق الإصرار، أن يسير بأرض بلقيس في طريق الفجر حتى الأيام الخُضرُ إلى «مدينة الغد»، وقد وصل وأصبح رغم مصاعب الرحلة، وربما بفضل مصاعبها، واحداً من شعرائنا العظام ليس في اليمن فحسب بل في وطننا العربي الكبير.

٣

الشعر، وما الشعر؟

لم يختلف الناس في موضوع كما اختلفوا في موضوع الشعر، ولم تتضارب المفاهيم في أمر كما تضاربت في أمره، والغريب أنه كلما أوغل الناس في تعريف هذا المعلوم المجهول زاد من حوله الغموض، وبما أنني هنا أحاول التعريف بشاعر، فإنني لن أشغل نفسي بالتعريف بالشعر، لأنني أرفض كل التعريفات التقليدية ابتداءً من ذلك التعريف

الساذج المسطّح «الشعر هو الكلام الموزون المقفى» وانتهاء بالتعريف القائل «الشعر رقص والنثر مشي». وأرفض كذلك التعاريف الحديثة ابتداء من التعريف القائل: «الشعر تجارب منغمة»، ووقوفاً عند التعريف الأحدث «الشعر كيمياء الكلمة». فكل هذه التعاريف بعيدة عن الحقيقة الشعرية، فبعضها يهبط بالشعر إلى القاع، وبعضها الآخر يرتفع به إلى ما وراء الغمام!

وأفضل من الضياع والدوران حول هذه الدوامة، دوامة الحديث عن الشعر، الدخول في الحديث عن الشعر واليمن ليكون ذلك تمهيداً للحديث عن شعر الشاعر البردوني، ومنذ البداية أود أن أشجب تهمتين يتهمنا بهما إخواننا في البلاد العربية، وأولى هاتين التهمتين أن اليمن الآن ما يزال يعيش عصر الشعر، فالواقع يقول إنَّ اليمن تعيش كذلك عصر القصة والرواية والمسرحية والدراسة الأدبية، وهذه أبواب المكتبة اليمنية الحديثة مفتوحة لمن يريد أن يقرأ ويتأكد مما أقول. أما التهمة الثانية والأخيرة فهي ما نسمعه أحياناً هنا وهناك من أن كل يمني شاعر. لماذا؟ قيل لأن الإمام وحاشية الإمام وأعداء الإمام كانوا كلهم شعراء أو يتعاطون الشعر، ليس هذا القول صحيحاً؛ لم يكن الإمام شاعراً وإن نظم بعض أبيات أو حتى بعض قصائد، ولم تكن حاشيته تتعاطى الشعر إلّا للتسلية؛ والنظم غير الكتابة الشعرية.

إذن الشعراء في اليمن قلة، قلة قليلة، والموهوبون منهم أقل من القليل، وإذا كان التعليم في عهد الإمامة ظل قاصراً على علوم الدين واللغة، وكلها مما يساعد الشاعر الموهوب على الكتابة الشعرية؛ فإن المدارس الآن

والجامعة ـ حتى قسم اللغة العربية للأسف ـ لا تعطي علوم اللغة ولا تعطي الشعر إلا أقل القليل، وهذا قد يجعل الشعر في مستقبل بلادنا عرضة للانقراض.

وفي وقوفي في وجه التهمتين السابقتين محاولة للفت الانتباه الحقيقي إلى واقع الشعر في بلادنا، وإلى ما كان يعاني منه الشاعر في الماضي من خوف الحاكمين وسخريتهم به في الوقتِ ذاتِهِ، لقد كانوا يهابونه ويخافون لسانه، كما كانوا يجبرونه على المديح ويعتبرون امتداحه لهم نوعاً من الواجب الديني، وعملاً يقرب الشاعر إلى اللّه ويقوده إلى الجنة؛ وكانت تلك هي الجائزة، وأذكر بهذه المناسبة طرفاً من حديث ممتع رواه الشاعر أحمد محمد الشامي في مقدمته لآخر دواوينه «لزوميات الشعر الجديد»، يقول: وإن أَنْسَ فلن أنسى حواراً ساذجاً دار بيني وبين المرحوم السيد العالم هاشم المرتضى في مجلس «قات»، بصنعاء سنة ١٩٤١م، وكان تربا وزميلاً لوالدي في مدرسة شهاره، فقال لي: بلغني أنك تقرض الشعر يا أحمد؟ قلت: نعم، قال: لا خير لك فيه، قلت: لماذا؟ قال: لأنه كما قالوا «أعذبه أكذبه» وأنت «ابن فلان الفلاني»، ولا أريد أن تكون كذاباً، ثم ستبقى طيلة حياتك، إما مادحاً متسولاً أو هجَّاءً تنال من أعراض الناس، أو تهيم في وديان الضلال، وهل تعرف أن «المتنبي» أكبر الشعراء تحاشى دخول الكوفة حين بلغه قول شاعر لا يصل إلى رتبته بلاغة وبياناً:

أي فضل لشاعر يطلب الفضل
من الناس بكرة وعشيّا

عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء
وحيناً يبيع ماء المحيّا؟

قلت: ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أيد حسّاناً بروح القدس، قال: فلقد قال عليه الصلاة والسلام: لأن يملأ أحدكم جوفه قيحاً خير من أن يملأه شعراً، قلت: قد صححت الرواية عائشة أم المؤمنين.. بقولها إن تتمة الحديث «هجوتَ به» فضحك، ربما ابتهاجاً بأن ابن صاحبه يستطيع الجدل، وقال: وماذا تقول في قوله تعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦] قلت: تتمة الآيات: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

هذا الحوار الذي لم اقتطف إلّا جزءاً صغيراً منه له أكثر من دلالة، فهو يكشف أن الشعر قد كان محاصراً دينياً، وكانت الأسر الشريفة تأباه لأنه قد أصبح إما مدحاً أو قدحاً، تسولاً أو هجاء، وهو أولاً وأخيراً «كذب في كذب»!! فما الذي شجع شاعراً ضريراً كالبردوني أن يخوض غماره وأن يحترق في ناره؟

أعتقد أن أصوات الزبيري والموشكي والإرياني والعزب كانت قد مهدت الطريق أمام جيل جديد من الشعراء، وفتحت للشعر باباً تاريخياً جديداً يتجاوز معه الشاعر أسباب التخلف، وتصبح الكلمة فيه وسيلة للتعبير عما يجيش في صدور الملايين، وسلاحاً كفاحياً على طريق الثورة وتحقيق أحلام الجماهير في العدل والحرية والمساواة. ومن أهم مظاهر الانقلاب الذي حدث في الشعر بعد ظهور هؤلاء الشعراء، محاولة الانفصال عن أشكال التعبير الموروثة، وبروز أسماء جديدة ربما كان في مقدمتها الشاعر عبد الله البردوني.

٤

كان الشعر قبل أن يأتي شعراؤنا المعاصرون وسيلة تعبيرية ذات وظيفة جمالية، قد تكون ذات دلالة اجتماعية وقد لا تكون، قد تكون مديحاً لحاكم أو زلفى لأمير، وقد تكون مناجاة محب أو وصف بحيرة، أو رحلة على ناقة، أو حديثاً عن بستان في الربيع، وقد تغيرت وسائل التعبير في العصر الحديث، وأصبح جانب كبير من الشعر وسيلة إلى الشعب بعد أن كان وسيلة إلى الحكام، لكنه في اليمن كان كتابة بالأظافر وتمرداً بحد السيف.

ولم يعد هناك مسافة تفصل بين القول والعمل، لقد ألغى الزبيري المسافة الممتدة بين القول والعمل عندما قال:

خَرَجْنا من السِّجنِ شُمَّ الأنوفِ
كما تخرجُ الأُسدُ من غابِها
نمرُّ على شفراتِ السيوفِ
ونأتي المنيةَ من بابِها
ونأبى الحياةَ إذا دُنِّسَتْ
بعسفِ الطغاةِ وإرهابِها[1]

عندما قال شاعرنا ذلك كان قد خرج على الطاغية معلناً الحرب عليه وعلى نظامه البائس الظالم، وشعراء آخرون أقاموا جسراً بين الكلمة والفعل فصار قولهم فعلاً، وفعلاً محتشداً بالحضور والعطاء:

أميطوا جلابيبَ الجهالةِ عنكمُ
وعن عزكم واستنطقوا الضربَ والطعنا

(١) محمد محمود الزبيري: ديوان ثورة الشعر.

فما في حياةِ الذلِ خيرٌ لعاقلٍ
وفي موتهِ بالعزِ ليس يرى غبنا[1]

كان ذلك صوت الشهيد الموشكي، الشاعر الذي رفض حياة الذل واستعذب الموت في سبيل الحرية. . . الشعر إذن في بلادنا موقف، موقف وضع قواعده شعر الشهداء، هذا الشعر الذي أصبح ظاهرة فريدة متميزة في الشعر العربي المعاصر.

القضية ـ إذن ـ أصبحت واضحة أمام جيل الشعراء الأصغر سناً والأقل تجربة، التوق نحو المستقبل والصمود في ساحة الحاضر، مواجهة الهول الأكبر، وتحدي المخلوقات المخوفة.

وكان الإمام أحمد واحداً من هذه المخلوقات المخيفة، إنه سفاح رهيب يقتل أشقاءه، ويهدد بإبادة الشعب كله، وفي ذكرى انتصاره على أول انتفاضة ثورية شعبية، كان سفاح اليمن يقيم الزينات ويحشد الشعب إلى ساحات المدن ليسمعوا كيف يمدح الشعراء الجلّاد، وشذ شاعر عن هذه القاعدة، خرج البردوني الضرير عن المألوف، وفي صوت لا أقوى من روعته وبساطته وإشراقه قال[2]:

عيدَ الجلوسِ أعِرْ بلادكَ مسمعاً
تسألكَ أينَ هناؤُهَا هَلْ يُوجَدُ؟
تمضي وتأتي والبلادُ وأهلُها
في ناظِرَيْكَ كما عَهِدتَ وتَعْهَدُ

(١) زيد الموشكي: من قصائد مخطوطة.
(٢) هلال ناجي: شعراء اليمن المعاصرون، ص٨٥.

يا عيدُ حدّثْ شعبكَ الظامي متى
يروى، وهلْ يروى وأينَ المورِدُ؟

فيم السكوتُ ونصفُ شعبكَ هُهُنا
يشقى، ونصفٌ في الشعوبِ مشرّدُ؟

يا عيدُ هذا الشعبُ ذلّ نبوغُهُ
وطوى نوابغَهُ السكونُ الأسودُ

ضاعتْ رجالُ الفكرِ فيهِ كأنّها
حلمٌ يُبَعْثِرُهُ الدُّجى ويبدّدُ

للشعبِ يومٌ تستثيرُ جراحُه
فيهِ ويقذفُ بالرقودِ المَرقَدُ

ولقدْ تَراهُ في السكينةِ إنّما
خلفَ السكينةِ غضبةٌ وتمرّدُ

تحتَ الرّماد شرارةٌ مشبوبةٌ
ومن الشرارةِ شعلةٌ وتوقّدُ

لا لمْ ينمْ شعبٌ ويحرقُ صَدرَهُ
جرحٌ على لهبِ العذابِ مسهّدُ

شعبٌ يريدُ ولا ينالُ كأنّه
ممّا يكابدُ في الجحيمِ مقيّدُ

أهلاً بعاصفةِ الحوادثِ إنها
في الحي أنفاسُ الحياةِ تردّدُ[1]

(١) ديوان «في طريق الفجر».

نعم أهلاً بأنفاس الحياة، حياة الحرية والسيادة الوطنية، أهلاً بأنفاس الشعر الموقف، لقد وضع الشاعر الآن قدمه على بداية الطريق وعليه ألّا يتراجع، عفواً... وهل يستطيع أن يتراجع؟ إنَّه لا يستطيع حتى أن يلوذ برحاب الصمت:

يا صمتُ ما أهناكَ لَوْ تستطيعْ
تلفّني، أو أنني أستطيعْ
لكنَّ شيئاً داخلي يلتظي...
فيخفقُ الثلجُ، ويظما الربيعْ
يبكي، يغنّي، يجتَدي سامعاً
وهو المغنّي والصَّدَى والسَّميعْ
يهذي فيجثو الليلُ في أضلعي
يشوي هزيعاً، أو يُدمّي هزيعْ
وتَطبخُ الشُّهب رمادَ الضُّحى
وتطحنُ الريحُ عشايا الصَّقيعْ
ويلهثُ الصبحُ كمهجورةٍ
يجتاحُ نهديْها خيالُ الضجيعْ[1]

لقد تحول الشعر إلى زلزال داخل النفس، يحترق ويتجمد، يغني ويبكي، يحدث كل ذلك في أغوار النفس الشاعرة، لقد استطاع الشاعر بعد لأي أن يمتلك التجربة فامتلكته التجربة،

(١) ديوان «مدينة الغد».

فلا تصدقوا ـ إذن ـ هدوءه الظاهر، إنَّهُ في أعماقه يطبخ النجوم ويطحن الرياح.

ومنذ صار الأدب في اليمن موقفاً وقضية التقى الشعراء جميعاً في ساحة القضية، التقليديون منهم والمجددون، شعراء الفصحى وشعراء العامية. وشعر القضية في هذا الوطن ما يزال يحظى بحب الجماهير وشغفها، ليست الأساليب إذن، ولا جمال الصورة، ولا الحداثة أو التقليدية هي ما يبحث عنه المتلقي هنا. صحيح أن صفوة مختارة من المثقفين قد بدأت تأخذ جانباً في ساحة المتلقين، وبدأت ثقافياً تطلب نوعاً من الشعر، وأسلوباً معيناً من التعبير؛ لكن الساحة لا تزال تنتظر من يخاطب عواطفها؛ لا يهم أن يكون الشعر عمودياً مقفى، موزوناً أو مرسلاً؛ المهم أن يكون مشحوناً بقضية ومعبراً عن موقف، وعامراً بالمحتوى المهيج المثير، بعضهم يقول إن هذا اللون من الشعر يخدر الجماهير ويسلبها القدرة على الفعل، ويلهيها عن واقعها لأنه ينتصر لها بالكلمات ويعوض عن آلامها بالنغم، ولأن بعض الأنظمة قد حذقت ذلك فهي تشجع مثل هذا الشعر ولا تعاقب عليه، قد يكون في مثل هذه الملاحظات قدر من الصحة في أزمنة الاستقرار؛ أما عندما كانت الكلمة قنبلة والبيت الشعري رصاصة فلا شيء من الصحة في مثل تلك الأقوال.

وحين كانت الكلمة تتبع بالموقف، وتؤكد بالعمل، كان الشعر وسيلة تحريضية وأداة للثورة، وحافظ الشعراء لذلك على أن يقللوا أو يلغوا المسافة القائمة بين القول والفعل. وكل شاعر يأتي يكون أكثر من سابقه إحساساً بما حوله، وإدراكاً للمهمة المعلقة على عاتقه، فالشاعر ـ كما يقول رامبو

«محكوم عليه أن يلتقط إجهاش المهانين، وحقد السجناء، وصيحات الملعونين بأشعة حبه اللاسعة».

٥

من الكلاسيكية إلى السريالية، تلك هي الرحلة التي قطعها شاعرنا البردوني في رحلته الفنية، تجاوز الكلاسيكية الجديدة، واستقر حيناً مع الرومانتيكية؛ لكنه عاد إلى الكلاسيكية الجديدة ومنها إلى نوع من السريالية؛ وحتى يجيء المكان المناسب للاستدلال بالنماذج، سأقترب في هذا المكان من قضية تؤرقنا جميعاً نحن أبناء اللغة العربية، تلك هي قضية المصطلحات الأدبية والفنية، وهي قضية تثير المواجع وتدعو إلى الرثاء، وبخاصة في هذا الوقت الذي لا تكف فيه الأفواه عن كلمات الانفتاح... فموجة الارتداد «المنفتحة» التي تستورد علب الصلصة والفاصوليا تحاول أن تسد كل باب بل كل نافذة يتسرب منها نور الفكر والأدب، إنها تعلن كل يوم محاكمتها للمصطلحات المستوردة كالكلاسيكية والرومانسية والسريالية وغيرها من المصطلحات المتداولة في الحقول الفنية والأدبية كمعايير نقدية تحدد هوية بعض الأعمال الأدبية، وقد بلغ الضيق بدعاة الانغلاق الإقليمي والفكري في قطر من أكبر الأقطار الإسلامية رقعة وعدداً وإيماناً أن يتهم الدين الإسلامي بأنه مستورد من الجزيرة العربية؛ ولولا «موضة» الاستيراد ما حدث مثل هذا ولما تجرأ شخص حتى ولو كان في مثل الدكتور زكي نجيب محمود من الهمس بمثل هذه المقولة السخيفة!!

وبما أن الشعر وكل الأعمال الأدبية ـ بما فيها الدراسات النقدية ـ لا تزدهر ولا تتفتح إلّا في مناخ من الحرية الكاملة، فإن هذه الصيحات التي تتنادى من جوانب الطريق معلنة العودة إلى القمقم، تعرقل مسار الإبداع كما تعرقل مسار الحركة النقدية وتجعل للأشكال التقليدية ومضمونها الهابط حق الانتشار والتداول. ولكن رغم كل المصاعب التي تواجه الحركة الأدبية، فإنها سائرة إلى الأمام بخطوات ثابتة، والمصطلحات الأدبية والفنية والنقدية شقت طريقها إلى الحياة الأدبية العربية منذ وقت مبكر من هذا القرن، وأصبح مفهوم الكلاسيكية والرومانتيكية مثلاً واضح المدلول؛ فيكفي أن نصف شاعراً بأنه كلاسيكي لتمثل المحافظة وتقليد القدماء. . . الخ.

وشاعرنا البردوني ـ رغم محافظته على الأسلوب البيتي في القصيدة وهو المعروف بالعمودي ـ شاعر مجدد ليس في محتويات قصائده فحسب، بل في بناء هذه القصائد القائم على تحطيم العلاقات اللغوية التقليدية، وابتكار جمل وصيغ شعرية نامية، صحيح أن إيقاعه كلاسيكي محافظ، لكن صوره وتعابيره حديثة ـ تقفز في أكثر من قصيدة ـ وبخاصة في السنوات الأخيرة ـ إلى نوع من السريالية تصبح فيه الصورة أقرب ما تكون إلى ما يسمى باللامعقول.

وفي كتابي «الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن» قلت عنه: الشاعر عبد الله البردوني من الشعراء القليلين في اليمن، بل في الوطن العربي الذين لا يزالون يحافظون على شرارة الشعر والفن في القصيدة

العمودية، وهو من القراء المدمنين على الشعر الجديد، يفيد من صوره الجديدة ومن تحرره في استخدام المفردات والتراكيب الشعرية الحديثة، وقد اكتسب شعره على محافظته أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة لمضامينه الجماهيرية الواضحة[١].

بدأ البردوني كلاسيكياً يقلد القدماء، ويقف طويلاً عند أبي تمام، ثم تأثر بالرومانتيكيين تأثراً حاداً؛ وفي ديوانه الأول أمثلة كثيرة على ذلك منها هذا الصوت الجارح الحزين:

يا شاعرَ الأزهارِ والأغصانِ
هلْ أنت ملتهبُ الحشا أو هاني
ماذا تُغنِّي، من تُناجي في الغِنا
ولمن تبوحُ بكامنِ الوجدانِ؟
هذا نشيدُكَ يستفيضُ صبابةً
حرّى كأشواقِ المحبِ العاني
في صوتِكَ الرقراقِ فنٌّ مترفٌ
لكنْ وراءَ الصوتِ فنٌّ ثاني
كَمْ ترسلُ الألحانَ بيضاً إنَّما
خلفَ اللحونِ البيضِ دمعٌ قاني
هل أنت تبكي أم تغردُ في الرُّبى
أم في بكاكَ معازِفٌ وأغاني[٢]؟

(١) عبد العزيز المقالح: الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر ص ٣٧٩ (٦) مجلة أكتوبر القاهرية، العدد (١١٤) ديسمبر ١٩٧٨م.
(٢) ديوان «من أرض بلقيس».

هذه الحيرة، هذا التردد بين الغناء والبكاء جزء من الشوط الرومانسي الذي قطعه الشاعر باكياً لاهثاً، يبحث في قاع ذاته عن حلول اجتماعية فلا يعثر إلّا على الدمع والأسى، ومن جديد يعود إلى الكلاسيكية، الكلاسيكية الجديدة بالطبع لأنها ـ رغم التخلف الفني ـ أكثر قدرة على امتلاك السمات الجماهيرية حيث تشكل امتداداً طبيعياً للتراث، ولكن الكلاسيكية ـ حتى الجديدة منها ـ لا ترضي رغبته الفنية، إنه يقرأ قصائد جديدة، يحلّق في عوالم جديدة من الشعر العربي الحديث، ومن الشعر العالمي المترجم، ثم إن الواقع اللامعقول يستدعي ظهور لغة جديدة، لغة تجمع بين الحقيقة والخيال، بين اللاواقع والواقع، بين المعقول واللامعقول، وفي قصيدة «يداها» يتجسد ذلك الأسلوب وتظهر تلك اللغة الجديدة:

مثلما يبتدي البيت المقفّى
رحلةً غيميةً تبدو وتخفى

مثلما يلمس منقار السنى
سَحَراً أرعش عينيه وأغفى

هكذا أحسو يديْك إصبعاً
إصبعاً أطمع لو جاوزن ألفا

مثل عنقودين أعيا المجتنى
أيُّ حباتهما أحلى وأصفى

هذه أملى وأطرى أختها
تلك أشهى، هذه للقلب أشفى

هـذه أخـصـبُ نـضـجـاً إنـنـي
ضـعـتُ بـيـن الـعـشـرِ لا أمـلـكُ وصـفـا

اللغة هنا تهدم المألوف، وحديث الشاعر عن يديْ الحبيبة، عن أصابع هاتين اليدين، وفي الحديث عنهما قدر كبير من السريالية، وما يحرر الشاعر من الوقوع النهائي في قبضة السريالية هو البيتية، هذا النظام الشعري الذي يجزئ الصور في وحدات كاملة ويمنع امتدادها، وقد بدأ هذا الاتجاه مع الشاعر منذ ديوانه «مدينة الغد»، وهو ديوان يحفل بالقصص الشعري وبالصور السريالية:

حتى احتستْها شفاهُ البابِ، لا أحدٌ
يـومـي إلـيـه، ولا قـلـبٌ، لـه يـجـفُ
وظـنَّ وارتـابَ حـتـى اشـتـمّ قـصـتَـه
كـلـبٌ هـنـاك، وثـورٌ كـانَ يـعـتـلـفُ
وعـادَ مـن حـيـثُ لا يـدري عـلـى طـرقٍ
مـن الـذهـول إلـى الـمـجـهـولِ يـنـقـذفُ
يـسـيـحُ كـالـريـحِ فـي الاحـيـاء يـلـفـظُـهُ
تـيـهٌ، ويـسـخـرُ مـن تـصـويـبـهِ الـهـدفُ[1]

وفي ديوانه الأخير (وجوه دخانية في مرايا الليل)، يتعمق هذا التيار الجديد، وتقفز الاستعارات فوق الحواجز معلنة لا إفلاس المألوف والمعتاد فحسب، بل الدخول في عالم جديد من التركيب اللغوي، تركيب الجملة، رسم الصورة

(١) ديوان «مدينة الغد».

في حديثه عن بعض جبال اليمن يقول الشاعر:

سيدي: هٰذي الروابي المُنْتِنه
لمْ تعدْ كالأمسِ كسلى مُذعِنه

«نُقُمٌ» يهجسُ، يُعلي رأسَه
«صَبِرٌ» يهذي يحدُّ الألسنه

«يسلحٌ» يومي، يرى ميسرة
يرتئي «عيبان» يرنو ميمنه

لذرى «بعدان» ألفا مقلةٍ
رفعتْ، أنفاً كأعلى مِئذَنه[1]

شيء آخر برع فيه البردوني شاعراً، غير القصص الشعري، ذلك هو الحوار، والدراما، ولعل ما كان ينقص القصيدة العربية في معمارها الفني التقليدي هو قدر حقيقي من الدرامية؛ وهذا ما توفر في شعر البردوني وفي دواوينه الأخيرة بصفة خاصة، فلا تكاد تخلو قصيدة من الحوار المباشر وغير المباشر:

ولكن متى مِتَّ؟ كنت (بُخَيْتاً)
فَصِرْتَ شعوباً تسمّى «بُخَيْتْ»

لأن اسمك امتدَّ فيهم، رأوك
هناك ابتديت، وفيك انتهيت

فأينَ ألاقيك هذا الزمان
ومن أيِّ حقل وفي أي بيت؟

(١) ديوان «وجوه دخانية في مرايا الليل».

ألاقيك أرصفةً في «الرياض»
وأوراقَ مزرعةٍ في «الكويت»

ومكنسةً في رمالِ الخليجِ
وشتْ عن يديك، وأنت اختفيت

وإسفلتَ أسواقِ مستعمرٍ
أضأتَ مسافاتها، وانطفيت

وروّيتها من عصير الجبينِ
وأنت كصحرائها ما ارتويت[1]

لقد حاول البردوني في فترة من فترات حياته الشعرية أن يعتمد نظام المقاطع المتعددة القوافي والموحدة البحر، وأحياناً المتعددة أو المختلفة الأبحر، إلّا أنه في الفترة الأخيرة اكتفى بالتجديد داخل القصيدة نفسها، التجديد في اللغة وفي الصورة وفي أسلوب الاستعارة والمجاز اللغوي، وبالرغم من أن العالم الشعري بدأ ينهار من حولنا في شتى الأقطار وفي أرجاء المعمورة؛ إلّا أنه عنده يبدو أصلب عوداً أو أكثر مواجهة للانهيار.

٦

ليس البردوني شاعراً فحسب بل هو ناقد أدبي وكاتب اجتماعي، وتكاد الكتابة النقدية أو الدراسة الاجتماعية ـ في الأيام الأخيرة ـ تكونان صلته الوحيدة بالمتلقي بعد أن جف ضرع الشعر أو كاد، وهو جفاف مؤقت يعود إلى رتابة الواقع، والرتابة بالنسبة للشاعر والشاعر السياسي بصفة خاصة تمثل

(١) نفسه.

العدو التقليدي؛ فتكرار الأشياء يعني تكرار الحديث عنها، والتكرار على أهميته يفقد الشعر بلاغة التعبير وسحر الأداء.

النثر إذن هو المادة الطيعة القادرة على تتبع الأحداث المتكررة، والدراسة الأدبية هي المجال الوحيد لاسترجاع أصداء الأعمال الفنية وإعطائها طاقات جديدة وفعالية أجد، وقد أصدر شاعرنا ـ حتى الآن ـ كتابين نثريين؛ أحدهما دراسات تحليلية ونقدية لبعض قصائد الشعراء اليمنيين الأقدمين والمحدثين، وهو كتاب «رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه»، والآخر دراسات اجتماعية وتاريخية سجل فيها الشاعر انطباعاته الخاصة عن بعض القضايا اليمنية المعاصرة، واسم الكتاب «قضايا يمنية».

وبما أن الحديث هنا يقتصر على شعر البردوني وليس على نثره، فإنني لا أستطيع أن أقحم نفسي في الحديث عن كتاباته النثرية، وما قوبلت به من إعجاب أو إعراض، فالواضح أن البردوني قد ولد شاعراً، ولكن هذا لا يعني أن كتاباته النثرية غير ذات أهمية، فهي حصيلة رؤية شاعر رافق الكلمة وعاشرها على مدى خمسة وثلاثين عاماً.

وإذا كان تفوق البردوني الشاعر يطغى على البردوني الناثر، فإن ذلك أمر يتمشى مع الحساسية الفنية النابعة من واقع اليمن، حيث تتقدم الكلمة الشاعرة مسيرة الحركة الأدبية، بعد أن استكملت عبر العصور كافة قدراتها اللغوية والتخيلية.

وشاعرنا البردوني ليس الوحيد من بين الشعراء المعاصرين الذين لم يقصروا إنتاجهم على الشعر وحده،

فقائمة الشعراء الناثرين أكبر من أن تحصى، ويكاد بعض الشعراء ينالون الآن من الشهرة بكتاباتهم النثرية ما ينالونه من الشهرة بأشعارهم، وهذا أدونيس أكبر مثل على هذه القضية، وفي القائمة شعراء آخرون: صلاح عبد الصبور، نزار قباني، أحمد عبد المعطي حجازي وآخرون.

٧

هل وصلت الحصاة إلى قاع النهر؟

هل الدوائر الصغيرة التي تركتها الحصاة على صدر النهر كافية لقراءة ملامحه؟

هل سأتمكن يوماً من كتابة دراسة متقنة ومعمقة عن هذا الشاعر الفذ؟

أرجو ذلك...

أما الكلمات التي تضمنتها هذه المقدمة، فلا تزيد عن كونها محاولة لكشف اللثام، عن وجه شاعر ثوري عنيف في ثوريته، جريء في مواجهته، شاعر يمثل الخصائص التي امتاز بها شعر اليمن المعاصر والمحافظ في الوقت نفسِهِ على كيان القصيدة العربية كما أبدعتها عبقرية السلف، وكانت تجربته الإبداعية أكبر من كل الصيغ والأشكال.

صنعاء في ٩ يناير سنة ١٩٧٩م

من
أرض بلقيس

البردوني بقلمه

نشأ في قرية البردون من أعمال زراجة «بالحدا» وهي قرية شاعرية الهواء، ذهبية الأصائل والأسحار، يُطلّ عليها جبلان شاهقان، مكلّلان بالعشب، مؤزّران بالنبت العميم. ولهذه القرية في نفس الشاعر ذكرياتٌ وذكريات، فيها وُلد الشاعر سنة ١٣٤٨هـ، وفي أحضان هذه القرية الخالدة وتحت ظلال والده الفلاح ووالدته، مرِحتْ طفولتُه، وتحسّست نظراته كؤوس الجمال الفاتن، حتى أغمض عينيه العمى بين الرابعة والسادسة من العمر، بعد أن كابد الجُدري سنتين.

وقد كان حادث العمى مأتماً صاخباً في بيوت الأسرة، لأن ريفه يعتدّ بالرجل السليم من العاهات، فرجاله رجال نزاع وخصام فيما بينهم؛ فكلّ قبيلة محتاجة إلى رجل القِراع والصّراع الذي يقود الغارة ويصدّ المغير.

وفي نهاية السابعة استهل الشاعر المنتظر التعليم في مدرسة ابتدائية في القرية واستمر سنتين، انتقل على إثرهما إلى قرية «المحلة» من أعمال «ذمار»، وفيها أقام أشهراً بين البيت والمدرسة، ثم شاءت الظروف السعيدة أن تنتقل به إلى مدينة «ذمار»، وفي مدرستيها الابتدائية والعلمية عكف على الدرس، وكانت مدة إقامته في ذمار عشر سنوات، كابد فيها مكاره العيش ومتاعب الدرس، والحنين إلى القرية وملاعبها. وفي هذا العهد من تاريخه مال إلى الأدب فقرأ كل كتاب يصادفه،

وبدأ يقرض الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره. وأكثر هذا الشعر شكوى من الزمن، وتأوّه من ضيق الحال، وفي هذا الشعر نزعات هجائية، تكونت من قراءة الهجّائين، ومن سخط الشاعر على المترفين الغُلْف، فقد كان يتعزّى بقراءة الهجو ونظمه، وهذا بدافع الحرمان الذي رافقه شوطاً طويلاً، فبكى منه وأبكى!!

وكان يظهر في هذا الإنتاج طابع التشاؤم والمرارة، ولكنه كان يُنبئ عن شاعرية ستورق وتزهر، فقد تنبّأ له آنذاك كثيرون من أرباب الذوق بالنبوغ والصيت المنتشر، وبعد عشر سنوات في «ذمار»، وبأعجوبة تاريخية إلى أعاجيب شقّ الطريق إلى «صنعاء» وفيها عانى ما عانى من مكابدة العيش، ومصارعة الأهوال، ثم تبنته مدرسة «دار العلوم»، وفيها قرأ المنهج المرسوم للمدرسة حتى أنهاه، وعيّن أستاذاً للآداب العربية في المدرسة نفسها ولا يزال.

من أرضِ بلقيس(١)

من هذه الأم الحنون، والحبيبة الحسناء، من هذه الفاتنة الراقصة على القلوب. من هذا الفردوس الأرضي. من هذه الحبيبة الغارقة في العطر والنور!!.

مِنْ أرضِ بلْقيسَ هذا اللَّحنُ والوترُ
من جوِّها هذه الأنسامُ والسَّحَرُ

منْ صدرِها هذه الآهاتُ منْ فمِها
هذي اللّحونُ؛ ومنْ تاريخِها الذِّكرُ

مِن «السعيدة»(٢) هذي الأغنياتُ ومنْ
ظلالِها هذه الأطيافُ والصّورُ

أطيافُها حول مَسْرى خاطري زُمَرٌ
من الترانيم تشدو حولَها زمرُ

من خاطرِ «اليمنِ» الخَضْرا ومهجتِها
هذي الأغاريدُ والأصداءُ والفِكرُ

هذا القصيدُ أغانيها ودمعتُها
وسِحْرُها وصِباها الأغيدُ النّضِرُ

يكادُ منْ طولِ ما غنّى خمائلَها
يفوحُ منْ كلِّ حرفٍ جوُّها العطِرُ

---

(١) بلقيس بكسر الباء والقاف: ملكة سبأ وزوج سليمان ـ عليه السلام ـ وأرض بلقيس كناية عن اليمن.

(٢) السعيدة: كناية عن اليمن، وهي تسمّى من القديم بالعربية السعيدة.

يكادُ من كُثر ما ضمّته أغصنُها
يرفُّ من وجنتيْها الوردُ والزّهَرُ

كأنّه من تَشكّي جُرحِها مُقَلٌ
يُلِحُّ منها البُكا الدامي وينحدرُ

يا أمّيَ اليمنَ الخضرا وفاتنتي
منكِ الفتونُ ومني العشقُ والسَّهرُ

ها أنتِ في كل ذرّاتي وملء دمي
شعرٌ «تُعَنْقده» الذكرى وتعتصِرُ

وأنتِ في حضنِ هذا الشِّعرِ فاتنةٌ
تُطِلّ منه، وحيناً فيه تستتِرُ

وحسبُ شاعرِها منها - إذا احتجبت
عن اللقا - أنه يهوَى ويذّكِرُ

وأنها في مآقي شِعرِه حُلُمٌ
وأنها في دجاهُ اللهوُ والسَّمرُ

فلا تَلُمْ كِبْرياها فهي غانيةٌ
حَسْنا، وطبعُ الحسانِ الكِبْرُ والخَفَرُ

من هذه الأرض هذي الأغنياتُ، ومن
رياضِها هذه الأنغامُ تنتشرُ

من هذه الأرض حيثُ الضوءُ يلثمها
وحيثُ تغتنقُ الأنسامُ والشجرُ

ما ذلك الشدو؟ مَنْ شاديه؟ إنهما
من أرضِ بلقيسَ هذا اللحنُ والوترُ

أنشودة الجنوب

هذه أرضي

زمجري بالنّارِ يا أرضَ الجنوبْ
والْهِبي بالحقدِ حبّاتِ القلوبْ

واقذفي الحقدَ دخاناً ولهيب
زمجري للثأرِ يا أرضَ الجنوبْ

واركبي الموتَ إلى المجدِ السليب - زمجري
واثأري يا أرضَ جدي وأبي - واثأري

واعصِفي بالغاصبِ المستعمرِ

واملئي الروْعَ دماءً وجراحْ
إنما المجدُ نضالٌ وسلاحْ

ولك النصرُ وللعزم النجاح
فَاستعيدي كلَّ شبرٍ مُستَباحْ

واركبي الهولَ وطيري للكفاح - زمجري
أطْلقيها ثورةً كاللهبِ - أطْلقي

واعصفي بالغاصبِ المُسْتَعمرِ

هذه أرضي وأرضي أبدا
وأنا مِنْ صوتِها الحرِّ الصدى

وهـي فـي صـوتـي هـتـافٌ ونِـدا
سـوف أشـفـي جـرحَـهـا يـوم الـفـدا

فانفُضي يا أرضَ أجدادي العِدا ـ زمجري
واثأري يا يقظة الثأرِ الأبي ـ واثأري
واعصفي بالغاصبِ المستعمرِ

واسْـتَـثـيـري يـا جـراحَ الأبـريـاء
وتـقـوّيْ فـالـعُـلا لـلأقـويـاء

وتـأبّـيْ واشْـمُـخـي بـالـكـبـريـاء
وأْنَـفـي سـوطَ الـبـغـاةِ الأدعـيـاء

واقسمي بالشهداءِ الأوفياء ـ واقسمي
إنَّ أرضي لَـمْ تَعُدْ للأجنبي ـ زمجري

زمجري بالنارِ يا أرضَ الجنوبِ ـ زمجري
واعـصـفـي بـالـغـاصـبِ الـمـسـتـعـمـرِ

❁ ❁ ❁

يقظةُ الصَّحراء

ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفل حافل بدار العلوم ممثلاً لها بمناسبة ذكرى المولد النبوي سنة ١٣٧٦هـ

حيِّ ميلادَ الهدى عاماً فعاما
واملأ الدنيا نشيداً مُستهَاما

وامْضِ يا شعرُ إلى الماضي إلى
مُلتقى الوحي وذُبْ فيه احتراما

واحمِلِ الذكرى من الماضي كما
يحملُ القلبُ أمانيه الجساما

هات ردّدْ ذكرياتِ النورِ في
فنِّكَ الأسمى ولقّنها الدّواما

ذكرياتٌ تبعثُ المجدَ كما
يبعثُ الحسنُ إلى القلبِ الغراما

فارتعشْ يا وترَ الشِّعرِ وَذُبْ
في كؤوسِ العبقرياتِ مُداما

وتنقّلْ حولَ مهدِ المصطفى
وانشدِ المجدَ أغانيك الرِّخاما[1]

---

(١) الرخام: السهلة اللينة.

زَفّتِ البشرى معانيه كما
زَفّتِ الأنسامُ أنفاسَ الخُزامى

وتجلّى يومُ ميلادِ الهدى
يملأ التاريخَ آياتٍ عِظاما

واستفاضتْ يقظةُ الصحرا على
هَجْعةِ الأكوانِ بعثاً وقِياما

وجلا للأرضِ أسرارَ السما
وتراءى في فمِ الكونِ ابتساما

جلَّ يومٌ بعثَ اللّهُ بِهِ
أحمداً يمحو عن الأرضِ الظلاما

ورأى الدنيا خِصاماً فاصطفى
أحمداً يُفني مِن الدّنيا الخصاما

«مُرْسَلٌ» قدْ صاغَهُ خالقُهُ
من معاني الرُسْلِ بدْءاً وخِتاما

قد سعى - والطُّرْقُ نارٌ ودمٌ -
يعبرُ السهل ويجتازُ الأكاما

وتحدّى بالهدى جهدَ العِدا
وانتضى للصارمِ الباغي حُساما

نزلَ الأرضَ فأضحتْ جنّةً
وسماءً تحملُ البدرَ التماما

وأتى الدنيا فقيراً فأتتْ
نحوَه الدنيا وأعطتْهُ الزِّماما

ويتيماً فتبنّته السّما
وتبنّى عطفُه كلَّ اليتامى

ورعى الأغنامَ بالعدلِ إلى
أنْ رعى في مرتعِ الحقِ الأناما

بدَويٌ مدَّنَ الصَّحرا كما
علَّمَ النَّاسَ إلى الحَشرِ النظاما

وقضى عدْلاً وأعلى مِلَّةً
تُرشد الأعمى وتُعمي من تعامى

نشرَت عدلَ التَّساوي في الورى
فعلا الإنسانُ فيها وتسامى

يا رسولَ الحقِ خلَّدتَ الهدى
وتركتَ الظُّلمَ والبغيَ حُطاما

قُمْ تَجِدْ في الكونِ ظلماً مخْدَثاً
قتلَ العدلَ وباسمِ العدلِ قاما

وقوىً تختطفُ العُزْلَ كما
يخطفُ الصقرُ من الجوِّ الحماما

أمطر الغربُ على الشرقِ الشَّقا
وبدعوى السِّلمِ أسقاهُ الحِماما

فمعاني السِّلمِ في ألفاظِهِ
حِيَلٌ تبتكرُ الموتَ الزُّؤاما

يا رسولَ الوحدةِ الكبرى ويا
ثورةً وسَّدَتِ الظُّلمَ الرّغاما

خُذْ من الأعماقِ ذكرى شاعرٍ
وتقبَّلْها صلاةً وسلاما

فلسفة الفن

لا تقلْ ما دمعُ فنّي ... لا تسلْ ما شَجْوُ لحني
منكَ أبكي وأغنّيكَ ... فما يُؤذيكَ منّي؟
سمّني إنْ شئتَ نَوّاحاً ... وإنْ شئتَ مُغَنّي
فأنا حيناً أعزّيك ... وأحياناً أُهَنّي
لكَ منْ حزني الأغاريدُ ... ومنْ قلبي التمنّي
أنا أُرضي الفنَّ لكن ... كيفَ ترضى أنتَ عني؟
كلُّ ما يُشجيك يُبكيني ... ويُضنيني ويُعنّي
فاستمعْ ما شئتَ واتركني ... كما شئتُ أغنّي

* * *

لا تَلُمْني إن بكى قلبي ... وغنّاكَ بُكايا
لا تَسَلْني ما طواني ... عنكَ في أقصى الزوايا
ها أنا وحدي وألقا ... كَ هنا بين الحنايا
هٰهُنا حيثُ ألاقيكَ ... طِباعاً وسجايا
حيث تهوي قِطَعُ الظَّلْما ... كأشْلاءِ الضحايا
وتُطِلّ الوحشةُ الخرْ ... ساكأجفانِ المنايا
والدّجى ينسابُ في الصمتِ ... كأطيافِ الخطايا
والسكونُ الأسْودُ الغا ... في كأعراضِ البغايا
وأنا أدعوكَ في سرّي ... وأحلامي العرايا

* * *

يا رفيقي في طريقِ العمرِ في ركبِ الحياةِ
أنتَ في رُوحيّتي رُو حٌ وذاتٌ ملءُ ذاتي
جمعتْنا وحدةُ العيشِ وتوحيدُ الممات
عُمرنا يمضي وعُمْرٌ من وراءِ الموت آتِ
نحن فِكران تلاقيْنا على رغمِ الشتات
نحن في فلسفةِ الفنّ كنجوى في صلاة
أنا كأسٌ من غنى الشو قِ ودمعِ الذكرياتِ
فاشربِ اللحنَ ودَعْ في الـ كأسِ دمعَ المُوجَعاتِ
هكذا تصبو كما شا ءتْ وتبكي أغنياتي

* * *

يا رفيقي هاتِ أذنيْكَ وخُذْ أشهى رنيني
من شفاهِ الفجرِ أسقيـ كَ وخمرِ الياسمينِ
من مَعينِ الفنِّ أَرويـ كَ ولمْ ينضبْ معيني
لك من أنَّاتيَ اللحنُ ولي وحدي أنيني
ولكَ التغريدُ من فني ولي جوعُ حَنيني
ها أنا في عُزلة الشعرِ كأشواقِ السجينِ
حيثُ ألقاكَ هنا في خا طرِ الصمتِ الحزينِ
في أغاني الشوقِ في الذكرى وفي الحبِّ الدفينِ
في الخيالاتِ وفي شكوى الحنينِ المستكينِ

نارٌ وقلب

يا ابْنةَ الحسنِ والجمالِ المدلّلْ
أنتِ أحلى من الجمالِ وأجملْ

وكأنَّ الحياةَ فيكِ ابتسامٌ
وكأنَّ الخلودَ فيكِ مُمَثّل

كلُّ حرفٍ من لفظِكِ الحلو فردو
سٌ نَدِيٌّ وسلسبيل مُسَلسَل[1]

كلّما قلتِ رفّ من فمِكِ الفجرُ
وغنّى الرّبيعُ بالعطرِ واخضلّ

أنتِ فجرٌ معطّرٌ وربيعٌ
وأنا البلبلُ الكئيبُ المبَلبَل

أنتِ في كلِّ نابضٍ من عروقي
وترٌ عاشقٌ ولحنٌ مُرتّل

كلّما استنطقتْ معانيك شعري
أرعدَ القلبُ بالنشيدِ وجَلْجَل

وانتزفتُ اللحونَ من غَور أغوا
ري كأني أذوبُ من كلِّ مَفْصَل

---

(١) السلسبيل: الخمر، واللين الذي لا خشونة فيه.

وأغـنّـيـكِ والـصـبـابـاتُ حـولـي
زُمَـرٌ تـحـتـسـي قـصـيـدي وتـنـهـل

وأنـاجـي هـواكِ فـي مَـغـرض الأو
هـامِ فـي شـاطـىءِ الـظـلام الـمـسـربَـل

وفـؤادي يـحـنّ فـي صـدريَ الـدا
مـي كـمـا حـنَّ فـي الـقـيـودِ الـمُـكـبّـل

وهـواكِ الـغـضـوبُ نـارٌ بـلا نـا
رٍ وقـلـبـي هـو الـلـهـيـبُ الـمـذلَّـل

أنـتِ دنـيـا الـجـمـالِ نـمـنـمـهـا الـسـحـرُ
فـأغـرى بـهـا الـجـمـالَ وأذهـل

فـتـنـةٌ أيُّ فـتـنـةٍ هـزّ قـيـثـا
ري صـبـاهـا ففـاض بـالـسـحـرِ وانـهـلْ

تُـسـكـر الـكـأسَ حـيـن تُـسـكـرُهـا الـكـأ
سُ وتـسـقـي الـرحـيـقَ أحـلـى وأفـضـل

وفـتـونٌ يـهُـزّ شـعـري كـمـا هـزّ الـنّـ
سـيـمُ الـبـلـيـلُ زهـراً مـبـلّـل

وألاقـيـكِ فـي ضـمـيـري كـمـا لاقـى الـ
فـمُ الـمـسـتـهـامُ أشـهـى مُـقَـبّـل

فـي دمـي مـن هـواك حُـمّـى الـبـراكـ
يـنِ الـعـواتـي وألـفُ دنـيـا تـزلـزلْ

وبـقـلـبـي إلـيـكِ ألـفُ عـتـابٍ
وحِـوارٍ وحـيـن ألـقـاكِ أخـجـل

أنـا أهـواك لـلـجـمـالِ ولـلإلـ
ـهـامِ لـلـفـنّ لـلـحِـوارِ الـمـعَـسَّـل
والـغـرامُ الـطـهـورُ أزكـى مـعـانـي
الـحـب؛ أسـمـى مـا فـي الـوجـودِ وأنـبـل
فـانـفـحـيـنـي تـحـيّـةً وتـلـقّـيْ
نـغَـمـاً مـن جـوانـحِ الـحـبِّ مُـرسَـل

هائم

قلبُهُ المستهامُ ظمآنُ عاني
يحتسي الوَهْمَ من كؤوس الأماني

قلبُهُ ظامىء إليكِ فصبّي
فيه عطرَ الهوى وظلّ التداني

واذكري قلبَه الحبيسَ المعنّى
واملئي الكأسَ من رحيقِ الحنانِ

إنه عاشقٌ وأنتِ هواهُ
إنه فيك ذائبُ الرّوحِ فاني

أنتِ في همسِهِ مناجاةُ أوتا
رٍ وفي صمتِهِ أرقُّ الأغاني

إنه في هواكِ يُحرَق بالحبِّ
ويدعوكِ من وراءِ الدّخانِ

سابحٌ في هواكِ يهفو كفكرِ
شاعرٍ يرتمي وراءَ المعاني

أين يلقاكِ أين ماتتْ شكاوا
ه وجفّتْ أصداؤه في اللّسانِ

إنه ظامىءٌ إلى ريّكِ الحا
ني مشوقٌ إلى الظلالِ الحواني

تـائـهٌ فـي الـحـنـيـنِ يـهـوى كـرُوحٍ
ضـائـعٌ يـسـأل الـدُّجـا عـن كـيـانِ

ظـامـئٌ يـشـربُ الـحـريـقَ الـمـدمّـى
ويُـعـانـي مـن الـظـمـا مـا يـعـانـي

أنـتِ فـي قـلـبـهِ الـحـيـاةُ وكـلُّ الـحـ
ـبِّ كـلُّ الـهـوى وكـلّ الـغـوانـي

فـيـكِ كـلُّ الـجـمـالِ فـيـكِ الـتـقـى الـحـسـ
ـنُ وفـيـكِ الـتـقـتْ جـمـيـعُ الـحـسـانِ

لَـمْ يـهـبْ قـلـبَـهُ سـواكِ ولـكـن
لـمْ يـذُقْ مـنـكِ غـيـرَ طـعـمِ الـهـوانِ

فـامـنـحـيـه يـا واحـةَ الـحـبّ ظـلّا
وانـفـضـي حـولَـهُ نَـدى الأقـحـوانِ

واسـكـبـي الـفـجْـر فـي دجـاهُ ورفّـي
فـي شـقـا حـبّـه رفـيـفَ الـجِـنـانِ

إنـه هـائـمٌ يـعـيـشُ ويـفـنَـى
بـيـن جَـوْرِ الـهـوى وظـلـمِ الـزمـانِ

ميّتٌ لـمْ يـمُـتْ كـمـا يـعـرفُ الـنـا
سُ ولـكـن يـمـوتُ فـي كـلِّ آنِ

❁❁❁

سحرُ الربيع

رصّعِ الدّنيا أغاريداً وشعرا
وتفجّرْ يا ربيعَ الحبِّ سُكرا

وافرشِ الأرض شعاعاً وندى
وترقرقْ في الفضا سحراً وإغرا

يا ربيعَ الحبِّ لاقتك المنى
تحتسي من جوّك المسحورِ سحرا

يا عروسَ الشعرِ صفقْ للغنا
وترقّصْ في ضفافِ الشعرِ كِبْرا

أسفرتْ دُنياكَ للشعرِ كما
أسفرتْ للعاشقِ المحرومِ عَذرا

فهنا الطيرُ تغنّى وهنا
جدولٌ يُذري الغنا رِيّاً وطهرا

وصبايا الفجرِ في حضنِ السنا
تنثرُ الأفراحَ والإلهامَ نثرا

والسهولُ الخضرُ تشدو والرّبا
جَوقةٌ تجلو صبايا اللّحن خضرا

فكأنَّ الجوَ عزفٌ مسكرٌ
والحياةَ الغضةَ الممراحَ سكرى

والـريـاحـيـنَ شـذيّـاتُ الـغـنـا
تـبـعـثُ الـلـحـنَ مـع الأنـسـامِ عـطـرا

وكـأنَّ الـرّوضَ فـي بـهـجـتـه
شـاعـرٌ يـبـتـكـرُ الأنـغـامَ زهـرا

وكـأنَّ الـوردَ فـي أشـواكـه
مـهـجٌ أذكـى عـلـيـهـا الـحـبُّ جـمـرا

وكـأن الـفـجـرَ فـي زهـرِ الـربـا
قـبـلـةٌ عـطـريـةُ الأنـفـاسِ حَـرّى

* * *

يـا ربـيـعَ الـحـبِّ يـا فـجـرَ الـهـوى
مـا أحـيـلاكَ ومـا أشـذاكَ نـشـرا!

طـلـعـةٌ فَـوّحـا وجـوّ شـاعـرٌ
عـاطـفـيٌّ كـلّـه شـوقٌ وذكـرى

تـبـعـثُ الـدنـيـا وتـجـلـو حـسـنَـهـا
مـثـلـمـا تـجـلـو لـيـالـي الـعـرس بِـكـرا

وتـبـثُ الـحـبَّ فـي الأحـجـارِ لـو
أنَّ لـلأحـجـارِ أكـبـاداً وصـدرا

أنـتَ فـجـرٌ كـلـمـا ذرّ الـنـدى
أنـبـتـتْ مـن نـورِهِ الأغـصـانُ فـجـرا

أنـتَ مـا أنـتَ جـمـالٌ سـائـلٌ
لـمْ يـدَعْ فـوقَ بـسـاطِ الأرضِ شـبـرا

وفتونٌ ملهمٌ يضفي على
صبواتِ الفنِ إلهاماً وفكرا

وترانيماً وفناً كلّه
عبقريّات توشّي الأرضَ تبرا

ما ربيعُ الحبِّ يا شعرُ وما
سحرُهُ أنت بسحرِ الكونِ أدرى

كلّما أورقتِ الأعشابُ في
حضنِهِ أورقتِ الأرواحُ بشرى

هو سِرُّ الأرضِ غذّته السما
وجلتْهُ فِتَناً بيضاً وسمرا

ورواها الفنُّ لحناً للهوى
وأدارتْهُ كؤوس الزهرِ خمرا

منظرٌ أودعَهُ فنُّ السما
من فنونِ الخُلْدِ والآياتِ سرّ

❁ ❁ ❁

طائر الربيع

يـا شـاعـرَ الأزهـارِ والأغـصـانِ
هـل أنـتَ ملـتـهـبُ الـحـشـا أو هـانـي
مـاذا تـغـنّـي، مـن تـنـاجـي فـي الـغِـنـا
ولـمـنْ تـبـوحُ بـكـامـنِ الـوِجـدانِ؟
هـذا نـشـيـدُكَ يـسـتـفـيـضُ صـبـابـةً
حـرّى كـأشـواقِ الـمـحـبِّ الـعـانـي
فـي صـوتِـك الـرّقـراقِ فـنٌّ مُـتـرَفٌ
لـكـنْ وراء الـصـوتِ فـنٌ ثـانـي
كَـمْ تـرسـلُ الألـحـانَ بـيـضـاً إنـمـا
خـلـفَ الـلـحـونِ الـبـيـضِ دمـعٌ قـانـي
هـل أنـتَ تـبـكـي أم تـغـرّدُ فـي الـرّبـا
أم فـي بـكـاكَ مـعـازفٌ وأغـانـي

* * *

يـا طـائـرَ الإنـشـادِ مـا تـشـدو ومـن
أوحـى إلـيـكَ عـرائـسَ الألـحـان
أبـداً تـغـنّـي لـلأزاهـرِ والـسّـنـا
وتـحـاور الأنـسـامَ فـي الأفـنـانِ

وتظلّ تبتكرُ الغِنا وتزفُّه
من جوّ بُستانٍ إلى بُستان

وتذوبُ في عرشِ الجمالِ قصائداً
خُرْساً وتستوحي الجمالَ معاني

لا الحزنُ ينسيك النَشيدَ ولا الهنا
بوركت يابنَ الفنّ من فنّان

* * *

يابنَ الرياض - وأنت أبلغُ مُنشدٍ -
غرّدْ وخلّ الصَّمتَ للإنسان

واهتف كما تهوى فَفَنُّك كلّه
حبٌّ وإيمانٌ وعن إيمانِ

دنياك يا طيرَ الربيعِ صحيفةٌ
ذهبيّةُ الأشكالِ والألوانِ

وخميلةٌ خرسا يترجمُ صمتَها
عِطرُ الزهورِ إلى النسيمِ الواني

والزّهرُ حولَك في الغصونِ كأنّه
شعرُ الحياةِ مُبعثر الأوزانِ

والعُشبُ يرتجلُ الزهورَ حوالماً
ويرفّ بالظلِ الوديعِ الحاني

وطفولةُ الأغصانِ راقصة الصّبا
فرحاً ودنياها صباً وأماني

والحبُّ يشدو في شفاهِ الزهرِ في
لغةِ الطيورِ وفي فم الغُدرانِ

والـوردُ يـدمَـى بـالـغـرامِ كـأنـه
مـن حُـرقـةِ الـذكـرى قـلـوبُ غـوانـي

* * *

يـا طـائـرَ الإلـهـامِ مـا أسـمـاك عـن
لـهـوِ الـورى وعـنِ الـحُـطـامِ الـفـانـي

تـحـيـا كـمـا تـهـوى الـحـيـاةُ مـغـرّداً
مـتـرفّـعـاً عـن شـهـوةِ الأبـدانِ

لـمْ تستكنْ للصمتِ، لم تُذعنْ لهُ
بـلْ أنـتَ فـوقَ الـصّـمـتِ والإذعـانِ

هـذي الـطـبـيـعـةُ أنت شـاعـرُ حسنِـهـا
تـروي مـعـانـيـهـا بـسـحـرِ بـيـانِ

تـرجـمـتَ أسـرارَ الـطـبـيـعِـة نـغـمـةً
أبـديّـةً فـي صـوتِـكَ الـرّنّـانِ

وعـزفـتَ فـلـسـفـةَ الـربـيـعِ قـصـيـدةً
خـضـرا مـن الأزهـارِ والـرّيـحـانِ

* * *

هـذا ربـيـعُ الـحـبِّ يـمـلـي شـعـرَه
فِـتـنـاً مُـعَـطّـرةً عـلـى الأكـوانِ

يـصـبـو ودنـيـا الـحـبِّ فـي أفـيـائِـهِ
تـصـبـو عـلـى إشـراقـهِ الـفـتّـانِ

ألـفـنُّ فـنُّـك يـا ربـيـعَ الـحـبِّ يـا
سِـحْـرَ الـوجـودِ وفـتـنـةَ الأزمـانِ

❁❁❁

عودة القائد

لمنِ الجموعُ تموجُ موجَ الأبحرِ
وتضِجُ بينَ مُهلّلٍ ومُكَبّرِ

لمنِ الهتافُ يشقّ أجوازَ الفضا
ويهزّ أعطافَ النهارِ المُسفرِ

ولمنْ تجاوبتِ المدافعُ وانبرتْ
صيحاتُها كضجيجِ يومِ المَحشرِ

لمنِ الطبولُ تُثرثرُ الخفقاتُ في
ترنيمِها المتهدّجِ المتكسّرِ

ولمنْ زغاريدُ الحسانِ كأنها
خَفقاتُ أوتارٍ ورعشةُ مِزهرِ

ولمنْ تَفيضُ حناجرُ الأبواقِ منْ
أعماقِها بترنّمِ المُستَبْشِرِ

للقائدِ الأعلى الموشّحِ بالسّنا
علَمِ الفتوحِ وقاهرِ المُستعمرِ

لِوليّ «عهد المُلك» بنّاءِ الحمى
حُلْمِ البطولةِ والطموحِ العبقري

أهلاً «وَليّ العهدِ» فانزل مثلما
نزلَ الشعاعُ مباسمَ الزّهر الطّري

أشرقتَ في مُقَل الجزيرة كالضّحى
كالصبحِ كالسّحَرِ النّديّ المُقمرِ

وعلى جبينِكَ غارُ أكرمِ فاتحٍ
وعلى محيّاك ابتسامُ مُظفّرِ

لمّا طلعتَ أفاقتِ (الخضرا)[1] على
فجرٍ بأنفاسِ الخلودِ مُعطّرِ

وتعانقتْ فتنُ الجمالِ وتمتمت
بالعطرِ أعراسُ الربيعِ الأخضرِ

وتسابقَ الإنشادُ فيك وهازجتْ
نَغَمَ المعرّي أغنياتُ البُحْتري

وهفتْ إليكَ من القوافي جوقةٌ
سكرى متيّمةُ الغناءِ المُسْكرِ

* * *

يا من تشخّصتِ المُنى في شخصِهِ
وأهلّ فجرَ عدالةٍ وتحرّر

حققْ طموحَ الشعبِ واجعلْ حُلْمَه
فوقَ الحقيقةِ فوقَ كلِّ تصوّر

وافيتَ فانتفضتْ أماني أمّةٍ
شَمّا وشقّ البعثُ مرقدَ «حميرِ»

ويكادُ «ذو يزنٍ» يُبعثرُ قبرَه
ويطلّ حِمْيَرُ من وراءِ الأعصرِ

---

(١) الخضراء: كناية عن اليمن.

بِلْقيسُ يا أمَّ الحضارةِ أشرقي
من شُرفة الأمسِ البعيد وكبّري
واستعرضي زُمَرَ الأشعةِ واسبَحي
فيها بناظركِ الكحيل الأحورِ
مولاتِيَ الحسنا أطلّي وانظري
من زَهْوةِ الأجيال مَا لَمْ تنظري
وتغطرسي ملءَ الفتونِ وعنْوِني
فمَكِ الجميلَ ببسمةِ المستفسرِ
ها نحنُ نبني فوقَ هامةِ مأربٍ
وطناً ونبني ألفَ صرحٍ مرمري[1]
ونشيدُ في وطنِ العروبة وحدةً
فوق الثريا خلفَ أفقِ «المشتري»
هي وحدةُ العرَبِ الأباةِ تسنّمت
في ربوةِ التاريخِ أرفَع مِنْبَر
وتعانقتْ صنعا ومصرُ وجِلّق
فيها عناقَ الشوقِ والحُبّ البري
وجرى على النيل المصفّق صنوُهُ
بَرَدى فصفّقَ كوثرٌ في كوثرِ
وارتادتِ «الخضرا» الكنانة فانتشتْ
نسماتُ مأربَ في أصيلِ الأُقصر[2]

---

(١) مأرب كمنزل: موضع باليمن.
(٢) الخضراء: كناية عن اليمن.

لـولاكَ يـا بَـطـلَ الـخـلافـةِ مـا احـتـوى
صـنـعـا وجـلّـق حـضـنُ أمّ الأزهـرِ

صـافـحـتَ مـصـرَ فـزدتَ فـي بـنـيـانِـهـا
«هـرمـاً» إلـى الـهـرم الأشـمِّ الأكـبـرِ

أرضُ الـجـنـوبِ ـ وأنـت نـخـوةُ ثـأرهـا ـ
ظـمـأى تـحـنُّ إلـى الـصّـراعِ الأحـمـرِ

أرضـي ودارُ أبـي وجـدي لـم تـزلْ
فـي قـبـضـةِ الـمـتـوحّـشِ الـمـتـنـمّـرِ

تـطـوي عـلـى حُـلْـم الـجـهـادِ عـيـونَـهـا
وتـئِـنُّ تـحـتَ الـغـاصـبِ الـمُـسْـتـهـتـرِ

لا حُـرمـةُ الإنـسـانِ تـزجـرُهُ ولا
شـرفُ الـضـمـيـرِ ولا نُـهـى[1] الـمـتـحـضـر

مـتـجـبّـرٌ وأصـمُّ لَـمْ يـسـمـعْ سـوى
رَهَـج[2] الـحـديـدِ الـمـاردِ الـمـتـجـبّـر

فـازحـفْ إلـيـه يـابـنَ بَـجْـدتـهـا عـلـى
لـجـجِ الـسّـلاحِ الـفـاتـحِ الـمـتـهـوّر

يـا خـيـرَ مـن لـبّـى ومـن نُـودي ومـن
يغشى الوغى كالهولِ كالليثِ الجري

هـذي زعـامـتُـكَ الـفـتـيـةُ قـصّـةٌ
بـفـم الـفـتـوحِ وفـي شـفـاهِ الأدهُـرِ

---

(١) النهى: العقول جمع نهية.

(٢) الرهج محركة، الغبار. والغبار لا يسمع وكان يمكن ان يقول: صوت الحديد مثلا.

يا بدرُ هذا الشعبُ أنت زعيمه
وهواك سحرُ غرامِه المتسعّر

حملتك روحُ الشعبِ إيماناً فلم
تخفقْ بحبٍّ سواك بلْ لمْ تشعرِ

فاسلَمْ لتاريخِ الزعامةِ آيةً
بَيضا كبهجة عصرك المتبلْور

عام ١٣٧٧هـ

عروس الحزن

منزلها الكبير بجوار منزلي الصغير، وقد لفني وإياها عاطف الحنان والحنين فتلاقينا على بعد. تظل تغني، وأظل أصغي إلى أغانيها، وصوتها يتعثر في دمعها، ودمعها يتحشرج في صوتها، وفي نغماتها تتحاضن الدموع والترنم، كأن صوتها عود ذو وتر واحد، بعضه يبكي، وبعضه يغني.

صوتُها دمعٌ وأنغامٌ صَبايا
وابْتساماتٌ وأنّاتٌ عَرايا

كلّما غنّت جرى من فمِها
جدوَلٌ من أغنياتٍ وشَكايا

أهيَ تبكي أمْ تغنّي أمْ لها
نغمُ الطيرِ وآهاتُ البرايا؟

صوتُها يبكي ويشدو آه ما
ذا وراءَ الصوتِ ما خلفَ الطوايا؟

هل لها قلبٌ سعيدٌ ولها
غيرَهُ قلبٌ شقيٌّ في الرزايا؟

أمْ لها روحان: روحٌ سابحٌ
في الفضا الأعلى وروحٌ في الدنايا؟

أمْ تلاقتْ في حنايا صدرِها
صلواتٌ وشياطينُ خطايا؟

أمْ تناجتْ في طوايا نفسِها
لحنُ عُرْسٍ وجِراحاتُ ضحايا؟

لست أدري، صوتُها يُخرقني
بشجوني إنّه يُدمي بُكايا

كلّما طافَ بسمعي صوتُها
هزّ في الأعماقِ أوتارَ شجايا

وسرى في خاطري مُرتعِشاً
رعشةَ الطَّيْف بأجفانِ العشايا

أتُرى الحزنُ الذي في شجوها
رقّةُ الحرمان أم لطفُ السّجايا

أمْ تُراها هدَّجتْ في صوتها
قِطَعَ القلبِ وأشلاءَ الحنايا

كلّما غَنّتْ... بكتْ نغمتُها
وتهاوى القلْب في الآه شظايا

هكذا غنّتْ، وأصغيتُ لها
وتحمّلْتُ شقاها وشقايا

* * *

يا عروسَ الحزنِ ما شكواك منْ
أيّ أحزانٍ ومن أيّ البلايا؟

ما الذي أشقاك يا حَسْنا؟ وهلْ
للشقا كالناس عمرٌ ومنايا؟

هلْ يموتُ الشّرُّ؟ هلْ للخيرِ في
زَخْمةِ الشَّرِّ سِماتٌ ومزايا؟

كيف تُعطي أمُّنا الدنيا المنى
وهي تَطوي عن أمانينا العطايا

وَلِقَومٍ تحملُ البَذْلَ كما
يحملُ الخِلُّ إلى الحَسْنا الهدايا

هل هي الدنيا التي تحرمُنِي
أمْ تراختْ عنْ عطاياها يدايا؟

أنا حرماني وشكوى فاقتي
أنا آلامي ودمعي وأسايا

لم يَرُعْ قلبي سوى قلبي أنا
لا ولا عذّبني شيءٌ سوايا!

جارتي، ما أضيقَ الدنيا إذا
لمْ تشقَّ النفسُ في النفس زوايا

❁ ❁ ❁

أثيم الهوى

مسكين لقد تقيد بالعفة طويلاً، وفي هذه المرة جرب خلع القيد، وتذوق طعم الانطلاق، وقد نجحت التجربة، فماذا جنى من ورائها، وكيف عادت عليه مرارة الندم،وما قصته النفسية، كل هذا التساؤل يجيب عنه هذا الشعر.

جريحُ الإبا صامتٌ لا يعي
وفي صمتِه ضجّةُ الأضلُعِ

وفي صدرِه ندمٌ جائعٌ
يلوكُ الحنايا ولمْ يشبعِ

تهدّدُه صيحةُ الذكريا
تِ كما هدّدَ الشيخَ صوتُ النّعي

ويقذفُه شبحٌ مفزعٌ
إلى شبحٍ موحشٍ مفزعِ

ويُصغي ويُصغي فلمْ يستمعْ
سوى هاتفِ الإثمِ في المَسمعِ

ولمْ يستمعْ غيرَ صوتِ الضميرِ
يناديه منْ سرّه الموجِعِ

فيشكو إلى منْ؟ وما حوله
سوى الليلِ أو وحشةِ المخْدَعِ

كئيبٌ يُخوّفُهُ ظُلمُهُ
فيرتاعُ من ظلّهِ الأروعِ

وفي كلّ طيفٍ يرى ذنبَهُ
فماذا يقولُ وما يدّعي؟

فيُملي على سرّهِ قائلاً:
أنا مجرمُ النّفسِ والمَطمعِ

أنا سارقُ الحب وحدي! أنا
خبيثُ السّقا قذِرُ المرتَعِ

هوتْ إصبَعي زهرةً حُلْوةً
فلَوَّثتُ من عطرِها إصبعي

توهّمتُها حلوةً كالحيا
ة فكانتْ أمرَّ من المصرعِ

أنا مجرمُ الحبِّ! يا صاحبي
فلا تعتذرْ لي فلم تُقنِع

ولا، لا تقلْ معكَ الحبُّ بلْ
جريمتُهُ والخطايا معي

ومالَ إلى الليلِ والليلُ في
نهايتِهِ وهو لمْ يهجَعِ

وقد آن للفجرِ أن يستفيقَ
وينسلّ من مبسمِ المطلعِ

وكيف ينامُ «أثيمُ الهوى»
وعيناهُ والسّهدُ في موضعِ

هنا ضاق بالسّهد والذكرياتِ
وحنّ إلى الحُلُمِ الممتِعِ

فألقى بجثتِهِ في الفرا
شِ كسيرَ القُوى ذابلَ المدمعِ

تُرى هلْ ينامُ وطيفُ الفجُو
رِ ورائحةُ الإثمِ في المضجعِ؟

وفي قلبِهِ ندمٌ يستقي
دماهُ وفي حزنِهِ يرتعي

وفي مقلتيْه دموعٌ وفي
حشاه نحيبٌ بلا أدمُعِ

فماذا يُلاقي وماذا يُحِسُّ
وقد دفنَ الحبَّ في البَلْقعِ

وعادَ وقدْ أودَعَ السرَّ من
حناياه في شرّ مُسْتَوْدعِ

فماذا يعاني؟ ألا إنّه
جريحُ الإبا صامتٌ لا يعي

❁ ❁ ❁

وهكذا قالت

كانت تهواه ويهواها، وفي هواها طهر الصلاة، وفي هواه خسة الخيانة، وقد ضمتهما برهة هنيئة من الحب في ظل العقد الإلَهي، ولكن أفضى بها الهناء وحدها إلى الألم الطويل، كانت تؤمن بالرباط المقدس وكان يكفر به، فقد قطع ما بينه وبينها،واستبدل بها أخرى! وهكذا قالت:

أشقيتَني من حيثُ إمتاعي ... فلينْعَني من ظلمِكَ الناعي
أِلفتَني حتى ألفْتُ اللّقا ... تركتني وحدي لأوجاعي؟
أطمعتَني فيكَ فخلّفْتَني ... لجوعِ آمالي وأطماعي
ورحت ـ لا عدتَ ـ وألقيتَني ... وديعةً في كفِّ مضياعِ
إن لم يكنْ لديكَ قلبٌ، فهلْ ... رحمتَ قلباً بينَ أضلاعي
رعيتني حتى ملكت الغنى ... عني فكنتَ الذئبَ في الرّاعي
يا ظالمي والظلمُ طبع الخنا ... قطفت عمري قبلَ إيناعي
قد ضاعَ ما أرجو فما خيفتي ... إذا دعاني للفنا داعِ
لا، لمْ أعاتبْكَ فقد أقلعتْ ... عنكَ شجوني أيَّ إقلاعِ
إن كنتَ خدّاعاً فإنَّ الورى ... ما بين مخدوعٍ وخدّاعِ
ما بين غلّابٍ ومستسلمٍ ... ما بين محرومٍ وإقطاعي
أوّاه كم أشقى وأسعى إلى ... قبري وويحَ السعيِ والساعي
وهكذا قالتْ، وفي صوتِها ... دموعُ قلبٍ جدَّ مُلْتاعِ

ليالي الجائعين

هذي البيوتُ الجاثماتُ إزائي
لَيلٌ من الحرمانِ والإدجاءِ

من للبيوتِ الهادماتِ كأنّها
فوقَ الحياةِ مقابرُ الأحياءِ

تغفو على حُلمِ الرغيفِ ولم تجدْ
إلّا خيالاً منهُ في الإغفاءِ

وتضُمّ أشباحَ الجياعِ كأنها
سجنٌ يضمُّ جوانحَ السّجَناء

وتغيبُ في الصمتِ الكئيبِ كأنها
كهفٌ وراءَ الكونِ والأضواءِ

خلف الطبيعةِ والحياةِ كأنها
شيءٌ وراءَ طبائعِ الأشياءِ

ترنو إلى الأملِ المولّي مثلما
يرنو الغريقُ إلى المغيثِ النائي

وتلملمُ الأحلامَ من صدرِ الدجى
سوداً كأشباحِ الدجى السوداءِ

* * *

هذي البيوتُ النائماتُ على الطوى
نومَ العليلِ على انتفاضِ الداءِ

نامتْ ونامَ اللّيلُ فوقَ سكونِها
وتغلّفتْ بالصّمتِ والظلماء

وغفتْ بأحضانِ السكونِ وفوقها
جثث الدجى منثورةُ الأشلاءِ

وتململتْ تحتَ الظلامِ كأنها
شيخٌ ينوءُ بأثقلِ الأعباءِ

أصغى إليها الليلُ لم يسمعْ بها
إلّا أنينَ الجوعِ في الأحشاءِ

وبكا البنينَ الجائعين مردّداً
في الأمّهات ومِسمَع الآباءِ

ودجتْ ليالي الجائعينَ وتحتَها
مهجُ الجِياع قتيلةُ الأهواء

* * *

يا ليلُ، مَن جيرانُ كوخي؟ مَن همُ
مرعى الشّقا وفريسةُ الأرزاءِ

ألجائعون الصابرون على الطوى
صبرَ الرُّبا للريحِ والأنواءِ

ألآكلون قلوبَهم حقداً على
ترَفِ القصورِ وثروةِ البُخلاءِ

ألصّامتون وفي معاني صمتِهم
دنيا من الضجّاتِ والضوضاءِ

ويلي على جيرانِ كوخي إنهم
ألْعوبةُ الإفلاسِ والإعياءِ

ويلي لهم من بؤسِ مَحيَاهم ويا
ويلي من الإشفاقِ بالبؤساءِ

وأنوحُ للمستضعفين وإنني
أشقى من الأيتامِ والضعفاءِ

وأُحِسُّهم في سدّ روحي في دمي
في نَبْضِ أعصابي وفي أعضائي

فكأنَّ جيراني جراحٌ تحتسي
رِيَّ الأسى من أدمعي ودمائي

ناموا على البلوى وأغفى عنهمو
عَطفُ القريب ورحمةُ الرّحماءِ

ما كان أشقاهم وأشقاني بهم
وأحَسّني بشقائهم وشقائي

❁ ❁ ❁

حين يشقى الناس

أنت ترثي كلَّ محزونٍ ولم
تلقَ من يرثيكَ في الخطبِ الألدّ

وأنا يا قلبُ أبكي إن بكتْ
مقلةٌ كانت بقربي أو ببُعدي

وأنا أكدى الورى عيشاً على
أنني أبكي لبلوى كل مُكدِ

حين يشقى الناسُ أشقى معهم
وأنا أشقى كما يشقونَ وحدي!

وأنا أخلو بنفسي والورى
كلُّهم عندي ومالي أيّ عندي

لا ولا لي في الدّنا مثوى ولا
مُسْعِدٌ إلّا دُجى الليلِ وسُهدي

لم أسِرْ من غربةٍ إلّا إلى
غربةٍ أنكى وتعذيبٍ أشدّ

مُتعَبٌ أمشي وركبي قدمي
والأسى زادي وحمّى البردِ بُردي

والدُّجى الشاتي فراشي وردا
جسميَ المحمومِ أعصابي وجلدي

الشاعر

طائرٌ عشُّهُ الوجودُ وقلبٌ
مُلْهَمٌ عاشقٌ وروحٌ نبيلة
ركّب اللّهُ في طبيعتِه الفنَّ
وفي فكرِهِ طموحَ الفضيله
ينشرُ اللحنَ في الوجودِ ويَطوي
بين أضلاعِهِ الجراحَ الدّخيله
يُفعمُ الكونَ من معانيه شهداً
ورحيقاً حُلْواً ويُطفي غليله
ويُوَشّي الحياة سِحراً كما وشّ
ثْ خيوطُ الصباحِ زهْرَ الخميله
وفنوناً ألذّ من بسمةِ الطفلِ
ومن نَسْمةِ الصباحِ العليله
وحِواراً أرقَّ من قُبَلِ الحب
على وَجنةِ الفتاةِ الجميله
أنتَ - يا شاعرَ الحياةِ - حياةٌ
و «كمنْجٌ» حيٌّ ودنيا ظليله
تعشقُ النورَ والندى وسموَّ الـ
روح في النشء والعقولِ الجليله

وتُحبُّ الطموحَ في الأنفسِ العُظمى
وتحنو على النّفوسِ الضئيله

تستشفُّ الجمالَ منْ ظُلَمِ الليل
ومن زهرةِ الرّبيعِ البليله

من سكونِ الدُّجى ومن هَجْعةِ الصَّحـ
ـرا ومن وحشةِ القفارِ المُهيله

وترى الوردَ في الغصونِ خدوداً
قانياتٍ والليلَ عيناً كحيله

قد عرفتَ الجمالَ في كلِّ شيء
وتغنّيتَ همسَهُ وهديله

وتوحّدتَ للجمالِ تُناجيه
وللفنّ تستقي سَلْسَبيلَه

ورفضت النفاق والزورَ والزُّلـ
ـفى وخَلّيْت للورى كلَّ حيله

ونبذتَ الرّواغَ والملَقَ المخـ
ـزي وأعباءَهُ الجِسامَ الثقيله

لمْ تحاولْ وظيفةَ المنصبِ العا
لي ولا تبتغي إليهِ وسيله

لا ولا تعشقُ النقودَ اللّواتي
نقشتْها يدُ الحياةِ الذليله

قد تخلّيْتَ للجمالِ تناجي
هالةَ الوحي والسماءَ الصقيله

فرأيتَ الفضائلَ البيضَ في الدنـ
يا ولمْ تلمحِ الخنا والرذيله

عشتَ في الطهرِ للخيالِ توافـ
يه كما وافتِ الخليلَ الخليله

طائراً عن عوالمِ الشّر لمّا
أودعَ اللّهُ فيكَ روحاً غسيله

❁ ❁ ❁

سـائل

مررتُ بشيخٍ أصفرِ العقلِ واليدِ
يدبُّ على ظهرِ الطريقِ ويجتدي

ثقيلِ الخُطا يمشي الهوينى بجوعه
وأحزانِهِ مشيَ الضريرِ المقيّدِ

ويمضي ولا يدري إلى أين ينتهي
ولمْ يدرِ قبل السَّيْر من أين يبتدي

ويزجي إلى الأسماعِ صوتاً مجرَّحاً
كئيباً كأحلامِ الغريبِ المشرَّدِ

يمدّ اليدَ الصَّفرا إلى كلِّ عابرٍ
ولمْ يَجْنِ إلّا اليأسَ من مَدِّهِ اليدِ

فيُلقي على الكفِّ النّحيلِ جبينَه
ويسألُ هَل في الأرضِ ظلٌّ لمُسعِدِ

هو الشرُّ ملءُ الأرض والشر طبعُها
هو الشرُّ ملءُ الأمسِ واليومِ والغدِ

وهذا غُبارُ الأرضِ آهاتُ خُيّبٍ
وهذا الحصى حباتُ دمعٍ مجمّد

رمى الشيخُ فيما حوله نظرةَ الأسى
ومرَّ كطيفِ المستكينِ المهدَّدِ

فيا للفقيرِ الشيخِ يمشي على الطّوى
وفي مأتمِ الشكوى يروحُ ويغتدي

يظنُّ أكفَّ الناسِ تهوي بجودها
إليه ولم يُبْصِرْ سوى وهمِه الرَّدي

وجوعٌ يُلوّي نفسَه في ضلوعِهِ
فينساقُ لا يَدْري إلى أين يهتدي

❁ ❁ ❁

الشمس

أطَلّتْ من الأفقِ بنتُ السماء
مغلّفةً بالشّعاعِ النّدي
ووشّتْ بساط الفضا بالسَّنا
وباللّهبِ الباردِ العسجدي
وبالوهَجِ الدافىءِ المشتهي
وبالمنظر السّخرِيَ الأجود
فجنّتْ بها نشواتُ الصبا
وفاضت بصدر الضحى الأمرد
وأهدت سناها السماويَّ إلى
رؤوسِ الرّبا والثّرى الأوهدِ
إلى الطودِ والسهلِ والمنحنى
إلى الماءِ والطينِ والجلمدِ
إلى الكوخِ والقصرِ مهدِ الغنى
إلى السوقِ والسجنِ والمعبدِ
ووزّعتِ النورَ في العالمـ
ـينَ وجادتْ على العبدِ والسيّدِ
على المترفين على البائـ
ـسين على المُجتدَى وعلى المجتدي

وأدّتْ رسالتَها حرّةً
إلى أقربِ الكون والأبعدِ

جرى عدلُ بنتِ السما في الوجو
دِ حفيّاً بجيّده والردي

وأنفقتِ النورَ أمُّ الضحى
فزادتْ ثراءً إلى سؤدُدِ

وأربتْ جمالاً وزادتْ سناً
ونوراً إلى نورِها السرمدي

وطالتْ حياةً فما تنتهي
من العمرِ إلّا لكي تبتدي

وأعطتْ فدامَ سنا ملكِها
جديدَ الصِّبا دائمَ المولدِ

وما زادها كثرُ إنفاقِها
سوى الترفِ الأكثرِ الأخلدِ

* * *

لقد ضربَ اللّهُ أمثالَه
ومن يُضللِ اللّهُ لا يهتدي

❁ ❁ ❁

أنا والشعر

هاتي التآويهَ يا قيثارتي هاتي
وردّدي من وراءِ اللّيل آهاتي

وترجمي صوتَ حبّي للجمالِ ففي
نجواكِ - يا حلوةَ النجوى - صباباتي

قيثارتي صوتُ أعماقي عصرتُ بها
روحي وأفرغتُ في أوتارها ذاتي

* * *

قيثارتي أنتِ أمُّ الشِّعرِ لم تلدي
إلّا غِنا الخُلدِ أو لحنَ البُطولاتِ

أودعتُ نجواكِ آياتِ النبوغِ فيا
قيثارتي لقّني التاريخَ آياتي

وغرّدي بخيالاتي العِذابِ فما
حقيقةُ السحرِ إلّا مِنْ خيالاتي

وشاعرُ الطبعِ موسيقى الغيوبِ إذا
غنّى أرى الأرضَ أسرار السمٰواتِ

قيثارتي إنني ابْن الشعر أنجبني
للخلدِ، للعبقرياتِ الفتيّاتِ

وللحياةِ وللدنيا ونضرتِها
للحبّ للنّورِ للزُّهرِ الصَّبيّاتِ

* * *

وحدي مع الشعرِ هزّتني عواطفه
فرقّصتْ عِطفَه النّشوانَ رنّاتي

وشفّ لي خافيَ الدّنيا وألهمني
سحرَ الجمالِ وأسرارَ الجلالات

وهبتُ للشعرِ إحساسي وعاطفتي
وذكرياتي وترنيمي وأنّاتي

فهو ابتسامي ودمعي وهو تسليتي
وفرحتي وهو آلامي ولذّاتي

يفنى الفَنا! وأنا والشعرُ أغنيةٌ
على فم الخُلد يا رغمَ الفنا العاتي

أحيا مع الشعر يشدو بي وأُنشِدُهُ
والخلدُ غاياتُه القصوى وغاياتي

❁ ❁ ❁

بعد الحب

لا تسلْ كيفَ ابْتدينا ... لا، ولا كيفَ انتهينا
لا تقلْ كيفَ انطوى الحبُّ ... ولا كيفَ انطوينا
ملعَبٌ دارَ بعُمْرَيْنا ... فولّى مَن لَدَيْنا
وانقضى الدَّوْرُ فعدنا ... عنه من حيثُ أتَيْنا
لا تسلْ كيف تناءَيْـ ... ـنا ولا كيف التقينا
لا تقل كنا وكان الشَّـ ... ـوقُ مِنّا وإلينا
هل شربنا خمرَةَ الحـ ... ـب وهل نحنُ ارتوينا
آه لا خمرٌ ولا حبٌّ ... متى كانَ وأينا
لاحتِ الكأسُ لثغريـ ... ـنا وجَفّتْ في يدينا

* * *

عندما لاحَ بريقُ الكأ ... سِ ولّتْ بالبريقِ
وارتشفنا من رحيقِ ... الحبِّ أطيافَ الرحيقِ
وتلاشى حُلُمُ الصَّفْوِ ... كأنفاسِ الغريقِ
هكذا كان تلاقينا ... على الدَّوْرِ الأنيقِ

* * *

وانتهى الدّور وها ... نحن انتهينا من صِبانا
حيثُ طافَ الحبُّ كالوهْم ... وكالوهم تفانى
وانطوى عنّا كما تطوي ... الدّياجيرُ الدّخانا
وتركْنا في رمال الحبِّ ... آثارَ خُطانا

غير أنّا قد نسينا أو تناسَيْنا لقانا
وسألنا الوهمَ بعد الحـ ـب هلْ كنّا وكانا
أينَ مِنّا الملعبُ الطّفْلُ تُناغيهِ مُنانا

* * *

ملعبٌ دُرْنا به حيناً فأضْبانا ومَلّا
ملعبٌ ما كان أصفا ه وما أشهى وأحلى
غابَ في الأمسِ فولّيْنا عن الأمسِ وولّى
وتسلّيْنا ومنْ لمْ يلقَ ما يهوى تسلّى

❁ ❁ ❁

روح شاعر

قدم الشاعر هذه القصيدة إلى المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ترحيباً بنزوله على اليمن، وزيارته دار العلوم بصنعاء.

صافحتْك القلوبُ قبل النواظرْ
واستطارتْ إلى لقاك الخواطر

وتلقّاك عالمُ اليمنِ الحرّ
كما لاقتِ النفوسُ البشائر

وارتمى يسكبُ التراحيب ألوا
ناً كما تسكبُ اللحونَ القياثر

وتملّت نزولكَ اليمنُ الخضرا
ففاضت بالأغنياتِ الحناجر

وتنزّلْتَ في مغاني حماها
مثلما يَنزلُ الشعاعُ المحاجر

وهفا الموطنُ الكريمُ يُحيّي
مشعلَ العلمِ في سناك الباهر

وتغلغلتَ في حناياه كالإيمانِ
كالطهرِ في عفافِ الضمائر

كالمنى في القلوبِ كالدم في الأبدانِ
كالسُكرِ في دماغِ المُعَاقِرْ

قد تلقّاكَ موطني يَنْشرُ التمر
حيبَ في راحتيْكَ نشرَ الجواهر

وانتشى من شعاعكَ العلمُ لمّا
زرتَ «دارَ العلومِ» يا خيرَ زائر

وازدهى الشعرُ ينشرُ النغمَ الحُلْـ
ـوَ كما ينشرُ الربيعُ الأزاهر

قد رأى «موطني» بمرآكَ «مصراً»
منبتَ الفنِّ والإبا والعباقر

مصرُ أُمُّ الحجازِ واليمنِ الـ
سامي وأُمُّ الشآمِ أُمُّ الجزائر

وحدةُ العُرْبِ رايةٌ في رباها
ومُنى العُرْبِ في يديْها زواخر

شادها اللّهُ للعروبةِ داراً
وابْتناها بنيّراتِ الزواهر

بلدةٌ تنبتُ العلومَ وأرضٌ
تلد المجدَ والعلا والمفاخر

نيلها المستفيضُ أنشودةُ اللّه
على مِسمعِ الليالي العوابر

وحِماها كنانةُ اللّه تر
مي في وجوهِ العدا السّهامَ الشوائر

* * *

يابنَ مصرَ التي تلاقت عليها
شيمُ العُرْبِ والنّفوسُ الحرائر

علمكَ العلمُ ينشرُ الدينَ في الدنيا
كما تنشرُ الشعاعَ المنائر
وتجوبُ الشعوبَ في خدمةِ الإسلامِ
والحقِ وارتباطِ الأواصر
إيه عزّامُ أنت وعيٌ من النيلِ
إلى العُرْبِ تستثيرُ المشاعر
وسفيرٌ تشيّدُ الوحدةَ الشمّا
وتستنهضُ السنا في البصائر
وتنادي البلادَ للإتحاد الحرِّ
والإتحادُ أقوى مُناصر
إنَّ في وحدةِ العروبةِ مجداً
خالداً ثائراً على كلِّ ثائر
إنما العُرْبُ أمةٌ وحّدتها
لغة الضادِ والدما والعناصِرْ
إنما العربُ أمةٌ هزتِ الدنيا
وشقّتْ سودَ الخطوبِ العواكر
إنَّ للعربِ غابراً داس «كسرى»
وتمشّى على رؤوسِ القياصر
فاستمدّي يا أمّتي من سنا الما
ضي معاليكِ واعمري خيرَ حاضر
يأنفُ المجدُ أن يلاقي بنيه
في يديْ غاصبٍ وفي كفِّ آسر

فاطمحي أمّتي إلى كلِّ مجدِ
وانهضي نهضةَ الصباحِ الباكر

يا سفيرَ التضامنِ الحرِّ غنّتْ
سعيَكَ الحرَّ أمنياتي الشواعر

وتلاشت على هوى العُرْبِ روحي
نَغَماً ملهمَ الغِنا والمزاهر

ونشيداً أفرغتُ فيه أحاسيسي
وذاتي وخافقي والسرائر

فَتَلَقَّ يا شاعرَ النيلِ شعري
فهو شعرٌ عنوانُهُ «روحُ شاعر»

❁ ❁ ❁

أمـي

تـركـتـنـي هٰـهُـنـا بـيـنَ الـعَـذابِ
ومـضـتْ، يـا طـولَ حُـزْنـي واكْـتـئـابـي

تـركـتـنـي لـلـشـقـا وحـدي هـنـا
واسْـتـراحـتْ وحـدَهـا بـيـنَ الـتـرابِ

حـيـثُ لا جَـورٌ ولا بـغـيٌ ولا
ذَرَّةٌ تُـنـبـي وتُـنـبـي بـالـخـرابِ

حـيـثُ لا سـيـفٌ ولا قُـنْـبُـلَـةٌ
حـيـثُ لا حـربٌ ولا لَـمْـعُ حِـرابِ

حـيـثُ لا قـيْـدٌ ولا سـوطٌ ولا
ظـالـمٌ يـطـغـى ومـظـلـومٌ يـحـابـي

* * *

خـلّـفـتْـنـي أذكـرُ الـصـفـوَ كـمـا
يـذكـرُ الـشـيـخُ خـيـالاتِ الـشـبّـابِ

ونـأتْ عـنّـي وشـوقـي حـولـهـا
يـنـشُـدُ الـمـاضـي وبـي - أوّاه - مـا بـي

ودعـاهـا حـاصِـدُ الـعـمـرِ إلـى
حـيـثُ أدعـوهـا فـتـعـيـا عـن جـوابـي

حـيـثُ أدعـوهـا فـلا يـسـمـعـنـي
غـيـرُ صـمـتِ الـقـبـرِ والـقـفـرِ الـيـبـابِ

موتُها كان مصابي كلّه
وحياتي بعدها فوقَ مصابي

* * *

أين منّي ظلُّها الحاني وقدْ
ذهبتْ عنّي إلى غيرِ إيابِ
سحبتْ أيامَها الجرحى على
لفحةِ البيدِ وأشواكِ الهضابِ
ومضتْ في طرقِ العمر فمن
مَسلكِ صعبٍ إلى دنيا صعابِ
وانتهتْ حيثُ انتهى الشوطُ بها
فاطمأنّتْ تحتَ أستارِ الغيابِ

* * *

آه «يا أمي» وأشواكُ الأسى
تُلْهبُ الأوجاعَ في قلبي المُذابِ
فيكِ ودّعتُ شبابي والصّبا
وانطوتْ خلفي حلاواتُ التصابي
كيفَ أنساكِ وذكراكِ على
سِفرِ أيامي كتابٌ في كتابِ
إنّ ذكراكِ ورائي وعلى
وِجهتي حيثُ مجيئي وذهابي
كمْ تذكّرتُ يديْك وهما
في يدي أو في طعامي وشرابي

كـان يُـضـنـيـك نـحـولـي وإذا
مـسّـنـي الـبـردُ فـزَنْـداكِ ثـيـابـي

وإذا أبـكـانـيَ الـجـوعُ ولـم
تـملكي شيئاً سوى الوعدِ الكذابِ

هَـذْهَـدَت كـفـاك رأسـي مـثـلـمـا
هـدهـدَ الـفـجـرُ ريـاحـيـنَ الـرّوابـي

* * *

كـم هـدتـنـي يـدك الـسـمـرا إلـى
حقلنا في (الغَول) في (قاع الرّحاب)[1]

وإلـى الـوادي إلـى الـظـلّ إلـى
حيثُ يُلقي الروضُ أنفاسَ الملاب[2]

وسـواقـي الـنّـهـرِ تُـلـقـي لـحـنـهـا
ذائـبـاً كـالـلـطـفِ فـي حُـلْـو الـعـتـاب

كـمْ تـمـنّـيـنـا وكـمْ هَلْـلـتِـنـي
تحت صمتِ الليلِ والشهْبِ الخوابي

* * *

كـمْ بـكـتْ عـيـنـاكِ لـمّـا رأتـا
بـصـري يُـطْـفـا ويُـطـوى فـي الـحـجـابِ

وتـذكّـرتِ مـصـيـري والـجـوى
بـيـن جـنـبـيـك جـراحٌ فـي الـتـهـابِ

* * *

---

(١) الغول كحول: ما انهبط من الأرض وهو قاع الرحاب من حقول والد الشاعر في قريته.

(٢) الملاب كسحاب: العطر أو الزعفران.

هٰـأنـا يـا أمّـيَ الـيـومَ فـتًـى
طـائـر الـصّـيـت بـعـيـدٌ فـي الـشـهـاب

أمـلأُ الـتـاريـخَ لـحـنـاً وصـدًى
وتُـغـنـي فـي ربـا الـخـلـدِ ربـابـي

فـاسـمـعـي يـا أمُّ صـوتـي وارقـصـي
مـن وراءِ الـقـبـرِ كـالـحَـوْرا الـكِـعـاب

هـا أنـا يـا أمُّ أرثـيـكِ وفـي
شـجـوِ هـذا الـشـعـرِ شـجـوي وانـتـحـابـي

❁ ❁ ❁

فلسفة الجراح

متألمٌ. مِمَّ أنا متألمُ؟
حارَ السؤالُ، وأطرقَ المستفهمُ

ماذا أُحِسُّ؟ وآه حزني بعضُهُ
يشكو فأعرفُهُ وبعضٌ مبهمُ

بي ما علمتُ من الأسى الدامي وبي
من حرقةِ الأعماقِ ما لا أعلمُ

بي من جراحِ الرّوحِ ما أدري وبي
أضعافُ ما أدري وما أتوهّمُ

وكأنّ روحي شعلةٌ مجنونةٌ
تطغى فتضرمني بما تتضرمُ

وكأنّ قلبي في الضلوعِ جنازةٌ
أمشي بها وحدي وكلّي مأتمُ

أبكي فتبتسمُ الجراحُ من البكا
فكأنها في كلّ جارحةٍ فمُ

* * *

يا لابتسامِ الجرحِ كمْ أبكي وكمْ
ينسابُ فوقَ شفاهِهِ الحمرا دمُ

أبداً أسيرُ على الجراحِ وأنتهي
حيثُ ابتدأتُ فأينَ مني المختمُ

وأُعارِكُ الدنيا وأهوى صفوَها
لكن كما يهوى الكلامَ الأبكمُ

وأُبارِكُ الأمَّ الحياةَ لأنها
أمّي وحظّي من جناها العلقمُ

حرمانيَ الحِرمانُ إلّا أنّني
أهْذي بعاطفةِ الحياةِ وأحلمُ

والمرءُ إن أشقاه واقعُ شؤمِه
بالغبنِ أسعدَهُ الخيالُ المنعمُ

* * *

وحدي أعيشُ على الهمومِ ووحدتي
باليأسِ مفعَمةٌ وجَوّي مفعمُ

لكنّني أهوى الهمومَ لأنها
فِكَرٌ أفسّرُ صمتَها وأترجمُ

أهوى الحياة بخيرِها وبشرِّها
وأحبُّ أبناءَ الحياةِ وأرحمُ

وأصوغُ «فلسفةَ الجراحِ» نشائداً
يشدو بها اللّاهي ويشجى المؤلَمُ

❁ ❁ ❁

تحت الليل

منكِ الجمالُ ومني اللّحنُ والشادي
يا خمرةَ الحب في أكواب إنشادي
وحدي أغنّيكِ تحتَ اللّيلِ محتملاً
جوعَ الغرامِ، وأشواقُ الهوى زادي
هنا أناجيكِ والأطيافُ تدفعُني
في عالمِ الحبِّ من وادٍ إلى وادي
والقلبُ في زحمةِ الأشواقِ مضطربٌ
كزورقٍ بين إرغاءٍ وإزبادِ
ووحشةُ الظّلمةِ الخَرْسا تهدّدُني
كأنها حولَ نفسي طيفُ جَلّادِ
والصّمتُ يجثو على صدرِ الوجود وفي
صمتي ضجيجُ الغرامِ الجائعِ الصّادي
واللّيلُ يسري كأعمى ضلّ وجهتَه
وغابَ عن كفِّه العُكّازُ والهادي
كأنه فوق صمتِ الكونِ قافلةٌ
ضلّت وضلّ الطريقَ السّفْرُ والحادي
ولم أزلْ أتشهّى منكِ بارقةً
من عاطفِ الحبِّ، أو إشراقَ إسعادِ

وحبُك الحبُّ أخفيه فأنفُثه
شِعراً فينصبُّ خافيهِ إلى البادي

وحدي أناديك من خلفِ الشجونِ فيا
نجيّةَ الحبِّ نادي لَوْعَتي نادي

فطالما تُهتُ في دنيا هواك وما
هوّمْتُ خلفَ الخيالِ الرائحِ الغادي

أهفو إليكِ وحولي كلُّ أمنيةٍ
تفنى وللياْسِ حولي ألفُ ميلادِ

واليأسُ يطغى وجوعُ الحب في كبدي
يَضِجّ ما بين إبراقٍ وإرعاد

❁ ❁ ❁

البعث العربي

قيلت هذه القصيدة بمناسبة المؤتمر الذي عقده أقطاب العرب الثلاثة جلالة «الإمام أحمد» والرئيس «جمال عبد الناصر» وجلالة الملك «سعود».

وحدةُ المجدِ والفخارِ التّليدِ
زغزعَتْ مرقَدَ الصباحِ الجديدِ
واستطارتْ تحتّ قافلةَ الفتحِ
وتطوي الحدودَ بعد الحدودِ
وتناجي العدا بألسنةِ النّا
رِ وبالموتِ منْ شفاهِ الحديدِ
وحدةٌ يَعْرُبِيّةٌ وانْطلاقٌ
عربيٌّ يهُزُّ صمتَ اللّحودِ
إنما العُرْبُ ثورةٌ وحّدتها
يقظةُ البَعْثِ وانتفاضُ الوجودِ
فابن «يحيى» مؤزَّرٌ «بجمالٍ»
«وجمالٌ» مؤزَّرٌ «بسعودِ»
وحّدتْ شملَهم كبارُ الأماني
والدمُ الحرُّ واعتزازُ الجدودِ

قد تلاقى الحجازُ واليمنُ الميـ
ـمونُ والنّيلُ في اتحادِ الجهودِ

واستفاقت مواطنُ العَرَب الشّـ
ـمِّ فعودي يا رايةَ العُرْبِ عودي

واذكري في المعاركِ الحُمْرِ «سعداً»
و«عليّاً» و«خالدَ بنَ الوليدِ»[1]

تأنف العُرْب أن تدوسَ حِماها
الحُرَّ شرُّ العبيدِ أدنى العبيدِ

آن آن الفدى وثار الدمُ الحُرُّ
يُذيبُ القيودَ إثرَ القيودِ

يا نفوسَ اليهودِ ذوبي، وذوبوا
من لظى الغيظِ يا عبيدَ اليهودِ

فجيوشُ الجهادِ تزحفُ للثأ
رِ وتهفو إلى الحمى المنشودِ

يا فلسطينُ حقّقتْ وحدةُ العُر
ب أمانيكِ فاطْمحي واستزيدي

وانفضي عن رباكِ سودَ الليالي
واستفيقي على زئيرِ الأسودِ

هذه «غَزّةٌ» تفيض الْتهاباً
والجنودُ الأباةُ تِلْوَ الجنودِ

---

(١) سعد: يريد: سعد بن أبي وقاص بطل القادسية.

وعلى «جُدّةٍ» تجدّد عهدُ الـ
عُرْبِ واهتاجَ للوثوبِ المجيد

* * *

يا بريطانيا وقد هُيئ المَيْـ
ـدانُ هيّا إلى العِراكِ العنيدِ

إنما نحنُ أمةٌ تبذلُ الأر
واحَ في ذمةِ العلا والخُلودِ

تفتدي المجدَ بالنفوسِ وتَشفي
غُلّةَ الثأرِ من جراحِ الشهيدِ

فتخلّيْ عن الجنوبِ وخَلّي
«كَمَرانَ» المصونَ حرَّ البنودِ

دون ما تبتغين صاعقةُ المو
تِ وبرقُ القنا وقضفُ الرعودِ

ويلَ من يَعمرُ القصورَ على النا
رِ ولا يتّقي حَماسَ الوَقودِ

أمةُ العُرْب ضمّها صَلَفُ الجُرْ
ح المُدمّى وكبرياءُ الحُقودِ

كلّها أقسمتْ بأن تنثرَ الأر
واحَ دون الحقوقِ نثرَ الورودِ

وتروّي صدرَ الجهاد وتمحو
عن جباهِ الأباةِ ذُلَّ السجودِ

وترى مجدَها البعيدَ بعيداً
ولِواها يَرفُّ خلفَ البعيدِ

جدّدتْ باليَ العهودِ وأحيتْ
ميّتَ المجدِ والإبا منْ جديدِ

وتسامَتْ تشيدُ مستقبلَ العُرْ
بِ على زَهْوةِ الصباحِ الوليد

منبت الحب

هٰهُنا لاحَ لنا الحبُّ وغابا وتشظّى في يدِ الأمسِ وذابا
نبَتَ الحبُّ! هنا كيف غدا في ترابِ المنبِتِ الزاكي ترابا
هذه البقعةُ ناغتْ حُبَّنا فصَبا الحبُّ عليها وتصابى
وسقتنا الحبَّ صفواً وهَنَا ثُمّ أسقتناه ذكرى وانتحابا
كان حبٌ ثم أضحى قصةً تنقلُ الأمسَ خيالاتٍ كِذابا
قصّةً تائهةً نقرأُها من فمِ الذكرى فصولاً وكتابا

* * *

هذه البقعةُ كمْ تعرفُنا كمْ سقيناها ترانيماً عِذابا
وزرعناها وداعاً ولِقاً وفرشناها حِواراً وعِتابا
ليتها تنطقُ كي تُنشدَنا قصةَ القلبيْن خفقاً واضطرابا
ليتها تُصغي لنا نسألُها عن هوانا ليتها تعطي جوابا

* * *

نحنُ ذُقْنا الحبَّ فيها خمرةً وصحوْنا فوجدناهُ سرابا
نحنُ غنّينا شبابَيْنا هنا وتلفّتنا فلمْ نلقَ الشبابا

* * *

منبتُ الحبِّ دعانا للهَنا فمضينا ننهبُ الصفوَ انتهابا
منبتُ الحب حوانا ظلُّهُ لحظةً وانقلبَ الظلُّ التهابا
فكسبنا حوله كأسَ المنى وملأنا الكأسَ دمعاً وعذابا
ورجعنا عنه نستجدي البُكا ونُباكي أملاً في الحبِّ خابا

❁ ❁ ❁

محنة الفن

أنا مـنْ غـازلَ الـجـمـالَ وغـنـى
لـلـمـعـالـي لـحـناً ولـلـحـبِّ لـحـنـا

عـاشَ بـيـن الـهـوى وبـيـن مُـنـى الـ
ـمـجـدِ ولـم يـلـقَ عـمـرَه مـا تـمـنّـى

واسـتـخـفَّ الـحـيـاةَ بـالـشّـذْوِ حـتـى
زادَهـا فـوقَ حـسـنـهـا الـبـكـرِ حُـسْـنـا

* * *

قـلـبـيَ الـقـلـبُ يـحـمـل الأمـسَ والـيـو
مَ ويـلـقـي لُـمـقـبـل الـعُـمـرِ ظـنّـا

قَـلْـبـيَ الـقـلـبُ لـم يـفـارقْـهُ آتٍ
لا، ولا الأمـسُ فـي حـنـايـاه يـفـنـى

قَـلـبـيَ الـقـلـبُ إن بـكـى رقّـصَ الـ
ـدنـيـا بُـكـاهُ وحـوّلَ الـدمـعَ فَـنّـا

* * *

دمـعـةُ الـفـنِّ بـسـمـةٌ فـي شـفـاه الـ
ـخُلدِ أصفى من الصباحِ وأسْنى

فـي ظـلالِ الـربـيـعِ قـطّـرتُ أنـفـا
سـي نـشـيـداً أرقَّ مـنـه وأحـنـى

وعـصـرتُ الـشـجـونَ فـي الـروضـةِ الـ
ـغـنّـا لـحـونـاً أنـدى وفـنـاً أغـنّـا

من جمالِ الحياةِ سلسلتُ أنغا
مي وغنّيتُ عِطْفَها فتثنّى
من همومِ الجياعِ غنّيتُ للجو
عِ وصغتُ الهمومَ بحراً ووزنا
وتخيّرتُ للغنيّ غِناءً
مُترَفاً راقصاً كأعطافِ حَسْنا
أنا أشدو لكلِّ قلبٍ طروبٍ
أنا أبكي لكلِّ قلبٍ مُعَنّى

* * *

«محنةُ الفنِّ» محنةٌ تتُعب الـ
فنّانَ والخلدُ من معانيه يَهْنا
كلُّ ما بي أودعتُهُ الشعرَ لكن
في ضميري شعرٌ أنا منه مُضنى
لا تسلني يا صاحبي أيُّ شعري
كانَ أعلى أو أيُّه كانَ أدنى
أجملُ الشعرِ نغمةٌ لمْ أُوقِّعْها
وصمتي يَطوي لها ألفَ معنى
فتنفّسْ يا صمتَ شعري بما فـ
يك لعلّي يا شعرُ أن أطمئنّا
وتأوّهْ لعلّ آهاتِك الجر
حى تلاقي في ضجةِ الكونِ أذنا
آه يا شعرُ آه قد قيّدَ الصمتُ
أغانيك فاتخذْ منه سجنا

من هواها

أنا وحدي هنا وكلّي لديها ... أسكبُ القلبَ قبلةً في يديها
فهي خلفَ البعادِ والوهمُ يُدنيـ ... ـها ويدني إلى فمي شفتيها
مِنْ صباها جنيتُ أزهارَ شعري ... واقْتطفتُ اللحونَ من وجنتيها
مِنْ هواها أذوبُ منها، وفيها ... مِنْ هواها بكيْتُ منها عليها
كلّما شئتُ أنْ أفِرَّ بقلبي ... مِنْ هواها فررتُ منها إليها

* * *

أينَ عنها أحيدُ أو ... أينَ بالقلبِ أنفِرُ
وهي جَوّي ومِهْبطِي ... وهواي المسعَّرُ
وهي في القلبِ عالَمٌ ... بالصباباتِ يَزْخَرُ

* * *

وهي في الصدرِ ألفُ قلبٍ يغنّي ... بهواها وموجةٌ من لهيبِ
إنها وحدَها نصيبي من الـ ... حبِّ ويا حبُّ أينَ مني نصيبي؟
هي دنيا تموجُ بالسحرِ والدَّلّ ... وترفضّ بالسّنا والطّيوبِ
حلوةٌ كالأشعةِ الزّهرِ كالأشـ ... ـواقِ كالشعرِ كالخيالِ العجيبِ
فَهي فنٌّ مجسَّدٌ يُلهمُ الفنَّ ... حوارَ السما ونجوى الغيوبِ

* * *

وهي سحرٌ مركّبُ ... وفتونٌ مجسّم
كلُّ صوتٍ يمرُّ في ... شفتيها تَرنُّمُ
وكأنّ الحروفَ منْ ... ثغرِها الحلوِ تَبسمُ

كلّما حدَّثتْ تلألأتِ الألـ ـفاظُ منْ ثغرِها كفجرِ الرّبيعِ
ومشتْ في حديثِها نشوةُ الـ ـحسنِ وترنيمةُ الدَّلالِ الطبيعي
إنّها والهوى بأعطافِ لحني رقصةُ السّحرِ والجمالِ الرفيعِ
حبّها في فمي نشيدٌ أغنّيـ ـه ولحنٌ مُذوَّبٌ في دموعي
لا فراقٌ وإنْ تناهى بها البعـ ـدُ وقلبي وحبُّها في ضلوعي

* * *

لا انقطاعٌ فحبُّنا أبديٌّ ومُلهَمُ
حبُّنا شاعرٌ على ربوةِ الخلدِ يحلُمُ
لا انفصالٌ فإننا في عروقِ الهوى دمُ

❁ ❁ ❁

راهب الفن

ساهرُ الجُرْح لم يَنَمْ كيفَ يغفو على الضَّرمْ
مؤلَمٌ كلّما بكى سخرَ الجُرْحُ وابتسمْ
لا تسلْ عنه إنّهُ ضاعَ في زحمةِ الظُّلَمْ
شاعرٌ يعزفُ الشقا ويُغَنّي الدُّجى الأصمْ
حارَ في الحبِّ قلبُهُ حَيرةَ الصمتِ في القِممْ
راهبُ الفنِّ صدرُهُ للصَّباباتِ مُزْدحَمْ
كلّما كتَّمَ الهوى فضحَ الفنُّ ما كتمْ
كلّما صانَ سرَّه ضجّ في الصدرِ واحتدمْ
لَمْ يُطِقْ حِشْمَةَ الجَوى من رأى الشاعرَ احتشمْ[1]؟
لا تسلْ ما شدا ولا كيفَ غَنَّى الهوى؟ وكمْ؟
شاعرٌ ذابَ صمتُهُ في كؤوس الهوى نَغَمْ
وسقاه الحنينُ منْ كأسِهِ خمرةَ العدَمْ
إنَّ تاريخَ عمرِهِ قصةُ الحبِّ والألمْ
كلّما ارْتاد مرتعاً للهوى عادَ بالنّدمْ

❁ ❁ ❁

(١) الحشمة بالكسر: الحياء والانقباض.

منها وإليها

أنت يا كلّ من أحبّ وأهوى
في حنيني شعرٌ وفي الصمت نجوى

أنت في كلّ دقّةٍ من فؤادي
نغماتٌ من خمرة الحبّ تشوى

وغناءٌ مدلّةٌ بمنشّر الحبّ
صداه وفي فم الصمت يُطوى[1]

في ضلوعي إليكِ شوقٌ وقلبٌ
شاعرٌ يعزف الصبابات شدوا

وعتابٌ يفضي إليكِ فإن لا
قاكِ أغضى وذاب في القلب شكوى

وبقلبي إليك شعرٌ سأزوي
به وشعرٌ في خاطري ليس يُروى

أيّ فنٍ أشدو وماذا أغنّي
لكِ وفنُّ الجمال أسمى وأنقى

أيّ لحنٍ أهدي إليكِ ومَغنى
كِ لحونٌ تسمو على الفنّ زهوا

---

(١) المدله: الساهي القلب، الذاهب العقل.

آه جفَّ النشيدُ إلّا نشيداً
أنا فيه أذوب عُضواً فعُضوا

آه يا قلبُ إنها صبوةُ الحسـ
ـنِ المُغنّى وأنتِ أصبَى وأغْوَى

حسنُها شاعرُ الفنونِ وحبي
عبقريٌّ يطارحُ الحسنَ شجوا

كلُّ شعرٍ غنَّيتُهُ فهو منها
وإليها والفنُّ يحسوهُ صَفْوا

أم الكرْم

نظم الشاعر هذه القصيدة عند زيارته الروضة المعروفة،
١٧ ذو الحجة سنة ١٣٧٤هـ

نشوةُ النورِ وأحلامُ الجِنانِ
وشذا الأنسامِ والجوّ الجُماني

رقصَتْ في الروضةِ الغَنّا كما
ترقصُ الحورُ على شدو المثاني

وصبَتْ معجزةُ الحسن بها
صبوةُ السّكرِ بأعطافِ الغواني

بلدةُ الفنِّ و«أمُّ الكَرْمِ» في
حضْنِها الحاني صبَتْ أمُّ الدّنانِ

نسّقَ الفنُّ حواشي كرمِها
فتعانقنَ على بُعْدِ المكانِ

وطلى بهجتَها صفوُ النّدى
والصباحُ الطفلُ ورديُّ البنانِ

والعناقيدُ على أغصانِها
كالنّهودِ العاطفياتِ الحواني

وتدلّتْ كالقُروطِ البيضِ منْ
أذُنِ الغيدِ المليحاتِ الحسانِ

* * *

روضةٌ فوحاءُ فِرْدَوْسِيّةٌ
تَلِدُ اللّذاتِ آناً بعدَ آنِ

كلُّها راحٌ ورَوحٌ عَبِقٌ
وظلالٌ وتثَنّي غصنِ بانِ

وزهورٌ تبعثُ العطرَ كما
تبعثُ السكرَ العناقيدُ الدواني

تفرشُ الجوَّ جمالاً وشذاً
والثرى ظلاًّ نديَّ العِطف هاني

* * *

أَلهوى الممراحُ فيها والصِّبا
وحوارُ الوصلِ فيها والتداني

وفنونُ الحسنِ فيها والغنا
مِهْرَجانٌ يرتمي في مهرجانِ

والعصافيرُ على أدواحِها
كالقياثيرِ على أيدي القِيانِ

تسكبُ اللحنَ على مرقصِها
فتوشّي الجوَّ رقصاً وأغاني

وكأن النهرَ في أحضانِها
شاعرٌ ذوّبه فَرطُ الحنانِ

ومحبٌّ كلّما ناجى الهوى
طلسمتْ نجواه «فوضاءُ» الزّمانِ

فتخالُ النهرَ محمومَ الغِنا
مطرباً هيمانَ معقودَ اللسانِ

وكـأنَّ الـروضـةَ الـغـنّـا عـلـى
مـائـهِ فـجـرُ الـهـوى طـفـلُ الأمـانـي

* * *

بـلـدٌ تـوحـي مـجـالـيـه إلـى
مِـزهَـرِ الـفـنـان أبـكـارَ الـمـعـانـي

قـلـت لـلـشّـعـرِ وقـد سـاجـلـه
نـغـمُ الـفـنّ وسـحـرُ الإفـتـنـانِ

أتـــراهُ ســـرقَ الـــفـــردوسَ أمْ
هـو فـردوسٌ بـحِـضـن الأرضِ ثـانـي

❁ ❁ ❁

نجوى

أناجيكِ يا أختَ روحي كما
يُناجي الغريبُ خيالَ الحِمى

وأهفو إليكِ مع الأمنياتِ
كما يرتمي الفكرُ نحو السما

وأظما إليكِ فتُروي المُنى
خيالي ويَزْدادُ روحي ظما

وأبكي ويَبكي خيالي معي
نشيداً يُباكي الدُّجى الأبكما

* * *

أيا قلبُ كم ذبتَ في حبّها
لحوناً مضرَّجةً بالدّما

وكمْ هزّني طيْفُها في الدُّجى
وكمْ هزَّ قِيثاريَ المُلْهَما

وكمْ ساجلتْني خيالاتُها
كَمَا ساجلَ المغرَمُ المغرما

فما عطفتْ قلبَها رحمةٌ
ولا فكّرتْ آه أنْ تَرحما

❁ ❁ ❁

في الطريق

وحدَه يحملُ الشقا والسنينا
لا معينٌ وأين يَلقى المُعينا
وحدَه في الطريقِ يسحَبُ رجليْه
ويطوي خلفَ الجراحِ الأنينا
مُتعَبٌ يعبرُ الطريقَ ويمضي
وحدهَ يتبعُ الخيالَ الحزينا

❁ ❁ ❁

الليل الحزين

كئيبٌ بطيءُ الخُطى مُؤلَمُ
يسيرُ إلى حيثُ لا يَعلمُ

ويَسري ويسري فلا ينتهي
سُراهُ ولا نهجةُ المظلمُ

وتنسابُ أشباحُه في السّكون
حيارى بخيبتها تحلُمُ

هو اللّيلُ في صمتهِ ضجّةٌ
وفي سرِّهِ عالَمٌ أبكمُ

كأنّ الصبابات في أفقهِ
تئنُّ فترتعشُ الأنجمُ

حزينٌ غريقٌ بأحزانهِ
كئيبٌ بآلامهِ مُفْعَمُ

كأنّ النجومَ على صدرهِ
جراحٌ يلوحُ عليها الدَّمُ

* * *

هو اللّيلُ يَطوي بأعطافِه
قلوباً بأشواقِها تُضرَمُ

تساهرُهُ أعينُ الساهرين
وتقتاتُ أحلامَه النُّوَّمُ

ويشكو إلى جوّه عاشقٌ
ويشدو على صمته ملهَمُ

يناجي المُعَنَّى المُعنِّي به
ويهفو إلى المُغْرَمِ المغرمُ

ويبتهجُ القصرُ في ظلّه
وينْتحبُ الكوخُ والمغدمُ

ففيه التآويهُ والأغنياتُ
وفي طيّه العرسُ والمأتمُ

وفي صدره سرُّ هذا الوجود
فماذا يذيعُ وما يكتمُ؟

❁ ❁ ❁

أنـا

مـا بـيـن ألـوانِ الـعـنـا ءِ وبـيـن حـشـرجـةِ الـمُـنـى
مـا بـيـن مـعـتـركِ الـجـرا حِ وبـيـن أشـداقِ الـفـنـا
مـا بـيـن مـزدحَـمِ الـشـرورِ أعـيـشُ وحـدي هٰـهُـنـا
لـمْ أدرِ مـا الـسـلـوى؟ ولـمْ أُطـعَـمْ خـيـالاتِ الـهـنـا
ألـحـبُّ والـحـرمـانُ زا دي والـغـذاءُ الـمُـقْـتَـنـى

* * *

وحـدي هـنـا خـلـف الـوجـود وخـلـف أطـيـافِ الـسَّـنـا
وهـنـا تَـبِـيـنُـنـي الـحـيـاةُ ومـا الـحـيـاةُ ومـا هـنـا
أنـا مَـنْ أنـا؟ الأشـوا قُ والـحِـرمـانُ والـشـكـوى أنـا
أنـا فـكـرةٌ وَلْـهَـى مـعـانـيـ ـهـا الـتـضـنّـي والـضَّـنـى
أنـا زفـرةٌ فـيـهـا بُـكـاءُ الـ ـغـقْـرِ آثـامُ الـغـنـى

* * *

أهـوى وألـقـى غـيـرَ مـا أهـوى، فـمـا أشـتـهـي؟
لا أسـعـدَ الـمـهـوى ولا جـوعُ الـهـوايـة يـنـتـهـي
أنـا حـيـرةُ الـمـحـرومِ تـنـ ـتـحـرُ الـمـنـى فـي صـمـتـهِ

* * *

وأنـا حـنـيـنٌ تـائـهٌ بـيـن الـمـحـب والـشـقـا
أظـمـا وأظـمـا لـلـجـمـا لِ وأيـن مـنـي الـمـسـتـقـى

* * *

يا قلبُ هل تلقى المرا دَ وما المرادُ وما اللّقا
عمري تمرّغَ في اللّهيـ بِ ولذّهُ أنْ يُخرَقا
لا فارقَ اللّهبُ الرما دَ ولا الرمادُ تفرّقا

* * *

فمتى متى يُطفي الفَنا الـ موعودُ عمري الأحمقا
كيف الخلاصُ ولمْ يزلْ روحي بجسمي مُوثَقا
لا الموتُ يختصرُ الحيا ةَ ولا انتهى طولُ البقا
لا القيدُ مزّقه السجـ ينُ ولا السجينُ تمزّقا
حيرانُ لمْ يُطِقِ الحيا ةَ ولمْ يُطِقْ أن يَزْهَقا

* * *

يا آسرَ العصفورِ رفـ قاً بالجناح المتعبِ
سئمَ الركودَ ولمْ يزلْ في قبضةِ الشوكِ الغبي
دَرَنُ الترابِ مجسّدٌ في الشيخِ، في ثوبِ الصبي

❁ ❁ ❁

مع الحياة

سلسل الشاعر هذا النغم الحزين وهو على سرير المستشفى، يتأرجح بين نهاية الألم القوي، وبداية الصحة الضعيفة!! وكانت في نفسه خواطر تضطرب اضطراب الموج، وفي خواطره قلق يتململ تململ الأسد الجريح، وفي صدره خفقات تجيش كما يجيش الحميم المكظوم، وكان الليل وراء النافذة صامتاً كأنه قتيل، فلملم الشاعر هذه الأفكار من حواشي الليل الطريح بين ذراعي الأرض الهامدة! هكذا تألم الشاعر، وهكذا ترجم ألمه ومن لم يتألم فليس بشاعر، ومن لم يفصح عن ألمه فليس بموهوب، ومن لم ينشر ما أفصح عنه فليس بشجاع!.

يا حياتي ويا حياتي إلى كمْ
أحتسي من يديك صاباً وعلقمْ

وإلى كمْ أموتُ فيكِ وأحيا
أينَ مني القضا الأخيرُ المحتّمْ

أسلِمِيني إلى الممات فإنّي
أجدُ الموتَ منكِ أحنى وأرحمْ

وإذا العيشُ كانَ ذُلّاً وتعذيـ
ـباً فإن الممات أنجى وأعصمْ

* * *

ما حياتي إلّا طريقٌ من الأشـ
ـواكِ أمشي بها على الجرحِ والدّمْ

وكأني أدوسُ قلبي على النّا
رِ وأمضي على الأنينِ المضرّمْ

لـمْ أفـتْ مـأتـمـاً مـن الـعـمـرِ إلّا
وألاقـي مـن بـعـدهِ ألـفَ مـأتـمْ

وحياةُ الشقا على الشاعرِ الحسّـ
اسِ أدهـى مـن الـجـحـيـم وأذهَـم[1]

* * *

وأنـا شـاعـرٌ ومـا الـشـعـرُ إلّا
خـفـقـاتـي تـذوبُ شـجـواً مـنـغّـمْ

شـاعـرٌ صـانَ دمـعَـهُ فـتـغـنّـى
بـلـغـاتِ الـدمـوعِ شـعـراً مـتـيّـمْ

عـلّـمـتـهُ الـطـيـورُ أحـزانَـهـا الـبَـكـ
ـا فـغـنّـى مـع الـطـيـورِ ورنّـمْ

* * *

إيـه يـا شـاعـرَ الـحـيـاةِ ومـاذا
نـلـت مـنـهـا إلّا الـرّجـاءَ الـمـهـشّـمْ

أنـتَ بـاكٍ تـحـنـو عـلـى كـلِّ بـاكٍ
أنـتَ قـلـبٌ عـلـى الـقـلـوبِ مـقـسّـمْ

قـد قـرأت الـحـيـاة درسـاً فـدرسـاً
وتـجـلّـيـت كـلَّ سـرٍ مـكـتّـمْ

فـرأيـتَ الـحـيـاةَ لـم تَـصـفُ إلّا
لـعـبـيـدِ الـحُـطـامِ والـذلِّ والـدمْ

---

(١) أدهم: الدهمة: السواد. والقاعدة أن يقال: هو أشد دهمة لأن الفعل: أدهم بالتشديد وهو خماسي لا يأتي التفضيل منه مباشرة.

طيبُها للّئامِ لا الملهَم الشا
دي وهيهاتَ أنْ تطيبَ لملهَمْ

* * *

أيُّهذي الحياةُ ما أنتِ إلّا
أملٌ في جوانحِ اليأسِ مُنبَهَمْ

غِرّة تُضحكُ العبوسَ وتُبكي
فَرِحاً هانئاً وتُشقي منعَّمْ[1]

* * *

يا حياتي وما حياتي وما معـ
نى وجودي فيها لأشقى وأُظلَمْ

ربِّ رحماكَ فالمتاهُ طويلٌ
والدُّجى في الطريقِ حيرانُ أبكمْ

قد أتيتُ الحياةَ بالرُّغمِ منّي
وسأمضي عنها إلى القبرِ مُرغَمْ

أنا فيها مسافرٌ زادَيَ الأحـ
لامُ والشعرُ والخيالُ المجسّمْ

وشرابي وهمي، وآهي أغاريـ
دي ونوري عمى الظلامِ المطلسَمْ

ليس لي من غضارةِ النورِ لحظٌ
لا ولا في يدي سوى الظُّفر درهَمْ[2]

---

(١) الغرة بالكسر: من لا تجربة لها من الإناث: وهي أيضاً مصدر غره بمعنى خدعه.

(٢) الغضارة: السعة والنعمة والخصب.

ليتَ شعري مالي إذا رمتُ شيئاً
حال بيني وبينه القفرُ واليَمْ
لمْ أجذ ما أريدُ حتى الخطايا
أحَرامٌ عليَّ حتى جهنّمْ؟!!
كلُّ شيء أرومُهُ لم أنلْهُ
ليتني لم أرِدْ ولا كنتُ أفهَمْ
أنا أحيا مع الحياةِ ولكن
عُمْري ميِّتُ الأماني محطّمْ
ليتني - والحياة غرمٌ وغنمٌ -
نلت من صفوِها على العمرِ مغنَم

من أُغنِّي

هٰهُنا في المنزلِ العاري الجديبْ
أحتسي الدّمعَ وأقتاتُ النّحيبْ

هٰهُنا أشكو إلى اللّيلِ وكمْ
أشتكي واللّيلُ في الصّمتِ الرهيبْ

وأبثُّ الشعرَ آلامَ الهوى
وأنادي اللّيلَ والصّمتُ يُجيبْ

فإلى مَنْ أنفثُ الشكوى؟ إلى
أيِّ سمعٍ أبعثُ اللحنَ الكئيبْ؟

وإلى منْ أشتكي الحبَّ إلى
مَنْ إلى من؟ إنني وحدي غريبْ

هٰهُنا يا ليلُ وحدي والجوى
بين أضلاعي لهيبٌ في لهيبْ

* * *

ولمنْ أشدو؟ ومنْ أشدو؟ فيا
لجنوني منْ أغنّي بالنّسيبْ

ما لقلبي يعبَثُ الحبُّ به
عبثَ الإعصارِ بالغصنِ الرطيبْ

من أغنّي؟ لا حبيباً؟ لا ولا
لي من الدنيا على الدنيا نصيبْ

آه إنـــي شـــاعـــرٌ والـــشـــعـــرُ مـــن
مـحـنـتـي! أوَّاه مـا أشـقـى الأديـبْ
شـاعـرٌ والـشـعـر عـمـري فـي غـدٍ
أيـن عـمـري أيـن... فـي الـيـومِ القريـ

في الليل

لا مشفقٌ حولي ولا إشفاقْ
إلّا المُنى والكوخُ والإخفاقْ

أَلبردُ والكوخُ المسجّى والهوى
حولي وقلبي والجراحُ رفاقْ

وهنا الدُّجى يسطو على كوخي كما
يسطو على المستضعفِ العملاقْ

فلمنْ هنا أصغي؟ وكيفَ؟ وما هنا
إلّا أنا، والصمتُ، والإطراقْ

أغفى الوجودُ ونام سُمّارُ الدُّجى
إلّا أنا والشعرُ والأشواقْ

وحدي هنا في الليلِ ترتجفُ المنى
حولي ويرتعشُ الجوى الخفّاقْ

وهنا وراء الكوخِ بستانٌ ذوتْ
أغصانُهُ وتهاوتِ الأوراقْ

فكأنّهُ نعشٌ يموجُ بصمتِهِ
حُلمُ القبورِ ويعصِفُ الإزهاقْ

نسيَ الربيعُ مكانَه وتشاغلتْ
عنهُ الحياةُ وأجفلَ الإشراقْ

عُريانُ يلتحفُ السكينةَ والدُّجى
وتئنُّ تحت جذوعِهِ الأعراقُ

* * *

واللّيلُ يرتجلُ الهمومَ فتشتكي
فيه الجراحُ وتصرخُ الأعماقُ

والذكرياتُ تكرُّ فيه وتنثني
ويتيهُ فيهِ الحبُّ والعشّاقُ

تتغازلُ الأشواقُ فيهِ وتلتقي
ويضمُّ أعطافَ الغرامِ عِناقُ

* * *

والناسُ تحت الليلِ: هذا ليلُه
وضلٌّ وهذا لوعةٌ وفراقُ

والحبُّ مثلُ العيشِ: هذا عيشُهُ
ترفٌ وهذا الجوعُ والإملاقُ

في الناسِ مَنْ أرزاقُهُ الآلافُ أو
أعلى وقومٌ ما لهمْ أرزاقُ

هذا أخي يَرْوَى وأظمأ ليس لي
في النّهرِ لا حقٌّ ولا استحقاقُ

۞ ۞ ۞

لست أهواك

لستُ أهواكِ قد خلعتُ الهواءَ
واحتقرتُ الفتونَ والإغراءَ[1]

لستُ أهواكِ قد صحوتُ من الحبِّ
ومزّقتُ صبوتي والصّباءَ

ونفختُ الغرامَ من حبّةِ القلـ
ـبِ كما تنفخُ الرّياحُ الهباءَ

وترفّعتُ عن إرادتِكِ البلـ
ـها ورضتُ الجناحَ أغزو السماءَ

فاخدعي من أردتِ غيري من النا
سِ فإني وهبتُ قلبي العلاءَ

واخجلي أنتِ والهوى واستكيني
واخلعي عن كيانِكِ الكبرياءَ

إنني قد فرغتُ منكِ وبعثـ
ـتُ بقايا صبابتي أشلاءَ

* * *

آه كمْ عشتُ في هواكِ وكمْ
مرّغتُ فيه فتوّتي والإباءَ

---

(١) الهواء: يريد الهوى فمده للضرورة ومثله في الديوان كثير.

كـمْ تـغـنّـيـتُ فـي هـواكِ وسـلـسـلـ
تُ دمـعـي فـي قـمـمِ الـغـرامِ غـنـاءْ

وأرقـتُ الـدمـوع مـنـكِ ولـكـنْ
غـسـلَ الـدمـعُ حـرقـتـي والـعـنـاءْ

واسـتـدرَّ الـبـكـا هـواكِ مـن الـقـلـ
ـبِ فـأفـنـى الـهـوى وأبـقـى الـعـزاءْ

وبـكـاءُ الـمـحـبِّ يـسـتـنـزفُ الـشـو
قَ نـشـيـجـاً والـذكـريـاتِ بـكـاءْ

لـسـتُ أهـواكِ قـد نـحـرتُ صـبـابـا
تـي كـمـا يـنـحـرُ الـقـنـوطُ الـرّجـاءْ

ونـسـيـتُ الـلّـقـا وعـفـتُ الـتـلاقـي
والـتـصـابـي والـحـسـنَ والـحـسـنـاءْ

* * *

فـامـضِ يـا حـبُّ قـد رجـعـتُ إلـى الـعـقـ
ـلِ الـمـصـفّـى يـديـرنـي كـيـفَ شـاءْ

ويـل ويـل الـغـرامِ مـن يـقـظـة الـلّـ
ـبِّ إذا الـلّـبُّ بـالـفـؤادِ تَـنـاءى

وإذا صـارعَـتْ قـوى الـعـقـلِ قـلـبـاً
عـبـقـريّـاً زادتْ قـواهُ قـواءْ

۞ ۞ ۞

شعري

غـرذ فـأنـتَ الـحـبُّ والأحـلامُ
إنـشِـد يُـصـفِّـقْ حـولـكَ الإعـظـامُ
يـا كـافـراً بـالـصّـمـتِ والإحـجـام طِـرْ
واهـتِـفْ فِـداكَ الـصّـمـتُ والإحـجـامُ
واسـبـخ بـآفـاقِ الـجـمـالِ وطُـفْ كـمـا
تـهـوَى ويـهـوَى جـوّهُ الـبـسّـامُ

* * *

يـا شـعـريَ الـفـوّاحَ غـرّدْ تـحـتـفـلْ
فـيـك الـعـطـورُ وتـعـبَـقُ الأنـسـامُ
لـك مـن شـفـاهِ الـفـجـرِ مـنـتـزهٌ[1] وفـي
صـدرِ الـمـروجِ مـراقـصٌ وهُـيـامُ
فـي كـلِّ رابـيـةٍ لـقـلـبِـكَ خـفـقـةٌ
وبـكـلِّ وادٍ حُـرقـةٌ وضـرامُ
ولـصـوتِـكَ الـحـانـي بـأجـفـانِ الـرُّبـا
غـزَلٌ وفـي قـلـبِ الـرَّبـيـعِ غـرامُ
بـسـتـانُـكَ الـغـبـرا ومـسـرحُـكَ الـفـضـا
فـلـكَ الـوجـودُ مـسـارحٌ ومُـقـام[2]

* * *

(١) منتزه: الأصح لغوياً مُتنزَّه. (٢) الغبرا: الغبراء وهي الأرض.

شعري وأنت الفنُّ أنتَ رحيقُهُ
شفتاكَ كأسٌ واللحونُ مُدامُ
حلّقتَ فوق مسابحِ الأوهام لمْ
تلمخ خيالَ جناحِكَ الأوهامُ
والماردُ العِملاقُ يكتسحُ العلا
فتظلُّ تهذي خلفَهُ الأقزامُ

* * *

شعري تبنّاك الخلودُ فأنتَ في
ربَواتِهِ الأنغامُ والنَّغَّامُ
جسّمتَ أنفاسَ الشّذا فترنحتْ
فيكَ الطيوبُ كأنّها أجسامُ
وغمستَ قلبَكَ في الحياةِ وصغتَها
لحناً صداهُ وصوتُهُ الإلهامُ
وجلوتَ ألوانَ الطبيعةِ مثلما
يجلو الفتاةَ بفنِّهِ الرسّامُ
شعري تناجى الحسنُ فيهِ والهوى
وتناغتِ الآمالُ والآلامُ
وتخاصرتْ فيه المُنى وتعانقتْ
في صدرِهِ القُبُلاتُ والتّهيامُ
فإذا بكى أبكى القلوبَ وإن شدا
رقصتْ ليالي الدّهرِ والأيّامُ

* * *

ظمآنُ يرتشفُ الجمالَ وكلّما
أروى أواماً صاحَ فيه أُوامُ

فلهُ وراءَ المجدِ أمجادٌ ومِنْ
خلفِ المرامِ مطامحٌ ومرامُ

سيظلُّ يشدو كالجداولِ لا ولنْ
ينضبْ غِناهُ ولنْ يجفَّ الجامُ

* * *

لا! لنْ ينمْ شعري! ولنْ يصمتْ ولنْ
تصمتْ على أوتارِهِ الأنغامُ

لنْ يستكنْ وتري ولنْ يسكتْ فمي
فَلْتَخْرسِ الأفواهُ والأقلامُ

❁ ❁ ❁

فجر النبوة

صورُ الجلالِ وزهوةُ الأمجادِ
سكبتْ نميرَ الوحي في إنشادي
صُورٌ من الأمسِ البعيدِ حوافلٌ
بالذكرياتِ روائحٌ وغوادي
خطرتْ تعيدُ مشاهدَ الماضي إلى الـ
يومِ الجديدِ إلى الغدِ المتهادي
حملتْ من الميلادِ أروعَ آيةٍ
غمرتْ متاهَ الكونِ بالإرشادِ
زُمَرٌ من الذكرى تروحُ وتغتدي
وتشقُّ أبعاداً إلى أبعادِ
وتزفُّ وحيَ المولدِ الزاهي كما
زفَّ النّسيمُ شذا الربيعِ الشادي

* * *

يا فجرَ ميلادِ النبوّةِ هذهِ
ذكراكَ فجرٌ دائمُ الميلادِ
وتهللَ الكونُ البهيجُ كأنّهُ
حفلٌ من الأعراسِ والأعيادِ
وأفاقتِ الوثنيةُ الحيرى على
فجرِ الهدى وعلى الرّسولِ الهادي

فمواكبُ البشرى هناك وهٰهُنا
تُنبي الوجودَ بأكرمِ الأولادِ

والمجدُ ينتظرُ الوليدَ كأنّهُ
والمجدَ والعَلْيا على ميعادِ

وترعرعَ الطفلُ الرسولُ فهبَّ في
دنيا الفسادِ يُبيدُ كلَّ فسادِ

وسرى كما تسري الكواكبُ ساخراً
بالشوكِ بالعقباتِ والأنجادِ

بالغدرِ يسعى خلفَه وأمامَه
بالهولِ بالإبراقِ بالإرعادِ

لا... لمْ يزلْ يمشي إلى غاياتِهِ
وطريقُهُ لهبٌ من الأحقادِ

فدعا قريشاً للهدى وسيوفُها
تهفو إلى دمِهِ من الأغمادِ

فمضى يشقُّ طريقَهُ ويطيرُ في
أفُقِ العلا والموتُ بالمرصادِ

ويدوسُ أخطارَ العداوةِ ماضياً
في السيرِ لا واهٍ ولا متمادي

لا يركبُ الأخطارَ إلّا مثلها
خطِرٌ يعادَى في العلا ويعادي

نادى الرسولُ إلى السعادةِ والهنا
فصغتْ إليه حواضرٌ وبوادي

وتصاممتْ فئةُ الضلالةِ واعتدتْ
فأتى إلَيها كالأتيّ العادي[1]
واهتاجتِ الهيجا فأصبحتِ العدا
خبراً من الماضي وطيفَ رقادِ
لا تُسكتُ الأوغادَ إلّا وثبةٌ
ناريةٌ غضبى على الأوغادِ
ومن القتالِ دناءةٌ وحشيّة
حمقى ومنه عقيدةٌ ومبادي

* * *

خاضَ الرّسولُ إلى العلا هولَ الدُّجى
ولظى الهجيرِ اللّافحِ الوقّادِ
واقتادَ قافلةَ الفتوحِ إلى الفدى
والمكرماتُ دليلُها والحادي
وهفا إلى شرفِ الجهادِ وحولَهُ
قومٌ تفورُ صبابةَ استشهادِ
قومٌ إذا صرخَ العراكُ توثّبوا
نحو الوغى في أهبةِ استعدادِ
وتماسكوا جنباً لجنبٍ وارتموْا
كالموجِ في الإرغاءِ والإزبادِ
وتدافعوا مثلَ السيولِ تصبُّها
قممُ الجبالِ إلى بطونِ الوادي

---

(١) الأتيّ: السيل العنيف.

وإذا تساجلتِ السيوفُ رأيتَهم
خُرْساً والسنةُ السيوفِ تنادي

هم في السلامِ ملائكٌ ولدى الوغي
جِنٌّ تطيرُ على ظهورِ جيادِ

وهمُ الألى الشمُّ الذين تفتّحتْ
لجيوشِهم أبوابُ كلِّ بلادِ

أَلناشرونَ النورَ والتوحيدَ في
دنيا الضلالِ وعالمِ الإلحادِ

أَلطائرونَ على السيوفِ إلى العلا
والهابطونَ على القنا الميّادِ

* * *

بعثَ الرسولُ من التفرقِ وحدةً
ومن العِدا القاسي أرقَّ ودادِ

فتعاقدتْ قومُ الحروبِ على الصّفا
وتوحّدتْ في غايةٍ ومُرادِ

وتحركتْ فيها الأخوَّةُ مثلما
تتحركُ الأرواحُ في الأجسادِ

ومحا ختامُ المرسلين عن الورى
صلفَ الطّغاةِ وشرعةَ الأنكادِ

فهناك تيجانٌ تخرُّ وهٰهُنا
بينَ السكونِ مصارعُ استبدادِ

وهناك آلهةٌ تئنّ وتنطوي
في خزيها وتلوذُ بالعبّادِ

والـمـرسـلُ الأسـمـى يـوزِّعُ جـهـدَهُ
فـي الـحـقِ بـيـن هـدايـةٍ وجـهـادِ
حـتـى بـنـى لـلـحـقِ أرفـعَ مـلّـةٍ
تـرعـى حـقـوقَ الـجـمـعِ والأفـرادِ
وشـريـعـةٍ يـمـضـي بـهـا جـيـلٌ إلـى
جـيـلٍ وآزالٌ إلـى آبـادِ

* * *

يـا خـيـرَ مـنْ شـرعَ الـحـقـوقَ وخـيـرَ مـنْ
آوى الـيـتـيـمَ بـأشـفـقِ الإسـعـادِ
يـا مـنْ أتـى بـالـسـلـمِ والـحـسـنـى ومـنْ
حـقـنَ الـدّمـا فـي الـعـالـمِ الـجـلّادِ
أُهـدي إلـيـكَ ومـنـكَ فـكـرةَ شـاعـرٍ
درسَ الـرجـالَ فـهـامَ بـالأمـجـادِ

26/06/2011

حيث التقينا

هٰهُنا كانَ يناجينا الغرامُ
ويناجي المستهامَ المستهامُ

هٰهُنا رَفَّ بقلبيْنا الصّبا
وتبنّانا التصافي والوئامُ

عقدَ الحبُّ فؤاديْنا كما
يعقد الهدبَ إلى الهدبِ المنامُ

فتلاقيْنا بأحضانِ الصَّفا
والصّبا خمرٌ وثغرُ الحبِّ جامُ

وتجاذبنا أحاديثَ الهوى
وسهرنا ولياليْنا نيامُ

وتمنّيْنا الأغاني واللّقا
في شفاهِ الكأسِ لحنٌ ومُدامُ

والصباباتُ الظوامي حولنا
تشربُ اللحنَ فيهتاجُ الأُوامُ

هٰهُنا غنّى الهوى الطفلُ لنا
وطواهُ هٰهُنا عنّا الفِطامُ

وانقضى صفوُ التلاقي وذوتْ
في صِبا الحبِّ أمانيه الجِسامُ

وانتهى العهدُ كأنْ لمْ يبتدئ
أو تلاقى البدءُ فيهِ والختامُ

وانطفا فجرُ أمانينا ولمْ
ينطفِ الشوقُ ولمْ يَخْبُ الضرامُ

بدَتِ اللّقيا وولّتْ هٰهُنا
فعلينا وعلى اللّقيا السلامُ

ضمّنا هذا المُقامُ المشتهى
ثم أقصاني وأقصاكَ المُقامُ

فهنا يا أختُ ناغيْنا الهوى
وهنا ولّى وغطّاه القتامُ

واختفى الأنسُ وذكراه على
مسرحِ العمرِ شعاعٌ وظلامُ

ومن الحبِّ ابتهاجٌ وأسًى
ومن الذكرى دموعٌ وابتسامُ

كلُّنا يهوى الهنا لكنّنا
كلّما رُمنا الهنا غابَ المرامُ

هٰأنا حيثُ التقينا وعلى
خاطري من صورِ الأمسِ ازدحامُ

أسألُ الذكرى عن الحبِّ وهلْ
للهنا في شرعةِ الحبِّ دوامُ

هٰأنا في منزلِ اللّقيا وفي
جوّهِ من عهدِنا الفاني حطامُ

أسألُ الصمتَ على الجدرانِ هلْ
للهوى عهدٌ لديه أو ذمامُ

ويكادُ الصمتُ يروي حبَّنا
قصةً لو طاوعَ الصمتَ الكلامُ

❁ ❁ ❁

26/06/2011

أنا الغريب

غبتُ في الصمتِ والهمومِ الضَّواري
والأماني والذكرياتِ السَّواري
وتغلّفتُ بالوجومِ ووارتْ
ت همومي في صمتيَ المتواري
وخنقتُ اللحونَ في حَلْقِ مزما
ري وأغفى على فمي مزماري
وانطوتْ في فمي الأغاني وماتتْ
نغَمي في حناجر الأوتار
وتلاشى شعري ونامَ شعوري
نومَةَ اللَّيلِ فوقَ صمتِ القِفارِ
وتفانى فنّي ولم يبقَ إلّا
ذكرياتُ الصدى بشجو ادِّكارِ
وخيالُ النحيبِ في عوديَ البا
كي وطيفُ النّشيجِ في أسراري[1]
وكأني تحتَ الدياجيرِ قبرٌ
جائعٌ في جوانحِ الصَّمتِ عاري

---

(١) النشيج: الغصص بالبكاء من غير انتحاب.

وأنا وحديَ الغريبُ وأهلي
عنْ يميني وإخوتي عنْ يساري

وأنا في دمي أسيرٌ، وفي أر
ضي شريدٌ مقيَّدُ الأفكارِ

وجريحُ الإبا قتيلُ الأماني
وغريبٌ في أمّتي وديارِي

كلُّ شيء حولي عليَّ غضوبٌ
ناقمٌ من دمي على غيرِ ثارِ

ليالي السجن

نزلتْ ليالي السجنِ بين جوانحي
فحملتُ صدري للهمومِ ضريح
وجئَتْ على قلبي كأنّي صخرةٌ
لا تفهمُ التنويهَ والتلميح
فدفنتُ في خَفْقِ الجراحِ تألُّمي
حيّاً وألحدتُ الأنينَ صحيح
وحملتُ دائي في دمي وكأنني
في كلِّ جارحةٍ حملتُ جريح

❁ ❁ ❁

عندما ضمَّنا اللقاء

كيفَ أنسى منكِ الحوارَ البديعا
واللّقا الغضَّ والجمالَ الرفيعا

كيفَ أنسى ولا نسيتُ وعندي
ذكرياتٌ حَرَّى تُذيبُ الضلوعا

كيفَ أنسى ولستُ أنسى لقاءً
ضمَّ قلباً صبّاً وقلباً صديعا

ووصالاً كانتْ تفيضُ معانيـ
ـهِ علينا سكينةً وخُشوعا

عندما ضمنا اللّقا في ذراعيْـ
ـهِ نَسينا ما في الوجودِ جميعا

وصبونا وعانقَ الحبُّ حبّاً
مثلما عانقَ الصباحُ الربيعا

وامتزجنا والحبُّ يُضفي علينا
صبواتِ مَرحى وجَوّاً وديعا

وبنانُ الهوى تغازلُ قلبيْـ
ـنا كما غازلَ النّسيمُ الشّموعا

فأدرنا من الغرام حِواراً
عاطفيّاً يُصبي الهوى والولوعا

وعِـتـابـاً يـكـادُ مـن رقّـة الألـ
فـاظِ يـجـري عـلـى الـشـفـاهِ دمـوعـ

* * *

كـمْ تـسـاءلـتُ عـن لـقـانـا وكـمْ سـا
ءلـت عـن صـفـوهِ الـظـلامَ الـمـريـعـ
وذكـرتُ الـوصـالَ ذكـرى غـريـبٍ
يَـتَـشَـهَّـى أوطـانَـه والـرّبـوعـ

26/06/2014

وحدي هنا

وحدي هنا يا ليلُ وحدي ... ما بين آلامي وسُهدي
وحدي وأمواتُ المنى ... والذكرياتُ السودُ عندي
وكأنَّ أشباحَ الدُّجى ... حولي أماني مستبدّ
تطوي أحاسيسي وتنـ ... ـشُرُها وتُخفيها وتُبدي
والليّل يلهو بي كما ... يهوَى التجنّي والتعدّي
فكأنني في كفِّهِ ... عِرضُ الكريم بكفِّ وَغْدِ
يا ليلُ لي قلبٌ يحِنُّ ... إلى العُلا بأحرِّ وَجدِ
أهوى العلا ويردُّني ... عجزي وإنَّ العجزَ مُردي
لا اليأسُ يُسلينِي عن الـ ... ـعليا ولا الآمالُ تُجدي
بيني وبينَ مآربي ... أقصى النوى وأشقُّ بُعدِ
ما فاتَ مجدي إنما ... في ذمةِ الأيامِ مجدي
وغداً - وما أدنى غداً ... مني - سأُوفي المجدَ وعدي
والقُنَ التاريخَ آيا ... تي ويَروي الخُلْدَ خُلدي
وأشيدُ مني أمةً ... تُهدي إلى العَلْيا وتَهدي
إني على عهدِ العُلا ... فلتذكرِ العلياءُ عهدي

❁❁❁

الحب القتيل

يا حَيرتي أينَ حبّي أين ماضيهِ
وأينَ أينَ صِباهُ أو تصابيه

قتلتُ حبّي ولكنّي قتَلتُ به
قلبي ومزقتُ في صدري أمانيهِ

وكيفَ أحيا بلا حُبٍّ ولي نفَسٌ
في الصدرِ أنْشُره حيّاً وأطويهِ

قتلتُ حبي ولكن! كيفَ مقتلُه؟
بكيتُ حتى جرى في الدمعِ جاريهِ

أفرغتُ من حَدقِ الأجفانِ أكثرَهُ
دمعاً وألقيتُ في النسيانِ باقيهِ

ما كنتُ أدري بأني سوفَ أقتلُهُ
أو أنّني بالبكا الدامي سأُفنيهِ

وكمْ بكيتُ من الحبِّ العميقِ إلى
أنْ ذابَ دمعاً فصرتُ اليوم أبكيهِ

وكمْ شدوْتُ بواديهِ الوريفِ وكمْ
أفعمتُ كأسَ القوافي منْ معانيهِ

وكمْ أهابَ بأوتاري وألهمني
وكمْ شربْتُ الأغاني البيضَ منْ فيهِ

* * *

واليومَ واريتُ حبي والتفتُ إلى
ضريحِهِ أسألُ الذكرى وأنعيهِ[1]

قد حطّمَ اليأسُ مزمارَ الهوى بفمي
وقيّدَ الصمتُ في صوتي أغانيهِ

إنَّ الغرامَ الذي قد كنتُ أُنشِدُهُ
أغانيَ الروحِ قد أصبحتُ أرثيهِ

ويلي وويلي على الحبِّ القتيلِ ويا
لَهْفي على عهدِهِ الماضي وآتيهِ

ما ضرَّني لو حملتُ الحبَّ ملتهباً
يُميت قلبي كما يهوى ويحييهِ

❁ ❁ ❁

(١) لا يوجد في اللغة أنعيه، وإنما هو أنعاه، ويمكن أن يُقال: ودموعي الحمر ترويه.

كيف أنسى

قيلت على قبر حبيبة الطفولة عندما طاف به الشاعر.

هيهاتَ انْ أنسى هواكِ وكلّما
حاولتُ أنْ أنسى ذكرتُكِ مُغرَما

يا للشجونِ وكيف أنسى والأسى
يقتاتُ أوصالي وينتزفُ الدَّما

يا أخت روحي وابنةَ طفولتي
وبُكا شبابي - آهِ - ما ألقى وما

خلفتِني وحدي ألوكُ حُشاشتي
أسفاً وأفنى حُرقةً وتضرّما

وحدي مع الأملِ الذبيحِ تطوفُ بي
ذِكرٌ متيّمةٌ يُشقّقنَ متيّما

واليومَ إني حولَ قبرِكِ صامتٌ
أفتاتُ منْ جوعي وأستسقي الظما

وأقبّلُ القبرَ الحبيبَ ومُنيتي
لو أنّ لي في كلّ جارحةٍ فما

وأسائلُ الصمتَ الرّهيبَ كأنني
جوعانُ محتفرٌ يسائلُ مغنما

• • •

يا من أناديها ويخنُقُني البكا
ويكادُ صمتُ الدّمعِ أنْ يتكلما

فارقتُ في مثواكِ رِفْقَ أبُوّتي
وفقدتُ عطفَ الأمّ فيكِ مجسّما

يا قلبيَ الدامي وآه وأين مَنْ
فاضتْ عليَّ عواطفاً وترحُّما

غابتْ وغبتُ وكلّما فارقتُها
لاقيْتُها في الذكرياتِ توهُّما

مالي أناجيها وكيفَ وكلّما
ناجيْتُها ناجيْتُ قبراً أبكما

* * *

وافيْت قبرَكِ: والسكونُ يلفُّهُ
وسكينةُ الأجداثِ تُحيي المأتما

فسألتُ وارتجفَ السؤالُ متى اللقا
فعصى الجوابُ لسانَه وتلعثما

فذكرتُ أن الموتَ خاتمةُ اللّقا
فقتلتُ آمالي وليتَ وربما

وتألّمتْ روحي ووجداني إلى
أن كادتِ الآلامُ أنْ تتألّما

* * *

يا روْعَ قلبي كيفَ أنسى روضةً
حَضنتْ صِبا عمري فرفّ مُنَعّما

كـمْ دلّـلـتـني بـالـحـنـانِ ولـمْ تـكـنْ
أمـــي وقـــذ كـــانـــتْ أرقَّ وأرحـــمـــا

حتى عـمـيتُ فـكـادَ يُـعـمـيـهـا الـبـكـا
وحـنـانُـهـا الـبـاكـي يـشـاركُـنـي الـعـمـى

* * *

كـمْ صارعتْ عَنَتَ الخطوبِ وما مضت
مـــنْ ظـــالـــمٍ إلّا تـــلـــقّـــتْ أظـــلـــمـــا

ومـشـتْ عـلـى شـوكِ الـحـيـاةِ وهـولِـهـا
وكـــأنّـــهـــا كـــانـــتْ تـــدوسُ جـــهـــنّـــمـــا

فـرمـتْ إلـى حـضـنِ الـمـمـاتِ كـيـانَـهـا
وتـبـدّلـتْ بـالـكـدِّ عـيـشـاً أنـعـمـا

وتـبـرّمـتْ بـحـيـاتـهـا الـضـنـكـى ومَـن
بـــرمـــتْ بـــه مـــتـــعُ الـــحـــيـــاةِ تـــبـــرّمـــا

وحـيـيـتُ بـعـدَ مـمـاتِـهـا مَـيْـت الـهـنـا
حـــيّـــاً أمـــوتُ تـــأوُّهـــاً وتـــألـــمـــا

❁ ❁ ❁

26/06/2011

أين مني

أينَ مِنّي حنانُها أينَ منّي
مُلْتقاها لم يبقَ إلّا التمنّي

وشجونٌ تهفو بقلبي إليها
وظنونٌ تُقصي مرادي وتُدني

هي أدنى إليَّ من سرِّ قلبي
وهي في القربِ أبعدُ الناس عنّي

وهي في خاطري وأشكو نواها
وأقاسي ظلمَ الهوى والتجنّي

فاسمعي يا حبيبةَ الروحِ نجوى
خاطري وارقُصي على شجوِ لحني

إنني يا حبيبتي شاعر الـ
حبِّ وللحبِّ أغنياتي وفنّي

يَجرح الحبُّ أغنياتي فيصبيـ
ها ويُبكينيَ الهوى فأغنّي

حين يُضنينيَ الغرامُ أغنّيـ
ه وأسمى الغرامِ ما كانَ مُضني

ساجِليني يا ربةَ الحسن أشوا
قي وعاني معي الغرامَ المعنّي

إنـــني يـــا إلَـــهـــةَ الـــحـــســـنِ أهـــوا
كِ وإنَّ الـهـوى مـن الـحـسـنِ يُـغـنـي

إنـــني ظـامـــىءٌ إلـيـكِ وكـــمْ أظـمـا
وأظـمـــا وفـــيـــكِ خـمـــري ودَنِّـــي

في مـعـانـيـكِ سـكـرةُ الـحـبِّ والـفـنِّ
وفـيـهـا رقْـصُ الـخـيـال الـمـغـنّـي

وفـتـــونٌ حـيٌّ يـمـــوجُ عـلـــى أعـــ
طـافِ حَسْـنـا يـجِـلُّ عـنْ كـلِّ حُسْنِ

إنـــهـّـا كـــلُّ مـــا أريـــدُ مـــن الـــدنـــ
يـا ومـا يـشـتـهـي يـقـيـنـي وظـنّـي

26/06/2011

ميلاد الربيع

وُلد الربيعُ معطّرَ الأنوارِ
غَرِدَ الهوى ومجنَّحَ الأشعارِ
ومضتْ مواكبُه على الدنيا كما
تمضي يدُ الشادي على الأوتارِ
جذلانُ أحلى من محاورةِ المنى
وأحبُّ من نجوى الخيالِ السّاري
وألذُّ من سحرِ الصّبا وأرقُّ من
صمتِ الدموعِ ورعشةِ القيثارِ
هبط الرّبيعُ على الحياةِ كأنه
بعثٌ يُعيدُ طفولةَ الأعمارِ
فصبتْ بهِ الأرضُ الوقورُ وغرّدتْ
وتراقصتْ فتنُ الجمالِ العاري
وكأنّه في كلِّ وادٍ مَرْقَصٌ
مَرِحُ اللّحون مُعَربدُ المزمارِ
وبكلِّ سفحٍ عاشقٌ مترنّم
وبكلِّ رابيةٍ لسانُ قارِ
وبكلِّ منطعفٍ هديرُ حمامةٍ
وبكلّ حانيةٍ نشيدُ هَزارِ

وبكلِّ روضٍ شاعرٌ يذرو الغنا
فوقَ الرّبا وعرائسِ الأزهارِ

وكأنَّ أزهارَ الغصونِ عرائسٌ
بيضٌ مُعَنْدَمةُ الشفاهِ عَواري

وخرائدٌ زُهرُ الصِّبا يُسْفرنَ عنْ
ثَغْرٍ لؤالِيٍّ وخَدٍ ناري

من كل ساحرة الجمال تهزُّها
قُبَلُ الندى وبكا الغديرِ الجاري

وشفاه أنفاس النّسيم تدبُّ في
بسماتِها كالشّعرِ في الأفكارِ

فِتَنٌ وآياتٌ تشِعُّ وتنتشي
كالحورِ بين تبسّمٍ وحِوارِ

ناريَّةُ الألوانِ فردوسيّةٌ
ذهبيّةُ الآصالِ والأسحارِ

آذارُ يا فصلَ الصبابةِ والصِّبا
ومراقصَ الأحلامِ والأوطارِ

يا حانةَ اللّحنِ الفريدِ وملتقى
نجوى الطُّروبِ ولوعةِ المحتارِ

أجواؤكَ الفضّيّةُ الزّرقا جلتْ
صورَ الهنا وعواطفَ الأقدارِ

ومحا هواك هوا الشتا القاسي كما
يمحو المتابُ صحيفةَ الأوزارِ

في جوِّكَ الشعري نشيدٌ حالمٌ
وعباقرٌ شمُّ الخيالِ عذاري

* * *

ما أنتَ إلّا بسمةٌ قدسيّةٌ
رَيَّا الشفاهِ عميقةُ الأسرارِ

وبشائرٌ مخضلّةٌ وترنّمٌ
عبقٌ أنيقُ السحرِ والسَّحَّارِ

❁ ❁ ❁

هموم الشعر

لمنِ الهيامُ؟ لمنْ تذوبُ هُياما؟
ولمنْ تصوغُ من البكا أنغاما
ولمنْ تُسلْسِلُ منْ ضلوعِكَ نغمةً
حيْرى تناجي الليلَ والأحلاما
ونشائداً جَرحى اللحونِ كأنها
من رقةِ الشكوى قلوبُ يتامى
يا شاعرَ الآلام كمْ تذمَى وكمْ
تبكي وتحتملُ الهمومَ جِساما
خفّفْ عليكَ وعشْ بقلبكَ وحدَه
واسألْ نُهاكَ لِمَ البكا وعَلاما؟
واربأ بنفسِكَ فهي أسمى غايةً
منْ أنْ تذوبَ صبابةً وغراما
كمْ هِمْتَ بالآلامِ تشدو باسمها
وعلى الأنينِ تدلّلُ الآلاما
بلْواكَ يا ابْنَ الشعرِ فجرٌ شاعرٌ
يهدي إليكَ الوحيَ والإلهاما
وبكاكَ ترنيمُ الخلودِ إذا اشتكى
غنّى الحياةَ ورقّصَ الأياما

في قلبِكَ المهمومِ ألفُ خَميلةٍ
تلدُ الهمومَ أزاهراً وخُزامى

جلّت هُمومُ الشعر إنّ دموعَها
فنٌّ يُديرُ من الدموعِ مُداما

مالي صمت عن الرثاء

يقولونَ لي مالي صمتُّ عن الرِّثا
فقلتُ لهم إن العويلَ قبيحُ
وما الشعرُ إلّا للحياةِ وإنّني
شَعَرْتُ أغنّي ما شعَرتُ أنوحُ
وكيفَ أُنادي ميّتاً حالَ بينه
وبيني ترابٌ صامتٌ وضريحُ
وما النَّوحُ إلّا للثَّكالى ولمْ أكُنْ
كثكلى على صمتِ النُّعوشِ تصيحُ

❁ ❁ ❁

هو... وهي

لاقيتُها وهي تهواني وأهواها
فما أُحيْلى تلاقينا وأحلاها!

وما ألذَّ تَدانيها وأجملها
وما أخفَّ تصابيها وأصباها!

فهي الربيعُ المغنّي وهي بهجتُه
وهي الحياةُ ومعنى الحبِّ معناها

وإنّها في ابتساماتِ الصِّبا قُبَلٌ
سكرى تَفيضُ بأشهى السكرِ ريّاها

وفتنةٌ من شبابِ الحسنِ رقَّمها
فنُّ الصِّبا وحِوارُ الحبِّ غنَّاها

لاقيتُها وأغاريدُ الهوى بفمي
تشدو وتشدو وتستوحي محيّاها

غازلتُها فتغاضتْ لحظةً ودنتْ
وعَنونتْ بابتساماتِ الرِّضا فاها

❁ ❁ ❁

حيرة الساري

طال الطريق، وقل الزاد، وهَمَّ الركب بالرحيل، وأين؟ وكيف؟ كانت الليلة عاقراً لم تلد فجراً، وسياط المطر تضرب العابرين وأجنحة العفاريت تتشابك وتحوم، والطريق الوحل يتخبط بالمتعبين. ونادى الشيخ: قد أظلمت فقف، أعتم الوادي وضل الدليل! ونادى الشيخ:

صاحبي غامتْ حوالينا النواحي
أيَّ مَغدى تبتغي أيَّ مراحِ

قفْ بنا حتى يمرَّ السيلُ من
دربِنا المحفوفِ بالشَّرِّ الصّراحِ

أينَ تمضي؟ والقضا مرتقبٌ
ومُتاحٌ والرّجا غيرُ مُتاحِ

والدُّجى الأعمى يُغطّي دربَنا
برؤى الموتى وأشلاءِ الأضاحي

أينَ تمضي؟ وإلى أينَ بنا
جدَّتِ الظلما فدعْ حُمْقَ المزاحِ

أظلمَ الدربُ حوالينا فقِفْ
ريثما تبدو تباشيرُ الصباحِ

* * *

وهنا نادى على الدرب فَتًى
صوتُهُ بينَ اقترابٍ وانتزاحِ

يحملُ المصباحَ في قبضتِهِ
وينادي الركبَ منْ خلفِ الجِراحِ

فتلفَّتنا إليه فانطوى
صوتُه بين الروابي والبطاحِ

واحتوى الصمتُ النّدا واضطربتْ
حولَ مصباحِ الفتى هُوجُ الرِّياحِ

* * *

يا رفيقي هذه ليلتُنا
عاقرٌ سكرى بآثامِ السُّفاحِ

والعفاريتُ عليها موكبٌ
يرتمي في موكبٍ شاكي السلاحِ

والأعاصيرُ تدوّي في الرُّبا
وتُميتُ العطرَ في صدرِ الأقاحي

وغصونُ الروضِ عرّاها الهوا
ورمى عن جيدها كلَّ وشاحِ

والرّياضُ الجردُ لَهْفَى لمْ تجدْ
لطفَ أنسامٍ ولا نجوى صُداحِ

نامَ عنها الفجرُ والطيرُ فلا
همسُ مِنقارٍ ولا خَفْقُ جَناح

* * *

يا رفيقي في السُّرى هلْ للسُّرى
آخرٌ؟ هلْ لظلامِ الدربِ ماحي؟

تلكَ كأسُ العمرِ جفّتْ وهوتْ
وهوانا في شِفاهِ الكأسِ صاحي
هلْ وراءَ العمرِ عمرٌ شائِقٌ؟
هلْ وراءَ اليأسِ ظلٌّ منْ نجاحِ؟
أيُّ ركْبٍ منْ هنا يسري وما
بالُهُ يَسري إلى غيرِ فلاحِ
وطريقُ السَّفْرِ شوكٌ ودمٌ
يصرَعُ الهولُ به ساحاً بساحِ
تعِبَ الركبُ وكلَّ الدربُ مِن
ضجّةِ السَّفْرِ وضوضاءِ التلاحي
«حيْرةُ الساري» متى يُغفي؟ متى
يستريحُ الدربُ منْ ركبِ الكفاحِ؟

❁ ❁ ❁

مدرسة الحياة

ماذا يريدُ المرءُ ما يشفيهِ
يحسو رَوا الدنيا ولا يرويهِ[1]

ويسيرُ في نورِ الحياةِ وقلبُه
ينسابُ بين ضلالهِ والتّيهِ

والمرءُ لا تُشقيهِ إلّا نفسُهُ
حاشا الحياةَ بأنها تشقيهِ

ما أجهلَ الإنسانَ يُضني بعضَه
بعضاً ويشكو كلَّ ما يضنيهِ

ويظنُّ أن عدوَّه في غيرِهِ
وعدوّه يمسي ويضحي فيهِ

غرٌّ ويدمَى قلبُه من قلبهِ
ويقولُ: إنَّ غرامَه يدميهِ

غرٌّ وكمْ يسعى ليروي قلبَه
بهنا الحياةِ وسعيُه يُظميهِ

يرمي به الحزنُ المريرُ إلى الهنا
حتى يعودَ هناؤه يُرزيهِ

---

(١) الرواء كسماء: الماء الكثير المروي.

ولكمْ يسيءُ المرءَ ما قد سرَّه
قبلاً ويضحكُهُ الذي يبكيهِ
ما أبلغَ الدنيا وأبلغَ درسها
وأجلّها وأجلّ ما تُلقيهِ
ومن الحياةِ مدارسٌ وملاعبٌ
أيَّ الفنونِ يريدُ أن تحويهِ
بعضُ النفوسِ من الأنامِ بهائمٌ
لبستْ جلودَ النّاسِ للتمويهِ
كمْ آدميٍّ لا يُعدُّ من الورى
إلّا بشكلِ الجسمِ والتشبيهِ
يصبو فيحتسبُ الحياةَ صبيةً
وشعورهُ الطفلُ الذي يُصبيهِ

* * *

قمْ يا صريعَ الوهمِ واسألْ بالنّهى
ما قيمةُ الإنسانِ ما يُعليهِ
واسمعْ تحدِّثكَ الحياةُ فإنَّها
أستاذةُ التأديبِ والتّفقيهِ
وانصتْ فمدرسةُ الحياةِ بليغةٌ
تملي الدروسَ وجَلَّ ما تمليهِ
سلْها وإنْ صمتتْ فصمتُ جلالِها
أجلى من التصريحِ والتّنويهِ

❁ ❁ ❁

ليلة الذكريات

دعيني أنمْ لحظةً يا همومُ
فقدْ أوشكَ الفجرُ أنْ يطلُعا

وكادَ الصباحُ يشقُّ الدُّجى
ولمْ يأذنِ القلبُ أنْ أهجَعا

دعيني دعيني أنمْ غفوةً
عسى أجدُ الحُلُمَ المُمتعا

دعيني أطلَّ عليَّ الصباحُ
وما زلتُ في أرَقي مُوجعَا

وما زالَ يُتعبني مضجعي
ويُضني تقلّبيَ المضجَعا

لكِ اللّهُ يا ليلةَ الذكرياتِ
ولي، ما أمرَّ وما أفزَعا!

❁ ❁ ❁

سكرة الحب

كَمْ أغنّيكِ آهِ كَمْ أسفَحُ الروحَ في النّغمْ
وأناجيكِ والدُّجى بيننا تائهٌ أصمْ
والوجودُ الكبيرُ في سَكرةِ الصمتِ والظُّلَمْ
وأنادي كأنّني مُغدَمٌ يسألُ العَدَمْ

* * *

وأناجي يا ربّةَ الحسنِ والأشـ
ـواقُ حولي مدَلّهاتٌ صوادي
وخيالي يسمو بأجنحةِ الحُبِّ
بعيداً إلى وراءِ البِعادِ
ومعانيكِ نغمةٌ رددتْها
نغماتي على فمِ الآبادِ
وصلاةٌ تُفجّرُ الطهرَ في محـ
ـرابِ حبي والسحرَ في إنشادي
والهوى في فمي نشيدٌ نديٌّ
وصلاةٌ قدسيّةٌ في فؤادي
وأنا في هواكِ أمضي بجوعِ الـ
ـحبِّ والأغنياتُ مائي وزادي
فاستثيري شجونَ حبي وزيدي
في جنوني، وحُرْقتي واتّقادي

فجنونُ الغرامِ عقلٌ جديدٌ
طائرٌ في مسابحِ الوحي شادي

أنا أهواكِ للمعاني فزيدي
ني غراماً يُذيبُ قلبَ الجمادِ

* * *

وانعمي مُهجتي هوًى مُلهَباً ثائرَ الضَرَمْ[1]
واشعليني صبابةً واملأي خاطري حُمَمْ[2]
واجهَدي في تألّمي لذّةُ الحبِّ في الألمْ
عذّبيني وعذّبي فعذابُ الهوى حِكَمْ

* * *

أضرِمي لوعتي تفُهْ بالأغاني
والحِوار الأنيق زاهي البيانِ

فأجلُّ الغرامِ وجدٌ بلا وصـ
ـلٍ وشوقٌ تموتُ فيهِ الأماني

وصليني أو فاهجريني فحسبي
منكِ فنُّ الهوى وحُلْم التّداني

أنا حسبي من الهوى أن يُحِسّ الـ
ـقلبُ فيه قلباً من الحبِّ ثاني

إنما الحبُّ شرعةُ القلبِ والطبـ
ـعِ فزيدي صبابتي وافتناني

---

(١) فعمه وأنعمه: ملأه. واملأي تكتب أيضاً وأملئي.

(٢) واشعليني: وصل الهمزة للضرورة، والأصل: وأشعلي. والحمم بضم ففتح: الفحم.

وانتفاضُ الغرامِ في الرُّوحِ معنى الرُّ
وحِ معنى الحياةِ في الإنسانِ
ما أمرَّ الهوى وأحلى معانيـ
ـه وأسمى صبابةَ الفنانِ!
أنا لولاكِ ما انتزفتُ شبابي
نغماً خالداً خلودَ المعاني
لا ولا ذُبتُ في فمِ الحبِّ شدواً
قُدسيَّ الصَّدى نديَّ الحنانِ

* * *

ونشيداً متيَّماً مغرَمَ الصوتِ والصّدى
يحتسيهِ الهوى كما تحتسي الزَّهرةُ النّدى
كلّما استنطقَ الجوى صمْتَ أوتارِهِ شدا
وتندّى عواطفاً عاشقاتٍ وغرَّدا

* * *

وتغنّى كأنه بلبلُ الفجرِ يَبُثُّ
الصَّباحَ شكوى اللّيالي
فاسمعي لوعتي بأنفاسِ أوتا
ري فإني سكبتُ فيها انفعالي
واحتسي من كؤوسِ حبي لحوناً
وارقصي رقصةَ الصِّبا والدلالِ
واسكريني يا هالةَ الحبِّ بالحـ
ـبِّ وبالسحر من كؤوس الجمالِ[1]

---

(١) واسكريني: الأصل وأسكريني أيضاً.

سكرةُ القلبِ بالهوى سكرةُ الأز
هارِ بالعطرِ والندى والظلالِ

سكرةُ الحبِّ سكرةُ الفجرِ بالأنـ
وار سُكْرُ القلوب بالآمالِ

أنا من عشتُ في هواكِ أغنّيـ
كِ وأروي الغرامَ للأجيالِ

ومعاني هواكِ في ثغرِ لحني
بَسماتٌ بيضٌ كأزهى اللآلي

كالشّذا في فمِ الربيعِ المندَّى
كالمنى في خواطرِ الأطفالِ

❁ ❁ ❁

لا تسل عني

لا تسلْ عني ولا عنْ ألمي
فلقد جلَّ الأسى عن كلمي

وتعايا صوتيَ المجروحُ في
عنفوانِ الألمِ المضطرمِ

ضقتُ بالصمتِ وضاقَ الصمتُ بي
بعدَ ما ضاقتْ عروقي بدمي

فدعِ التَّسآل عما بي فقدْ
ألجمتْ هيمنةُ الصمتِ فمي

وتهاديْتُ كأنّي أملٌ
يرتمي فوقَ بساطِ العدمِ

ودمي يصرخُ في جسمي كما
تصرخُ الثكلى ببيتِ المأتمِ

وأراني آه مهزومَ المنى
وأنا أحنو على المنهزمِ

أرحَمُ المحرومَ إحساساً ولمْ
تدرِ كفي كيفَ شكلُ الدرهمِ

وأنا أحنو على العاني وبي
حسرةُ العاني وجوعُ المُعدَمِ

وأنا في عزلتي السودا وفي
قلبيَ الدامي قلوبُ الأممِ

وتآويهُ الحيارى تلتقي
في أحاسيسي وفي روحي الظمي

آه كم وقّعتُ آلامي على
عوديَ الباكي جريحَ النغَمِ

وعبرتُ العمرَ مخنوقَ الإبا
مُطْلَقَ الحِسّ حبيسَ القدَمِ

قلقَ اليقظةِ مذعورَ الكرى
ذاهلَ الفكرِ شريدَ الحُلُمِ

حائرَ الخطو كأني مذنبٌ
ميّتَ الغفران حيَّ النّدَم

وكأني قصّةٌ مبهمةٌ
في حنايا كبرياءِ الظّلَمِ

وهجيجٌ صامتٌ تكنُفه
لُجّةُ الآلامِ واللّيلُ العَمي

وعلى صدري توابيتُ الشقا
كالعفاريتِ الحيارى ترتمي

كلّما ساءلتُ نفسي من أنا
صمتتْ عني صموتَ الصنمِ

لا تسلْ عنّي فآلامُ الورى
بضلوعي كاللهيبِ النّهِمِ
وغِنا شعري بُكا عاطفتي
وتباكي جرحيَ المبتسِمِ

❁ ❁ ❁

تـائه

كان عملاقاً شاخ في فجر ميلاده، وكاد أن يحتضر في ربيع العمر، فتراه على بقية الأنفاس، يتراءى كالظل الحزين على صفحة الماء الراكد، نصف عمره حلم آت، ونصف ذكريات، يدور في محوره كطيف الأمس في أهداب الذكريات، فهو في متاهة الظنون حلم تقلبه أجفان الظُّلم.

تـائـهٌ كـالـجـنـونْ خـلـف مـا لا يـكـونْ
تـائـهٌ كـالـرّجـا فـي زوايـا الـسّـجـونْ
كـخـيـالِ الـلّـقـا حـول وهـمِ الـجـفـونْ
كـريـاحِ الـضـحـى فـي صـخـورِ الـحُـزونْ
كـأنـيـنِ الـشّـتـا فـوق صـمـتِ الـغـصـونْ
كـطـيـوفِ الـمـسـا فـي مـتـاهِ الـعـيـونْ
وحـده يـرتـمـي خـلـف طـيـفِ الـفـتـونْ
بـيـن خـفـقِ الـرؤى وضـجـيـجِ الـسـكـونْ
آه يـا قـلـبَـهُ حـرّقـتْـكَ الـشـجـونْ
جـفَّ خـمـرُ الـهـوى فـي كـؤوسِ الـلّـحـونْ
ظـامـئٌ يـرتـوي بـسـرابِ الـظّـنـونْ
مـالَـه هـانَ أو مـالَـه لا يـهـونْ
كـفـنـتْ صـوتَـهُ وصـداهُ الـسـنـونْ
واخـتـفـى ظـلُّـهُ فـي غـبـارِ الـقـرونْ
كـوعـود الـمـنـى فـي الـزّمـانِ الـخـؤونْ

❁ ❁ ❁

أخي يا شباب
الفدا في الجنوب

أَفِقْ وانطلقْ كالشعاعِ النّدي
وفجّرْ من اللّيلِ فجرَ الغدِ

وثِبْ يا بنَ أمي وثوبَ القضا
على كلِّ طاغٍ ومستعبدِ

وحطّمْ ألوهيَّةَ الظّالمـ
ـينَ وسيطرةَ الغاصب المفسدِ

وقلْ للمضلّينَ باسم الهدى
توارَوْا فقدْ آنَ أنْ نهتدي

وهيهاتَ هيهاتَ يبقى الشبابُ
جريحَ الإبا أو حبيسَ اليدِ

سيحيا الشبابُ ويُحيي الحمى
ويُفني عداةَ الغدِ الأسعدِ

ويبني بكفيْهِ عهداً جديداً
سنيّاً ومستقبلاً عسجدي

وعصراً من النورِ عدلَ اللوا
طهورَ المنى أنِفَ المقصدِ

* * *

فسرْ يا بنَ أمي إلى غايةٍ
سماويَّةِ العهدِ والمعهدِ

إلى غدِكَ المشتهى حيثُ لا
تروحُ الطغاةُ ولا تغتدي

فشُقَّ الدجى يا أخي واندفع
إلى ملتقى النورِ والسؤدُدِ

وغامرْ ولا تحذرنّ المماتَ
فيغري بك الحذَرُ المعتدي

ولاقِ الردى ساخراً بالردى
ومتْ في العلا موتَ مستشهدِ

فمنْ لمْ يمتْ في الجهادِ النبيلِ
يمتْ راغمَ الأنفِ في المرقدِ

وإنَّ الفنا في سبيلِ العلا
خلودٌ، شبابُ البقا سرمدي

وما الحُرُّ إلّا المضحي الذي
إذا آنَ يومُ الفدا يفتدي

وحسبُ الفتى شرفاً أنَّهُ
يُعادَى على المجدِ أو يعتدي

أخي يا شبابَ الفدا طال ما
خضعْنا لكيدِ الشقا الأسوَدِ

ومرّتْ علينا سياطُ العذابِ
مرورَ الذبابِ على الجلمدِ

فلنْ نخضعَ اليومَ للغاصبين
ولمْ نستكنْ للعنا الأنكدِ

سنمشي سنمشي برغمِ القيودِ
ورغمِ وعودِ الخداعِ الردي

فقدْ آنَ للجورِ أن ينتهي
وقد آنَ للعدلِ أن يبتدي

وعَدْنا الجنوبَ بيومِ الجلاءِ
ويومُ الفدا غايةُ الموعدِ

سنمشي على جثثِ الغاصبين
إلى غدِنا الخالدِ الأمجدِ

وننصبُّ كالموتِ من مشهدٍ
وننقضُّ كالأُسْدِ منْ مشهدِ

ونرمي بقافلةِ الغاصبين
إلى العالمِ الآخرِ الأبعدِ

فتمسي غباراً كأنْ لمْ تعشْ
بأرضِ الجنوبِ ولمْ توجدِ

أخي يا شبابَ الفدا في الجنوبِ
أفِقْ وانطلقْ كالشعاعِ الندي

❁ ❁ ❁

الربيع والشعر

في سنة ١٣٧٥هـ هبت الحادثة الثانية في وجه الإمام أحمد بتعز، وكان أمد الانقلاب خمسة أيام، انتهت بالنصر للإمام؛ وكان ولي العهد في الحديدة؛ فمد إليه الثوار أشراك الاصطياد؛ ولكن صقر اليمن تمرد على الصياد، وطار إلى حجة فحشد الجنود، وهيأ القواد لنجدة أبيه، ولكن الإمام أحمد كما هي عادته، أطفأ الثورة قبل مجيء النجدة.

وبعد حوالي شهر من الحادث، عاد ولي العهد إلى صنعاء، يحدوه النصر، وتزجيه الأبهة ويترنح في ركبه البِشْر، وكان وصوله إلى «صنعاء» فرحة شملت أرجاء القصر، فقد تلقاه المستقبلون في المطار بوجوه تقطر بشاشة، وقلوب تكاد تطل من العيون فرحاً.

ومن زحمة هذه الأفراح، وتصادم هذه الأرواح البشرية، وأنفاس الربيع الضاحك المتضوع في الربوات والأوهاد، استولد الشاعر هذا النشيد:

وافاكَ مجتمعُ البلادِ فرنَّما
وصبا إليكَ مسَبِّحاً ومُتيّما

وتدافعتْ (صنعا) إليكَ كأنَّها
حسناءُ مغرمةٌ تغازلُ مغرما

وهفتْ إليكَ كأنّها مسحورةٌ
ملتاعةُ الأعصابِ ملهبَةُ الدّما

ورأتْ وليَّ العهدِ فازدانتْ بهِ
فكأنّها قَبسٌ يَسيلُ تضرّما

وترقّصتْ رَبواتها الفَرْحى كما
رقصتْ على الأفلاكِ أقمارُ السّما

لقيتْ وليَّ العهدِ دنياها كما
لقي العِطاشُ الجدولَ المترنّما

وصبتْ نواحيها وجُنَّ جنونُها
فرحاً وكادَ الصمتُ أنْ يتكلما

وتجاذبتكَ هضابُها وسهولُها
شغفاً كما جذبَ الفقيرُ الدّرهما

نظرتْ بنورِ البدرِ فجرَ حياتِها
ورأتْ به الأملَ الحبيبَ مجسّما

بدرٌ مطالعهُ القلوبُ ونورهُ
يُوحي إلى الأوطانِ أنْ تتقدّما

فكأنّهُ فجرٌ يَفيضُ أشعةً
جذَلاً وفردوسٌ يفيضُ تبسّما

وكأنّهُ وهَجُ إلّهيُّ السّنا
ومنابرٌ تمحو دياجيرَ العمى!

وكأنّهُ بفمِ الرّبيعِ نشيدةٌ
خضراءُ نقّشها الصباحُ ونمنما

وروى فمُ التاريخِ سحرَ جمالِها
فِكَراً مجنّحةً ووحياً مُحكَما
وكأنّه قلبٌ يذوبُ تأوّهاً
للبائسينَ ويستفيضُ ترحّما
فإذا رأى متألماً شاهدتَه
متوجّعاً ممّا بهِ متألما
حتى تراهُ لكلِّ عينٍ ماسحاً
عبراتِها ولكلِّ جرحٍ بلسما
وأحقُّ أبناءِ البسيطةِ بالعلا
من شاركَ العاني وآسى المعدَما
وأذلُّ أهلِ الأرضِ قلباً مَنْ رأى
عبثَ الظلومِ وذلَّ عنهُ وأحجما
وإذا تسامى الظلمُ طأطأَ رأسَهُ
متهيّباً وكفاهُ أنْ يتظلّما
أمحمدٌ منْ أنتَ؟ أنتَ عدالةٌ
وصَبابةٌ حرَّى بأحشاءِ الحمى
وعواطفٌ تندَى وإنسانيةٌ
عَضما توشّحتِ السموَّ الأعصما
ولدتْكَ آفاقُ المعالي والعلا
شُعَلاً كما تلدُ السماءُ الأنجما
غنّاكَ شعري والربيعُ وصفوهُ
أهدى إليكَ زهورَهُ والعندَما

حيّاكَ ميلادُ الربيعِ بطيبِهِ
وشَدتْكَ أشعاري نشيداً ملهَما

فاسْلَمْ تُقَبِّلْكَ القلوبُ وترتوِ
منْ فيضِ بهجتِكَ الأماني والظّما

فجران

١٢ ربيع أول سنة ١٣٧٨هـ.

مِنْ ساحةِ الأصنامِ والأوثانِ
مِنْ مسرحِ الطاغوتِ والطُّغيانِ

مِن غابةِ الوحشيةِ الرّعنا ومِنْ
دنيا القتالِ وموطنِ الأضغانِ

مِنْ عالَمِ الشرِّ المسلّحِ حيثُ لا
حكمٌ لغيرِ مهنّدٍ وسِنَانِ

بزغتْ تباشيرُ السعادةِ والهدى
بيضاً كطُهرِ الحبِّ في الوجدانِ

وأهلَّ مِنْ أفقِ الغيوبِ على الدُّنا
فجرانِ فجرُ هدىً وفجرُ حنانِ

يا فرحةَ العَلْيا أهلَّ محمّدٌ
وعليهِ سيما المجدِ كالعنوانِ

وأطلَّ مِنْ مهدِ البراءةِ والسما
والأرضُ في كفَّيْهِ تعتنقانِ

* * *

ماذا ترى الصحرا؟ أنوراً سائلاً
أمْ أنّه حُلمٌ على الأجفانِ

فتحتْ نواظِرَها فضجَّ سكونُها
مالي أرى ما لا ترى عينان

وتلفّتتْ ربَواتُ مكةَ في السّنا
حيرى تُكابدُ صمتَها وتعاني

وتكادُ لولا الصّمتُ تسألُ جوَّها
ماذا ترى ومتى التقى فجرانِ؟

وتيقَّظَ الغافي يرى مالا ترى
في الوهمِ روحُ الملهَمِ الفنّانِ

نزلَ البسيطةَ بالسلامِ محمّدٌ
كالنّصرِ عندَ مخافةِ الخِذلانِ

يا صرعةَ الطاغوتِ أشرقَ بالهدى
رجُلُ الهدايةِ والرسولُ الباني

فإذا الجزيرةُ فرحةٌ وصبابةٌ
والجوُّ عرسٌ والحياةُ أغاني

وإذا العداوةُ وحدةٌ وأخوَّةٌ
والبغضُ حبٌّ والنفورُ تَداني

هتَفتْ شفاهُ البعثِ فانتفضَ الثرى
وتدافعَ الموتى من الأكفانِ

زخَرتْ وضجّتْ بالحياةِ قبورُها
واهتاجتِ الأرواحُ في الأبدانِ

وتلاقتِ الدنيا يهنّئُ بعضُها
بعضاً فكلُّ الكائناتِ تهاني

* * *

وُلِدَ الرسولُ مَنِ الرسولُ ومنْ رأى
طفلاً له عَلْيا الخلودِ مغاني

يسعى إلى العَليا وتسعى نحوه
فكأنَّ بينَهما هوًى وأماني

مَنْ ذلكَ الطفلُ الذي عصمَ الدِّما
وحمى الضعيفَ من القويِّ الجاني

وتناجتِ الأكبادُ حولَ جلالِهِ
بالحبِّ نجوى الحورِ والوِلْدانِ

* * *

مَنْ ذلكَ الطفلُ الفقيرُ يَشِعُّ منْ
عينيهِ تاريخٌ وسِفرُ مَعاني

ما شأنُ هذا الطفلِ ما آمالُه؟
فوقَ المنى والشأنِ والسلطانِ

هذا اليتيمُ وسوفَ يغدو وحدَه
رجلَ الخلودِ وواحدَ الأزمانِ

وتحقّقَ الأملُ الجميلُ وأينعتْ
روحُ النبوَّةِ في أجلِّ كِيانِ

حملَ الرسالةَ وحدَه ومضى على
حدِّ السيوفِ وألسنِ النيرانِ

عبرَ المهالكَ والسلامُ سلاحُهُ
يدعو إلى الحسنى، إلى الإحسانِ

وإلى الأمانةِ والبراءةِ والتُّقى
ومحبةِ الإنسانِ للإنسانِ

وإلى التآخي والتصافي والوفا
والبرِّ والعيشِ الظليلِ الهاني

فتجاوبتْ حولَيْه أحقادُ العدا
وتفجّرتْ في الدربِ كالبركانِ

فمشى على نارِ الحُقودِ كأنّهُ
يمشي على الأزهارِ والغُدْرانِ

وعِدا الحقيقةِ حولَهُ تجتاحُهم
همجيّةٌ دمويّةُ الألوان

وغوايةٌ تُصبي الغويَّ كأنّها
شيطانةٌ توحي إلى شيطانِ

ومحمدٌ يُلقي الأشعةَ هٰهُنا
وهنا ويفتَحُ مقلةَ الوسنانِ

فطغتْ أعاديهِ عليهِ فردَّهم
بالآيتينِ: الصبرِ والإيمانِ

واقتادَ معركةَ الفدا متفانياً
إن الجهادَ عقيدةٌ وتفاني

والحقُّ لا تحْميهِ إلّا قوةٌ
غضْبى كألسنةِ اللهيبِ القاني

والأرضُ أمُّ الناسِ ميدانُ الوغى
والعاجزونَ فريسةُ الميدانِ

والمجدُ حظُّ مدرَّبٍ ومسلّحٍ
والموتُ حظُّ الأعزلِ المتواني

رفعَ الرسولُ لِوا النبوةِ بالهدى
وحمى الهدى بالرمحِ والفرسانِ

وغزا البلادَ سهولَها ووعورَها
بالقوَّتينِ: السيفِ والقرآنِ

وتراهُ إنْ لمسَتْ يداهُ بقعةً
نشأتْ على الإصلاحِ منهُ يدانِ

وإذا أتتْ قدماهُ أرضاً أطلعتْ
خُطواتُهُ فجراً بكلِّ مكانِ

إنَّ الزعامةَ قوةٌ وعدالةٌ
وشجاعةٌ سمحا وقلبٌ حاني

* * *

يا خيرَ منْ حملَ الرسالةَ والتُّقى
في عزمِ روحٍ في أرقِّ جَنانِ

ذكراكَ آياتُ الزمانِ كأنَّها
أنشودةُ العليا بكلِّ زمانِ

* * *

أمحمّدُ خُذْ بنتَ فنّي إنَّها
أختُ الزهورِ بريئةُ الألحانِ

وعليكَ ألفُ تحيّةٍ منْ شاعرٍ
في كلِّ عضوٍ منهُ قلبٌ عاني

❁ ❁ ❁

في
طريق الفجر

إلى قارئي

٢٢ ـ ٢ ـ ١٣٨٣هـ ١٤ ـ ٧ ـ ١٩٦٣م

مِن القبرِ منْ حشرجاتِ الترابْ
على الجمرِ من مهرجانِ الذُّبابْ

ومِنْ حيثُ كانَ يدقُّ القطيعُ
طبولَ الصَّلاةِ أمامَ الذئابْ

ويهوي كما يرتمي في الصّخورِ
قتيلٌ على كتفيْهِ... مُصابْ

ومنْ حيثُ كانتْ كؤوسُ الجراحِ
تزغردُ بينَ شفاهِ الجِرابْ

ومنْ حيثُ يحسو حنينُ الربى
غبارَ المنى ونجيعَ السّرابْ

ومنْ حيثُ يتلو السّؤالُ السؤالَ
ويبتلعُ الذعرُ وَهْمَ الجوابْ

عزفتُ اصفرارَ الرَّمادِ العجوزِ
ليحمرَّ فيهِ طفورُ الشَّبابْ

وحرَّقتُ أنفاسيَ المطفئاتِ
وأطفأتُها بالحريقِ المُذابْ

أَتَشتَمُّ يا قارئي في غِنائي
دُخانَ المغنّي وشَهْقَ الرَّبابْ؟
وتسمعُ فيهِ أنينَ الضَّياعِ
تبعثرُهُ عاصفاتُ الضبابْ
فَإنَّ حروفي اختلاجُ السهولِ
وشوقُ السواقي، وخفْقُ الهِضابْ
وشوقُ الرحيقِ بصدرِ الكرومِ
إلى الكأسِ والثلجِ في كلِّ بابْ
وخوفُ المودّعِ غيبَ النوى
وسهدَ المنى في انتظارِ الإيابْ
أنا منْ غزلتُ انتحارَ الحياةِ
هنا شفقاً منْ زفيرِ العذابْ
ولحّنتُهُ سَحَراً يَختَسي
رؤَى الفجرِ بينَ ذراعَيْ كِتابْ
وتنبُضُ فيهِ عروقُ السكونِ
ويمتدُّ في ثلجهِ الإلتهابْ
ويتّقدُ الشوقُ في مقلتيْهِ
ويظمأُ في شفتيْهِ العتابْ

❁ ❁ ❁

في طريقِ الفجر

٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢هـ

أسفرَ الفجرُ فانهضي يا صديقَهْ
نقتطفْ سحرَهُ ونحضنْ بريقَهْ

كمْ حننّا إليهِ وهوَ شجونٌ
في حنايا الظلامِ حيْرى غريقَهْ

وتباشيرُهُ خيالاتُ كأسٍ
في شفاهِ الرُّؤَى، ونجوى عميقَهْ

وظمئنا إليهِ وهو حنينٌ
ظامىءٌ يُرْعِشُ الخفوقُ شهيقَهْ

واشتياقٌ يقتاتُ أنفاسَهُ الحمـ
ـرَ ويحسو جراحَهُ.. وحريقَهْ

وذهولٌ كأنَّهُ فيلسوفٌ
غابَ في صمتِهِ يناجي الحقيقَهْ

وطيوفٌ كأنَّها ذكرياتٌ
تتهادى من العهودِ السّحيقَهْ

واحتضنّا أطيافَهُ في مآقينا
كما يحضنُ العشيقُ العشيقَهْ

وهـو حـبٌّ يـجـولُ فـي خـاطـريْـنـا
جـولـةَ الـفـكـرِ فـي الـمـعـانـي الـدّقـيـقَـهْ

والـتـقـيـنـا نُـريـقُ دمـعَ الـمـآقـي
فـأبـتْ كـبـريـاؤنـا أنْ نُـريـقَـهْ

واحـتـرقْـنـا شـوقـاً إلـيـهِ وذُبْـنـا
فـي كـؤوسِ الـهـوى لـحـونـاً رقـيـقَـهْ

وانـتـظـرْنـاهُ والـدّجـى يـرعـشُ الـحـلـمَ
عـلـى هـجـعـةِ الـقـبـورِ الـعـتـيـقَـهْ

والـسُّـرى وحـشـةٌ وقـافـلـةُ الـسـرِّ
فُـر يـخـافُ الـرفـيـقُ فـيـهـا رفـيـقَـهْ

وظـلامٌ لا يـنـظـرُ الـمـرءُ كـفَّـيْـهِ
ولا يُـسـعِـدُ الـشـقـيـقُ شـقـيـقَـهْ

هـكـذا كـانَ لـيـلُـنـا فـتـهـادى
فـجـرُنـا الـطّـلـقُ فـالـحـيـاةُ طـلـيـقَـهْ

* * *

فانظري: «يا صديقتي» رقصةَ الفجرِ
عـلـى خُـضـرةِ الـحـقـولِ الـوريـقَـهْ

مـهـرجـانَ الـشـروقِ يـشـدو ويـنـدى
قُـبُـلاتٍ عـلـى شـفـاهِ الـحـديـقَـهْ

فـانـهـضـي نَـلـثُـمِ الـشـروقَ الـمـغـنّـي
ونـقـبِّـلْ كـؤوسَـه ورحـيـقَـهْ

واخـطـري يـا صـديـقـتـي فـي طـريـقِ الـ الـ
ـفـجـرِ كـالـفـجـرِ، كـالـعـروسِ الأنـيـقَـهْ

واذكري أننا نعشنا صباهُ
وحدَوْنا، على خطاهُ الرشيقة

وسكبْنا في مهدِه دفء قلبَيْـ
ـنا وأحلامَنا العذارى المشوقة

نحن صُغنا أضواءهُ مِنْ هَوانا
وفَرشْنا بالأغنياتِ طريقة

وشَدَوْنا في دربِهِ كالعصافـ
ـيرِ.. وشدْوُ الغرامِ فيضُ السليقة

لنْ نُطيقَ السكوتَ فالصمتُ للمَيْـ
ـتِ وتأبى حياتُنا أنْ نطيقة

* * *

نحنُ منْ نحنُ؟ نحنُ تاريخُ فكرٍ
وبلادٌ في المُكْرماتِ عريقة

سبقتْ وهمَها إلى كلِّ مجدٍ
وانتهتْ منهُ قبلَ بدءِ الخليقة

فابسمي: عادَ فجرُنا وهو يتلو
للعصافيرِ مِنْ دِمانا وثيقة

❁ ❁ ❁

صراع الأشباح

عقد النوم أهداب الشاعر فطافت به الرؤيا في لا مطاف، وسار في غير درب وصارع في لا صراع، وأفاق الشاعر: يروي قصة الأشباح المتقاتلة في لا قتال. فهل تصدق الأحلام؟

وحدي ومقبرةٌ جواري ... والوهمُ والأشباحُ داري
والأفقُ يشرَقُ بالدّجى ... ويلوكُ حشرجةَ الدراري[1]
والريحُ تزحفُ كالجنائز ... في حُشودٍ مِنْ غبارِ
والنّجمُ مُحمَرُّ الشُّعا ... عِ كأنّهُ أحلامُ ثارِ
وكأنَّ عينيه تشهّي ... جارةٍ وحنينُ جارِ
وأنا أتيهُ... كنجمةٍ ... حيْرى، تُفَتِّشُ عنْ مدارِ
وكأنّني طيفُ «الفرزدقِ» ... يجتدي ذكرى «نوارِ»
وأرودُ منزلَ غادةٍ ... كالصَّيفِ عاطرةِ المَزارِ
وكأنّني أمشي على حُرَقي ... وأشلاءِ اصطباري
ودنوتُ منها فانتشَتْ ... شفتايَ، واخضرَّ افترارِي
ورنَتْ إليَّ فتمتمتْ ... ودنتْ، وغابتْ: في التّواري
وأردتُ عُذْراً فانطوى ... في خاطري الخجلِ اعتذاري
وهمستُ: أينَ فمي؟ ... وناري في دمي تقتاتُ ناري
ورجعتُ أحملُ في الحشا ... حُرَقاً... كحيّاتِ القفارِ
وأحاورُ الحسناءَ في صمتي ... فَيُذنيها حواري

---

(١) يشرق: يختنق.

فأظنُّها حولي رحيقاً ... في كؤوسٍ من نُضارِ
تبدو وتخفَى كالطيوفِ ... وتستقرُّ بلا قرارِ
وتكادُ تَقْلَعُ ثوبَها ... حيناً وترمي بالخِمارِ
وأكادُ أحضنُ ظلَّها ... جسداً من الرَّغباتِ عاري
وطفقتُ أزرعُ من رمالِ ... الوهمِ كرْماً في الصحاري
فدوَتْ حيالي ضجّةٌ ... غضْبى كدمدَمةِ انفجارِ
وسعتْ إليَّ غابةٌ ... تومي بأشداقِ الضواري
وعصابةٌ بَرّاقَةُ الألوانِ ... داميةُ الشّفارِ
تمشي فيحترقُ الحصا ... والريحُ تقذفُ بالشَّرارِ
وأحاطَها وَمضُ البروقِ ... فسجّلتْ أخزى اندحار

* * *

واللّيلُ يبتلع السَّنى ... والخوفُ يرتجلُ الطّواري
فتُصارعُ الأشباحُ أشباحاً ... على شرِّ انتصارِ
وهُنا استجرتُ بساحرٍ ... بادي التُّقى نتنِ الإزارِ
يهذي ويقتَادُ النزيلَ ... إلى لصيقاتِ العثارِ
ويبيعُ ساعاتِ الفجورِ ... لكلِّ بائعةٍ وشاري
لصٌّ يتاجرُ بالخنا ... ويزينُهُ كَذِبُ الوقارِ
ويكادُ يَنْفُرُ بعضُهُ ... من بعضِهِ أشقى نِفارِ
ويثُورُ إنْ ناواتَهُ ... في الإثمِ كالنَّمرِ المُثارِ
وبلا انتظارٍ كشَّرتْ ... في وجهِهِ (ذاتُ السّوار)
فاهتاجَ وابتدرَ العصا ... ودوت كعاصفةِ الدَّمار
فانقضَّ كالثورِ الذَّبيحِ ... يخورُ، يَخْنَقُ بالخوارِ
ورمتْ به للموتِ يكْـ ... ـنسُهُ إلى دارِ البوارِ

وتهافتَ الجيرانُ فاتَّـ ـقَدَ الشّجارُ على الشّجارِ
فشَرَدْتُ عنهُ كطائرٍ ظمآنَ طارَ مِنَ الإسارِ
والرّيحُ تَبْصقُني وتَرو وي للشّياطينِ احتقاري

* * *

وكأنَّ أنهاراً تناديني وتنضبُ في المجاري
فأعبُّ منْ عفنِ الرُّؤَى وحَلاً ووهماً منْ عُقارِ
وأفرُّ منْ نفسي إلى نفسي وأهْرُبُ منْ فِراري
أهْوي على ظلّي كما يَهوي الجدارُ على الجدارِ
وأسائلُ الأحلامَ عنْ دنيا ترقُّ على انكساري

* * *

لا تَسْكُتي: لم أنتحر إنّي أقلُّ من انتحاري
أنا منْ بحثتُ عن الرَّدى في كلِّ رابيةٍ وغارِ
ونَسيتُ مأتمَ زوجتي وأبي وحشرجةَ احتضاري

* * *

هل خَلْفَ آفاقِ المنى دنيا أجلُّ من انتظاري؟!
خضراءُ طاهرةُ الجَنَى والرّي، دانيةُ الثّمارِ
ومواسمٌ تَنْدى وتُولِمُ للـ غرابِ، ولِلهزَارِ
للقُبَّراتِ وللصّقورِ وللعصافيرِ الصّغارِ
إنّي كبرْتُ عن الهوى والزَّيفِ والحبِّ التِّجاري
وبصقْتُ دنيا جيفةٍ تؤذي وتُغري بالشِّعارِ
وتَصوغُ منْ قذرِ الخطا يا السّودِ راياتِ الفخارِ
ومَلَلْتُ تيهاً ميّتَ الـ ألوانِ مَكْسُورَ الإطارِ
وسئمتُ أشباحاً أُدا ريها، وأشتمُ مَنْ أُداري
ولعنتُ وجهي المستعا رَ وكلَّ وجهٍ مُستعارِ

وهفَتْ إليَّ نسيمةٌ جَذْلى كآمالِ العذاري
كَتَبَسُّمِ الأفْراحِ في مُقلِ الصَّبيّاتِ الغرارِ

* * *

وتَثاءَبَ الفجرُ الجريحُ كمنْ يفيقُ من الخُمارِ[1]
وانشقَّ أفقُ الغيبِ عنْ عهدِ المروءاتِ الكبارِ
وكأنّ دنيا أشرقت كالحُورِ منْ خلفِ السّتارِ
تلقي المحبّةَ عن يميني والبراءَةَ عن يساري
وسَرَتْ حكاياتُ المديـ ـنةِ كالخيالاتِ السّواري
ووجدتُني أنهارُ وحْدي واسْتَفَقْتُ على انهياري
ونهضتُ والدّنيا كما كانتْ تُفاخر بالصغارِ
وتهاوتِ الدّنيا التي خلَقَ افتناني وابتكاري
فوددتُ لو ألْقى كِذَابَ الليل صِدْقاً في النهارِ

عتابٌ ووعيد

١ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠هـ.

وجهت هذه القصيدة إلى الطاغية أحمد في تصور شعري.

لماذا ليَ الجوعُ والقصفُ لك؟
يناشدني الجوعُ أنْ أسألَكْ
وأغرسُ حقلي فتجنيهِ أنـ
ـتَ، وتُسكرُ منْ عَرقي مِنجلكْ
لماذا؟ وفي قبضتيْكَ الكنوزُ
تَمُدُّ إلى لقمتي أنْمُلَكْ
وتقتاتُ جوعي وتُدْعى النَزيهَ
وهلْ أصبحَ اللصُّ يوماً مَلَكْ؟
لماذا تسُودُ على شقوتي؟
أجبْ عنْ سؤالي وإنْ أخجلَكْ
ولو لمْ تُجب فسكوتُ الجوا
بِ ضجيجٌ يردِّد: ما أنذلكْ!
لماذا تدوسُ حشايَ الجريحَ
وفيهِ الحنانُ الذي دلّلكْ
ودمعي، ودمعي سقاكَ الرحيقَ
أتذكُر: يا نذلُ: كمْ أثملَكْ؟!

فما كان أجهلني بالمصيرِ
وأنتَ لكَ الويلُ ما أجهلكْ!

غداً سوفَ تعرفُني منْ أنا
ويسلبُكَ النُّبْلَ منْ نَبَّلكْ

* * *

ففي أضلعي، في دمي غضبةٌ
إذا عصفتْ أطفأتْ مشعلَكْ

غداً سوفَ تلعنُكَ الذكرياتُ
ويلعنُ ماضيكَ مستقبلَكْ

ويرتدُّ آخِرُكَ المستكينُ
بآثامهِ يَزدري أوَّلكْ

ويستفسرُ الإثمُ: أينَ الأثيمُ؟
وكيفَ انتهى؟ أيَّ دَرْبٍ سلكْ؟

* * *

غداً لا تقلْ تُبْتُ: لا تعتذرْ
تحسَّرْ وكَفِّنْ هُنا مأملكْ

ولا «لا تَقُلْ» أينَ منّي غدٌ؟
فلا لمْ تسمِّرْ يداكَ الفلكْ

غداً لنْ أصفِّق لركبِ الظلامِ
سأهتفُ: يا فجرُ: ما أجمَلَكْ!

❁ ❁ ❁

الجناح المحطم

خطرةٌ وانبرى النذيرُ وصاحا
أَلحريقُ الحريقُ يطوي الجناحا

وتعالى صوتُ النذيرِ وألوى
أملُ العمرِ وَجْهَهُ وأشاحا

ودنا منْ هنا الحريقُ وأومأ
بارقُ الموتِ منْ هناكَ ولاحا

ورَنا السَّفْر[1] حوله ليس يدري
هل يرى الجِدَّ أمْ يحسُّ المزاحا؟

تارةً يرقبُ الخلاصَ وأخرى
يرقبُ اليأسَ والهلاكَ المتاحا

وتعايا حيناً يقلِّبُ كفَّيْـ
ـهِ وحيناً يشدُّ بالرّاحِ راحا

وإذا النارُ تحتوي ماردَ الجوِّ
ويجتاحُه الحريقُ اجتياحا

خطوةٌ في الرحيل واختصرَ الموتُ
مسافاتِه الطوالَ الفساحا

(١) السفر بفتح السين: المسافرون.

وأطاحَ الجناحُ بالرّكبِ في الجوّ
وأودى الجناحُ فيه وطاحا

مَنْ رآهُ يخرُّ في الهُوَّةِ الحيْرى
ويستنجدُ الرُّبَى والبطاحا؟

مَنْ رآهُ على الصخورِ رفاتاً
وشظايا تعطي الرَّمادَ الرّياحا؟

مَنْ رأى الصَّقرَ حينَ مدَّ إلى النّا
رِ جناحاً وللفِرارِ جناحا؟

وهوى الطائرُ الكسيرُ ودوّى
موكبُ الرُّعبِ مِلْؤهُ وتلاحى

وارتمى يطرحُ الجناحَ المدمّى
مثلما يطرحُ القتيلُ السِّلاحا

* * *

وانطوى الركبُ في السكونِ وأطفتْ
هجعةُ الرملِ عَزْمَه والطِّماحا

وانتهى عمرُهُ وهلْ كانَ إلّا
في مدى النفسِ غدوةً أو رَوَاحا

خلعَ العُمرَ فاطمأنَّ وأغفى
واستراحتْ جراحُه واستراحا

ماتَ، والشعبُ بينَ جنبيْهِ قلبٌ
خافقٌ يُطعمُ الحنينَ الجراحا

ويضمُّ البلادَ خلفَ الحنايا
أمنياتٍ وذكرياتٍ مِلاحا

لـمْ يـكـذْ شـعـبُـه يـذوقُ هـنـاءَ
مـنـهُ حـتـى بـكـى وأبـكـى وناحـا

* * *

أيـهـا الـرَّكـبُ! يـا شـهـيـدَ الـمـعـالـي!
هـل رأيـتَ الـحـيـاةَ شـرّاً صُـراحـا!

أمْ فـقـدتَ الـنّـجـاحَ فـي الـعـمـرِ حـتـى
رُحـتَ تـبـغـي عـنـدَ الـمـمـاتِ الـنّـجـاحـا

عـنـدمـا قـبَّـلَ الـثـرى مـنـكَ جُـرحـاً
أورقَ الـتـربُ مـنْ دمـاهُ وفـاحـا

هـكـذا الـمـجـدُ تـضـحـيـاتٌ، وغـبـنٌ
عـمـرُ مـنْ لـمْ يَـخـضْ إلـى الـمـجـدِ ساحـا

إنـمـا الـمـوتُ والـحـيـاةُ كـفـاحٌ
يـكـسِـبُ الـنـصـرَ مَـنْ أجـادَ الـكـفـاحـا

لا اسـتـراحَ الـجـبـانُ لا نـامَ جـفـنـاه
ولا أدركـتْ خـطـاهُ الـفـلاحـا

إنـمـا الـمـوتُ مَـرَّةٌ والـدَّمُ الـمـهـدورُ
يَـبـقـى عـلـى الـزَّمـانِ وشـاحـا

كـمْ جـبـانٍ خـافَ الـرَّدى فـأتـاهُ
وتـخـطَّـى سـتـارَهُ واسـتـبـاحـا

ونـفـوسٍ شـحَّـتْ عـلـى الـمـوتِ لـكـنْ
أيُّ مـوتٍ صـانَ الـنـفـوسَ الـشـحـاحـا؟

كمْ مليكٍ يأوي إلى القصرِ ليلاً
ثم يأوي إلى الترابِ صباحاً

* * *

شرعةُ المجدِ أن تصارعَ في المجـ
ـدِ، وتستلَّ للصُّفاحِ صفاحاً

أيها الركبُ! نمْ هنيئاً ودغنا
نعتسفْ بعدكَ الخطوبَ الجِماحا

وداعاً يا فتيةَ اليمنِ الخضـ
ـرا وداعاً بحُرقةِ الصدرِ باحا

❁ ❁ ❁

لا تسألي

٢٢ رجب سنة ١٣٧٩هـ كانت ليلة من ليالي الخريف، والظلام ممتد في كل جهة... كأنه مقبرة معلقة في الهواء، وكان يعبر الطريق كالمقيد في الوحل، وما رفيقاه إلاّ ظله وأخته، فلم تسأله وأجاب: وسألها فأجابت... وكان التساؤل والجواب زاد الرحيل.. وهكذا أجاب. وهكذا سأل.

لا تسألي يا أختُ أينَ مجالي؟
أنا في الترابِ وفي السّماءِ خيالي
لا تسأليني أينَ أغلالي سلي
صمتي وإطراقي عنِ الأغلالِ؟
أشواقُ روحي في السماءِ وإنما
قدمايَ في الأصفادِ والأوحالِ
وتوهُّمي في كلِّ أفقٍ سابحٌ
وأنا هنا في الصَّمتِ كالتمثال
أشكو جراحاتي إلى ظلّي كما
يشكو الحزينُ إلى الخليِّ السّالي
واللّيلُ من حولي يضجُّ وينطوي
في صمتِهِ كالظالمِ المتعالي
يسري وفي طفراتِهِ ووقارِهِ
كسَلُ الشيوخِ وخفّةُ الأطفالِ

وتـخـالُـهُ يـنـسـاقُ وهـو مـقـيّـدٌ
فـتُـحِـسُّـهُ فـي الـدّرب كـالـزلـزالِ

وأنـا هـنـا أصـغـي وأسـمـعُ مـن هـنـا
خـفـقـاتِ أشـبـاحٍ مـن الأهـوالِ

ورُؤَى كـألـسـنـةِ الأفـاعـي حـوَّمـاً
ومـخـاوفـاً كـعـداوةِ الأنـذالِ

وأُحِـسُّ قُـدَّامـي ضـجـيـجَ مـراقـدٍ
وتـثـاؤُبَ الآبـادِ والآزالِ

وتـنـهُّـداً قـلـقـاً كـأنَّ وراءهَ
صـخَـبَ الـحـيـاةِ وضـجّـةَ الأجـيـالِ

والـطَّـيـفُ يـصـغـي لـلـفـراغِ كـأنَّـه
لـصٌّ يُـصـيـخُ إلـى الـمـكـانِ الـخـالـي

وكـأنَّـه «الأعـشـى» يـنـاجـي «ميّـةً»
ويـلـمـلـمُ الـذكـرى مـن الأطـلالِ

والـشُّـهْـبُ أغـنـيـةٌ يـرقـرقُـهـا الـدُّجـى
فـي أفـقـهِ كـالـجـدولِ الـسَّـلـسـالِ

والـوهـمُ يـحـدو الـذكـريـاتِ كـمـدلـجٍ
يـحـدو الـقـوافـلَ فـي بـسـاطِ رمـالِ

والـرُّعـبُ يـهـوي مـثـلـمـا تـهـوي عـلـى
سـاحِ الـقـتـالِ جـمـاجـمُ الأبـطـالِ

* * *

وهـنـا تـرقـبـتُ انـهـيـاري مـثـلـمـا
يـتـرقـبُ الـهـدمَ الـجـدارُ الـبـالـي

وسألتُ جرحي هلْ ينامُ ضجيجُهُ؟
وأمَرُّ من ردِّ الجوابِ سؤالي!

وأشدُّ مما خِفتُ منهُ تخوُّفي
وأشقُّ من وعرِ الطريقِ كلالي!

وأخسُّ من ضعفي غروري بالمنى
واليأسُ يضحكُ كالعجوزِ حيالي!

وأمضُّ من يأسي شعوري أنّني
حيُّ الشّهيّةِ، ميِّتُ الآمالِ

أسري كقافلةِ الظّنونِ وأجتدي
شبحَ الظّلامِ وأهتدي بضلالي

وأسيرُ في الدّربِ الملفّحِ بالدّجى
وكأنّني أجتازُ ساحَ قِتالِ

وأتيهُ والحمّى تولولُ في دمي
وترتّلُ الرّعشاتِ في أوصالي

* * *

لا تسأليني عنْ مجالي: في الثرى
جَسَدي وروحي في الفضاء العالي

وسألتُها: ما الأرضُ؟ قالتْ إنّها
فلواتُ أوحاشٍ وروضُ صِلالِ[1]

إنْ كنتَ محتالاً قطفتَ ثمارها
أولا: فإنّكَ فرصةُ المحتالِ

(١) الصِّلال: الحيّات

وأنا هنا أشقى وأجهلُ شقوتي
وأبيعُ في سوقِ الفجورِ جِمالي

* * *

والعُمر مشكلةٌ ونحنُ نزيدُها
بالحلِّ إشكالاً إلى إشكالِ

لا حُرَّ في الدنيا فذو السلطانِ في
دنياهُ عبدُ المجدِ والأشغالِ

والكادحُ المحرومُ عبدُ حنينِهِ
فيها: وربُّ المالِ عبدُ المالِ

والفارغُ المكسالُ عبدُ فراغِهِ
والسَّفْر عبدُ الحلِّ والتّرحالِ

واللّصُّ عبدُ اللّيلِ والدَّجالُ في
دنياهُ عبدُ نفاقِهِ الدَّجالِ

لا حُرَّ في الدنيا ولا حريّةٌ
إنَّ التّحررَ خدعةُ الأقوالِ

أَلنّاسُ في الدُّنيا عبيدُ حياتِهم
أبداً عبيدُ الموتِ والآجالِ

* * *

وسألتُها ما الموت؟ قالتْ: إنَّهُ
شطُّ الخضمِّ الهائجِ الصَّوّالِ

وسكونُهُ الحاني مصيرُ مصائرِ
وهدوؤُهُ دعةٌ وعمقُ جَلالِ

مـالـي أحـاذرُهُ وأخـشـى قـولَـهُ
وأنـا أجـرُّ وراءَهُ أذيـالـي؟!

أنـسـاقُ فـي عـمـري إلـيـهِ مـثـلـمـا
تـنـسـاقُ أيّـامـي إلـى الآصـالِ

* * *

وسألتُها: فرنتْ وقالتْ: لا تسلْ
دَعني عنِ المفضولِ والمِفضالِ!
أُسْكتْ! فليسَ الموتُ سوقاً عندَهُ
عمرٌ بلا ثمنٍ، وعمرٌ غالي!!

۞ ۞ ۞

عذابٌ ولحن

٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٨١هـ.

لِمَنْ أُرعِشُ الوترَ المجهَدا
وأشدو وليسَ لشدوي مدى؟

وأُنهي الغناءَ الجميلَ البديعَ
لكي أبدأَ الأحسنَ الأجودا

وأستنشدُ الصَّمتَ وحدي هنا
وأخيلتي تعبرُ السّرمدا

فأسترجعُ الأمسَ منْ قبرِهِ
وأهْوَى غداً قبلَ أنْ يولدا

وأستنبتُ الرَّملَ بالأمنياتِ
زهوراً، وأستنطقُ الجلمدا

وحيناً أنادي وما منْ مجيبٍ
وحيناً أجيبُ وما منْ نِدا

وأبكي ولكنْ بكاءَ الطيورِ
فيدعونني الشّاعرَ المنشدا

* * *

لمنْ أعزفُ الدَّمعَ لحناً رقيقاً
كسحرِ الصِّبا كابتسامِ الهدى؟

لعينيْكِ نغّمتُ قيثارتي
وأنطقتُها النَّغَمَ الأخلدا

أغنّيكِ وحدي وظلُّ القنوطِ
أمامي وخلفي كطيفِ الرَّدى

وأشدو بذكراكِ لمْ تسألي
لمنْ ذلك الشّدوُ أو منْ شدا؟

كأنْ لمْ نكنْ نلتقي والهوى
يدلّلُ تاريخَنا الأمردا

وحبّي يغنّيكِ أضبى اللحونِ
فيحمرُّ في وجنتيْكِ الصَّدى

ونمشي كطفليْنِ لمْ نكترثْ
بما أصلحَ الدهرُ أوْ أفسدا

ونزهو كأنّا ملكنا الوجودَ
وكانَ لنا قبلَ أنْ يوجدا

وملعبُنا جدولٌ منْ عبيرٍ
إذا مسَّهُ خَطْوُنا... غرَّدا

وأفراحُنا كشِفاهِ الزّهورِ
تهامِسُها قبلاتُ النّدى

أكادُ أضمُّ عهودَ اللّقاءِ
وألثُمُها مَشهَداً مَشهدَا

وأجترُّ ميلادَ تاريخِنا
وأَمْتَشِقُ المهْدَ والمولدَا

وأذكرُ كيفَ التقينا هناكَ
وكيفَ سبقنا هنا الموعدا؟

وكيفَ افترقنا على رغمِنا؟
وضِعنا: وضاعَ هوانا سُدَى

تحَطَّمْنا الكؤوسَ ولمْ نرتوِ
وَعُدتُ أمُدُّ إليها اليَدَا

وأخدعُ بالوهمِ جوعَ الحنينِ
كما يخدعُ الحُلُمُ الهُجَّدا

أجِنُّ فأقتاتُ ذكرى اللِّقا
لعلّي بذكراهُ أنْ أسْعَدا

وأقتطفُ الصَّفوَ منْ وهمِهِ
كما يقطفُ الواهمُ الفرقدا

أتدرينَ أينَ غَرَسْنَا المُنى؟
وكيفَ ذوَتْ قبلَ أنْ نحصدا؟

تذكرتُ فاحترتُ في الذكريا
تِ وحيّرتُ أطيافَها الشرَّدا

إذا قلتُ: كيفَ انتهى حبُّنا؟
أجابَ السؤالُ: وكيفَ ابتدا؟

فأطرقتُ أحسو بقايا البكا
ءِ وقدْ أوشكَ الدَّمعُ أنْ ينفدا

وأبكي مواسمَكِ العاطرا
تِ وأيامَها الغضَّةَ الخُرَّدا[1]

---

(١) الخرّد: الأبكار. م. خريدة.

ومَـنْ فـاتَـهُ الـرَّغـدُ فـي يـومِـهِ
مـضـى يـنـدبُ الـمـاضـيَ الأرغـدا

* * *

أصـيـخـي إلـى قـصَّـتـي إنّـنـي
أقـصُّ هـنـا الـجـانـبَ الأنـكـدا

أمَـضُّ الأسـى أن تـجـورَ الـخـطـوبُ
وأشـكـو فـلا أجـدُ الـمُـسـعِـدا

وأشـقـى ويـشـقَـى بـيَ الـحـاسـدونَ
ومـا نـلـتُ مـا يـخـلـقُ الـحُـسّـدا

عَـلامَ يـعـادونـنـي! لـمْ أجـدْ
سـوى مـا يَـسـرُّ ألـدَّ الـعـدا!

حـيـاتـي عـذابٌ ولـحـنٌ حـزيـنٌ
فـهـلْ لـعـذابـي ولـحـنـي مـدى؟

۞ ۞ ۞

قصة من الماضي

شوال سنة ١٣٧٩هـ.

أقصها في هذه الرسالة الشعرية على شقيقي النائي، لعله يذكر ماضينا البعيد إن ألهاه عنه حاضره السعيد. فأنصت إليّ يا شقيقي أعد إليك قطعاً غالية من عمرينا في هذه الرسالة. ما أسخفنا حين نظن الماضي تلاشى وراءنا كالغبار، والذكريات تنشره أمامنا كائناً حياً، فنعيش فيه ولسنا فيه، وما أثقل محن الماضي حين كانت بالأمس محناً نكابدها. وما أجملها اليوم حين أصبحت ذكرى تطل علينا من أجفان الأطياف الآتية من بعيد، فاقرأ فصلاً من ماضيك في هذه القصيدة.

خذْها فديْتُكَ يا شقيقي ذكرى أرقَّ من الرَّحيقِ
وألذَّ من نجوى الهوى بينَ العشيقةِ والعشيقِ
خُذها أرقَّ من السّنى في خضرةِ الروضِ الوريقِ
واذكرْ تهادِينا على كوخِ الطفولةِ والطريقِ
وأنا وأنتَ كموثقَيْنِ نحنُّ في القيدِ الوثيقِ
نمشي كحيْرةِ زورقٍ في غضبةِ اللُّجِّ العميقِ
ونساجلُ الغربانَ في الـ وديانِ أصواتَ النعيقِ
وإذا ذكرتَ لي الطّعامَ أكلتُ أنفاسي وريقي

* * *

أيّامَ كُنّا نسرقُ الرُّمانَ في الوادي السحيقِ
ونعودُ منْ خلفِ الطريقِ وليلُنا أحنى رفيقِ!
ونخافُ وسوسةَ الرِّياح وخطرةَ الطَّيفِ الرشيقِ
حتّى نوافي بيتَنا... والأهلُ في أشقى مضيقِ

فيصيحُ عمّي والشراسةُ في محيّاهُ الصّفيقِ
وهناكَ جَدَّتُنا تناغينا مناغاةَ الشفيقِ
تَهَوى الحياةَ وعمرُها أوهى من الخيطِ الدّقيقِ
وأبي وأمّي حولَنا بينَ التنهُّدِ والشهيقِ
يتشاكيانِ من الطَّوى شكوى الغريقِ إلى الغريقِ
شكواهما صمتٌ كما يشكو الذُّبالُ من الحريقِ
ويحدِّقانِ إلى السكونِ ورعشةِ الكوخِ العتيقِ
واللَّيلُ ينصتُ للضفادعِ وهي تهذي بالنقيقِ
والشهبُ تلمعُ كالكؤوسِ على شفاهٍ منْ عقيقِ

* * *

وجوارُنا قومٌ لهم إشراقةُ العيشِ الطليقِ
منْ كلّ غِرٍّ لم يَمِزْ بين الأغاني والنّهيقِ
وتَظُنُّه رجلاً وخلفَ ثيابه وحشٌ حقيقي
وتراهُ يزعمُ شخصَهُ منْ جوهرِ المسكِ الفتيقِ
يتحادثونَ عن النُّقودِ حديثَ تجَّارِ الرقيقِ
يتخيّرونَ ملابساً تصبي وتغري بالبريقِ
حتى تراهم صورةً للزورِ والجهلِ الأنيقِ
ونماذجاً برّاقةً لأناقةِ الخزي العريقِ

* * *

يمشونَ في نسجِ الحريرِ فهمْ رجالٌ منْ حريرِ
وكأنّهم منْ خلقِ نسّاجٍ وخيّاطٍ قديرِ
لولا خداعُ ثيابِهم كسدوا بأسواقِ الحميرِ
فقراءُ منْ خُلقِ الرجالِ ويسخرونَ من الفقيرِ
ويسائلونَ مع الرجالِ عن المشاكلِ والمصيرِ

ومصيرُهم بيتُ البغِيِّ ... وبيتُ خمّارٍ شهيرِ
وهناكَ بنتٌ غضَّةٌ ... أحلى من الوردِ المطيرِ
ترنو وفي نظراتِها ... لغةُ الدَّعارةِ والفجورِ
وحديثُها كالجدولِ ... السّلسالِ فضيّ الخريرِ
حسناءُ تطرحُ حسنَها ... للمترفينَ، وللأجيرِ
فجمالُها مثلُ الطبيعة ... للنّبيلِ... وللحقيرِ
في مشيِها رقصُ الحسانِ ... وخفَّة الطفلِ الغريرِ
ويكادُ يعشقُ بعضُها ... بعضاً من الحسنِ المثيرِ
أودى أبوها وهو في ... إشراقةِ العمرِ القصيرِ
كان امرءاً يجدُ الضعيفُ ... يمينَه أقوى نصيرِ
يحنو وينثرُ... مالَهُ ... للطفلِ والشيخِ الكبيرِ
يرعى الجميع فكلُّه ... قلبٌ سماويُّ الضميرِ
جادتْ يداهُ بما لديهِ ... وجادَ بالنَّفسِ الأخيرِ
فذوتْ صبيَّتُه الجميلةُ ... كالزنابقِ في الهجيرِ
وبكتْ إلى أختي كما ... يبكي الأسيرُ إلى الأسيرِ
ومشتْ على شوكِ المآسي ... الحمرِ واليُتمِ المريرِ
ومضتْ تدوسُ الشوكَ ... والرَّمْضا على القلبِ الكسيرِ
والحزنُ في قسماتِها ... كالشكِّ في قلبِ الغيورِ
تعرَى فتكسوها الطبيعةُ ... حُلّةَ الحُسْنِ النظيرِ
صبغتْ ملامحَها الطبيعةُ ... منْ سنا البدرِ المنيرِ
من وَقدةِ الصيفِ البهيجِ ... وهدأةِ اللّيلِ الضّريرِ
من خفقةِ الشَّجرِ الصَّبو ... رِ على رياحِ الزمهريرِ
ومن الأشعّةِ والشذى ... وصراحةِ الماءِ النميرِ
فتعانقتْ فيها المباهجُ ... كالأشعّة... والعبيرِ

فجمالُها قُبَلُ الحنينِ وصدرُها أحنى سريرِ!

* * *

قُلْ لي. أتذكرُ يا أخي مَنْ تلكَ جارتُنا الشهيَّهْ؟
هي فوقَ فلسفةِ الترابِ وغلظةِ الأرضِ الدنيَّهْ
رحِمتْ مجانينَ الغوايَةِ فهي مشفقةٌ غويَّهْ
بنتُ الطبيعةِ فهي ظلُّ الحبِّ والدنيا الشذيَّهْ
كانتْ ربيعَ الأمنياتِ وأغنياتِ الشاعريَّهْ
فانصتْ إليَّ فلمْ تزلْ منْ قصّةِ الماضي بقيَّهْ
جاءتْ بها الذكرى، وما الذكرى؟ خلودُ الآدميَّهْ
حدِّقْ تَرَ ماضيكَ فيها فهيَ صورتُهُ الجليَّهْ
أوّاه! ما أشقى ذكيَّ القلبِ في الأرضِ الغبيَّهْ!

* * *

ما كانَ أذكى «مُرشداً» وأبرَّ طلعتَهُ الزَّكيَّهْ!
كانَ ابتساماتِ الحزينِ وفرحةَ النفسِ الشجيَّهْ
عيناهُ منْ شُعَلِ الرشادِ وكلّهُ منْ عبقريَّهْ
إنْ لمْ يكنْ في الأنبياءِ فروحُهُ المثلى نَبيَّهْ
قتلتْهُ في الوادي اللصوصُ فغابَ كالشمسِ البهيَّهْ
كانَ ابنُ عمي يَزْدَرِيهِ فلا يضيق من الزَّريَّهْ
ومَن ابنُ عمّي؟ جاهلٌ فظٌّ كليْلِ الجاهليَّهْ
يرنو إلينا.. مثلما يرنو العقورُ إلى الضحيَّهْ
تعرى، ويسبحُ في النقود وفي الثيابِ القيصريَّهْ
ونذوبُ من حُرقِ الظماءِ وعندَهُ الكأسُ الرَّويَّهْ
والكأسُ تبسمُ في يديهِ كابتساماتِ الصبيَّهْ
والكرْمُ في بستانِهِ يلدُ العناقيدَ الجنيَّهْ

حتّى تزوّجَ أربعاً أشقتْهُ واحدةٌ شقيَّهْ
فكأنَّ ثروتَهُ دخانٌ ضاعَ في غسقِ العشيَّهْ
فهوى إلينا والتقينا كالأسارى في البليَّهْ

* * *

وأتى الخريفُ وكفُّهُ تومي بأشداقِ المنيَّهْ
وتوقَّعَ المحيُّ الفَنَا فتغيّرَتْ صُوَرُ القضيَّهْ
وتحرَّكَ الفلكُ الدَّؤوبُ فأقبلتْ دنيا رخيَّهْ
وتضوَّعَ الوادي بأنسامِ الفراديسِ النّديَّهْ
قلْ لي: شقيقي هلْ ذكرَ تَ عهودَ ماضينا القصيَّهْ
خُذْها فديتُك قصَّةً دفّاقةَ النّجوى سخيَّهْ
وإلى التلاقي يا أخي في قصَّةٍ أخرى طريَّهْ
والآنَ أختتمُ الكتاب بَ ختامُهُ أزكى تحيَّهْ!

أخوك: عبد الله البردّوني

نحن والحاكمون

شوال ١٣٨١هـ

انشأتُ هذه القصيدة قبل ميلاد الثورة ٢٦ سبتمبر بعام.

أخي، صَخوُنا كلُّهُ ماتمُ
وإغفاؤنا ألمٌ أبكمُ

فهلْ تلدُ النورَ أحلامُنا
كما يَلِدُ الزهرةَ البرعمُ؟

وهلْ تُنبتُ الكَرمَ وديانُنا
ويخضرُّ في كرمِنا الموسمُ؟

وهلْ يلتقي الريُّ والظّامئو
نَ، ويعتنقُ الكأسُ والمبسمُ؟

لنا موعدٌ نحنُ نسعى إليهِ
ويعتاقُنا جرحُنا المؤلمُ

فنمشي على دمِنا والطريقُ
يضيُّعنا والدّجى معتمُ

فمنّا على كلِّ شبرٍ نجيعٌ
تُقبِّلُهُ الشّمسُ والأنجمُ

* * *

سلِ الدَّربَ كيفَ التقتْ حولنا
ذئابٌ من النّاسِ لا ترحمُ

وتهنا وحكامُنا في المتاهِ
سباعٌ على خطونا حُوَّم

يَعيشونَ فينا كجيشِ المغُولِ
وأدنى إذا لوَّح المغنمُ

فهم يقتنون ألوفَ الألوفِ
ويُعطيهمُ الرشوةَ المعدمُ

ويبنون دوراً بأنقاضِ ما
أبادُوا من الشعبِ أو هدَّموا

أقاموا قصوراً مداميكُها
لحومُ الجماهيرِ والأعظمُ

قصوراً من الظلمِ جدرانُها
جراحاتُنا ابيضَّ فيها الدَّمُ

* * *

أخي إنْ أضاءتْ قصورُ الأميرِ
فقلْ: تلكَ أكبادُنا تُضرمُ

وسلْ: كيفَ لِنّا لعنفِ الطغاةِ
فعاثوا هنا وهنا أجرموا؟

فلا نحنُ نقوى على كفِّهم
ولا همْ كرامٌ فمنْ ألومُ؟

إذا نحنُ كُنّا كرامَ القلوبِ
فمنْ شرفِ الحكمِ أن يكرُموا

وإنْ ظلمونا ازدراءً بنا
فأدنى الدَّناءاتِ أنْ يَظلِموا

وإنْ أدمنوا دمَنَا فالوحوشُ
تعبُّ النَّجيعَ ولا تسأمُ

وإنْ فخروا بانتصارِ اللئامِ
فخذلانُنا شرفٌ مُزغمُ

وسائلُنا فوقَ غاياتِهم
وأسمى، وغاياتُنا أعظمُ

فنحنُ نعِفُّ وهُمْ إنْ رأوا
لأدناسِهم فرصةً أقدموا

وإنْ صَعَدوا سلَّماً للعروشِ
فأخزى المخازي هو السُّلَّمُ

* * *

وما حكمُهم؟ جاهليُّ الهوى
تُقَهْقِهُ من سخفِهِ الأيِّمُ

وأسطورةٌ من ليالي «جديس»
رواها إلى تغلبٍ «جُرهم»

وسطعَمُهُمْ رشوةٌ والذُّبابُ
أكولٌ إذا خَبُثَ المطعمُ

رأوا هدأةَ الشعبِ فاستذأبوا
على ساحةِ البغي واستضغموا[1]

وكلُّ جبانٍ شجاعُ الفؤاد
عليكَ، إذا أنتَ مستسلمُ

(١) استضغموا: تشبهوا بالضياغم وهي الأسود.

وإذعانُنا جرّأَ المفسدينَ
عليْنا وأغراهمُ المأثمُ

* * *

أخي نحنُ شعبٌ أفاقتْ مناهُ
وأفكارُهُ في الكَرى تحلُمُ

ودولتُنا كلُّ ما عندها
يدٌ تجتني وحَشاً يهضمُ

وغيدٌ بغايا لبسْنَ النُّضارَ
كما يشتهي الجيدُ والمعصمُ

وسيفٌ أثيمٌ يحزُّ الرؤوسَ
وقيدٌ ومُعتَقَلٌ مظلمُ

وطغيانُها يلتوي في الخداعِ
كما يلتوي في الدُّجى الأرقمُ

وكمْ تدَّعي عفّةً والوجودُ
بأصنافِ خِسَّتِها مُفعمُ!

وآثامُها لمْ تسَعْها اللُّغاتُ
ولمْ يَحْوِ تصويرَها مُلهمُ

أنا لمْ أقلْ كلَّ أوزارِها
تنزَّه قولي وعفَّ الفَمُ

تراها تَصُولُ على ضَعفِنا
وفوقَ مآتِمِنا تَبْسمُ

وتُشعِرُنا بهديرِ الطّبولِ
على أنّها لمْ تزلْ تحكمُ

وتظلمُ شعباً على علمِهِ
ويُغضِبها أنّه يعلمُ

وهل تختفي عنهُ وهي التي
بأكبادِ أمّتِهِ تُولِمُ؟

وأشرفُ أشرافِها سارقٌ
وأفضلُهم قاتلٌ مجرم

* * *

عبيدُ الهوى يحكمونَ البلادَ
ويحكمُهم كلّهم دِرهَمُ

وتقتادُهم شهوةٌ لا تنامُ
وهم في جهالتِهم نُوَّمُ

ففي كلِّ ناحيةٍ ظالمٌ
غبيٌّ يسلِّطُهُ أظلمُ

أيا منْ شبعتم على جوعِنا
وجوعِ بنينا. ألم تُتْخَموا؟

ألمْ تفهموا غضْبةَ الكادحينَ
على الظّلمِ؟ لا بدَّ أنْ تفهموا؟

۞ ۞ ۞

كلنا في انتظارِ ميلادِ فجر

شعبان سنة ١٣٧٨هـ.

كنا تحت سماء البادية عندما أدركنا الليل، وما يزال الطريق طويلاً فزحفنا على الجراح فوق الصخور، وسبحنا بين الرمل والظلام حتى أطل الفجر من شرفة الشرق، فاعشوشب الدرب بالأضواء فإذا هو زهور ونور، والهواء أنداء وزجاجات عطر.

هكذا كان سرانا إلى الفجر. وهكذا كان يتحدث الرفاق. وهكذا كان يتردد النداء.

يا رفاقَ السُّرى إلى أينَ نسري
وإلى أينَ نحنُ نجري ونجري؟

دربُنا غائمٌ يغَطِّيهِ ليلٌ
فكأنّا نسيرُ في جوفِ قبرِ

دربُنا وحشةٌ وشوكٌ ووحلٌ
وسباعٌ حيرى، وحيّاتُ قفرِ

ومتاهٌ تحيِّر الصَّمتُ فيهِ
حيْرةَ الشكِّ في ظنونِ «المعرّي»

والرُّؤى تنبري كظمآنَ تهوي
حولَ أشواقِهِ خيالاتُ نهرِ

والدُّجى حولنا كمشنقةِ العمرِ
كوادي الشقا: كخيماتِ شرٍّ

راقدٌ في الطريقِ يتسِدُ الصمـ
ـتَ، ويومي بألفِ نابٍ، وظُفْرِ
ذابلٌ والنجومُ في قبضتيْهِ
ذابلاتٌ كالغيدِ في كفِّ أسْرِ

* * *

يا رفاقَ السُّرى إلى كمْ نوالي
خطوَنا في الدُّجى إلى لا مقرِ؟
أقلقَ اللّيلَ والسُّكونَ خطانا
وخضبْنا بجرحِنا كلَّ صخرِ
وغرسْنا هذا الطريقَ جراحاً
واجتنيْنا الثمارَ حبّاتِ جمرِ
فإلى كمْ نسيرُ فوق دِمانا؟
أين أين القرارُ هلْ نحنُ ندري؟
كلُّنا في السُّرى حيارى ولكنْ
كلُّنا في انتظارِ ميلادِ فجرِ
كلّنا في انتظارِ فجرِ حبيبٍ
وانتظارُ الحبيبِ يُصبي ويُغري
يا رفاقي لنا مع الفجرِ وَعْدٌ
ليت شعري متى يفي؟ ليتَ شعري!

* * *

وهنا أدركَ الفتورُ قوانا
وانتهى الزادُ وانتهى كلُّ ذخرِ

ومضينا كالطيف نصغي فهزّت
سمعنا نغمةً كرنّاتِ تبرِ
فجرحنا السكونَ حتى بلغنا
بيتَ حسّنا يدعونها أختَ عمرو
فقرتْنا لحماً وحُسناً شهيّاً
وحديثاً كأنّهُ ذوبُ سحرِ
وذهبنا وفي دمانا حنينٌ
جائعٌ ينخرُ الضلوعَ ويفري
وطغى حولَنا من السفحِ موجٌ
من ضجيجٍ كأنّهُ هولُ حشرِ
فإذا قريةٌ تديرُ ضِراباً
وتريشُ السهامَ حيناً وتبري
فاقتربنا نستكشفُ الأمرَ لكن
أيُّ كشفٍ نحسُّهُ أيّ أمرِ
أعينٌ تقذف اللظى ونفوسٌ
مثخناتٌ تنسلُّ من كلِّ صدرِ
وجسومٌ حُمرٌ تنوشُ جسوماً
في ثيابٍ من الجراحاتِ حُمرِ
وتهزُّ الخناجرَ الحمرَ... أيدٍ
ترتمي كالنسورِ في كلِّ نحرِ
وانطفتْ حومَةُ الوغى فاندفعْنا
في سُرانا نلفُّ ذُعراً بذعرِ

ورَحَلْنا واللّيلُ في قبضةِ الأف
تِ كتابٌ يروي أساطيرَ دهرِ
وشددنا جراحَنا وانطلقنا
وكأنّا نشقُّ تيّار... بَحر

* * *

هوَّم الطّيفُ حولَنا فالتَفَتْنا
نحوَهُ كالتفاتِ سَفرٍ لسفرِ
وسمعنا همساً من الأمسِ يَرْوي
قصَّةَ الفاتحينَ منْ أهلِ «بدرِ»
فنصتْنا للطّيفِ إنصاتَ صبٍّ
لمحبٍ يقصُّ قصَّةَ هَجْرِ
وسرى في السكونِ صوتٌ ينادي
يا رفاقَ السّرى وأحبابَ عمري
يا رفاقي تثاءبَ الشرقُ وانسلّتْ
عذارى الصباحِ منْ كلِّ خدرِ
والعصافيرُ تنفضُ الريشَ في الوكرِ
وتنفي النُّعاسَ منْ كلِّ وكرِ
وكأنَّ الشعاعَ أيدٍ من الوردِ
الممنَّدى تهزُّ أهدابَ زهرِ
وكأنَّ الغصونَ أيدي النَّدامى
وشفاهَ الزهورِ أكوابُ خمرِ
ومضى سَيْرُنا وقافلةُ الفجـ
ـرِ تصبُّ الهدى على كلِّ شبرِ

فـإذا دربُـنـا ريـاضٌ تُـغَـنّـي
فـي الـسّـنـا والـهـوى زجـاجـاتُ عـطـرِ

نـحـن فـي جـدولٍ مـن الـنّـور يـجـري
وخُـطـانـا تـدري إلـى أيـنَ تـجـري

عيد الجلوس

٣ جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ وجهت هذه القصيدة إلى الطاغية أحمد في عيد جلوسه.

هـذا الـصـبـاحُ الـرَّاقـصُ الـمـتـأودُ
فـتـنٌ مُـهَـفْـهَـفَـةٌ وسـحـرٌ أغـيـدُ
ومـبـاهـجٌ مـا إنْ يـروقُـكَ مـشـهـدٌ
مـنْ حـسـنِـه حـتـى يـشـوقَـكَ مـشـهـدُ
أَلفجرُ يصبو في السُّفوحِ وفي الرُّبى
والـرَّوضُ يـرتـشـفُ الـنّـدى ويـغـرِّدُ
والـزَّهـرُ يـحـتـضـنُ الـشـعـاعَ كـأنّـهُ
أمٌ تـقـبِّـلُ طـفـلـهـا وتـهَـدْهِـدُ
في مـهـرجـانِ الـنّـورِ لاحَ عـلـى الـمـلا
عـيـدٌ يـبـلـورهُ الـسّـنـا . . . ويـورِّدُ
فـهـنـا الـمـفـاتـنُ والـمـبـاهـجُ تـلـتـقـي
زُمَـراً تـكـادُ مـن الـجـمـالِ تـزغـرِدُ

* * *

عـيـدَ الـجـلـوس أعـزْ بـلَادك مـسـمـعـاً
تـسـألُـك أيـن هـنـاؤهـا؟ هـلْ يـوجـدُ؟
تـمـضـي وتـأتـي والـبـلادُ وأهـلُـهـا
فـي نـاظـريـكَ كـمـا عـهـدتَ وتـعـهـدُ

يا عيدُ حدِّثْ شعبكَ الظامي متى
يروَى؟ وهلْ يَروى وأينَ المورِدُ؟

حدِّثْ ففي فمكَ الضحوكِ بشارةٌ
وطنيّةٌ، وعلى جبينكَ موعِدُ

فيمَ السُّكوتُ ونصفُ شعبك هٰهُنا
يشقى.. ونصفٌ في الشعوب مشرَّدُ؟

يا عيدُ: هذا الشعبُ ذلَّ نبوغُه
وطوى نوابغَهُ السّكونُ الأسودُ

ضاعتْ رجالُ الفكرِ فيه كأنها
حُلُمٌ يبعثرهُ الدّجى ويبدِّدُ

* * *

للشعبِ يومٌ تستثيرُ جراحُهُ
فيه ويقذف بالرقود المرقد

ولقدْ تراهَ في السّكينةِ.. إنما
خلفَ السكينةِ غضبةٌ وتمرُّدُ

تحتَ الرّمادِ شرارةٌ مَشْبوبَةٌ
ومِنَ الشرارةِ شعلةٌ وتوقُّدُ

لا، لمْ ينمْ ثأرُ الجنوبِ وجرحُهُ
كالنّارِ يُبرقُ في القلوبِ ويُرعدُ

لا، لمْ ينمْ شعبٌ.. يحرّقُ صدرَهُ
جُرحٌ على لهبِ العذابِ مسهَّدُ

شعبٌ يريدُ ولا ينالُ كأنّهُ
ممّا يكابدُ في الجحيمِ... مقيّدُ

* * *

أهلاً بعاصفةِ الحوادثِ، إنها
في الحيّ أنفاسُ الحياةِ تُردَّدُ

لو هزَّتِ الأحداثُ صخراً جلمداً
لدَوى وأرعد باللهيبِ الجلمدُ

بينَ الجنوبِ وبينَ سارقِ أرضِهِ
يومٌ تؤرّخُهُ الدّما وتخلّدُ!

أَلشعب أقوى من مدافع ظالم
وأشدُّ من بأس الحديد وأجلدُ

والحقُ يثني الجيشَ وهو عرمرمٌ
ويفلُّ حدَّ السيفِ وهو مهنَّدُ

لا أمهلَ الموتُ الجبانَ ولا نجا
منهُ، وعاشَ الثائرُ المستشهدُ

يا ويحَ شِرذمةِ المظالمِ عندما
تُطوى ستائرُها ويفضحُها الغدُ!

وغداً سيدري المجدُ أنّا أمةٌ
يمنيّةٌ شَمّا، وشعبٌ أمجدُ

وستعرفُ الدّنيا وتعرفُ أنّه
شعب على سحق الطّغاة معوَّدُ

فليُكبتِ المستعمرونَ بغيظِهم
ولْيخجلوا، وليخسأِ المستعبِدُ

* * *

عيدَ الجلوسِ وهل نصتَّ لشاعرٍ
هنّاكَ وهو عن المسرَّةِ مُبْعَدُ؟

فاقْبَلْ رعاكَ اللّهُ تهنئتي وإنْ
صرخَ النشيدُ وضجَّ فيهِ المُنشِدُ

واعْذُرْ إذا صبغَ التنهُّدُ نغمتي
بالجرحِ فالمصدورُ قدْ يتنهّدُ

❁ ❁ ❁

رحلة النجوم

شعبان سنة ١٣٨٢هـ.

أينَ عشّي وجدولي وجِناني؟
أينَ جوّي؟ وأينَ بَرُّ أماني؟
أينَ منّي بقيّةٌ منْ جناحي!
فرّ منّي الجوابُ، ضاعَ لساني
غيرَ أني أسائلُ الصَّمتَ عنّي
وانكسارُ الجوابِ يدمي حناني
هل أنا مِنْ هنا؟ وهلْ لي مكانٌ؟
أنا مِنْ لا هنا، ومنْ لا مكانِ
كمْ إلى كمْ أمشي، ودربي ظنونٌ
ومداهُ قاصٍ عنْ الوهمِ دانِ؟
وسأبقى أسيرُ في غير دربٍ
من ترابٍ، دربي ظنونُ الأماني
وأعاني مُرَّ السّؤالِ، ويتلو
هُ سؤالٌ أمرُّ مما أُعاني
هلْ هنا موطني؟ وأصغي: وهلْ
لي موطنٌ غيرُهُ على الأرضِ ثاني؟

* * *

وطني رحلةُ النّجومِ فأهلي
وأحبَّائي النجومُ الرَّواني

وديـاري تيـهُ الخيـالِ وزادي
ذكرياتي والأغنياتُ دِناني

فليخنّي الزَّمانُ والشَّعبُ إنّي
شعبُ شعبي، أنا زمانُ الزَّمان

يتلاقى الزَّمانُ والشعبُ في روحي
شجيَّيْنِ يعْزِفانِ كياني

منْ أنا؟ شاعرٌ، حريقٌ يغنّي
وغنائي دمي، دخانُ دخاني

فحياتي سرُّ الحياةِ وشدوي
لحنُ ألحانِها، معاني المعاني

وضياعي سياحةُ العِطر في الري-
حِ، وتيهي مزارعٌ منْ أغاني

❁ ❁ ❁

زحف العروبة

١٩٥٨م

لبَّيْكَ وازدحمتْ على الأبوابِ
صبواتُ أعيادٍ وعرسُ تصابي

لبّيكَ يا بنَ العُرْبِ أبدَع دربُنا
فتنَ الجمالِ المسكرِ الخلَّابِ

فتبرَّجتْ فيهِ المباهجُ مثلما
تتبرَّجُ الغاداتُ للعُزَّابِ

واخضرَّتِ الأشواقُ فيهِ والمنى
كالزّهرِ حولَ الجدولِ المنسابِ

ومضى بهِ زحفُ العروبةِ والدُّنا
ترنو، وتهتفُ عادَ فجرُ شبابي

إنّا زرعْناهُ مُنًى وجماجماً
فنما وأخصبَ أجودَ الإخصابِ

ويحدّقُ التاريخُ فيهِ كأنّهُ
يتلو البطولةَ منْ سطورِ كتابِ

* * *

عادَ التقاءُ العُربِ فاهتفْ يا أخي
للفجرِ، وارقصْ حولَ شدوِ ربابي

واشربْ كؤوسَكَ واسقني نخبَ اللّقا
واسكبْ بقايا الدَّنِّ في أكوابي

لهذي الهتافاتُ السكارى والمنى
حولي تناديني إلى الأنخابِ

خلفي وقدامي هتافُ مواكبٍ
وهوًى يزغردُ في شفاهِ كعابِ

والزّهرُ يهمسُ في الرّياضِ كأنّهُ
أشعارُ حبٍ في أرقِّ عتابِ

والجوُّ منْ حولي يرنِّحهُ الصّدى
فيَهيمُ كالمسحورةِ المطرابِ

والريحُ ألحانٌ تهازجُ سيرَنا
والشهبُ أكوابٌ من الأطيابِ

إنّا توحّدنا هوًى ومصائراً
وتلاقتِ الأحباب بالأحباب

أترى ديارَ العُرْبِ كيفَ تضافرتْ
فكأنّ «صنعا» في «دمشقَ» روابي

وكأنَّ «مصرَ» و«سوريا» في «مأربٍ»
علمٌ وفي «صنعا» أعزُّ قبابِ

لاقى الشقيقُ شقيقةَ، فاسألهما
كيفَ التلاقي بعدَ طولِ غيابِ؟

* * *

أليومَ ألقى في «دمشقَ» بني أبي
وأبثُّ أهلي في الكنانةِ ما بي

وأبـثُ أجـدادي بـنـي غـسّـانَ فـي
ربـوات «جـلّـقَ» مـحـنـتـي وعـذابـي

وأهـيـمُ والأنـسـامُ تـنـشـرُ ذكـرَهـم
حـولـي فـتـنـضـحُ بـالـعـطـورِ ثـيـابـي

وأهـزُّ فـي تُـربِ «الـمـعـرّةِ» شـاعـراً
مـثـلـي: تـوحّـدَ خـطـبُـه ومـصـابـي

وأعـودُ أسـألُ «جـلّـقـاً» عـن عـهـدِهـا
«بـأمـيّـةٍ» وبـفـتـحِـهـا الـغـلّابِ

صُـوَرٌ مـن الـمـاضـي تُـهـامـسُ خـاطـري
كـتـهـامـسِ الـعـشّـاقِ بـالأهـدابِ

* * *

دَغـنـي أغـرِّدْ فـالـعـروبـة روضـتـي
ورحـابُ مـوطـنِـهـا الـكـبـيـرِ رحـابـي

«فـدمشـقُ» بُـسـتـانـي «ومـصـرُ» جـداولـي
وشـعـابُ «مـكّـةَ» مـسـرحـي وشـعـابـي

وسـمـاءُ «لـبـنـانِ» سـمـاي ومـوردي
«بَـردى» ودجـلـةُ والـفـراتُ شـرابـي

وديـارُ «عـمّـانِ» ديـاري... أهـلُـهـا
أهـلـي وأصـحـابُ الـعـراقِ صـحـابـي

بـلْ إخـوتـي ودمُ «الـرشـيـدِ» يـفـورُ فـي
أعـصـابِـهـم ويـضـجُّ فـي أعـصـابـي

* * *

شعبُ العراقِ وإنْ أطالَ سكوتَه
فسكوتُهُ الإنذارُ للإرهابِ

سَلْ عنه سلْ عبدَ الإله وفيصلاً
يبلغْك صرعُهما أتمَّ جوابِ

لنْ يخفضَ الهاماتِ للطاغي ولمْ
تخضعْ رؤوسُ القومِ للأذنابِ

وطنُ العروبةِ موطني أعيادُه
عيدي، وشكوى إخوتي أوصابي

فاتركْ جناحي حيثُ يهوى يحتضنْ
جوَّ العروبةِ جيئتي وذهابي

يابنَ العروبةِ شُدّ في كفي يداً
ننفضْ غبارَ الذلِّ والأتعابِ

فهنا هنا اليمنُ الخصيبُ مقابرٌ
ودمٌ مباحٌ واحتشادُ ذئابِ

ذكّرهُ بالماضي عسى يبني على
أضوائِهِ مجداً أعزَّ جنابِ

ذكّرهُ بالتاريخِ واذكرْ أنّهُ
شعبُ الحضارةِ مشرقُ الأحسابِ

صَنَعَ الحضارةَ والعوالمُ نُوَّمٌ
والدهرُ طفلٌ في مهُودِ ترابِ

ومشى على قممِ الدُّهورِ إلى العلا
وبنى الصروحَ على ربى الأحقابِ

وهدى السبيلَ إلى الحضارةِ والدُّنا
في التيهِ لم تَخلُمْ بلمحِ شِهابِ

فمتى يفيقُ على الشروقِ ويومُه
يبدو ويخفى كالشعاعِ الخابي

* * *

يا شعبُ مزّقْ كلَّ طاغٍ وانتزغ
عنْ سارقيكَ مهابةَ الأربابِ

واحذرْ رجالاً كالوحوشِ كسوْتَهم
خِلعاً من «الأجواخِ» والألقابِ

خنقوا البلادَ وجورُهم وعتوُّهُم
كلُّ الصوابِ وفصلُ كلِّ خطابِ

لمْ يحسبوا للشعبِ لكنْ عندَهُ
للعابثينَ بهِ أشدُّ حسابِ

صمتُ الشعوبِ على الطغاةِ وعنفِهِمْ
صمتُ الصواعقِ في بطونِ سحابِ

فاحذرْ رجالاً كالوحوشِ همومُهم
سلبُ الحمى والفخرُ بالأسلابِ

شهدوا تقدُّمَكَ السريعَ فأسرعوا
يتراجعونَ بهِ على الأعقابِ

لمْ يُحسنوا صدقاً ولا كذباً سوى
حيلِ الغبيِّ وخدعةِ المتغابي

* * *

قلْ للإمامِ وإنْ تحفَّزَ سيفُهُ:
أعوانُكَ الأخيارُ شرُّ ذئابِ

يومونَ عندكَ بالسّجودِ وعنَدنا
يومونَ بالأظفارِ والأنيابِ

هُمْ في كراسيِهم قياصرةٌ وهمْ
عند الأميرِ عجائزُ المحرابِ

يتملَّقوَن ويبلغونَ إلى العلا
بخِداعِهم وبأخبثِ الأسبابِ

منْ كلِّ معسولِ النفاقِ كأنَّهُ
حَسْنا تتاجرُ في الهوى وتُرابي

وغداً سيحترقونَ في وهجِ السّنى
وكأنّهم كانوا خداعَ سرابِ

وتفيقُ «صنعاءُ» الجديد على الهدى
والوحدةُ الكبرى على الأبوابِ

❁ ❁ ❁

حديث نهدين

كم كانت تسمع حديث نهديها حين يتشاكيان بالخفوق،
احبت مَن هجرها فاحترقت بعذابين، وكلما انثال سكون
المساء على مخدعها حرك شجونها وساءلت نفسها:

كيفَ أنساهُ هلْ تَناسيهِ يُجدي؟
وهو والذكرياتُ والشوقُ عندي
وهو أدنى من الأماني إلى القلبِ
وبيني وبينهُ... ألفُ بُعْدِ
واشتهاءُ العناقِ يحلمُ في جيـ
ـدي بأنفاسهِ فيمرحُ عِقدي
عندما يهبطُ الظلامُ أراهُ:
ماثلاً في تصوُّراتي وسُهدي
آه إنّي أخالُ زنديْهِ في قدّي
تشدّانني فيختالُ... قدّي
فكأنّي أضمُّهُ في فراشي
وهو يجني فمي ويقطفُ خدّي
ثمَّ أصغي إلى الفراشِ فلا أسمعُ
إلّا حديثَ نهدٍ لنهدِ
حلُمٌ كاليقينِ يدنيهِ منّي،
وخيالٌ يخفيهِ عنّي ويُبدي

فأرى طيفَهُ أواناً حنونا
وأواناً في مقلتيهِ تعدّي

ليتَ أني أراهُ في صحوةِ الصُّبْح
فماً ضارعاً يغنّي بحمدي

كلّما ذابَ في الخشوعِ تأبّيْتُ
وردَّيتُ رغبتي شرَّ ردّ

وتحدَّيتُ ناظريْهِ بإعراضي
وأشعلتُ حبَّهُ بالتّحدّي

وتجاهلتُهُ وقلبي يناديهِ
وجسمي يكادُ يحرقُ بُرْدي

ثُمَّ يجترُّني ويجذبُ جسمي
حِضْنُهُ جذبَ قاهرٍ مستبدِ

وهنا: أحتويهِ بينَ ذراعيَّ
وأطويهِ بينَ لحمي وجلدي

ليتَ لي ما رجوتُ أو ليتني أمْـ
ـحوهُ مني، منْ ذكرياتي ووجدي

ليتني يا جهنّمَ الهجرِ أدري
مَنْ هواهُ ومنْ تبدَّل بعدي؟!

ليتَهُ في الشجونِ مثليَ مهجورٌ
فيشتاقُني ويذكرُ عهدي

ويعاني الجوى، ويشقى كما أشْـ
ـقى، بأطيافِهِ وذكراهُ وحدي

* * *

هكذا ترجمتْ مُناها وللّيـ
ـلِ عبُوسٌ، كأنّهُ مَوجُ حقدِ
والظلامُ الظلامُ في كلِّ مرأى
قَدَرٌ جاثمٌ يُخيف ويردي
صامتٌ والعتوُّ في مقلتيْهِ
ظامئٌ كالسّلاحِ في كفٍّ وغدِ
والخيالاتُ موكبٌ منْ حيارى
تائهٌ يهتدي وحيرانُ يهدي
وحنين الصَّباحِ في خاطر الأنسام
كالعطر في براعمِ وردِ

❁ ❁ ❁

هكذا أمضي

رجب سنة ١٣٧٨هـ

سهدتُ وأصباني جميلُ سهادي
فأهرقتُ في النسيانِ كأسَ رقادي

وسامَرتُ في جفنِ السُّهادِ سرائراً
لطافاً كذكرى منْ عهودِ ودادِ

ونادمتُ وحيَ الفنِّ أحسو رحيقَهَ
وأحسو؛ وقلبي في الجوانحِ صادي

إذا رمتُ نوماً قلْقَل الشوقُ مرقدي
وهزَّتْ بناتُ الذكرياتِ وسادي

وهازَجَني منْ أعينِ الليلِ هاتفٌ
من السحرِ في عينيه موجُ سوادِ

لهُ شوقُ مهجورٍ، وفتنةُ هاجرٍ
وأسرارُ حيّ في سكونِ جمادِ

لهُ تارةً طبعُ البخيلِ... وتارةً
له خُلُقُ مطواعٍ وطبعُ جوادِ

تدورُ عليهِ الشهبُ وسْنى كأنها
بقيَّةُ جمرٍ في غضونِ رمادِ

* * *

لكَ اللّهُ يابنَ الشعرِ كمْ تعصرُ الدُّجى
أغاريدَ عرسٍ أو نحيبَ حدادِ

تنوحُ على الأوتارِ حيناً وتارةً
تغنّي وحيناً تشتكي وتنادي

كأنّكَ في ظلِّ السكينةِ جدولٌ
يغنّي لوادٍ أوْ ينوحُ لوادي

هو الشعرُ لي في الشعرِ دنيا حدودها
وراءَ التمنّي خلفَ كلِّ بعادِ

ألا فلتضقْ عني البلادُ فلمْ يضقْ
طموحي وإنْ ضاقتْ رحابُ بلادي

ولا ضاقَ صدري بالهموم لأنها
بَناتُ فؤادٍ فيه ألفُ فؤادِ

ولا قهرتْ نفسي الخطوبُ وكمْ غدتْ
تراوِحُني أهوالُها وتُغَادي

* * *

قطعتُ طريقَ المجدِ والصَّبرُ وحدَهُ
رفيقي، ومائي في الطريقِ وزادي

وما زلتُ أمشي الدربَ والدربُ كلُّه
مساربُ حيّاتٍ وكَيدُ أعادي

ولي في ضميري ألفُ دنيا من المنى
وفجرٌ من الذكرى وروضةُ شادي

ولي من لهيبِ الشوقِ في حيْرة السُّرى
دليلٌ إلى الشأوِ البعيدِ وحادي

هو الصّبرُ زادي في المسيرِ لغايتي
وإنْ عدتُ عنها فهو زادُ معادي

ولا: لمْ أعذ عنْ غايتي، لمْ أعذ ولمْ
يُكفكفْ عنادُ العاصفاتِ عنادي

فَجُوري عليَّ يا حياةُ أو ارفقي
فلنْ أنثني عنْ وجهتي ومُرادي

فإنَّ الرَّزايا نضجُ روحي وإنّها
غذاءٌ لتاريخي ووَزْيُ زنادي

* * *

سأمضي ولو لاقيتُ في كلِّ خطوةٍ
حسامَ «يزيدٍ» أو وعيدَ «زيادِ»

ألا هكذا أمضي وأمضي ومسلكي
رؤوسُ شياطينٍ وشوكُ قتادِ

ولو أخَّرَتْ رجلي خطاها قطعتُها
وألقيتُ في كفِّ الرياحِ قيادي

فلا مهجتي منّي إذا راعَها الشقا
ولا الرأسُ منّي إنْ حنَتْه عوادي

ولا الروحُ مني إنْ تباكت وإنْ شكا
فؤادي أساهُ فهو ليسَ فؤادي

هو العمرُ ميدانُ الصراعِ وهلْ ترى
فتى شقَّ ميداناً بغيرِ جهادِ؟

❁ ❁ ❁

حين
يصحو الشعب

جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ

قيلت هذه القصيدة قبل الثورة بثلاث سنوات.

أُعذرِ الظلمَ وحمِّلنا الملاما
نحنُ أرضعناهُ في المهدِ احتراما
نحنُ دلَّلناهُ طفلاً في الصِّبا
وحملناهُ إلى العرشِ غُلاما
وبنَيْنا بدمانا عرشَهُ
فانثنى يهدمُنا حينَ تسامى
وغرسْنا عمرَهُ في دمِنا
فجنيناهُ سُجُوناً وحِماما

* * *

لا تَلُم قادتنا إن ظلموا
ولُمِ الشعبَ الذي أعطى الزِّماما
كيفَ يرعى الغَنمَ الذئبُ الذي
ينهشُ اللحمَ ويمتصُّ العظاما؟
قد يخافُ الذئبُ لو لم يلقِ مِنْ
نابِهِ كلَّ قطيعٍ يتحامى

ويعفُّ الظالمُ الجلّادُ لو
لمْ تقلِّدْهُ ضحاياهُ الحُساما

لا تَلُمْ دولتَنا إنْ أشبعتْ
شرهَ المخمورِ منْ جوعِ اليتامى

نحنَ نَسْقيها دمانا خمرةً
ونغنّيها فتزداد أُوَاما

ونهنّي مستبدّاً، زادُهُ
جثثُ القتلى وأكبادُ الأيامى

كيفَ تصحو دولةٌ خمرتُها
منْ دماءِ الشعبِ والشعبُ الندامى؟

* * *

آه منّا آه! ما أجهلَنا؟!
بعضُنا يَغْمَى وبعضٌ يتعامى

نأكلُ الجوعَ ونستسقي الظما
وننادي «يحفظُ اللّهُ الإماما»

سلْ ضحايا الظلمِ تُخبِرْ أنّنا
وطنٌ هَدْهَدَهُ الجهلُ فناما

دولةُ «الأجواخِ» لا تحنو ولا
تعرفُ العدلَ ولا ترعى الذّماما

تأكلُ الشعبَ ولا يسري إلى
مُقلتيْها طيفُه العاني لِماما

وهو يسقيها ويَظما حولها
ويغذّيها ولمْ يملكْ طعاما

تشربُ الدَّمعَ فيُظميها فهل
ترتوي؟ كلّا؛ ولمْ تشبغْ أثاما

عقلُها حولَ يديها فاتحٌ
فمَهُ يلتقمُ الشعبَ التقاما

* * *

يا زفيرَ الشعبِ: حرِّق دولةً
تحتسي منْ جرحكَ القاني مُداما

لا تقلْ: قد سَئِمَتْ إجرامَها
منْ رأى الحيّاتِ قد صارتْ حَماما؟

أنتَ بانيها فجرِّب هدمَها
هدمُ ما شيدتَهُ أدنى مَراما

لا تقلْ فيها قوى الموتِ وقلْ:
ضعفُنا صوَّرها موتاً زؤاما

سوف تدري دولةُ الظلمِ غداً
حينَ يصحو الشعبُ منْ أقوى انتقاما؟

سوفَ تدري لمنِ النّصرُ إذا
أيقظَ البعثُ العفاريتَ النياما

إنّ خلفَ اللّيلِ فجراً نائماً
وغداً يصحو فيجتاحُ الظّلاما

وغداً تخضرُّ أرضي، وترى
في مكانِ الشوكِ ورداً وخُزامى

❁ ❁ ❁

لا تقل لي

٢٨ ـ ١١ ـ ١٣٨٢هـ/ ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٦٣م

لا تقلْ لي: سَبَقْتَني ولماذا
لا أوالي وراءكَ الإنطلاقا؟

لمْ أسابقْكَ في مجالِ التدنّي
والتلوِّي: فكيفَ أرضى اللحاقا؟

أنا إنْ لمْ يكنْ قريني كريماً
في مجالِ السِّباقِ عفتُ السّباقا

لا تقلْ: ضاعَ في الوحولِ رفاقي
وأضاعوا الضميرَ والأخلاقا

لمْ أضيِّعْ أنا ضميري وخُلْقي
وكفاني أنّي خسرتُ الرّفاقا

لا تقلْ كنتَ صاحبي فأذُنْ منّي
لستُ أشري ولا أبيعُ نفاقا

لا تقلْ لي أينَ التقينا؟ ولا أينَ
افترقْنا، فنحنُ لمْ نتلاقَ؟

قد نسيتُ اللقاءَ يوماً وإنّي
لستُ أدري متى نسيتُ الفراقا؟

لا تَذُقْ صراحتي فهي مرٌّ
إنما مَنْ تذوَّقَ المرَّ ذاقا

الطريق الهادر

قالها الشاعر بمناسبة مظاهرة الشباب اليمني التي جرت آخر صفر سنة ١٣٨٢هـ

هُتافٌ هتافٌ وماجَ الصَّدى
وأرغى هنا وهنا أزبدا

وزحفٌ مَريدٌ يقود السَّنا
ويهدي العمالقةَ المُرَّدا

تلاقتْ مواكبُهُ موكباً
يمدُّ إلى كلِّ نجمٍ يدا

عمائمُهُ منْ لهيبِ البروق
وأعينُهُ منْ بريقِ الفِدا

أفاقَ فناغتْ صبايا مناهُ
على كلِّ أفقٍ صِباً أغيدا

وهبَّ ودوَّى فضجَّ السكونُ
ورجَّعتِ الريحُ ما ردَّدا

وغنَّى على خطوهِ شارعٌ
ودربٌ على خطوهِ زَغْرَدا

ومنعطَفٌ لحَّنتْ صمتَهُ
خطاهُ ومنعَطَفٌ غرَّدا

مضى منشداً وضلوعُ الطريقِ
صنوجٌ توقِّعُ ما أنشدا

وأقبلَ يسترجعُ المعجزاتِ
ويستنهضُ الميْتَ والمُقْعَدا

ويبدو مداهُ فيمضي العنيدُ
يحاولُ أن يسْبِقَ الأغْنَدا

فتطغى مشاهِدُهُ كالحريقِ
ويقتحمُ المشهدُ المشهَدا

ويرمي هنا وهناك الدُّخانَ
ويوحي إلى الجوِّ أن يرعُدا

* * *

هو الشَّعبُ طافَ بإنذارهِ
على مَنْ تحدَّاهُ واستَعْبَدا

وشقَّ لُحوداً تعبُّ الفسادَ
وتنجرُّ تبتلعُ المُفسدا

وأومأ بحبَّاتِ أحشائه
إلى فجرهِ الخصب أنْ يُولدا

أشارَ بأكبادهِ فالْتَقَتْ
حشوداً مداها وراءَ المدى

وزحفاً يُجنِّحُ دربَ الصَّباحِ
ويستنفرُ التربَ والجَلْمَدا

وينتزعُ الشَّعبَ من ذابحيهِ
ويُعطي الخلودَ الحمى الأخْلدا

ويهتفُ: يا شعبُ شيِّد على
جماجمنا مجدَك الأمجدا

وعِشْ موسِماً أبديَّ الجنى
وعَسْجِدْ بإبداعِكَ السَّرمدا

وكحِّلْ جفونَكَ بالنيّراتِ
وصغْ منْ سنى فجرِكَ المِرْودا

لكَ الحكمْ أنتَ المفدَّى العزيزُ
علينا ونحنُ ضحايا الفدا

* * *

ودوَّى الهتافُ: «اسقطوا يا ذئابُ»
ويا رايةَ الغابِ ضيعي سُدى

وكرَّ شبابُ الحمى فالطريقُ
ربيعٌ تهادى وفجرٌ بدا

ومرَّ يضيءُ الحِمى كالشموعِ
يضيءُ توهجُها مَغْبَدا

ويُزجي عذارى بطولاتِهِ
فيتشحُ الجرحَ والسؤددا

ويغشى على الظلمِ أبراجَهُ
فيُزري بهِ وبما شيّدا

ويكسرُ في كفّ طاغي الحمى
حُساماً بأكبادِهِ مغمدا

وتندى خطاهُ دماً فائراً
يذيبُ دماً كادَ أنْ يجمدا

ويُلقي على كلِّ دربٍ فتًى
دعتْهُ المروءاتُ فاستشهدا

ويُدني إلى الموتِ حكماً يخوضُ
من العارِ مستنقعاً أسودا

ويجترُّ أذيال «جنكيزِ خان»
ويقتاتُ أحلامَهُ الشُّرَّدا

ويحدو ركابَ الظلامِ الأثيمِ
فيبتلعُ الصَّمتُ رجعَ الحُدا

ويحسو النّجيعَ ولا يرتوي
فيطغى، ويستعذبُ الموردا

رأى الشعبَ صيداً فأنحى عليهِ
وراضَ مخالبَهُ واعتدى

فهلْ ترتجيهِ؟ ومنْ يرتجي
من الوحشِ إصلاحَ ما أفسدا؟

وهلْ تجتدي ملِكاً شَرُّه
سخيُّ اليدين... عميمُ الجدا؟

وحكماً عجوزاً حناهُ المشيبُ
وما زالَ طغيانُهُ أمردا

تربّى على الوحلِ مِنْ بدئهِ
وشاخَ على الوحلِ حيثَ ابتدا

فماذا يرى اليومَ؟ جيلاً يمورُ
ويهتفُ: لا عاشَ حكمُ العِدا:

* * *

زحفْنا إلى النصرِ زحفَ اللهيب
وعَزْبَدَ إصرارُنا عربدا

ودُسْنا إليهِ عيونَ الخطوبِ
وأهدابُها كشفارِ المُدَى

طلعْنا على مَوْجاتِ الظلام
كأعمدة الفَجر نهدي الهدى

ونرمي الضحايا ونسقي الحقولَ
دماً يبعثُ الموسمَ الأزغَدا

لنا موعدٌ منْ وراءِ الجراحِ
وها نحنُ نستنجزُ الموعدا

وهلْ يُورقُ النصرُ إلّا إذا
سقى دمُنا روضَهُ الأجردا

أَفَقْنَا فشبَّتْ جراحاتُنا
سعيراً على الذلِّ لنْ يَخْمُدا

رفعْنا الرؤوسَ كأنَّ النجومَ
تخرُّ لأهدابِنا سُجَّدا

وسرْنا نشقُّ جفونَ الصباح
وننضحُ في مقلتيْهِ الندى

فضجَّ الذئابُ، مَنِ الطافرونَ؟
وكيفَ؟ ومنْ أيقظَ الهُجّدا

وكيفَ استثارَ علينا القطيعَ؟
ومنْ ذا هداهُ؟ وكيفَ اهتدى؟

هُنا مَوْكبٌ أبرقتْ سحبُهُ
عليْنا وحشدٌ هُنا أرعدا

وهزَّ القصورَ فمادتْ بنا
وأشعلَ منْ تحتِنا المرقدا

وكادتْ جوانحُنا الواجفاتُ
من الذّعرِ أنْ تلفظَ الأكبُدا

* * *

فماذا رأتْ دولةُ المخجلاتِ؟
قوًى أنذرتْ عهدهَا الأنكدا

بمنْ تحتمي، واحتمتْ بالرَّصاصِ
وعسكرتِ اللَّهَبَ الموقدا

ولحّنتِ الغدرَ أنشودةً
من النّارِ تحتقرُ المنشدا

ونادتْ بنادقَها في الجموعِ
فأخزى المنادي جوابُ النِّدا

وهلْ ينفدُ الشّعبَ إنْ مزّقتْه
قوى الشر؟ هيهات أنْ ينفدا

فردّتْ بنادقُها والخسيسُ
إذا ملك القوّة استأسدا

وجبنُ القُوى أنْ تُعدَّ القُوى
لتستهدف الأعزلَ المُجْهدا

وأردى الســـــلاحِ لأردى الأنـــام
وأجـــوَدُه يـــنـــصـــرُ الأجـــودا

ويـومُ الـبـطـولاتِ يـبـلـو الـسـلاحَ
إذا كـــانَ وغـــداً حـــمـــى الأوغـــدا

فـــأيُّ ســـلاحِ حـــمـــى دولـــةً
تـغـطّـي الـمـخـازي بـأخـزى رِدا؟

وتـأتـي بـمـا لـيـسَ تـدري الـشـرورُ
ولا ظـنَّ «إبـلـيـسُ» أنْ يُـعـهَـدا

لـمـنْ وُجِـدَتْ؟ مـنْ أشـذِّ الـشـذو
ذِ ومـنْ أغـبـنِ الـغـبـنِ أنْ تـوجـدا

بَـنَتْ منْ دمِ الـشعبِ عرشاً خضيباً
ورضَّـتْ جـمـاجـمَـهُ مـقـعـدا

وأطـفـتْ شـبـابـاً أضـاءتْ مُـنـاهُ
فـأدمـى الـسّـنـا حـكـمُـهـا الأرمـدا

وسـلْ كـيـفَ مـدَّتْ حـلـوقَ الـردى
إلـيـهِ فـأعـيـا حـلـوقَ الـرَّدى؟

وكـمْ فـرشـتْ دربَـه بـالـحـرابِ
فـراحَ عـلـى دمـه... واغـتـدى

وروَّى الـتـرابَ الـمـفـدَّى دَمـاً
مـضـيـئـاً يـصـوغُ الـحـصـى عـسـجـدا

وعـادَ إلـى الـسِّـجـنِ يـذكـي الـنّـجـومَ
عـلـى لـيـلِـهِ فـرقـداً فـرقـدا

ويـرنـو فـيـنـظـرُ خـضـرَ الـرؤى
كـمـا يـنـظـرُ الأعـزبُ الـخُـرَّدا

فـتـخـتـالُ فـي صـدرهِ مـوجـةٌ
مـن الـفـجـرِ تـهـوى الـمـدى الأبـعـدا

ويـهـمـسُ فـي صـمـتِـه مـوعِـدٌ
إلـى الـشـعـبِ لا بـدَّ أنْ تـسـعـدا

سـيـنـصـبُّ فـجـرٌ ويـشـدو ربـيـعٌ
ويـخـضـوضـرُ الـجـدبُ أنّـى شـدا

فـهـذي الـروابـي وتـلـكَ الـسّـهـولُ
حَـبـالـى وتـسـتـعـجـلُ الـمـولـدا

حوار جارين

من وحي الصراع السُّلالي بين الهاشمية والقحطانية
الذي شجع عليه الإمام أحمد.

خـطـراتٌ وأمـنـيـاتٌ عـذارى
جـنَّـحـتْ وهـمَـهُ فـرقٌ وطـارا

وسرى في متاهةِ الصَّمتِ يشدو
مـرَّةً لـلـسُّـرى ويـصـغـي مِـرارا

ويناجي الصَّدى ويومي إلى الطيفِ
ويـسـتـنـطـقُ الـرُّبـى والـقـفـارا

وتـعـايـا كـطـائـرٍ ضـيَّـعَ الـوكـرَ،
وأدمـى الـجـنـاحَ . . . والـمـنـقـارا

لـيـس يـدري أيـنَ الـمـصـيـرُ ولـكـنْ
سـاقَـهُ وهـمُـهُ الـجـمـوحُ فـسـارا

وهـنـا ضـجَّ «يـا مـنـى» أيـنَ نـمـضـي
وإلـى أيِّ غـايـةٍ نـتـبـارى؟

والـطـريـقُ الـطـويـلُ أشـبـاحُ مـوتٍ
عـابـسـاتُ الـوجـوهِ يـطـلـبـنَ ثـارا

موحشٌ يخضِنُ الفراغَ على الصمتِ
كـمـا تَـخـضِـنُ الـريـاحُ الـغـبـارا

تأكلُ الشمسُ ظلَّها في مواميهِ
كما يأكلُ الغروبُ النهارا

* * *

أينَ يا ليلتي إلى أينَ أسري؟
والمنايا تهيِّئُ الأظفارا

والدّجى هٰهُنا كتاريخ سجّانٍ
وكالحقدِ في قلوبِ الأسارى

يتهادى كهودَجٍ من خطايا
حارَ هاديهِ في القفارِ وحارا

ويهزُّ الرؤى كما هدهدَ السكّيرُ
سكّيرةً تُعاني الخُمارا[1]

والرّؤى تذكرُ الصباحَ المندّى
مثلما يذكرُ الغريبُ الدّيارا

وهي ترنو إلى النجومِ كما ترنو البغايا إلى عيونِ السّكارى

والأعاصيرُ تركبُ القممَ الحيْرى
كما يركبُ الجبانُ الفرارا

* * *

إيهِ، يا ليلتي وما أكبرَ الأخطا
رَ قالتْ: لا تحتسبْها كبارا!

---

(١) الرؤى بضم الراء ـ أحلام المنام وهي جمع رؤيا. وقد تستعمل لأحلام اليقظة ويخطئ من يعتبرها رؤية البصر.

قالَ منْ في الوجودِ أقوى من الأخطا
رِ؟ قالتْ: منْ يركبُ الأخطارا!

وتهادى يرجو المفازَ وتغشى
دربَه غمرةٌ فيخشى العثارا

قلقٌ بعضُهُ يحاذرُ بعضاً
ويداهُ تخشى اليمينُ اليسارا

حائرٌ كالظنونِ في زحمةِ الشكِّ
وكاللّيلِ في عيونِ الحيارى

* * *

ولوى جيدَهُ فأومأ إليهِ
قبسٌ شعَّ لحظةً وتوارى

فرأى في بقيَّةِ النورِ شخصاً
كانَ يعتادُهُ صديقاً وجارا

قدماهُ بينَ التعثُّرِ والوحلِ
ودعواه تقطفُ الأقمارا

فتدانى منْ جارهِ ورآه
مثلما ينظرُ الفقيرُ النُّضارا

ودعاهُ إلى المسيرِ فألوى
رأسَهُ وانحنى يطيلُ الإزارا

وثنى عطفَهُ وضجَّ وأرغى
وتعالى ضجيجُهُ وأشارا

فانحنى جارُهُ وقالَ: أجبْني
هلْ ترى صحبتي شناراً وعارا؟

أنتَ مثلي معذَّبٌ فكلانا
صورةٌ للهوانِ تخزي الإطارا

فاطَّرح بَهرجَ الخداعِ ومزِّقْ
عنْ محيّاكَ وجهَكَ المستعارا

كلُّنا في الضياعِ والتّيهِ فانهضْ:
ويدي في يديكَ نرفعْ منارا

قال: أينَ الهوانُ؟ فاذكرْ أبانا
إنّهُ كانَ فارساً لا يُجارى

إنّنا لمْ نَهُنْ وأجدادُنا الفرسانُ
كانوا ملءَ الزّمانِ فخارا

إنّنا لمْ نهُنْ أما كانَ جدّانا
الحسيبانِ «جِمْيراً ونزارا»

* * *

فانتخى جارُهُ وقالَ: وما الأجدادُ؟
سلْ عنهُمُ البِلى والدمارا

فَخْرُنا بالجدودِ فخرُ رمادٍ
راحَ يعتزُّ أنّهُ كانَ نارا

قد يسرُّ الجدودَ منكَ ومنّي
أنْ يرونا في جبهةِ المجدِ غارا

وهنا أصغيا إلى أنّةِ الأوراقِ
والرّيحُ تعصفُ الأشجارا

فإذا بالشروقِ ينخرُ في اللّيلِ
كما ينخرُ اللّهيبُ الجدارا

وتـمـادى الـحـوارُ فـي الـعـنـفِ حـتـى
أسـكـتـتْ ضـجّـةُ الـصّـبـاحِ الـحـوارا

وتـراءى الـصّـبـاحُ يـحـتـضـنُ الـسّـحـرَ
كـمـا تـحـضـنُ الـكـؤوسُ الـعُـقـارا

وبـنـاتُ الـشـذى تـحـيّـي شـروقـاً
شـاعـريـاً يـعـنـقـدُ الأفـكـارا

والـصّـبـا تـرعـشُ الـزهـورَ فـتـومـي
كـالـمـنـاديـل فـي أكـفّ الـعـذارى

❁ ❁ ❁

سلوى

١٦ شعبان ١٣٨٢هـ.

سلوى ويهمسُ في ندائي ... أملٌ كأغنيةِ الضياءِ
سلوى ويرتدُّ الصَّدى ... بجوابها: يا لانتشائي
أيُّ المنى تخضرُّ في ... جدبي وتزهرُ بالهناء
وتعيدُ «تموزاً» وتغزلُ ... منْ أشعّتِهِ ردائي
منْ ذا إزائي؟ هلْ هنا ... سلوى؟ «فنَيْسانٌ» إزائي
يشدو أمامي بالشَّذى ... ويزنبقُ الذكرى ورائي
سلوى، وأصغي، واسمُها ... بفمي ربيعٌ منْ غِناءِ
وشذا صداها في هواي ... مواسمٌ بيضُ العطاءِ
وأعودُ أصغي والصَّدى ... يدنو ويوغلُ في التنائي

* * *

فأفيقُ أبني في مَهَبِّ ... الرّيحِ عُشاً منْ هباءِ
وعواصفُ المأساةِ تطْ ... فئني فيحترقُ انطفائي
وأنا أغنّيهِ لأنَّ تحرُّقي ... عطرُ... البقاءِ
والصمتُ حولي كالضغا ... ئنِ في عيونِ الأدنياءِ
والشُّهدُ أفكارٌ مُعَلَّ ... قةٌ بأهدابِ الفضاءِ
واللّيلُ بحرٌ من دخا ... نِ شاطئاهُ من الدّماءِ
جوعانُ يبتلعُ الرُّؤى ... ويمجُّ دمعَ الأشقياءِ

يهْذي كما يروي المُشعـ ... وذُ معجزاتِ الأنبياءِ
ويعبُّ خمراً منْ دم ... الذكرى جحيميّ الإناءِ
وأنا هناك روايةٌ ... للحزنِ تبحثُ عنْ «روائي»
أبكي على سلوى أناجيها ... أغنيها... بكائي
وأعيدُ فيها مأتمي ... أو أبتدي فيها عزائي
وحدي أناديها، وعفواً ... نلتقي: في لا لقاءِ
تبدو وتغربُ فجأةً ... كالحلمِ يدنو وهوَ نائي
أو تنثني جذلى كفجرِ الصَّيفِ ... في صحوِ الهواءِ
وتَسيلُ في وهمي رحيقاً ... منْ عناقيدِ السّماءِ
وهناكَ أبتدئُ الرحيقَ ... فينتهي قبلَ ابتدائي
فأعودُ أحتضنُ الشّقاءَ ... لأنني أمُّ الشّقاءِ
ومواكبُ الأشباحِ في جوّي ... كحيّاتِ العَراءِ
كتثاؤبِ الأحزانِ في ... مُقَلِ اليتامى الأبرياءِ
والظّلمةُ الخرساءُ تُفني ... قريتي قبلَ الفناء
وتشدُّ أعينَها وتوصيها ... بصبرِ الأغبياءِ
فيتاجرُ الحرمانُ فيها ... بالصَّلاةِ وبالدُّعاءِ
بالحوْقلاتِ، وبالأنينِ ... وحشرجاتِ الكبرياءِ
ويبيعُ أخلاقَ الرجالِ ... ويشتري عرضَ النّساءِ

* * *

وأنا كأهلي: ميِّتٌ ... أحيا كأهلي بادِّعائي
وأعيشُ في أوهامِ سلوى ... والأسى زادي ومائي
أشدو لتعذيبي كما ... تشدو البلابلُ للشّتاءِ

والموعدُ المسلولُ يَبسمُ كابتساماتِ المُرائي
ويعيدُ لحناً نائحاً كسُعال أمّي في المساءِ
فتلمُّ بي أطيافُ سلوى كالصَّبيّاتِ الوِضاءِ
وترفُّ حولي موسماً أسخى وأوسعَ من رجائي

أنا وأنتَ

يا بنَ أمّي أنا وأنتَ سواءٌ
وكلانا غباوةٌ وفُسُولة

أنتَ مثلي مغفَّلٌ نتلقّى
كلَّ أكذوبةٍ بكلِّ سهولَة

ونسمّي بُخْلَ الرجالِ اقتصاداً
والبراءاتِ غفلةً وطفولَة

ونسمّي شراسَةَ الوحشِ طغيا
ناً ووحشيةَ الأناسِ بطولَة

ونقولُ: الجبانُ في الشّرِّ أنثى
ووفيرُ الشرورِ وافي الرجولة

ونرى أصلَ «عامرٍ» تربة الأر
ضِ و«سعداً» نرى النجومَ أصولَة

فننادي هذا هجينٌ وهذا
فرقديُّ الجدودِ سامي الخؤولَة

نزعمُ الإنتقامَ حزماً وعزماً
وشَروبَ النجيعِ حرَّ الفحولَة[1]

* * *

(١) شروب: بفتح الشين: يعني شارب مكثر.

يـا بـنَ أمـي شـعـورُنـا لـم يـزلْ طـفـلاً
وهـا نـحـنُ فـي خـريـفِ الـكـهـولَـهْ
كـمْ شـغـلْـنـا سـوقَ الـنـفـاقِ فـبـغـنـا
واشـتـريـنـا بـضـاعـةً مـرذولَـهْ
لا تـلُـمـنـي ولـمْ ألـمْـكَ لـمـاذا؟
يـحـسـنُ الـجـهـلُ فـي الـبـلادِ الـجـهـولَـهْ

❁ ❁ ❁

وحدة الشاعر

١٠ رمضان سنة ١٣٨٠هـ.

حُـلُـم الآتـي وذكـرى الـغـابـرِ
مـسـرَحُ الـشـعـرِ ودنـيـا الـشـاعـرِ

ذكـريـاتُ الأمـسِ تُـغـريـهِ كـمـا
يـفـتـنُ الـمـهـجـورَ طـيـفُ الـهـاجِـرِ

والـغـدُ الـمـأمـولُ فـي أشـواقِـهِ
صـورةٌ مـنْ كـلِّ حُـسْـنٍ بـاهـرِ

صـورةٌ كـالـوعـدِ مـنْ أحـلـى فـمٍ
كـابـتـسـامـاتِ الـلّـقـاءِ الـعـاطـرِ

وكـعـيْـنـيْ طِـفْـلـةٍ تـرنـو إلـى
مـقـلـتـيْ طِـفـلٍ كـسـولِ الـنـاظـرِ

* * *

عـالَـمُ الـشّـاعـر ذكـرى ومُـنَـى
وحـنـيـنٌ كـالـجـحـيـمِ الـهـادرِ

يـقـطِـفُ الأحـلامَ والـذكـرى كـمـا
يـقـطِـفُ الـعـنـقـودَ كـفُّ الـعـاصـرِ

أيُّ ذكـــرٍ؟ أيُّ شـــوقٍ عـــادنـــي
فـإذا قـلـبـي جـنـاحـا طـائـرِ

وإذا الدنيا بكفّي مِعزَفٌ
ساحرٌ في كفّ شادٍ ماهرِ

تارةً أشدو وأصغي تارةً
لرواياتِ الزمانِ السّاخرِ

فيقصُّ الدهرُ من دنيا أبي
ذِكَراً[1] تُخجِلُ وجهَ الذّاكرِ

وأنا أحملُ ذكراه... كما
يحمِلُ المظلومُ سوطَ الجائرِ

وأغنّي عِزَّ أجدادي الأُلى
فخروا بالعجزِ فخرَ القادرِ

ومَن الأجدادُ؟ ما شرْعَتُهم؟
شرعةُ الوحشِ الغبيِّ الكاسرِ

ومخازيهم تراثٌ خالدٌ
ورثوهُ كابراً عنْ كابرِ

كيفَ أنسى الأمسَ واليومُ ابنُه
والغدُ الآتي وليدُ الحاضرِ!

وأنا ابنُ الشعرِ قلبي عالَمٌ
منْ حنينٍ وحنانٍ غامرِ

ترتمي الأدهارُ حولي مثلما
يرتمي موجُ العبابِ المَائرِ

(١) ذِكَر بكسر الذال وفتح الكاف: جمع ذكريات.

والـدّنـا فـي عـزلـتـي هـائـمـةٌ
كـهـوى «لـيـلـى» وطـيـفِ «الـعـامـري»
وحـدتـي صـمـتٌ يـغـنـي ورُؤًى
مِنْ عصا «موسى» وعجلِ «السامري»
مـنْ شـذوذِ الـطـفـلِ مـنْ زهـو الـفـتـى
مـنْ أسـى الـشـيـخِ الـفـقـيـرِ الـعـاثـرِ
مـنْ خـيـالاتِ الـشـيـاطـيـنِ ومـنْ
حـكـمـةِ الـرُّسْـلِ ودجـلِ الـسـاحـرِ
مـنْ ضـراعـاتِ الـمـسـاكـيـنِ ومـنْ
خُـيَـلاءِ الـمـسـتـبـدِ الـقـاهـرِ
مـنْ هـوى الـتـاجـرِ فـي الـرّبـحِ ومـنْ
شـبـحِ الإفـلاسِ حـوْلَ الـتـاجـرِ
مـنْ شـكـاوى عـاشـقٍ يـمـشـي عـلـى
قـلـبـهِ نـحـو حـبـيـبٍ... نـافـرِ
وحـدتـي وحـيٌ ودنـيـا مـنْ هـدًى
وضـلالٍ ويـقـيـنٍ حـائـرِ
وحـنـانٍ وانـتـظـارٍ خـائـفٍ
ورجـاءٍ كـابـتـسـامِ الـغـادر
وهـوًى يـضـحـكُ لـلـطـيـفِ كـمـا
يـضـحـكُ الـروضُ لـعـيـنِ الـزائـرِ
وحـدتـي أرجـوحـةٌ مـنْ فِـكَـرٍ
دائـراتٍ كـالـشـروقِ الـدّائـرِ

وبناتُ الفنِّ حولي زُمَّرٌ
كرَياحينِ الرَّبيعِ الزاهرِ

وأنا كالرّاغبِ المحرومِ في
موكبِ الغيدِ المثيرِ السّافرِ

أشتهي تلكَ فتدنو أختُها
منْ يديَّ كالأبيِّ الصَّاغرِ

حلوةٌ تدنو وتخفى حلْوةٌ
كالسَّنى خلفَ الظلامِ العاكرِ

هذهِ تعطي ولا أسألُها
وأناجي تلكَ نجوى الخاسرِ

ولعوبٌ أجتدي نفحَتها
وهي تأبى وتمنّي خاطري

وعدُها يبعثُ ذكرى «حاتمٍ»
ووفاها صورةٌ منْ «مادِرِ»

كمْ تناديني فتغري لوعتي
وتولّي كالحبيبِ... الماكرِ

والدُّجى مقبرةٌ تغفو على
حُلمِ النعشِ ونوحِ القَابرِ

قلِقُ الصَّمتِ كرؤيا مومِسٍ
هجعتْ بينَ ذراعَيْ فاجرِ

كأماني ظالمٍ يرنو إلى
مقلتَيْهِ شبحٌ منْ ثائرِ

خائفٌ يسري وفي أعطافِهِ
صَلَفُ الطاغي وتيهُ الكافرِ

وتضيعُ الشُّهبُ في موكبِهِ
كخيالاتِ المريضِ السَّاهرِ

ودخانُ الحقدِ في أهدابِهِ
كالخطايا فوقَ عِرضٍ عاهرِ

يخطرُ الشيطانُ فيهِ وعلى
شفتيْهِ قَهْقَهاتُ الظافرِ

وخفوقُ الصَّمت يُنبي أنَّ في
سرّهِ ضوضاءَ زحفِ طافرِ

والرّؤى تشتفُّ مِنْ خلفِ الرُّبى
مطلعَ اليومِ الهتوفِ الزاخرِ

وتبثُّ الغيبَ شكوى توبةٍ
تتشهَّى بسمةً منْ غافرِ

وأنا وحدي أناغي هاتفاً
منْ فمِ الوحي الشذيِّ الطاهرِ

وهدوءُ الكوخِ يستفسرُني
هلْ أغنّي للفَراغِ السّادرِ؟

قلتُ إنّي شاعرٌ، في وحدتي
ألفُ دنيا منْ طيوفِ الشاعرِ

❁ ❁ ❁

لقيتها

شعبان ١٣٧٩هـ.

أينَ اختفتْ في أيِّ أفقٍ سامي؟
أينَ اختفتْ عنّي وعنْ تَهْيامي؟

عبثاً أناديها وهلْ ضيَّعتُها
في اللَّيلِ أمْ في زحمةِ الأيّامِ؟

أمْ في رحابِ الجوّ ضاعتْ؟ لا: فكمْ
بَثَّيْتُ أنسامَ الأصيلِ غرامي

ووقفتُ أسألهُ وقلبي في يدي
يرنو إلى شفقِ الغروبِ الدامي

وأجابني صمتُ الأصيلِ... وكلَّما
أقنعتُ وجْدي.. زادَ حرُّ ضرامي

* * *

وإذا ذكرتُ لقاءَها ورحيقها
لاقيْتُ في الذكرى خيالَ الجامِ

وظمئتُ حتى كدتُ أجرعُ غلّتي
وأضجُّ في الآلامِ أينَ حِمامي

وغرقتُ في الأوهامِ أنشدُ سلوةً
ونسجتُ فردوساً من الأوهامِ

* * *

وأفقتُ منْ وهمي أهيمُ . . . وراءَها
عبثاً وأحلُمُ أنّها قُدّامي

وأظنُّها خلفي فأرجعُ خطوةً
خلفي . . . فتنشُرُها الظُّنونُ أمامي

وأكادُ ألمسُها فيبعُد ظلُّها
عنّي . . . وتدني ظلَّها أحلامي

وأعودُ أُنصتُ للسكينةِ والرُّبى
وحكايةِ الأشجارِ والأنسامِ

وأُحسُّها في كلِّ شيءٍ صائتٍ
وأحسُّها في كلِّ حيّ . . . نامي

في رقّةِ الأزهارِ في همسِ الشَّذى
في تمتماتِ الجدولِ . . . المترامي

* * *

فتّشتُ عنها الليلَ وهو متيَّمٌ
ألكأسُ في شفتيْهِ وهو الظامي

والغيمُ يخطُرُ كالجنائزِ والدُّجى
فوقَ الرّبى كمشانقِ الإعدامِ

وسألت عنها الصمت وهو قصيدة
منثورةٌ تومي إلى النِّظّامِ

ووقفتُ والأشواقُ تُرهفُ مسمَعاً
بينَ الظّنونِ كمِسمعِ النمَّامِ

والنجمُ كأسٌ عسجديٌّ . . . ملؤهُ
خمرٌ تحنُّ إلى فمِ «الخيّامِ»

وهمستُ أينَ كؤوسُ إلهامي وفي
شفتيَّ أكوابٌ من الإلهامِ

* * *

والريحُ تخبطُ في السهولِ كأنّها
حيرى تلوذُ بهدأةِ الآكامِ

وكأنَّ موكبَها . . . قطيعٌ ضائعٌ
بينَ الذئابِ يصيحُ : أينَ الحامي؟

وتلاحقتْ قطعُ الظلام كأنّها
في الجوِّ قافلةٌ من الإجرامِ[1]

وتلفَّتَ السّاري إلى الساري كما
يتلفّتُ الأعمى إلى المُتَعامي

وأنا أهيمُ وراءَها يجتاحُني
شوقٌ وتَقْتادُ الظُّنونُ زمامي

وسألتُ ما حولي وفتشتُ الرُّؤى
وغمستُ في جيبِ الظلامِ هُيامي

فتشتُ عنها لمْ أجدْها في الدُّنا
ورجعتُ والحمّى تلوكُ عِظامي

* * *

وأهجتُ آلامي وحبّي فالتظتْ
ولقيتُها في الحبِّ والآلامِ

وتهيأتْ لي في التلاقي مثلما
تتهيأ الحسناءُ للرَّسّامِ

---

(١) الإجرام بالكسر: مصدر أجرم.

وتبرَّجتْ لي كالطفولةِ غضَّةً
كفم الصَّباح المترف البسّام

وجميلةٌ فوقَ الجمالِ ووصفِهِ
وعظيمةٌ أسمى من الإعظامِ

تسمو كأجنحةِ الشّعاعِ كأنّها
في الأفقِ أرواحٌ بلا أجسامِ

لا: لا تقلْ لي: سمِّها فجمالُها
فوقَ الكنايةِ فوقَ كلِّ أسامي

إنّي أعيشُ لها وفيها إنّها
حبّي وسرُّ بدايتي وختامي

وأُحبُّها روحاً نقيّاً كالسّنى
وأحبُّها جِسْماً من الآثامِ

وأحبُّها نوراً وحَيْرةَ مُلْحدٍ
وأحبُّها صحواً وكأسَ مُدامِ

وأريدُها غضبى وإنسانيَّةً
وشذوذَ طفلٍ واتِّزانَ عِصامي

* * *

دَعْني أغرِّدْ باسمِها ما دامَ في
قَدَحي ثمالاتٌ من الأنغامِ

فتّشتُ عنها وهي أدنى منْ مُنى
قلبي: ومنْ شوقي وحرِّ أُوامي

ولقيتُها يا شوقُ أينَ لقيتُها؟
عندي هنا في الحبِّ والآلامِ

جريح

هو ثائر من أبطال الجنوب، أهاب به داعي الكفاح إلى المعركة، فهب إليها كالعاصف؛ وهناك صارع النار المجنحة فعز عنه النصير، ونفد العتاد وانصب عليه الرصاص، فعاد ملفعاً بالجراح، يئن في الفراش، وينادي الموت... والموت عزيز المرام على من يريده.

لا تسلْ عنْ أنينِهِ وسُهادِهْ
إنَّ في جرحِهِ جراحَ بلادهْ

إنَّ في جرحِهِ جراحاتِ شعبٍ
راكدِ الحسِّ حيُّه كجمادِه

ثائرٌ يحملُ البلادَ قلوباً
في حشاهُ وشعلةً في اعتقادهْ

وهبَ الشعبَ قلبَه ودِماهُ
وأحاسيسَهُ وصفوَ وِدَادِهْ

فهو أصواتُهُ إذا ضجَّ في النّـ
ـاسِ ونجوى ضميرهِ في انفرادهْ

إنَّه ثائرٌ يريدُ ويَسْمو
فوقَ طاقاتِهِ... سُموَّ مرادهْ

أوقدَ الحقدَ في حناياهُ ثاراً
عاصفاً يستفزُّ نارَ زِنادهْ

* * *

فمضى والعنادُ في مُقْلَتَيْهِ
صارخٌ، والجحيمُ في أحقادهْ

وتلقى الرَّصاصَ من كلِّ فجٍّ
وهو ما زالَ في جنونِ عِنادهْ

كلّما أومأَ الفرارُ إليهِ
أمْسَكتْ قبضةُ الوغى بقيادهْ

وتحدَّى الحتوفَ حتى تلظّتْ
حولهُ وانتهتْ بقايا عَتادهْ

* * *

عادَ كالسيّفِ حاملاً منْ دماهُ
شَفقاً يُخبرُ الدُّنا عنْ جِلادهْ

والجراحُ التي تراها عليهِ
كالعناوينِ في سجلِّ جهادِهْ

وارتمى في الفراشِ والثأرُ فيهِ
ساهرٌ يُنذرُ الوغى بمعادهْ

لمْ ينمْ لحظَةً وإنْ نامَ هزَّتْ
ذكرياتُ الوغى سكونَ وِسادِهْ

وتلظَّتْ فيهِ الجراحُ فأوهتْ
جسمَهُ وانطفا حماسُ اعتدادِهْ

يسألُ الصّمتَ والمنى كيفَ يشفي
كبرياء الجراحِ منْ جلّادِهْ

فهو بينَ الطموحِ والعجزِ والأشـ
ـواقِ كالصَّقرِ في يدَيْ صيّادهْ

لا تَـلُـمْـهُ إذا شَـكَـا إنَّ شـكـواه
وأنَـاتِـهِ دُخـانُ اتِّـقـادهْ

إنَّ أنـفـاسَـهُ غُـبـارٌ وجـمـرٌ
مـنْ شـظـايـا فـؤادهِ ورمـادِهْ

كـلّـمـا قـالَ آه! أو صـعّـدَ الأنـفـ
ـاسَ شـاهـدتَ قـطـعـةً مـنْ فـؤادهْ

وإذا صـاحَ جـوعُـهُ فـي الـحـنـايـا
فَـرُفـاتُ الـمُـنـى بـقـيَّـةُ زادهْ

عـمـرُهُ الـمـدلـهـمُّ سـجـنٌ ويُـنـكـي
جُـرحَـهُ أنَّ عُـمـرَهُ فـي ازديـادهْ

فـهـو يـشـقـى في يـقـظـةِ الـعـينِ بـا
لـشـعـبِ ويـشـقـى بـحـلـمِـهِ فـي رقـادهْ

مـلَّ طـولَ الـحـيـاةِ لا نـالَ مـنـهـا
مـا يُـرجِّـي ولا دنـا مـنْ حـصـادهْ

والـشـقـيُّ الـشـقـيُّ مـنْ مـلَّ طـولَ
الـعـمـرِ والـعـمـرُ لـمْ يـزلْ فـي امـتـدادهْ

❁ ❁ ❁

بين ليل وفجر

١٣٧٨هـ.

في هجعةِ الليلِ المخيفِ الشاتي
والجوُّ يحلمُ بالصَّباح الآتي
والريحُ كالمحمومِ تهذي والدجى
في الأفقِ أشْباحٌ من الإنْصاتِ
والشُّهبُ أحلامٌ معلَّقة على
أهدابِ تمثالٍ من الظلماتِ
والطيفُ يخبطُ في السكينةِ مثلما
تتخبّطُ الأوهامُ في الشُّبهاتِ
والظُّلمةُ الخرسا تَلَعْثَمُ بالرّؤى
كتلعثمِ المخنوقِ بالكلماتِ

* * *

في ذلكَ الليلِ المخيفِ مضى فتًى
قلقُ الثيابِ مروَّعُ الخطواتِ
يمشي وينظرُ خلفَهُ وأمامَهُ
نظرَ الجبانِ إلى المغيرِ العاتي
ويرى الحتوفَ إذا تلفَّتَ أو رنا
ويُحسُّ أصداءً بلا أصواتِ

ويعودُ يسألُ نفسهُ ما خيفتي؟
ماذا أُحسُّ؟ وأين أين ثباتي؟

ماذا يُخوّفني أنا رجلُ السُّرى؟
وأنا رفيقُ اللّيلِ والفلواتِ

هلْ ليلتي غيرُ الليالي؟ أمْ أنا
غيري . . . أكادُ الآنَ أُنكرُ ذاتي

أينَ الصَّباحُ وأينَ منّي قريتي؟
والرّعبُ قدّامي وفي لفتاتي

* * *

وهنا تراءتْ للمروَّعِ عُصبةٌ
كالذّعرِ شيطانيّةُ اللّمَحاتِ

شُعثٌ كأهلِ الكهفِ إلّا أنَّ في
نظراتِهم همجيّةَ الشهواتِ

وتقلّبتْ مُقلُ العصابةِ في الفتى
وكأنّها تشويهِ[1] بالنّظراتِ

وتخيلتْ «كيسَ النقودِ» فأبرقتْ
رغباتُها في الأعينِ الشّرِهاتِ

وتململتْ فيها الشراسةُ مثلما
يتململُ الزّلزالُ في الهضباتِ

والْتاعَ فيها الشرُّ فانهالتْ على
ذاكَ الفتى بالضربِ والطّعَناتِ

---

(١) تشويه: تحرقه حرق الشواء.

فاستلَّ خنجرَهُ وكسّرَ وحدَهُ
وحشيّةَ الوثباتِ بالوثباتِ

وتلفّتتْ تلكَ العصابةُ حولَها
فرأتْ بعينِ الوهمِ ظلَّ سَراةِ

* * *

وهناكَ لاذتْ بالفرارِ وأدبرتْ
ملعونةَ الرَّوحاتِ والغدواتِ

وغدتْ يصادمُ بعضُها بعضاً كما
تتصادمُ الآلاتُ بالآلاتِ

وجثا الفتى بينَ الجراحِ كمدنفٍ
يستنجدُ العُوَّادَ بالزفراتِ

وتلكّأتْ عندَ التوجّعِ روحُهُ
بينَ المماتِ وبينَ نصفِ حياةِ

وامتدَّ في حضنِ الطريقِ وداؤهُ
حيٌّ وصفرتُهُ من الأمواتِ

وتداعتِ الأوجاعُ فيهِ والتظتْ
فيهِ الجراحُ الحمرُ كالجَمَراتِ

وإذا تهيّأ للنهوضِ تشاءبتْ
فيهِ الجراحُ تشاؤبَ الحيّاتِ

* * *

وعلى يمينِ الدربِ كوخٌ تلتقي
في صدرِهِ النكباتُ بالنكباتِ

بينَ القصورِ وبينَهُ مِيلٌ وما
أدنى المكانَ وأبعدَ الرحماتِ!

يشكو إلى جيرانِهِ فيصمُّهم
عنهُ ضجيجُ القصفِ واللَّذاتِ

كوخٌ إذا خطرتْ بهِ ريحُ الدُّجى
أوْمَا إلى السّكانِ بالرَّعشاتِ

«سنواتُ يوسفَ» عمرُهُ وجدارُهُ
أبداً تنوءُ بأعجفِ السّنواتِ

فيهِ العجُوزُ وبنتُها وغلامُها
يتذكّرونَ مواردَ الأقواتِ

فالحقلُ جدبٌ ظامئٌ وسماؤهُ
صحوٌ تلوحُ كصفحةِ المِرآةِ[1]

والأغنياءُ، وهلْ ترقُّ قلوبُهم؟
لا، إنّها أقسى من الصَّخراتِ

وتغلغلوا في الصَّمتِ فانتبهوا على
شبحٍ ينادي الصَّمتَ بالأنّاتِ

فإذا فَتًى قلقُ الملامحِ يختفي
تحت الجراحِ الحمرِ والخفقاتِ

فمشى ثلاثتُهم إليهِ وانثنوا
بالضَّيفِ بين الدَّمعِ والآهاتِ

---

(١) الحقول في بلد الشاعر تكره الصحو، لأن المطر سبب أخصابها.

وروى لهمْ خبرَ العصابةِ أنّها
سدَّتْ عليهِ الدَّربَ بالهجماتِ
وتهيّجتْ فيهِ الجراحُ فصدَّها
وتستّرتْ باللّيلِ كالحشواتِ
فدنتْ فتاةُ الكوخِ تمسحُ وجهَهُ
وتبلسمُ الأجراحَ بالدّعواتِ
وتبلُّ منْ دمهِ يديْها إنها
تشتمُّ فيهِ أعبقَ النفحاتِ
وترى بهِ ما ليسَ تدري هلْ ترى
سرَّ القضا؟ أم آيةَ الآياتِ
فإذا الجراحُ تنامُ فيهِ ويشتفي
ويردُّ عمراً كان وشْكَ فواتِ
وإزاءهُ البنتُ الجميلةُ كلُّها
روحٌ سماويٌّ وطهرُ صلاةِ
يتجاوبُ الإغراءُ في كلماتِها
كتجاوبِ الأوتارِ بالنغماتِ
أغفى الجريحُ على السكونِ وأغمضتْ
أجفانَ منْ حوليهِ كفُّ سُباتِ
والكوخُ في حُرَقِ الأسى مُترقِّبٌ
بشرى ترِفُّ عليهِ كالزّهراتِ

* * *

واللّيلُ تمثالٌ سجينٌ يرتجي
فكَّ القيودِ على يدِ النّحّاتِ

فبدا احمرارٌ في الظلام كأنّهُ
لعناتُ حِقدٍ في وجوهِ طغاةِ

وتسلّلَ السَّحرُ البليلُ على الرُّبى
كالحلمِ بينَ الصَّحوِ والغفواتِ

يَندى وينشرُ في البقاعِ أريجَهُ
ويرشُّ دربَ الفجرِ بالنّسَماتِ

وصبتْ على الجبلِ الشموخِ أشعةٌ
مسحورةٌ كطفولةِ القبلاتِ

فكأنّما الجبلُ المعمَّمُ بالسّنى
مَلِكٌ يهزُّ الفجرَ كالرّاياتِ

رفعَ الجبينَ إلى العلا فتقلّبتْ
في رأسِهِ الأضواءُ كالموجاتِ

وتسلّقَ الأفقَ البعيدَ شموخُهُ
فترى عمامتَهُ من الهالاتِ

وتلألأتْ فوقَ السّفوحِ مباسمٌ
وردِيّةُ الأنفاسِ والبسماتِ

وانصبَّ تيّارُ الشُّروقِ كأنّهُ
شُعَلُ النبوّةِ في أكفِّ هُداةِ

وغزا الدروبَ فأجفلتْ قُطّاعُها
ووجوهُم تحمرُّ بالصفعاتِ

وتصايحتْ تلك العصابةُ ما أرى؟
هٰذي الجهاتُ المشرقاتُ عداتي

أينَ المفرُّ؟ وأينَ أطلبُ مهرباً؟
والنّورُ يسطعُ منْ جميعِ جهاتي

كيفَ الفِرارُ؟ وليسَ لي كهفٌ ولا
دربٌ فيا لي!! يا لسوءِ مماتي!

وأفاقَ أهلُ الكوخِ حينَ ثقوبُهُ
تومي إلى الأبصارِ بالومضاتِ

فدنا ثلاثتُهم يرونَ جريحَهم
فإذا الفتى في سكرةِ الفرحاتِ

نفضَ النّعاسَ وشدَّ فيهِ جراحَهُ
واستقبلَ الدّنيا بعزمِ أُباةِ

ورمى إلى كفِّ الغلامِ وأمِّه
بعضَ النقودِ ودَعوةَ البركاتِ

وصبا إلى كفِّ الفتاةِ وقالَ: يا
«نجوى» خُذي نخبَ الزّفافِ وهاتي

وطوى الجراحَ وهبَّ يقتادُ السّنى
ويبشِّرُ الأكواخَ بالخيراتِ

ويقودُ تاريخاً ويُنبتُ خَطْوهُ
فجراً ينيرُ مسالكَ القاداتِ

* * *

فضحَ الصَّباحُ المجرمين فأصبحوا
أخبارَ جُرمٍ في فمِ اللَّعَنَاتِ

وتعالتِ الأكواخُ تنظرُ أهلَها
يضعونَ «غارَ النصرِ» في الهاماتِ

لمسَ الرَّبيعُ قلوبَهم وحقولَهم
فاخضوْضَرَتْ بالبشرِ والثمراتِ

والجوُّ يلقي النورَ في الدنيا: كما
تلقي السُّيولَ مناكبُ الرَّبواتِ

والزَّهرُ في وهنِ الشبابِ مفتّحٌ
فوقَ الغصونِ كأعينِ الفتياتِ

والأفقُ يورقُ بالأشعةِ والندى
والأرضُ تمرحُ في حُليٍّ نباتِ

* * *

وهنا انتهى دورُ الجرائمِ وابتدا
دورٌ وريفُ الظلِّ كالجنّاتِ

فتجمّعَ الإخوانُ بعدَ تفرّقٍ
وانضمَّ شملُ الأهلِ بعدَ شتاتِ

صرعتْ أباطيلُ الدّجنّةِ يقظةٌ
أقوى من الإرهابِ والقوّاتِ

والدَّجل يذهبُ كالجُفاءِ ولمْ تَدُمْ
إلّا الحقيقةُ فوقَ كلِّ عُتاةِ

إنَّ الحياةَ مآتمٌ تُفضي إلى
عرسٍ وأفراحٌ إلى حسراتِ

لكنَّها بخريفِها وشتائِها
وبصيفِها... حِكَمٌ ودرسُ عظاتِ

فاخترْ لسيرِ العمرِ أيّةَ غايةٍ
إنَّ الحقيقةَ غايةُ الغاياتِ

خطرات

١٣٨٠هـ

قالَ لي: هلْ تُحسُّ حولَك رعبا
وعَجاجاً كالنّارِ طارَ وهبّا؟
فكأنَّ النّجومَ شَهْقَاتُ جرحى
جمدتْ في محاجرِ الأفقِ تَعْبى
قلتُ: إنَّ الطريقَ شبَّ عِراكاً
آدميّاً في أجيفِ الغَنْم... شبّا
فكأنّي أشتمُّ في كلّ شبرٍ
ميتةً تستثيرُ كلباً... وكلبا
أقوياءٌ تُفني الضّعافَ وتدعو
خِسّةَ الغالبينَ نصراً وكسبا

* * *

قال: إنّا نبكي الضَّعيفَ صريعاً
ونُهنِّي القويَّ رغباً ورهبا
زعمَ المرء أنّه علّةُ الدنيا
فأشقى ما هبَّ فيها ودبّا
واستباحَ ابنَه وأردى أخاه
وتولّى تراثَ قتلاهُ غصبا

فكأنَّ الثرى رفاتُ ضحايا
زوَّرتها السّنونُ طيناً وعشبا

* * *

قلت: لا توقظِ «المعرّي» فيلقى
«أمّ دفرٍ» أغوى خداعاً وأصبى

ويرانا أخسَّ من أن يثيرَ الهجو
أو نستحقَّ نقداً وسبّا

لا تُذكِّر «أبا العلا» إن جيل اليو
مِ أضرى من جيلِ أمسِ وأغبى

* * *

وهنا قال صاحبي: لا تعامى
فترى ألْمَعَ المحاسنِ ذنْبا

يا أخي: والهوى يُصمُّ ويُعمي
كيف ترضى الهوى دليلاً وركبا؟

فتأمّلْ تجدْ صراعاً... كريماً
وصراعاً جمَّ النَذالاتِ خِبّا[1]

وقتيلاً يغفو ويُسْهِرُ ثاراً
وشهيداً يَنْدى سلاماً وحبّا

ودماً في الثَّرى تجمَّد جمراً
ودماً في السّماءِ أورق شُهبا

ونفاحاً أخزى هجوماً وترباً
سمَّدتْهُ الدّماء فاخضرَّ خِصْبا

* * *

(١) خبا: بكسر الخاء: لئيما.

وذكـرنـا أنّـا نـسـيـرُ وأغـفـى
جـهـدُنـا والـطـريـقُ مـا زالَ صَـعْـبـا

دربُـنـا كـلُّـهُ عَـجـاجٌ وريـحٌ
كـفّـنـتْ جـوَّهُ رمـاداً وحَـضـبـا

وظـلامٌ تـألّـهَ الـشـرُّ فـيـهِ
وتـمـطّـى شـيـطـانُـهُ فَـتَـنَـبّـا

وصـراعٌ إن أطـفـأ الـضّـعـفَ حـربـاً
شـبَّ حـقـدُ الـرّمـادِ حـربـاً فـحـربـا

* * *

كـيـف نـسـري؟ وراءنـا عـاصـف يـطـ
ـغـى، وقـدّامـنـا أعـاصـيـر نـكـبـا

يـتـلـهّـى بـخـطـونـا عـبـث الـريـحـيْـن،
دفـعـاً إلـى الأمـامِ وجـذبـا

قـلـت: لـيـت الـمـمـاتَ يُـنـهـي خـطـانـا
قـال: مـا كـلُّ مـن دعـا الـمـوتَ لـبّـى

يـا رفـيـقـي: أَلـمـوتُ شـرٌ... وأدهـى
مـنـه... أنّـا نـريـدُهُ وهـو يـأبـى

* * *

قـال لـي: لا تـقـفْ: تـقـوَّ بـزنـدي
فـمـضـيـنـا نـشـدُّ بـالـجـنـبِ جـنـبـا

واتّـحـدنـا جـنـبـاً كـأنّـا اخـتـلـطـنـا
وجـمـعـنـا الـقـلـبـيْـنِ فـي الـجـنـبِ قـلـبـا

فامتدى سيرُنا كأنّا فراشَنا
لخطانا مباسمَ الفجر دربَا

وانتشى جوُّنا انتشاء النّدامى
وأدار النّجومَ أكوابَ صهبا

يشعلُ الحبُّ من دجى الأُفقِ فجراً
يسفحُ العطرَ في طريق الأحبّا

* * *

ونظرنا في الأفقِ وهو بقايا
من ظلامٍ مُخمَرَّةُ الوجهِ غضبى

وخيالُ الشّنى يجرّبُ عينيهِ
فيطوي هُدباً ويفتحُ هدبا

وسألنا: فيم التّعادي؟ وفيمَ
نخضبُ اللّيل بالجراحاتِ خضبَا؟

ولماذا نجني المنايا... بأيدينا
ونرمي الحياةَ في التربِ تربا؟

ولورى إخوةٌ ففيمَ التعادي؟
وهو أخزى بَدءاً وأشأمُ عُقبى؟

أمّنا الأرضُ «يسعدُ الأمَ» أن
تلقى بنيها صبّاً يعانقُ صبّا

❁❁❁

مروءات العدو

شوال سنة ١٣٧٨هـ

يُخوّفني بالنّهبِ والقتلِ ناقمٌ
عليَّ وهلْ لي ما أخافُ عليه؟
إذا رامَ نهبي لم يجدْ ما يرومُهُ
وإن رامَ موتي فالمصيرُ إليه
إذا سلَّ روحي سلّني من يدِ الشّقا
وخلّصني من شرِّه بيديْهِ
وأطلقني من سجنِ عمري فقاتلي
عدوٌّ، مروءاتُ الصديق لديْهِ

❁ ❁ ❁

مصرع طفل

١٩ رمضان سنة ١٣٧٨هـ

صديقي الأستاذ عبد العزيز المقالح: أتجه إليك بهذه القصيدة التي أستقيها من دمعك على طفلك الوحيد. وها هي القصيدة إليك مع أجمل العزاء:

كيفَ انتهى من قبلِ أنْ يبتدي
هل تنطفي الروحُ ولم توقدِ؟

وكيفَ أنهى السيَّرَ من لم يرخْ
في دربهِ المجهولِ أو يغتدي؟

وافى من الديجورِ يحبو إلى
كهفِ السّكونِ النازحِ الأسودِ

ألقى به المهدُ إلى قبرهِ
لم يقتربْ منهُ ولم يبعدِ

* * *

ما بالُه خفَّ إلى موتِهِ؟
هل كانَ والموتَ على موعدِ؟

ما أقصرَ الشوطَ وأدنى المدى
ما بين عهدِ اللحدِ والمولدِ!

* * *

يا من رأى الطفلَ يعاني الرَّدى
ويرفعُ الكفَّ كمنْ يجتدي!

كأنَّهُ في خوفِهِ... يحتمي
بكفِّهِ من صولةِ المعتدي!
وكلَّمَا انهالَ عليهِ انطوى
يلوذُ بالثوبِ... وبالمرقدِ
وتارةً يرنو إلى أمِّهِ
وتارةً يلقي يداً في يدِ
ومرَّةً يرجو أبا مشفقاً
ومرَّةً يرنو إلى العُوّدِ

* * *

يهوى أبوهُ لو يذودُ القضا
عنهُ وتهوى الأمُّ لو تفتدي
يا منْ شهدتَ الطفلَ في موتِهِ
ألم تمتْ من روعةِ المشهدِ؟!

* * *

يا صائدَ العصفورِ رفقاً بهِ
فلم يخضْ جوّاً ولم يصعدِ
أتى يغنّي الروضَ لكنَّهُ
لم ينشقِ الروضَ ولم يُنشدِ
طفلٌ كعصفورِ الرّوابي طوى
ردا الصّبا من قبلِ أن يرتدي
أهلَّ في بدءِ الصّبَا فانطفا
لم يهدِ حيْراناً ولم يَهتدِ

* * *

ونامَ في حضنِ الهنا مبعَداً
عن الأعادي وعن الحُسَّدِ

عن ضجّة الدنيا وأشرارِها
وعن غبارِ العالَمِ المُفْسِدِ

تدافع الطفلُ إلى قبرِهِ
فنامَ تحتَ الصمتِ كالجلمدِ

ما أسعدَ الطفلَ وأَهْنَا الكرى
على سكونِ المرقدِ المفردِ!

* * *

هنا ثوى الطفلُ وأبقى أباً
يبكي وأماً في البكا السّرمدي

تقول في أسرارِها أمُّهُ:
لو عاشَ سلوى اليومِ، ذخرُ الغدِ!

لو عاشَ لي يا ربُ، لو لم يمتْ
أو ليتَهُ يا ربُّ، لم يوجدِ

* * *

هل خافَ هذا الطفلُ جهدَ السُّرى
فاختزلَ الدَّربَ ولم يجهدِ؟

ما بالُهُ جفَّ وريُّ الصِّبا
حوليهِ والعيشُ الظليلُ النّدي؟!

مضى كطيفِ الفجرِ لم يقتطفْ
من عمرِهِ غيرَ الصِّبا الأرغدِ

لم يطعَمِ الدّنيا ولم يدرِ ما
في سوقِها من جيّدٍ أو ردي
حبا من المهدِ إلى لحدِهِ
لم يشقَ في الدّنيا ولم يَسْعَدِ
فهاك يا «عبد العزيزِ» الرّثا
شعراً حزينَ الشّدو والمُنشِدِ
يبكي كما تبكي وفي شجوهِ
تعزيةٌ عن طفلِكَ الأوحدِ

❁ ❁ ❁

بعد الضياع

١٣٧٩هـ

إلى مَنْ أسيرُ أهاضَ المسيرْ
قوايَ وأدمى جناحي الكسيرْ
وكيفَ المسيرُ ودربي طويلٌ
طويلٌ وجهدي قصيرٌ قصيرْ؟!
فكنتُ كفرخٍ أضاعَ الجناحَ
وتدعوهُ أشواقُهُ أن يطيرْ
ولي أمنياتٌ كزهرِ القبورِ
يموتُ ويُرعشُهُ الزَّمْهَريرْ
أجرُّ خطايَ فأخشى العثارَ
وتجتاحني رغبةٌ كالسَّعيرْ
فحيناً أهبُّ كطفلٍ لعوبٍ
وحيناً أدُبّ كشيخٍ حَسيرْ
وآونةً أرتمي في الجراحِ
كما يرتمي في القيودِ الأسيرْ
وتدفعني وحشةُ الذكرياتِ
وتثني خطاي طيوفُ المصيرْ

* * *

أمـامـي غـيـوبٌ وسِـرٌّ رهـيـبٌ
وخـلـفـي عـذابٌ ومـاضٍ مـريـرْ

إلـى أيـن أمـضـي وهـل أنـثـنـي؟
أمـامـي خـطـيـرٌ وخـلـفـي خـطـيـرْ

هـنـا هـزَّنـي مـن وراءِ الـمـنـى
نـداءٌ كـضـحـكِ الـصَّـبـيّ الـغـريـرْ

كـخـفـقِ الأمـانـي كـنـجـوى غـديـرٍ
شـذيّ الـصَّـدى زنـبـقـيّ الـخـريـرْ

فـجـئـت إلـيـكِ كـمـن يـلـتـجـي
إلـى واحـةٍ مـن جـحـيـمِ الـهـجـيـرْ

ورفَّ عـلـيَّ هـواكِ الـحـنـون
رفـيـفَ الـرَّبـيـعِ الـشـذيِّ الـخـضـيـرْ

فـلا تـسـألـي مـن هـدانـي إلـيـكِ؟
هـدانـي إلـيـكِ صِـبـاكِ الـنَّـضـيـرْ

أتـخـفـيـنَ عـنّـي وحـولـي شـذاكِ
يـوشّـي الـدُّروبَ ويـغـشـى الأثـيـر

فـأقـبـلـتُ فـي الـطـيـبِ أمـشـي إلـيـكِ
عـلـى ألـفِ أغـنـيـةٍ مـن عَـبـيـرْ

ولـمّـا الـتـقـيـنـا احـتـضـنّـا الـهـوَى
كـمـا يـحـضـنُ الـفـجـرَ صـدرُ الـغـديـرْ

وغـنّـاكِ حـبـي فـلاقـى لـديـكِ
صـدًى نـاعـمـاً مـتـرفـاً كـالـحـريـرْ

وناديتُ فيكِ هوًى أوّلاً
وناديتِ فيَّ الحَبيبَ الأخيرْ

* * *

وسرنا جميعاً يداً في يدِ
نُغَنّي كثيراً ونبكي كثيرْ

وطابَ لنا منزلٌ واحدٌ
صغيرٌ كعشِّ الهَزارِ الصَّغيرْ

ولم تسأليني: أعندي سريرٌ؟
لأنَّ المحبّةَ أحنى سريرْ

وهل لي سريرٌ أنا شاعرٌ
شعوري غنيٌّ وجيبي فقيرْ؟

وحسبي أنا من عطايا الوجودِ
شعورٌ غنيٌّ وفكرٌ مُنيرْ

إذا كانَ همّي شراباً وقوتاً
فما الفرقُ بيني وبينَ الحميرْ

خُلقتُ حَنوناً لكلِّ الأنامِ
بأرجاءِ قلبي قرارٌ قريرْ

أُعزّي الفقيرَ وأرثي الغبيَّ
على عجزِهِ وأُهنِّي القديرْ

أُعزّي الجميعَ وأهوى الجميعَ
ومحتقِرُ النّاسِ أدنى حقيرْ

وأستَلهِمُ الدَّمعَ والأغنياتِ
ونوحَ النعيِّ وصوتَ البشيرْ

* * *

أنا شاعرٌ يا «ابنةَ العمِ» لي
من الحبِّ نبعٌ شهيٌّ غزيرْ

وشعرٌ رقيقٌ كحلم الصباحِ
على مقلِ الياسمينِ المطيرْ

فحسبي وحسبُكِ ديوانُ شعرٍ
وبيتٌ صغيرٌ وحبٌّ كبيرْ

وكأسٌ من الشوقِ والذكرياتِ
وأغنيةٌ من شذاكِ المثيرْ

إذا قرَّتِ النفسُ لذَّ المقام
وساوى الترابُ الفراشَ الوثيرْ

فقد يُتعسُ الجدبُ كوخَ المقلّ
وتُشقي الرفاهةُ قصرَ الأميرْ

يضيقُ الفقيرُ ويشقى الغنيّ
فلا ذاكَ بِدْعٌ ولا ذا نكيرْ

فذا يشتهي لم يجدْ بُلْغَةً
وهذا يعافُ الغذاءَ الوفيرْ

ويُخفي وراءَ الطلاءِ الأنيقِ
صدوعَ الحنايا وخزيَ الضميرْ

فوَمْضُ السّعادةِ من حوله
كوَمْضِ الأشعّةِ حولَ الضَّريرْ

فكمْ مترفٍ مبتلًى بالألوفِ
وكمْ كادحٍ هانئٍ باليسيرْ

* * *

لنا يا «ابنةَ العمِّ» من حبّنا
حنانٌ يغنّي وعيشٌ غضيرْ
وفنٌّ يضمُّ هوانا... كمَا
يضمُّ السَّميرَةَ أشهى سميرْ
ويحتضنُ الحبَّ والأمنياتِ
كما تحضنُ الكأسَ كفُّ المُديرْ
إليكِ انتهتْ رحلتي في الضياعِ
فأنسيتِنيَ هَوْلَها المستطيرْ
فلقياكِ كالظِّلِ بعدَ الهجيرِ
وكالنَّصرِ بعدَ الجهادِ العسيرْ

۞ ۞ ۞

يوم المعاد

١٨ ذو الحجة ١٣٧٨هـ

يا أخي يا بنَ الفدى فيمَ التمادي
وفلسطينُ تنادي وتنادي؟
ضجَّتِ المعركةُ الحمرا... فقم:
نلتهبْ.. فالنورُ منْ نارِ الجهادِ
ودعا داعي الفدى فلْنحترقْ
في الوغى، أو يحترقْ فيها الأعادي
يا أخي يا بنَ فلسطين التي
لم تزلْ تدعوكَ من خلفِ الحِدادِ
عُذ إليها، لا تقلْ: لم يقتربْ
يومُ عَوْدي قل: أنا «يوم المعادِ»
عذ ونصرُ العربِ يحدوكَ وقل:
هذه قافلتي والنصرُ حادي
عذ إليها رافعَ الرأسِ وقلْ:
هذهِ داري، هُنا مائي وزادي
وهُنا كرمي، هُنا مزرعتي
وهُنا آثار زرعي وحَصادي

وهُنا ناغيتُ أمّي وأبي
وهُنا أشعلتُ بالنّورِ اعتقادي

هذهِ مِدفأتي أعرِفُها
لم تزلْ فيها بقايا منْ رمادِ

وهنا مهدي، هنا قبرُ أبي
وهنا حَقْلي وميدانُ جِيادي

هذهِ أرضي لها تضحيتي
وغرامي ولها وهجُ اتّقادي

هٰهُنا كنتُ أماشي إخوتي
وأحيّي هٰهُنا أهلَ ودادي

هذهِ الأرضُ درجْنا فوقَها
وتحدَّيْنا بها أعْدى العوادي

وغرسناها سلاحاً وفدًى
ونصبنا عزْمَنا في كل وادي

وكتبنا بالدّما تاريخَها
ودِما قوم الهدى أسنى مِدادِ

هكذا قلْ: يا بن «عَكّا» ثم قل:
هٰهُنا ميدانُ ثاري وجلادي

يا أخي يا بن فلسطينَ انطلقْ
عاصفاً وارمِ العدى خلف البعادِ

سرْ بنا نسحقْ بأرضي عُصبةً
فرّقتْ بينَ بلادي وبلادي

قلْ: «لحيفا» استقبلي عَوْدتَنَا
وابشري ها نحنُ في دربِ المعادِ
واخبري كيفَ تشهّتْنا الرُّبى
أفصحي كمْ سألتْ عنّا النَّوادي!
قلْ: لإسرائيلَ يا حُلمَ الكرى
زعزعتْ عَودَتُنا حُلم الرّقادِ
خابَ «بلفورُ» وخابتْ يدُهُ
خيبةَ التجّارِ في سوقِ الكسادِ
لم يضِعْ، لا لم يضِعْ شعبٌ أنا
قلبُهُ وهو فؤادٌ في فؤادي
قل: «لبلفور» تلاقتْ في الفِدى
أمّةُ العربِ وهبّتْ للتّفادي

* * *

وحّدَ الدربُ خطانا والتَقتْ
أمّتي في وَحدةٍ أو في اتحادِ
عندما قلنا: اتحدنا في الهوى
قالتِ الدنيا لنا: هاكمْ قيادي
ومضينا أمّةً تُزجي الهُدى
أينما سارتْ وتهدي كلّ هادي

❁ ❁ ❁

المنتحر

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧هـ

لفظَ الروحَ فاطمأنَّتْ ضُلوعُهْ
وانطفا شوقُهُ ونامَ ولُوعُهْ

وقعَ المتعبُ الكئيبُ على الموتِ
فماذا جرى وكيفَ وقوعُهْ؟

جفَّتِ الكأسُ في يديهِ وأشْتَى
فيهِ وادي المُنى وماتَ ربيعُهْ

حارَ في الموتِ والحياةِ... كراعٍ
ضاعَ تحتَ الدُّجى وضاعَ قطيعُهْ

كلّما ساءل الدُّجى أينَ يمضي
لجَّ في الصَّمتِ واستفاضَ خشوعُهْ

وانحنى كالعجوزِ وانْساقَ كالمخْـ
ـمورِ وامتدَّ في السكونِ هزيعُهْ

* * *

لا تسلْ ذلكَ الفتى: كيفَ صاحَ
الجرحُ فيهِ؟ وكيفَ صمَّ سميعُهْ

كيفَ أسْرارُ قلبهِ أيَّ سرٍ
كانَ يطوي وأيُّ سرٍ يذيعُهْ؟

همْ بالموت والظّنونُ تُواري
حولَه الخوفَ تارةً وتُشيعُهْ

وتلكّا فدارَ في ذهنهِ «سقراط»
هذا اسمُهُ وهذا لُموعُهْ

ذلكَ الفيلسوفُ لم يدرِ هل أحـ
سنَ صنعاً أم كيفَ ساءَ صنيعُهْ؟!

جرعةُ الكأسِ أنهتِ العمرَ فيه
فانتهى أصلُ شرِّهِ وفروعُهْ

وتلكّا الفتىَ وحارَ، أيشري
من يدِ الموتِ عمرَهُ أم يبيعُهْ؟

أومأتْ كَفُّهُ إلى خنجرِ الموتِ
وأومأ إلى الحياةِ نُزوعُهْ

* * *

ليس يدري أيَّ الأمرَّينِ أحلى
سَعْيُه نحو حتفِهِ أم رجوعُهْ؟

طاوعَ الخنجرُ الأصَمُّ يَديْهِ
حينَ كادتْ يمينُهُ لا تُطيعُهْ

وتوارى في صدرهِ خنجرُ الموتِ
فضجَّ الحَشا وفارتْ صُدوعُهْ

والْتوى حولَهُ الرَّدى كالأفاعي
وتلوَّى كالأفعوانِ صريعُهْ

وتراخت على الفراشِ يداهُ
ثمَّ أغفى وفي يديهِ نَجيعُهْ

* * *

متعبٌ طالَ عمرُهُ وشقاهُ
وتمادتْ جراحُهُ ودُموعُهْ

طالما شَبَّ من دماه شموعاً
للهوى فانطفا الهوى وشموعُهْ

حين لم يستطعْ بلوغَ مناهُ
ماتَ: والموتُ كلُّ ما يستطيعُهْ

وانطوى عمرهُ الطويلُ فألقى
قيدَهُ وانتهى شقاهُ وجوعُهْ

وانَزوى حيثُ لا يُحسُّ صديقاً
يجْتَبيه ولا عَدوّاً يَروُعُهْ

* * *

نزلَ المضجعَ الأخيرَ فلانَتْ
قسوةُ التُّربِ واستراحَ ضجيعُهْ

أسكتَ القبرُ فيهِ كلّ ضجيجٍ
واحتواهُ سكونُهُ وهجُوعُهْ

إنما القَبْرُ مضجَعٌ يستوي
العالَمُ فيهِ رفيعُهُ ووضيعُهْ

نافقتْ بيننا الحياةُ فهذا
حلَّ كوخاً وذاكَ طالتْ ربوعُهْ

يا لِظلمِ الحياةِ ما أعدلَ القبرَ
تساوى فيهِ الوجودُ جميعُهْ!

* * *

لا تَلُمْ ذلك الفتى حين أردى
نفسَهُ فالشّقا الطويلُ شفيعُهْ
وانتحارُ المضيمِ أخْصَرُ للضَّيم
وأجدى منْ أنْ يطولَ خضوعُهْ
مزَّق العمرَ حينَ ضيّعهُ العمرُ
وحُمْقٌ حفظُ الفتى ما يضيعُهْ
كمْ شوتْ روحُهُ الضّلوعَ ويوماً
لفظ الروحَ فاطمأنّتْ ضلُوعُهْ

۞ ۞ ۞

بين ذهاب ومعاد

١٨ صفر سنة ١٣٨٠هـ

تلفّتتْ كالسّارقِ الخائفِ
إلى العشيقِ اللّاهثِ الرّاجفِ

مذعورةً ترتاعُ منْ خطوِها
من الخيالِ الكاذبِ الطّائفِ

شَرْشَفُها المذعورُ كالغصنِ في
جوّ الخريفِ الأصفرِ العاصفِ[1]

تمشي ويمشي إثْرَها والدُّجى
حوليْهِما كالرّاهبِ العاكفِ

وانطلقَتْ وانقضَّ في إثرِها
كالبرقِ في إيماضِهِ الخاطفِ

* * *

حتى احتوى شخصيْهما مخدعٌ
غضٌّ كأفراحِ الصّبا الوارفِ

فاللّيلُ رقْصٌ عابثٌ كالصّبا
ومعزفٌ يشدو بلا عازفِ

---

(١) الشرشف: ستار أسود يعلو ثياب المرأة حتى يغطي سائر جسمها، والكلمة لهجة محلية.

ولاحَ وغمانِ لعَينيهما
كواقفٍ يصغي إلى واقفِ

فقَنّعَتْ وجْهَيْهِما صُفْرَةٌ
كذكرياتِ المذنبِ الآسفِ

وأغتَمَ الجوُّ فلم يخْشيا
على ستارِ الحبِّ من كاشِفِ

وأنصتَ اللّيلُ ولمْ يستمعْ
إلّا شكاوى عمرِه التّالفِ

كأنّهُ شيخٌ على وجهِهِ
مقبرةٌ من عهدِهِ السّالِفِ

شيخٌ لهُ وجهٌ كدجلِ الرؤى
ولحيةٌ تدعو يدَ النّاتفِ

أصغى فلم يسْمَعْ سوى غيمِهِ
وثرثراتِ المَطَرِ الواكفِ

وخَطْوِ فلّاحٍ هناكَ انحنى
يمحو بقايا العَرَقِ النّازفِ

* * *

هنا اطمأنّتْ واطمأنَّ الفتى
إلى اللّقاءِ الصّاخبِ القاصفِ

وحدّقتْ في وجْهِ محبوبها
تحديقَةَ الظّامي إلى الغَارِف

ووَسْوَسَتْ ما سِرُّ إطراقِهِ
وما ورا إطراقةِ العارفِ؟!

هل أذْهَلَتْهُ فِتْنَتي أمْ أنا
أسْعى وراءَ الموعدِ الآزفِ؟
هل أجْتَديهِ؟ آهِ أم ألتجي
إلى سلاحي المدمع الذارفِ؟!
أم لا يَنِمُّ الوجه عن قلْبهِ؟
أمْ حبُّهُ كالدرهمِ الزّائفِ؟
لا «لم يكنْ» إني أرى قلبَهُ
في عيْنِهِ كالشَّرِهِ الواجِفِ
عيْناهُ في عيْنيَّ لكنْ متى
يدني فمي من فمهِ الرَّاشفِ؟
وأومأت في ثَغْرِها بسمةٌ
إيماءةَ الزَّهرِ إلى القاطِفِ
فضجَّ في أحشائِهِ موكبٌ
من الحنينِ الدَّافق الجارفِ
فضمَّها حتى ارتمتْ وارْتمى
على السّريرِ النّاعمِ العاطفي
فضمَّ سُكّيراً وسِكّيرةً
وشدّ مشغوفاً إلى شاغِفِ

* * *

وعادَ والفجرُ وراء الدّجى
لَمْحٌ كهجسِ الخَاطِرِ الكاسِفِ
وفجأةً أوْمَتْ بَنانُ السّنى
إيماءةَ الحُسنِ إلى الوَاصِفِ

وأقـبـلَ الـفـجـرُ وفـي جِـيـدِهِ
قِـلادَةٌ مـن جُـرحِـهِ الـرَّاعِـفِ
فـالـدَّربُ فـي إشـراقِـهِ جَـدْولٌ
مُـزَغْـرِدٌ فـي جَـدْوَلِ هـاتِـفِ
وكـبـريـاءُ الـبَـغْـثِ أهْـزُوجَـةٌ
عـلـى شِـفـاهِ الـمـوكِـبِ الـزَّاحـفِ

❁ ❁ ❁

بشرى النبوءة

ألقيت هذه القصيدة في الحفل الذي أقامته وزارة التربية والتعليم بصنعاء بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٣٧٩هـ.

بُشرى من الغيبِ ألقَتْ في فم الغارِ
وحْياً وأفْضَتْ إلى الدُّنيا بأسرارِ
بُشرى النبوَّةِ طافتْ كالشذى سَحَراً
وأغْلَنَتْ في الرُّبى مِيلادَ أنْوارِ
وشقَّتِ الصَّمتَ والأنْسامُ تحمِلُها
تخْتَ السكِينةِ من دارٍ إلى دارِ
وهَذْهَدَتْ «مكَّةُ» الوسْنى أناملُها
وهزَّتِ الفجرَ إيذاناً بإسْفارِ

* * *

فأقبل الفجرُ من خَلْفِ التلالِ وفي
عَيْنَيْهِ أسْرارُ عُشَّاقٍ وسُمَّارِ
كأنَّ فَيْضَ السنى في كلِّ رابيةٍ
مَوْجٌ وفي كلِّ سفحٍ جدولٌ جاري
تدافعَ الفَجْرُ في الدّنيا يزِفّ إلى
تاريخها فجرَ أجيالٍ وأدهارِ
واستقبلَ الفتحُ طفلاً في تبسُّمِهِ
آياتُ بشرى وإيماءاتُ إنذارِ

وشبَّ طفلُ الهدى المنشودُ متّزِراً
بالحقّ متّشِحاً بالنورِ والنارِ

في كفّهِ شعلةٌ تهدي وفي فمِه
بشرى وفي عَينَيهِ إصْرارُ أقدارِ

وفي ملامِحِهِ وعدٌ وفي دمِهِ
بطولَةٌ تتحدّى كلّ جبارِ

* * *

وفاضَ بالنورِ فاغتمَّ الطغاةُ بهِ
واللّصُّ يخشى سُطوعَ الكوكَبِ السّاري

والوغْيُ كالنّورِ يُخزي الظّالمينَ كما
يُخْزي لصوصَ الدّجى إشراقُ أقمارِ

نادى الرّسولُ نداءَ العدلِ فاحتشدتْ
كتائب الجورِ تُنْضي كلَّ بتّارِ

كأنّها خلْفَهُ نارٌ مجَنّحَةٌ
تعدو وقدّامَهُ أفْواجُ إعْصارِ

فضجَّ بالحقّ والدّنيا بما رَحُبَتْ
تَهْوي عليهِ بأشْداقٍ وأظْفارِ

وسارَ والدّربُ أحْقادٌ مسلّحةٌ
كأنَّ في كلّ شبرٍ ضيغماً ضاري

وهبَّ في دَرْبِهِ المرْسوم مُنْدفعاً
كالدَّهْرِ يقْذِفُ أخْطاراً بأخطارِ

* * *

فأدبَرَ الظّلْمُ يُلقي هٰهُنا أجلاً
وهٰهُنا يتلقّى كفَّ... حفّارِ

والظّلمُ مهما اختمتْ بالبَطْشِ عُصبتُهُ
فلنْ تُطِقْ وقفةً في وجْهِ تيّارِ

رأى اليتيمُ أبو الأيتامِ غايَتَهُ
قُضوَى فشقَّ إليها كلَّ مِضمارِ

وامتدَّتِ المِلّةُ السّمْحَا يَرِفُّ على
جَبِينها تاجُ إعْظامٍ وإكبارِ

* * *

مضى إلى الفتحِ لا بَغْياً ولا طمعاً
لكنْ حناناً وتطهيراً لأوْزارِ

فأنزل الجورَ قبراً وابتنى زمناً
عَدْلاً... تُدبِّرهُ أفكارُ أحرارِ

* * *

يا قاتلَ الظلمِ صالت هٰهُنا وهُنا
فظايعٌ أينَ منها زندُك الواري

أرضُ الجنوب دياري وهي مَهْدُ أبي
تئنُّ ما بينَ سَفّاحٍ وسِمسارِ

يشدُّها قيدُ سَجّانٍ وينهشُها
سوْطٌ... ويحدو خطاهَا صوتُ خمّارِ

تعطي القيادَ وزيراً وهو متّجِرٌ
بجوعِها فهو فيها البايعُ الشّاري

فكيف لانتْ لجلّادِ الحمى «عَدَنٌ»
وكيفَ ساسَ حِماها غدْرُ فُجّار؟

وقادها زعماءٌ لا يبرّرهم
فعلٌ وأقوالُهمْ أقوالُ أبرارِ

أشباهُ ناسٍ وخيراتُ البلادِ لهمْ
يا لَلرِّجالِ وشعبٌ جائعٌ عاري

أشباهُ ناسٍ دنانيرُ البلادِ لهمْ
ووزنهُمْ لا يساوي ربعَ دينارِ

ولا يصونونَ عند الغدر أنفُسَهم
فهل يصونونَ عهدَ الصّحبِ والجارِ

ترى شخوصَهُمُ رسمّيةً وترى
أطماعَهُمْ في الحمى أطماعَ تجّارِ

* * *

أكادُ أسخرُ منهُمْ ثمّ تُضحكني
دعواهُمُ أنَّهُمْ أصحابُ أفكارِ

يبنونَ بالظُّلمِ دوراً كي نمجّدهمْ
ومجدُهُم رجسُ أخشابٍ وأحجارِ

لا تخبرِ الشّغبَ عنهمْ إنَّ أعيُنَهُ
ترى فظائعَهمْ منْ خلفِ أستارِ

ألآكلونَ جراحَ الشّغبِ تخبرنا
ثيابُهُمْ أنَّهُمْ آلاتُ أشرارِ

ثيابُهُمْ رشوةٌ تُنبي مظاهِرُها
بأنّها دمعُ أكبادٍ وأبصارِ

يشرونَ بالذّلّ ألقاباً تُستّرُهُمْ
لكنّهُم يَسترونَ العارَ بالعارِ

تُحسُّهُمْ في يدِ المستعمرينَ كما
تحسّ مسبحةً في كفّ سَحّارِ

* * *

ويلٌ وويلٌ لأعداءِ البلادِ إذا
ضجَّ السكونُ وهبّتْ غضبةُ الثّارِ!

فليغنمِ الجورُ إقبالَ الزّمانِ لَهُ
فإنَّ إقبالَهُ إنذارُ إدبارِ

* * *

والنّاسُ شرٌ وأخيارٌ وشرُّهمُ
منافقٌ يتزيّا زيَّ أخيارِ

وأضيَعُ النّاسِ شعبٌ باتَ يحرسُهُ
لِصٌّ تُستّرهُ أثوابُ أحبارِ

في ثغره لُغَةُ الحاني بأمّتِهِ
وفي يديهِ لها سكّينُ جَزّارِ!

حِقدُ الشعوبِ براكينٌ مسمّمةٌ
وقودُها كلّ خوّانٍ وغدّارِ

من كلّ محتقِرٍ للشّعبِ صورتُهُ
رسْمُ الخياناتِ أو تمثالُ أقذارِ

وجثّةٌ شوّشَ التّغطيرُ جِيفَتَها
كأنّها مَيتةٌ في ثوبِ عطّارِ

* * *

بين الجنوبِ وبينِ العابثينَ بهِ
يومٌ يحنُّ إليهِ يومُ «ذي قارِ»

* * *

يا خاتمَ الرسلِ هذا يومُكَ انبعثتْ
ذكراهُ كالفجرِ في أخضانِ أنهارِ

يا صاحبَ المبدأ الأعلى، وهل حملتْ
رسالَةَ الحقّ إلّا روحُ مختارِ؟

أعلى المبادئِ ما صاغتْ لحاملها
من الهُدى والضَّحايا نصبَ تذكارِ

فكيف نذكر أشخاصاً مبادئهُمْ
مبادئُ الذئبِ في إقدامهِ الضاري؟!

يبدونَ للشّعبِ أحباباً وبينَهُمُ
والشعبِ ما بينَ طبعِ الهرِّ والفارِ

مالي أغنّيكَ يا «طٰهَ» وفي نَغَمي
دمعٌ وفي خاطري أحقادُ ثوّارِ؟

تملْمَلَتْ كبرياءُ الجرحِ فانتزفَتْ
حِقدي على الجورِ منْ أغوارِ أغواري

* * *

يا «أحمدَ النّورِ» عفواً إنْ ثأرْتُ ففي
صدري جَحيمٌ تَشَظّتْ بين أشعاري

«طٰهَ» إذا ثارَ إنشادي فإنَّ أبي
«حسّان» أخبارُهُ في الشِّعرِ أخباري

أنا ابنُ أنصارِكَ الغرّ الألى قذفوا
جيشَ الطّغاةِ بجيشٍ منكَ جرّارِ

تظافرتْ في الفدى حوليْكَ أنفسهم
كأنّهنَّ قلاعٌ خلفَ أسْوارِ

نحنُ اليمانينَ يا «طٰهَ» تطيرُ بنا
إلى روابي العُلا أرواحُ أنصارِ

إذا تذكّرْتَ «عَمّاراً» ومبدأهُ
فافخرْ بنا: إنّنا أحفادُ «عَمّارِ»

«طٰهَ» إليكَ صلاةُ الشّعر ترفعُها
روحي وتعزِفُهَا أوتارُ قِيثارِ

❁ ❁ ❁

مغنِّي الهوى

شعبان سنة ١٣٧٦هـ

لا تَسخري يا أختُ بالشّاعرِ
تكفيهِ بلوى دهرِهِ السّاخرِ
رفقاً بغرّيدِ الهوى إنّهُ
يَنوحُ نوْحَ الطَّائِرِ... الحائِرِ
يبكي بترديدِ الأغاني وما
لِلَحْنِهِ والحبِّ... من آخرِ
فلا تَضيقي بمُغَنّي الهوى
وهل يَضيقُ الرَّوضُ بالطائِرِ؟
تذكّري خلفَ النَّوى عاشقاً
يلقاكِ في وجدانِهِ الذّاكرِ
أوْمَا إلى كفِّ الهوى قلبُهُ
إيماءةَ العَنْقودِ للعَاصرِ
محرَّقُ الأنفاسِ تسري بهِ
ظُنُونُهُ حولَ الدّجى العابِرِ

* * *

والليلُ وادي الحبِّ تنشالُ منْ
سكونِهِ الذكرى على السّاهِرِ

وتلتقي الأشجانُ في جَوّهِ
مَواكباً في موكبٍ سَادِر

تمرّ بالأشواقِ أطيافُهُ
كما تمرُّ الغيدُ... بالعاهِرِ

وتستثيرُ النائِمينَ الرّؤى
وتضحكُ الأوهامُ للسّامرِ

كم شاق هذا الليلُ خِلّا إلى
خِلٍّ ومِطواعاً إلى نافرِ

وجالَتِ الأحلامُ فيهِ كمَا
يجولُ سِرُّ الحبِّ في الخاطِرِ

وضمَّ مشتاقٌ مشوقاً بهِ
وحَنَّ مَلْهوفٌ إلى زائرِ

* * *

سلِ الدُّجى عن طيفِ «ليلى» وكم
حيّاهُ «مجنونُ بني عامرِ»

وسلْهُ عن أخبارِ أهلِ الهوى
من أبْعَدِ الماضي إلى الحاضرِ

فإنَّهُ رحّالةُ الدَّهرِ... كمْ
سَرَى الهوى في ركبِهِ السّائرِ

مسافرٌ يسري ويَطوي السُّرى
على جَناحِ الفَلَكِ الدَّائرِ

رحّالةُ الأزمانِ يُزجي إلى
مستقبلِ الدهرِ صَدَى الغابرِ

* * *

كم في حنايا اللّيل سِرٌّ وما
أكْتَمَهُ للسِّرِّ... والظاهرِ!

ينْساقُ في الصَّمتِ وفي صمتِهِ
حنينُ مهجورٍ إلى هاجِرِ

وشوقُ مفتونٍ إلى فتنةٍ
ووجْدُ مسحورٍ إلى ساحرِ

وحقدُ مظلومٍ على ظالمٍ
وضِغْنُ مأسورٍ على آسِرِ

* * *

يا أختُ: هل ألقى إليكِ الدُّجى
أشواقَ قلبٍ بالشَّقا زاخرِ؟

يستولِدُ الآمالَ لكنْ كمَا
يستولِدُ العِنِّينُ من عاقرِ

* * *

يا ربّةَ الحسْنِ هنا مُغْرَمٌ
يُصغي لنجوى طَيْفِكِ العاطِرِ

مُعَذَّبٌ تاريخُهُ قِصَّةٌ
حَيْرى كقلبِ التّاجِرِ الخَاسِرِ

رِقّي عليهِ إنَّهُ كلّهُ
قلبٌ شجيُّ الشِّعرِ والشَّاعِرِ

شاعر الكأس والرشيد

كتبت هذه القصيدة عندما نشرت السلطة الإمامية
إرهابها باسم جلد باعة الخمر وشاربيه، ١٣٧٩هـ

لو تَسَامَتْ عقولُنا عنْ هوانا
لهدَيْنا الهُدى وقُدْنا الزَّمانا

ولَسِرْنا وخطْونا يلدُ الفجْرَ
المغنّي... ويُنبتُ الرَّيحانا

لو تلظّتْ قلوبُنا بسَنى الحبّ
لما عانتِ العيونُ الدّخانا

لو تَحبحنا غرورَنا لملأنا
منْ عطايَا الوجودِ وُسْعَ مُنانا

فعطايا الحياةِ أوسعُ منْ
آمال أبنائِها وأسخى حنانا

لو ملكنا الهدى لما سلَّ كفٌّ
خنجراً راعِفاً وأدمى سنانا

كيف يستلّ بعضُنا روحَ بعضٍ
أَلِنُخْيي مآتماً واضْطِغَانا؟

ونُسمّي لصَّ الحياة شُجاعاً
ونُسمّي عفَّ اليدينِ جبَانا

* * *

نحنُ غرسُ الإلٰهِ يحصده اللّٰهُ
لماذا تعيثُ فيهِ... يدانا؟

ما لنا نسبِقُ الحِمامَ إلينا
وهو أمضى يداً وأحنى بنانا؟

ونخافُ العِدى وحين نعادي
هل درينا أنّا خَلقنا عِدانا؟

لو نفضْنا شرورنَا لرأينا
أوجهَ الخيرِ في الضّياءِ عِيانا

نحنُ نُبدي عيوبَنا حينَ نرمي
بالخطايا فلانةً أو فلانا

نحنُ لو لم نكنْ أصولَ الخطايا
ما رأينا ظِلالها في سوانا

كم سألنا التفتيشَ عن جيفةِ الإثـ
ـمِ وسرنا والإثمُ يحدو خطانا!

وهتكْنا مخابئ الإثم في الحيّ
وعُدْنا نفتّشُ الأكفانا

* * *

لا تَنَمْ: يا «أبا نواس» أما
كنتَ أثيماً في لهوهِ... يتفانى؟

أو ما كنتَ أظرفَ الناسِ في القصـ
ـفِ وأعلى الغواة فنّاً وشانا؟

فهتكنا عَنكَ السّتارَ كأن لمْ
يخطرِ الإثمُ بيننا عُريانا

هل تخوّفتَ غضبةَ السّوط في الدنـ
ـيا وهلْ ذقت في القبور الأمانا؟

لستُ أدري ماذا لقيتَ، لماذا
غبتَ في الصمتِ لمْ تحرّك لسانا؟

إن تمتْ هيكلاً فقدْ عشت أفـ
ـكاراً وأورقت في الشفاه بيانا

أين منكَ الرّدى؟ وأقوى من الأحـ
ـياءِ ميتٌ يُسهّدُ... الأذهانا

عشتَ عصراً ولمْ يزلْ كلّ عصرٍ
يتساقى فجوركَ الفنّانا

تلك ألحانُكَ الظوامي كؤوسٌ
تتغنّى فتُسكر النّدمانا

لكأنّي ألقاكَ في لحنِكَ الظمآنَ
روحاً ملحناً... وكيانا

وذهولُ الإلهامِ يرعشُ عينيكَ
كما ترعشُ الصّبا الأقحوانا

وأحسُّ «الرشيد» ينزلُ دنياهُ
كما ينزلُ الصباحُ الجنانا

وتغنّيهِ وهو ينتزفُ الكأس
ويسقي المدلّلاتِ الحسانا

والنّدامى الصّباحُ بين يديهِ
وكؤوسٌ تنأى وأخرى تدانى

والمليحاتُ مهرجانٌ من الحسن
يغنّي منْ الهوىَ مهرجَانا

وهو يلهو لهوَ الشجيِّ ويمضي
في جنونِ الهوى يُعرّي القِيانا

فترى في النّديِّ ألف ربيعٍ
ينثرُ العطرَ والسّنى ألوانا

وصِباحاً من الحِسانِ العرايا
مغرماً يعزفُ الهوى ألحاناً

وخصوراً تميدُ بينَ زنودٍ
بضَّةٍ تنهب الخصورَ اللَّدانا

وصدوراً نهدى تضمّ صدوراً
واحتضاناً غضّاً يلفّ احتضانا

والجمالُ العريانُ يُطغي المحبينَ
ويهوى الجنونَ والطغيانا

* * *

ما ترى يا «أبا نواس»؟ ترى
الأكواب ملأى وتحتسي الحِرْمانا

تشتهىٰ مُدامةً . . . لم تجدهَا
فتُغَنّي خيالها الفَتّانا

لو وجدتَ الرّحيق ما ذبت شجواً
وتحرَّقْتَ في المنى أشجَانا

شاعرُ الحبِّ حينَ يهجرهُ المحـ
ـبوبُ يَفْتَنُّ في الحنين افتِنانا

عشتَ تبكي على المُدامِ وتذرو
في هوى الكأسِ دمَعَكَ الهتّانا

وتُنادي الهنَاءَ في كلِّ وهمٍ
وتهنّي البَساط والصَّولجانا

* * *

بدعةُ الذلِّ أن تحنَّ وتبكي
وتغنّي «الرشيدَ» و«الخيزرانا»

ملكٌ يرضعُ الدِّنانَ كما يهوى
وأنت الذي تغنّي الدّنانَا

و«الأمينُ» النّديمُ يمنعُكَ الخمرَ
ويحسو وتنحني ظمآنا

وهو في القصرِ يحتسي عرقَ الشعبِ
ويُرَوِّي القيانَ والغِلْمانَا

يملأ الكأسَ من دموعِ اليتامَى
ويغنّي على نشيجِ الحزانى

ويرى أنّهُ أمينٌ على الدينِ
وإن ضيّعَ الرشادَ وخانا

كيف يحمي دينَ الإلَهِ ظلومٌ
يتحدّى الإلَهَ والإنسانا؟

يدّعي عصمةَ الملائكةِ الطُّهرِ
ويأتي ما يُخْجِلُ الشّيطانا

* * *

هكذا يا «أبا نواس» تَلوَّى
حولك الشَّعبُ في الجراحِ وهانا

كيف مرَّغتَ وجهك الحُرَّ في الذّلِ
وأسْلَسْتَ للطّغاةِ العِنانا؟

وتغنّيتَ «للأمينِ» فأصغى
وتراخى في غَيِّهِ وتوانى

وتخيّرتَ «للرشيدِ» بحوراً
قلّدتْ جيدَهُ الغليظَ جُمانا

وهززتَ (الخصيبَ) فاهتزَّ جَنْبَاهُ وذوَّبتَ مُقلتيْكَ فَلانا

وتباكَيتَ بينَ كفّيْهِ كالطّفلِ
فيا للشموخِ كيفَ استكانا؟!

* * *

كيف ألقاكَ يا أخا الكأسِ في
المدحِ ذليلاً ومُطْرِقاً خجلانا؟

تسألُ الصمتَ كيفَ حلّت قوا
فيكَ من الذلِّ والنفاقِ مكانا؟

أفترضى للفنِّ أخزى مكانٍ؟
إنَّ للفنِّ حُرمَةً وصيانا

وألاقيك في ترنُّمك الخمريِّ
ربيعاً مرنِّماً... جذلانا

تعزفُ العطرَ والفتونَ المندَّى
وتهزُّ الشَّبَابَ والعنفوانا

* * *

لا تقلْ لي: كيف التقينا؟ وقلْ لي:
بارِكَ الفنُّ والخيالُ لقانا!

شاعرَ الكأس قرَّب الطّيفُ عهدَيْنا
فكيفَ اتّفاقُنَا؟ كيفَ كانا؟

بَعُدَ العهدُ بيننا فادَّكرْنا
واختصرنا بالذكرياتِ الزَّمانا

واعتنقنا على النّوى والتقينا
نتشاكى من الأسى ما عَنانا

أنا أشقى كما شَقِيتَ ولكنْ:
لا تُتَمْتِمْ... وأيُّنا أشقانا؟

لا تسلني: فمحنتي أنَّ لي في الـ
يأسِ أهلاً وفي الأسى إخوانا

نحنُ منْ نحنُ؟ مِزْهرانِ من
الشوقِ كلانا لحنُ العذابِ كلانا

«شاعرَ الكأسِ والرشيدِ» وداعاً
وسلاماً يُشْذِيكَ آناً فآنا

۞ ۞ ۞

ليلة

كانتِ الحسناءُ سجينة الدار تساهر الليالي لتقتنص عاشقاً، وكان طريداً تحت كل كوكب، وفي ليلة من ليالي العمر.... طالع العاشقة المجهولة تائه مجهول، وكان بعيداً عن الحب فقربه الجمال منه، وضمتهما ليلة لقاء... فانتصرا على الحرمان، وكان ميلاد حب:

رَنَتْ والدُّجى في خاطرِ الصمتِ هادئٌ
يطاوعِهُ حُلْمٌ وحُلْمٌ يناوئُ

وبينَ حنايا الليلِ دهرٌ مكفَّنٌ
قديمٌ ودهرٌ في حناياهُ ناشئُ

رنتْ والسَّنى في مُقْلةِ الليلِ متعبٌ
يئنُّ وفي دُورِ المدينَةِ طافئُ

* * *

فلاحتْ لعينيها خيالاتُ عابرٍ
يحثُّ الخطى حيناً وحيناً يباطئُ

وجالتْ بعينيها هُناكَ وهٰهُنَا
فطالعَها وجهٌ على العشقِ طارئُ

وقالتْ: من الآتي؟ فأرعدَ قلبَهُ
وأخجَلَ عينيْهِ الغرامُ المفاجئُ

ورفَّتْ له من كلِّ مرأى صبابةٌ
وضجَّ حنينٌ بين جنبيهِ ظامئُ

وقال: فتىً تاهتْ سفينةُ عمرِهِ
وغابتْ وراءَ اليأسِ عنهُ المرافئُ
يفتّشُ عن سلواهُ في التّيهِ مثلمَا
يفتّشُ عن أهليهِ في الطيفِ لاجئُ
فحارتْ به واحتارَ في الحبِّ مثلها
فهل تَبدأ الشكوى؟ وهل هو بادئُ؟

* * *

ولفّهمَا ظلُّ السكينَةِ والهوى
يعاندُ أحياناً وحيناً يمالئُ
فحدّقَ يستقصي مفاتنَ جسمِها
كما يتقصّى أحرفَ السّطْرِ قارئُ

* * *

وقال: فتاتي فيكِ تورِقُ فتَنةٌ
ويختالُ فجرٌ كالطفولةِ هانئُ
ويهتزُّ في نهديْكِ موجٌ مضرَّمٌ
عميقٌ وفي عينيك يحلمُ شاطئُ
وألفاظكِ النّعسا تشعُّ كأنّها
على شفتيكِ الحلوتين لآلئُ
وضمَّتْهُمَا في زحمةِ الحبِّ نشوةٌ
وهوَّمَ في حضنِ الخطيئةِ خاطئُ
فتاةٌ يموجُ الحسنُ فيها وترتمي
عليها الصّباباتُ الجياعُ الظّوامئُ

جـــمـــالٌ وإغـــراءٌ وروحٌ نـــديّـــةٌ
وجـسـمٌ بـأحـضـانِ الـغـوايـةِ دافـئُ

يومَ العِلمْ

بمناسبة افتتاح دار المعلمين بصنعاء عام ١٣٧٧هـ

ماذا يقولُ الشِّعرُ؟ كيفَ يُرنِّمُ؟
هتفَ الجمالُ، فكيفُ يَشْدو المُلْهَمُ

ماذا يُغنِّي الشِّعرُ؟ كيفَ يَهيمُ في
هذا الجمالِ؟ وأينَ أينَ يُهوِّمُ؟

في كُلِّ مُتَّجهٍ ربيعٌ راقصٌ
وبِكُلِّ جوٍّ ألفُ فجرٍ يبسمُ

يا سكرةَ ابنِ الشِّعرِ هذا يومُهُ
نَغَمٌ يبعثرهُ السَّنا ويُلَمْلِمُ

يومٌ تُلاقيهِ المدارسُ والمُنى
سَكرى كما لاقى الحبيبةَ مُغْرَمُ

يومٌ يكادُ الصَّمتُ يهدرُ بالغنا
فيهِ ويرتجلُ النَّشيدَ الأبْكَمُ

يومٌ يرنِّحُهُ الهَنا ولَهُ... غدٌ
أهْنا وأَحْفَلُ بالجمالِ وأَنعَمُ

* * *

يا وثبةَ «اليمنِ السَّعيد» تيقَّظَتْ
شُبَّانُهُ وسَمَتْ كما يَتوسَّمُ

ماذا يرى «اليمنُ» الحبيبُ تحقَّقتْ
أسمى مُناهُ وجُلُّ ما يتوهَّمُ

فَتحَتْ تباشيرُ الصَّباحِ جُفونَهُ
فانشقَّ مَزقَدُه وهبَّ النُّوَّمُ

وأفاقَ والإصرارُ ملءُ عيونِه
غضبانَ يكسِرُ قَيدَهُ ويُدمْدِمُ

ومضى على ومضِ الحياةِ شبابُه
يقْظانَ يسبح في الشّعاع ويحلمُ

* * *

وأطلّ «يومُ العلم» يرفلُ في السَّنا
وكأنَّه بفمِ الحياة... ترنُّمُ

يومٌ تلقِّنهُ المدارسُ نشْأها
درساً يُعلِّمُهُ الحياةَ ويُلهمُ

ويُرَدِّدُ التاريخُ ذكرَاهُ وفي
شَفَتيهِ منْهُ تساؤلٌ وتبسُّمُ

يومٌ أُغَنِّيهِ ويُسكرُ جوَّهُ
نَغَمي فَيَسْكَرُ من حلاوتِهِ الفمُ

* * *

وقفَ الشبابُ إلى الشبابِ وكلُّهم
ثقةٌ وفخرٌ بالبطولةِ مُفعمُ

في مهرجانِ العلم رَفَّ شبابُه
كالزهرِ يهمسُ بالشَّذى ويتمتمُ

وتألق المتعلمون... كأنهم
فيه الأشعَّةُ والسَّما والأنجمُ

* * *

يا فتيةَ اليمنِ الأشمِّ وحلمَهُ
ثمرُ النُّبوغِ أمامَكُمْ فتقدَّموا

وتقحَّمُوا خطرَ الطَّريق إلى العُلا
فخطورةُ الشُّبَّانِ أن يتقحَّمُوا

وابنوا بكفِّ العِلْمِ علْياكم فما
تبنيهِ كَفُّ العلم لا يتهدَّمُ

وتساءلوا مَنْ نحن؟ ما تاريخُنَا؟
وتعلَّموا منهُ الطُّموحَ وعَلِّمُوا

* * *

هٰذي البلادُ وأنتُمُ مِنْ قلبِها
فِلَذٌ وأنتمْ ساعِدَاها أنتمُ

فثِبوا كما تَثِبُ الحياةُ قويَّةً
إنَّ الشَّبابَ توثُّبٌ وتقدُّم

لا يهتدي بالعلمِ إلَّا نَيِّرٌ
بهِجُ البصيرةِ بالعلومِ مُتيَّمُ

وفتىً يُحِسُّ الشَّعبَ فيه لأنَّهُ
من جِسمهِ في كُلِّ جارحةٍ دمُ

يشقى ليُسعِدَ أُمَّةً أو عالماً
عطْرُ الرِّسالةِ حرقةٌ وتألُّمُ

فتفهَّموا ما خلفَ كلِّ تستُّرِ
إنَّ الحقيقةَ دُربَةٌ وتفهُّمُ
قد يلبسُ اللصُّ العفاف ويكتسي
ثوبَ النبيِّ منافقٌ أو مجرمُ
مَيْتٌ يكفّنُ بالطِّلاءِ ضميرَهُ
ويفوحُ رَغْمَ طِلائه ما يكتمُ

* * *

ما أعجبَ الإنسانَ هذا مِلْؤهُ
خيرٌ وهذا الشرُّ فيه مجسَّمُ!
لا يستوي الإنسانُ هذا قلبُهُ
حَجَرٌ وهذا شمعةٌ تتضرَّمُ
هذا فلانٌ في حشاهُ بلبلٌ
يَشْدُو وهذا فيه يزأرُ ضَيْغَمُ
ما أغربَ الدُّنيا على أحضانِها
عِرْسٌ يُغنِّيهَا ويبكي مأتمُ!
بيتٌ يموتُ الفأرُ خلفَ جدارِهِ
جُوعاً وبيتٌ بالموائدِ مُتْخَمُ
ويدٌ منعَّمةٌ تنوءُ... بمالها
ويظلُّ يلثمُها ويُعطى المعدمُ

* * *

فمتى يرى الإنسانُ دُنْيا غضةً
سَمْحاً فلا ظُلْمٌ ولا مُتَظلِّمُ؟

يـا إخْـوَتَـي نـشءَ الـمـدارسِ يـومُـكـم
بِـكْـرُ الـبـلادِ فَـكَـرِّمُـوهُ تُـكـرمُـوا

وتَـفَـهَّـمُـوا سِـفْـرَ الـحـيـاةِ فَـكُـلُّـهَـا
سِـفْـرٌ ودرسٌ والـزَّمَـانُ مُـعـلِّـمُ

مَـاذَا أقـولُ لَـكُـمْ وتَـحْـتَ عُـيُـونِـكُـمْ
مَـا يُـعْـقـل الـوَعْـيَ الـكَـرِيـمَ ويُـفـهِـمُ؟

❁ ❁ ❁

في الجراح

٢٨ ـ ١١ ـ ١٣٨٢هـ/ ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٦٣م

وحـدي وراءَ الـيـأسِ والـحَـزَنِ
تـجـتـرُّنـي مِـحَـنٌ إلـى مِـحَـنِ

وطـفـولـةُ الـفـنَّـانِ. . . تُـذهِـلُـنـي
عـن ثـقـلِ آلامـي وعـن وَهَـنـي

فـأنـا هـنـا طـفـلٌ بـدونِ صِـبـاً
والـيـأسُ مُـرضِـعَـتـي ومـحـتـضِـنـي

وعـداوةُ الأنـذالِ تَـتْـبـعُـنـي
وتُـغَـسِّـلُ الأدرانَ بـالـدَّرنِ

وتـفـوحُ جـيـفـتُـهـا هُـنـا وهُـنـا
كـالـرِّيـحِ فـي الـمُـسـتـنـقـعِ الـنَّـتـنِ

وتـغـيـبُ عـن دَرْبِـي. . . وأعـيُـنُـهَـا
فـي الـدَّربِ غـابـاتٌ مـن الإِحَـنِ

وعِـدايَ أقـزامٌ. . . يُـخـوّفـهُـمْ
صـحـوِي ويَـرْتَـاعـونَ مِـنْ وَسَـنـي

مـا خَـوْفُـهـم مـنّـي؟ ومـا اقـتـرنَـتْ
بـالـحـقـدِ أسـرَارِي ولا عَـلَـنِـي

خَافُوا لأنَّ الشرَّ مِهْنَتُهُم
وأنا بلا شرٍّ بلا مِهَنِ

ولأنني أَذري نقائصَهُمْ
ولأنهمْ خانوُا ولَمْ أخُنِ

ولأنهم باعوا عروبَتَهم
وعَلوتُ فوقَ البيعِ والثَّمنِ

ورضِيتُ أنْ أشقى وأَسْعَدَهُمْ
وَهَجُ الوُحولِ وزُخرُفُ العَفَنِ

* * *

أحيا كعصفورِ الخريفِ بلا
ريشٍ، بلا عُشٍّ، بلا فَنَنِ

أقتاتُ أوجاعي وأعزِفُها
وأَشِيدُ مِنْ أصدائِهَا سَكَني

وأتيهُ كالطَّيفِ الشَّريدِ بِلا
ماضٍ، بلا آتٍ، بلا زَمَنِ

وبلا بلادٍ: مَنْ يُصَدّقني؟
أنِّي هُنَا رُوحٌ بلا بَدَنِ

مَنْ ذا يُصَدِّقُ أنَّ لي بَلَداً
عيناهُ مِنْ حُرَقي ولَمْ يَرَني؟

وأنا هُنَا أَرْضَعْتُ أنْجُمَهُ
سُهْدِي ووسَّدَ ليلَهُ شَجني

أأعيشُ فيهِ وفوقَ تُربتِهِ
كالميِّتِ المُلقى بلا كفنِ؟

وَوَلائِـدِي بـسُـفـوحِـهِ نَـهَـرٌ
ومـشـاعـلٌ خُـضْـرٌ عـلـى الـقُـنَـنِ

مـاذا؟ أيَـدْرِي إخْـوَتـي وأَبِـي
أنِّـي يـمـانـيٌّ بـلا يَـمَـنِ؟

هـلْ لـي هُـنـا أو هٰـهُـنَـا وَطَـنٌ؟
لا، لا: جـراحـي وحـدَهـا وطـنـي

❁ ❁ ❁

تَحَدِّي

١٥ ـ ٧ ـ ١٣٨١هـ

نظمت هذه القصيدة في العهد الإمامي المباد.

هـدّدونـا بـالـقَـيْـدِ أوْ بـالـسِّـلاحِ
واهْـدِرُوا بـالـزَّئـيـرِ أو بـالـنُّـبـاحِ

وَكُـلُـوا جُـوعَـنـا وسـيـروا عـلـى أشْـ
ـلائِنا الـحُـمْـرِ، كـالـخُـيُـولِ. . . الـجـماحِ

واقْـرَعُـوا فَـوْقَـنَـا الـطُّـبُـولَ وَغـطُّـوا
خـزْيَـكُـمْ بـالـتَّـصـنُّـعِ الـفـضَّـاحِ[1]

هـدِّدونـا لـن يـنـثـنـي الـزَّحـفُ حَـتَّـى
يَـزحـفَ الـفـجـرُ مِـنْ جـمـيـعِ الـنَّـواحـي

* * *

قـسـمـاً لَـنْ نَـعُـودَ حـتـى تـرانـا
رايـةُ الـنَّـصْـرِ فـي الـنَّـهـارِ الـضَّـاحـي

خـوِّفـونـا بـالـمـوتِ، إنَّـا اسْـتَـهَـنَّـا
فـي الـصِّـراعِ الـكـريـمِ بـالأرواحِ

قَـدْ أَلِـفْـنَـا الـرَّدى كـمـا تـألـفُ الـغـا
بـاتُ عـصـفَ الـخـريـفِ بـالأدْواحِ

---

(١) الطبول: كان ضرب الطبول في العهد الإمامي من أبّهة الدولة.

واحتقرنا قطعَ الرؤوسِ وأدمـ
ـنَا المنايا في حانةِ السَّفَّاحِ

فاخفِروا دربنَا قبوراً فإنَّا
سوفَ نمضي للدَّفنِ أوْ للنَّجاحِ

* * *

نحنُ شعبٌ أغيَا خيالَ المنايا
وتحدَّى يدَ الزَّمانِ المَاحي

كلَّما أدمَتِ الطُّغاةُ جَنَاحاً
مِنهُ أَدمى نُحورَها بجناحِ

أتعبَ السِّجنَ والقيودَ ولَمْ يتعبْ
وأَغْفَى سجَّانَهُ وهوصَاحِي

ساهرٌ كالنُّجومِ يستولِدُ الفجرَ
وَيُومي إليهِ بالأجراحِ

* * *

أيُّها العابثونَ بالشّعبِ زِيدُوا
ليلَنَا واملأوهُ بالأشباحِ

لَغِّمُوا دَرْبَنَا، ومدُّوا دُجانَا
واطْفِئوا الشُّهبَ وانتظارَ الصَّباحِ

سوف نمشي على الجراحاتِ حَتَّى
نُشعلَ الفجرَ من لهيبِ الجراحِ

فاستبيحُوا دماءَنا تتورَّدْ
وجنةُ الصُّبحِ بالدَّمِ المُنْتباحِ

إنّما تُنبتُ الكراماتِ أرضٌ
«سمَّدتْ تُربَها» عظامُ الأضاحي

ودماءُ الشهيدِ أنضرُ غارٍ
في جبينِ البُطولةِ اللَّمَّاحِ

وجراحاتُنا على الأُفقِ أبهى
شَفَقٍ لامعٍ وأزهى وِشَاحِ

قَدْ أجَبْنَا صوتَ المُرُوءاتِ لَمَّا
عَرْبَدَ الظَّالِمُ العنيدُ الإباحي

وابتَنَى القَصْرَ مِنْ ضلُوعِ الملا
يينِ، وجُوعِ الأجيرِ والفلَّاح

فخَلَعْنَا عنْ صدرِهِ قلبَ «شم
شونَ» وعن وجهِهِ قناعَ «سجاحِ»

نحنُ سِرْنَا على الدِّماءِ إليهِ
وعلى النَّارِ والقَنَا والصِّفاحِ

وانطلقنا على المنايا كأنَّا
نتمنَّى الحُتوفَ في كلِّ ساحِ

لم تُرَنِّخ مصباحَنَا أيُّ ريحٍ
دَمُنَا الزَّيتُ في فمِ المِصباحِ

* * *

نحنُ شعبٌ خُضْنَا إلى الفجرِ هَوْلاً
فاغِراً في الطَّريقِ كالتمساحِ

وعبرنا ليلاً كألسنة الحيّات
والدَّربُ عاصفٌ بالتَّلاحي[1]

وتَفشَّتْ دماؤُنا في الرَّوابي
السُّمرِ، كالعِطرِ في مهبِّ الرياحِ

بيننا والمرامِ خطوةُ عزمٍ
واثبٍ كالضُّحى شبابُ الطِّماحِ

قسماً لَمْ نَقِفْ عن السَّيرِ حتَّى
نَضفرَ الغارَ في جبينِ الكفاحِ

❁ ❁ ❁

(١) التلاحي: الخصام والسباب.

رحلةُ التِّيه

سنة ١٩٧٣م

هدَّني السجنُ وأَدْمى القيدُ ساقي
فتعايَيْتُ بجُرحي ووِثَاقي

وأضعتُ الخطو في شوكِ الدُّجى
والعَمَى والقيدُ والجرحُ رفاقي

ومللْتُ الجُرْحَ حتَّى... ملَّني
جُرحيَ الدَّامي ومكثي وانْطِلاقي

وتلاشيتُ فلَمْ يبقَ سِوى
ذكرياتِ الدَّمعِ في وهمِ المآقي

* * *

في سبيلِ الفجرِ ما لاقيتُ في
رحلة التّيه وما سوف ألاقي

سوف يفنى كلّ قيدٍ وقُوى
كلِّ سفَّاحٍ، وعِطْرُ الجرحِ باقي

سوفَ تَهْدي نارُ جرحي إخوتي
وأُعيرُ الأنجُمَ الوَسْنى احتراقِي

فَلَنَا شعبٌ فمَنْ يُنْكرُني
وهوَ في دَمْعي وسُهْدي واشْتِياقي؟

أنـا ألـقـاهُ شـجـونـاً ومـنًـى
فـأُلاقـيـهِ هـنـا قـبـلَ الـتَّـلاقِـي

الحكم للشعب

٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م

لن يستكينَ ولن يستسلمَ الوطنُ
توثَّبَ الروحُ فيهِ وانتخى البدنُ

أما ترى كيفَ أغلى رأسَهُ ومضى
يدوس أصنامه البلها ويمتهنُ

وهبَّ كالماردِ الغضبانِ مُتَّشِحاً
بالنَّارِ يجتذبُ العَلْيا ويحتضنُ

فزَعْزَعَتْ معقِلَ الطغيانِ ضربتُه
حتَّى هَوَى وتساوى التَّاجُ والكفنُ

وأَذَّنَ الفجرُ من نيرانِ مدفعِهِ
والمعجزاتُ شِفَاهٌ والدُّنا أُذُنُ

تيقَّظتْ كبرياءُ المجدِ في دمِهِ
واحمرَّ في مُقْلتيْهِ الحِقْدُ والإحَنُ

* * *

يا صَرْعةَ الظُّلم شقَّ الشعبُ مرقدَهُ
وأشْعَلَتْ دَمَهُ الثَّاراتُ والضَّغَنُ

ها نحنُ ثُرنا على إذْعانِنَا وعلى
نُفوسِنَا واستثارَتْ أُمَّنَا «اليمنُ»

لا «البدرُ» لا «الحسنُ» السَّجّان يَحْكُمُنَا
ألحكمُ للشَّعب لا «بَدْرٌ» ولا «حَسَنُ»
نحنُ البلادُ وسكّانُ البلادِ وما
فيها لنا، إنَّنا السُّكانُ والسَّكنُ
أَليومُ للشَّعبِ والأمسُ المجيدُ لَهُ
لَهُ غدٌ ولهُ التاريخُ . . . والزَّمنُ
فلْيَخسأِ الظُّلمُ ولتذهبْ حكومتهُ
ملعونةً ولْيُوَلِّ عهدُهَا النَّتِنُ

* * *

كم كابدَ الشَّعبُ في أشواطِهِ مِحَناً
ماذا ترى؟ أنْضجَتْهُ هذهِ المِحَنُ!
كم خادعتهُ بزيفِ الوعدِ قادتُهُ
هيهاتَ أنْ يُخدعَ الفهَّامةُ الفَطِنُ
لن ينثني الشَّعبُ هزَّ الفجرُ غَضْبَتَهُ
فانقضَّ كالسَّيلِ لا جُبنٌ ولا وهنُ
حنَّ الشِّمالُ إلى لُقْيَا الجنوبِ وكم
هزَّتْ فؤاديْهِمَا الأشواقُ والشَّجنُ
وما الشمالُ؟ وما هذا الجنوبُ؟ هما
قلبانِ ضمَّتْهُما الأفراحُ والحزنُ
ووحّدَ اللَّهُ والتَّاريخُ بينهُما
والحقدُ والجرحُ والأحداثُ والفِتَنُ

* * *

«شمسان» سوفَ يُلاقِي صِنْوَهُ «نُقماً»
وترتمي نحوَ «صنعا» أختُها «عدنُ»

أَلمجد للشّعب والحكم المطاع له
والفعلُ والقولُ وهو القائلُ اللَّسِنُ

من ذا هنا

ذو الحجة سنة ١٣٧٢هـ

مَنْ أُنادي؟ وأنتِ صَمَّا سَمِيعَهْ
بينَ صَوْتي وبينَ أُمِّي قطيعَهْ

مَنْ أُنادي؟ مَنْ ذَا هُنا؟ لم يُجِبني
آهِ، إلَّا صمتُ القُبور الصَّديعَهْ

يا بلادي: وأنثني أشغلُ التفتيشَ
عنِّي، وعَنْ بلادي الصَّريعَهْ

كيفَ ماتَتْ؟ كما يموتُ شبابُ العطرِ
في صُفْرةِ الغصونِ الخليعَه

من درى كيفَ أطبقتْ مُقلتيهَا
ورمى اللَّيلُ حُلمهَا في مضيعَهْ؟

أوكلَتْ أمرَهَا الطُّغاةَ... كراعٍ
نامَ واستودَعَ الذِّئابَ قطيعَهْ

وتعامَتْ فاستغبَدَتْها عبيدُ اللَّهوِ
باسمِ الهُدى وباسمِ الشَّريعَهْ

وانزوَتْ وحدَهَا تئنُ وتستلقي
وراءَ الحياةِ، خلفَ الطَّبيعَهْ

لنعترف

أينَ أضعنَا يا رفاقَ السَّماخ
فجراً أفقنَا قبلَ أن يستفيقْ

نَسقيهِ من خلفِ اللَّيالي الشِّحَاخ
دماً ويسقينا خَيالَ الرَّحيقْ

وفجأةً من شاطئ اللَّيلِ لاخ
وغابَ فيهِ كالوليدِ... الغريقْ

لا تغضبوا ضاعَ كرجعِ الصُّداخ
في ضجَّةِ الفوضى وسُخْفِ النَّعيقْ

* * *

«لِنعترِفْ» أنَّا أضعنا الصَّباخ
فلْنحترِقْ حتَّى يُضيءَ... الطَّرِيقْ

أَلَمْ نؤجِّج نحنُ بدءَ الكفاخ؟
فلنتَّقِدْ حتَّى مداهُ... السحيقْ

لن ننطفي ما دامَ فينا جِراخ
مُسَهَّداتٌ في انتظارِ الحريقْ

لن ننطفي رغم احتشاد الرِّياخ
فبيننا والنَّصرِ وعدٌ وثيقْ

وفجرُنَا الآتي يمدُّ الجناخ
لنا ويُومي باختلاجِ البريقْ

ثائران

١٧ رجب سنة ١٣٨٢هـ/ ١٣ ديسمبر سنة ١٩٦٢م

مَنْ جمالٌ ومَنْ أُسمِّي جمالا؟
مُعجِزَاتٌ منْ الهُدى تتوالى
وشُموخاً يسمو على كُلِّ فكرٍ
وعلى كُلِّ قمةٍ... يتعالى
مَنْ «جمالٌ»؟ حقيقةٌ تنثني
عنها الخيالاتُ يحترِقْنَ انفعالا
وعناداً أغْيَا البطولاتِ حتَّى
رجعَ الموتُ عنهُ يشكو الكلالا

* * *

موكبٌ من مشاعلَ انطفا الحسَّادُ
مِنْ نفخِهِ وزادَ اشتعالا
وتَدلَّتْ أضواؤه كالعناقيدِ
فأذكت في كلِّ عينٍ ذُبالا
وتملَّا ثُوَّارُ «صنعا» هُداهُ
فاستطاروا يُحَرِّقونَ الضَّلالا
والتَقَوْا يَغسلونَ بالنَّارِ دُنيانا
ويَمْحونَ بالدَّمِ الأوحالا

وأضاؤا والليلُ يبتلعُ الشهبَ
وأمُّ الهلالِ تَطْوي الهِلالا

فتناغى ومضُ المآذنِ: ماذا؟
أيَّ فجرٍ أشْتَمُّ فيه «بِلالا»؟

* * *

ووراء الحنينِ شعبٌ مُسَجَّى
مَلَّ موتَ الحياة، ملَّ المَلالا

والرُّؤى تسألُ الرّؤى كيفَ ضَجَّ
الصَّمتُ؛ واستفسرَ الخيالُ الخيالا

مَنْ أطلُّوا كصحوِ نيسانَ يكسونَ
الرُّبى الجردَ خُضْرَةً واخْضِلالا

ومضى الثَّائرونَ يَفْدُونَ شعباً
يَتَحَدَّوْنَ باسمِهِ الآجَالا

كالقلاعِ الجهنَّمِيَّاتِ ينقضُّونَ
يَرمونَ بالجِبالِ الجِبَالا

ويَشبُّونَ ثورةً رَمَتِ التَّاجَ
وَهبَّتْ تُتَوِّجُ... الأجْيَالا

ومَشَتْ والشُّروقُ في خَطْوِها الجـ
ـبَّارِ، يَنشالُ في الدُّروبِ انْشيالا

ومددْنا المُنى فكانتْ عَطاءً
سَرْمَدِيّاً تجاوزَ الآمَالا

فَطَفِرْنَا إلى الحياةِ كموْتَى
دفعتهُمْ قُبورُهم . . . أطفالا

* * *

وبَدأْنَا الشَّوطَ الكبيرَ وأعددنا
لأحْداثِهِ الكبارِ . . . «جَمَالا»

واهتدينا بهِ فكانَ دَليلاً
وأَباَ يحملُ الجهودَ . . . الثِّقَالا

وبَلَوْنَا فيهِ أخاً لم تزدْهُ
لهبُ الحادثاتِ إلَّا صقَالا

ودروبُ الكفاحِ تُنبيكَ عنهُ
كم طَواهَا وأتعَبَ الأهوالا

وثنى الموتَ في «القناة» وألقى
في أساطيلهِ الحريقَ . . . ارتِجَالا

ورمى الغزوَ والغُزاةَ رماداً
تُخبرُ العاصفاتُ عنهُ الرِّمالا

وفُلولاً تكابَتُ الرُّوحُ فيها
مثلما تكبتُ العجوزُ السُّعَالا

* * *

لا تَسَلْ «بور سعيد» واسألْ عداهُ
كيفَ أدمَى اللَّظى وجالَ وصَالا

وتحدَّى الرّدى الغضوبَ ومضرٌ:
خلفهُ تسحبُ الذُّيولَ اختيالا

وانتظارُ الفرارِ والنَّصرِ وعدٌ
يَحتمي بالمُحالِ يُدني... المُحالا

والضُحى يرتدي رداءً من النَّارِ
ويُرخي من الدُّخانِ... ظِلالا

ومنايا تمضي وتأتي منايا
وقتالٌ دامٍ يُثيرُ... قتالا

وسؤالٌ يَمضي وما من جوابٍ
وجوابٌ يأتي يُعيدُ السُّؤالا

فإذا «ناصرٌ» يقودُ تِلالاً
من شبابِ القُوى تَدُكُّ تِلالا

وجحيماً تحتلُّ أجسادَ مَنْ جاؤوا
يَرومونَ عندهُ... الإحتلالا

وأُباةٌ لا يعتدُونَ ويُهْدونَ
إلى المُعتدي الأثيمِ الزَّوالا

ويطيرونَ يضفرونَ النُّجومَ الخُضْرَ
«غاراً» يُكلِّلون النِّضالا

وإذا النَّصرُ بين كَفَّيْ «جمالِ»
ينحني خاشعاً ويَندى ابتهالا

* * *

مَنْ «جمالٌ»؟ سلِ البطولاتِ عنهُ
كيفَ أغرتْ بهِ العِدى الأنذالا؟

فتبارتْ أذنابُ «لندنَ» تُزري
باسمهِ فازدهى اسمُهُ وتَلالا

وأجادُوا فيه السِّبابَ ولكن
يُحسِنُ الشَّتمَ مَنْ يُسِيءُ الفِعَالا

كيفَ يخشى أذيالَ لندنَ مَنْ صبَّ
على لندنَ المنَايا العجالا؟

إنَّ مَنْ تضربُ الرؤوسَ يداهُ
لا يُبالي أنْ يركُلَ الأذيالا

* * *

يا لصوصَ العروشِ عيبوا «جمالاً»
واخجلوا أنّكم قَصُرتم وطالا

فسقطتم على الوحولِ ذُباباً
وسما يعبر الشُّموسَ مجالا

واكتملتم نقصاً وزادَ كمالاً
ومَدَى النَّقص أنْ يعيبَ الكمالا

فبَنَى أُمَّةً وشِدْتُم عُروشاً
خائناتٍ تُبارِك القَتَّالا

وقصوراً مِنَ الخَنَا مُثقلاتٍ
بالخطايا كالعاهراتِ الحَبَالى

فسَلُوا عنكُمُ اللَّيالي السُّكارى
والحسانَ المُدلَّلاتِ الكَسَالى

وضياعَ الحِمَى وما لستُ أدري
ودنايا شتَّى عِراضاً طِوالا

لا تضيقُوا فإنَّ للشَّرفِ العالي
رجالاً وللدَّنايا رِجالا

لا تَضِيقُوا إنَّ العروبةَ تدري
مَنْ «جمالٌ» وتعرفُ «السَّلالا»

بطلُ الثائرينَ وافى أخاهُ
والبطولاتُ تجمعُ الأبطالا

أخوانِ تلاقيا فاشْرَأبَّتْ
«وحدةُ» العُربِ تنحرُ الإنفصالا

فاهْتِفِي يا حياةُ إنَّا اتَّحدنا
في طريقِ المُنَى وزِدْنَا اتِّصالا

والتقى «النيلُ» والسَّعيدةُ جِسْماً
صافَحَتْ كَفُّهُ اليمينُ الشِّمَالا

❁ ❁ ❁

وطني

سنة ١٣٧٣هـ

وطني أنت مُلهمي هَزْجَ المغرم الظَّمي
أنت نجوى خواطري والغنا الحلوُ في فمي
ومعانيكَ، شعلةٌ في عروقي وفي دمي
أنت في صدر مزهري موجة من ترنّم
وصدَى مسكرٌ إلى عالمِ الخلد ينتمي
ونشيدٌ... معطَّرٌ كالربيع... المرنَّمِ
وهُتافٌ مسَلسلٌ كالرحيق... المختَّمِ

* * *

إيهٍ يا موطني أفِقْ من كراك... المخيِّم
طالما تهت في الدُّجى والظّلام المطلسم
وقطعتَ المتاهَ في مأتم بعد مأتم
وتمشَّيت في اللَّظى والعذَابِ المنظّم
أنت تجثو على اللّظى وعلى الشوك... ترتمي
ساسك الجوع والشَّقا والنّظامُ الجهنَّمي
إنّ بلواكَ منك هل أنت مِنْ أنت تحتمي؟
فتوثَّبْ إلى العلا وثبةَ الفارس الكمِي
وخُضِ النّارَ واحتملْ كبرياءً... التَّألُّم
واصرع الظّلم تكتفِ ذلَّ شكوى التَّظلُّم

❁ ❁ ❁

عازفُ الصَّمت

١٧ ذي القعدة سنة ١٣٨٢هـ/ ١١ إبريل سنة ١٩٦٣م

أطللتَ هنا وهناكَ الوقوف
تُلَبِّي طُيوفاً وتدعو طُيوف

وفي كُلِّ جارحةٍ منكَ... فِكْرٌ
مُضيءٌ وقلبٌ شجيٌّ شَغُوف

تُغَنِّي هُنا وتناجي هُناك
وتَغزلُ في شفتيكَ الحروف

وتهمسُ حتّى تعير الصُّخُورَ
فماً شادياً وفُؤاداً عَطُوف

وتُعطي السُّهولَ ذهولَ النَّبيِّ
وتُعطي الرُّبى حيْرةَ الفيلسوف

تُلَحِّنُ حتَّى تُرابَ القُبور
وتَعزِفُ حتَّى فراغَ الكُهوف

وتُفني وجُوداً عتيقاً حقيراً
وتَبْنِي وجُوداً سَخيّاً رَؤوف

وتَغرِسُ في مُقْلَتَيْكَ الرُّؤى
كُروماً تَمُدُّ إليكَ القُطُوف

وتَرنو، وتَرنو وعَيْنَاكَ شَوْقٌ
هَتُوفٌ يُناجِيهِ شَوْقٌ هَتوف

وأنتَ حَنِينٌ يُنادي حَنِيناً
وألفُ سُؤالٍ يُلبِّي أُلُوفْ

ودُنْياكَ عُشٌّ يُغَنِّي ثَرَاهُ
فَتَخْضَرُّ أَضْدَاؤه في السُّقوفْ

* * *

وحينَ تَفِيقُ وتَفْنَى رُؤَاكَ
ويَنْأى الخيالُ المُرِيدُ العَزُوفْ

تَرى هٰهُنَا وتُلاقي هناك
صُفوفاً مِنَ الوَحلِ تَتْلُو صُفوفْ

عليها وجُوهٌ أراقَ النِفاقُ
مَلامِحَهَا، وأضاعَ الأُنُوفْ

وقَتْلى دَعَوْهَا ضحايا الظُّرُوف
وكانوا الضَّحايا وكانوا الظُّروفْ

أكانوا ملاهي صروفِ الزَّمان؟
وأُولَى وأُخْرى مَلاهي الصُّروفْ

وتَشْتَمُّ فوقَ اخمِرارِ التُّراب
صدًى غائِماً مِنْ أغاني السُّيُوفْ

وتلمحُ فوقَ امتدادِ الدُّروب
سياطَ الخطايا تَسوقُ الزُّحُوفْ

ومَقْبرةً يَظْمأُ المَيِّتُونَ
عليها ويحسُوْنَ وعداً خَلُوفْ

ومُجْتَمَعاً حَشْرياً يَجِنُّ
على غيرِ شيءٍ حنينَ الأَلُوفْ

ويَغْدو على دَمِهِ كالذِّئابِ
ويَلْقى الذِّئابَ لقاءَ الخَروفْ

* * *

فماذا هُنا من صُنوفِ السُّقوط؟
أحطُّ الصُنوفِ وأَخْزَى الصُنوفْ

هُنا الأرضُ مُسْتَنقعٌ مِنْ ذبابِ
هُنا الجوُّ أُرْجُوحَةٌ مِنْ كُسُوفْ

يُطَبِّلُ للخائِنِينَ الطَّريقُ
كأنَّ حَصَاهُ اسْتَحالت دُفُوفْ

❁ ❁ ❁

مآتم وأعراس

٢٩ شعبان ١٣٨٢هـ/ يناير سنة ١٩٦٣م

أذاع الشاعر هذه القصيدة من راديو صنعاء بمناسبة مرور أربعة أشهر من عمر الثورة اليمنية المظفرة.

كيفَ كُنَّا يا ذِكْرياتِ الجرائِمْ
مأتماً في الضَّيَاعِ يَثْلو مآتِمْ

كيفَ كُنَّا قوافِلاً مِنْ أنينٍ
تَتَعايا هُنا كشهْقاتِ نادِمْ

وقَطيعاً من البَراءاتِ يَهْوي
مِنْ يَدَيْ ذابحٍ إلى شدْقِ لاقِمْ

ومَضَيْنا يَسُوقُنا سَيفُ جلَّادٍ
وتَجْتَرُّنَا سكاكينُ ظالِمْ

* * *

ضاعَ في خَطْوِنا الطَّريقُ فَسِرْنا
ألماً واجِماً على إثْرِ واجِمْ

والسُّكونُ المَديدُ يبتلعُ الحلمَ
ويَسْري في وهمِنَا وهو جاثِمْ

والدُّجى حاقِدٌ يَبيعُ الشياطينَ
فَنَشْري من القُبورِ التَّمائِمْ

وخُطَانَا دمٌ تَجمَّدَ فِي الأشواكِ
جَمْراً وفِي الصُّخورِ مَيَاسِمْ

ورياحُ الثُّلوجِ تَشْتَمُّ مَسْرَانا
فَتَشْوي وجُوهَنا بالشَّتَائِمْ

* * *

كيفَ كُنَّا نَقْتاتُ جُوعاً ونُعْطِي
أَرْذَلَ المُتْخِمِينَ أشهى المَطَاعِمْ؟

وجِرَاحَاتُنَا على بابِ «مولانا»
تُقِيمُ «الذُّبابُ» مِنها ولائِمْ

وهو في القصرِ يَحْتَسي الشَّعبَ خَمْراً
ودَماً والكؤوسُ غَضْبى لَوَائِمْ

ويُرَائِي وفِي حَنَايَاهُ دُنْيَا
مِنْ ضَحَايا وعَالَمٌ مِنْ مآثِمْ

فَنُفَدِّيهِ وهو يُغْمِدُ فينا
صارِماً مُذْمِناً ويَستَلُّ صارِمْ

ويَشيدُ القصورَ مِنْ جُثَثِ الشَّعبِ
المُسَجَّى ومِنْ رُفَاتِ المحارِمْ

ويُغَطِّي بالتَّاجِ رَأْساً خلايَاهُ
وأَفْكَارُهُ ذِئَابٌ حوائِمْ

وتلالٌ مِنَ الجَرابِ وكَهْفٌ
مِنْ ضَوَارٍ وغابَةٌ مِنْ أراقِمْ

* * *

كيف كُنّا نَدْعُوهُ مَوْلَى مُطَاعاً
وهو «للإنْجليزِ» أطْوَعُ خادِمْ

هَدَّنا الضَّعفُ فادَّعى قُوَّة «الجنِّ»
وبأسَ الرَّدى وفَتْكَ الضياغِمْ

فَتَحامَاهُ ضَعفُنا واتَّخَذْنَاهُ
إلَهاً مِنْ «شَعْوَذَاتِ» المَزَاعِمْ

عَمْلَقَ الدَّجلُ شَخْصَهُ وهو قزمٌ
تتظنَّاهُ قاعِداً وهو قَائِمْ

وصَبِيُّ الشُّذوذِ وهو عجوزٌ
نصفهُ ميّتٌ... وباقِيهِ... نائِمْ!

وأثيمٌ أيَّامه... للدَّنايا
ولياليهِ للبَغايا... الهوائِمْ

ويداهُ يَدٌ تُجرِّحُ شعباً
ويدٌ تَقْطفُ الجِراحَ «دراهِمْ»

* * *

ويُوَلِّي على الوزاراتِ والحُكْمِ
رِجالاً كالعانساتِ النَّواقِمْ

ولُصوصاً كأنَّهم قومُ «ياجُوجَ»
صغارُ النُّهى كِبَارُ العَمائِمْ

وطوالُ الذُّقونِ شُعْثاً: كأهلِ
الكهفِ: بل كالكهوفِ صُمٌّ أعاجِمْ

يحكُمونَ الجُموعُ والعدلُ يبكي
والمآسي تُدْمِي سُقُوْفَ المَحاكِمْ

تارةً يَرْقصون فوقَ الضَّحايا
وأواناً يُشَرِّعونَ المظالِمْ

فيُسَمُّونَ شرْعَةَ الغابِ حَزْماً
إن أصابوا فالذِّئبُ أحْزَمُ حازِمْ

ويُصَلُّونَ والمحاريبُ تَستفتي
متى تصبحُ الأفاعي... حمائِمْ؟

ويعودونَ يلفظونَ الحَكايا
مثلما تَنثرُ النثيلَ البهائِمْ

ويميلونَ يعبرونَ الرّؤى خَيْراً
وشَرّاً من خاطرِ الغيبِ ناجِمْ

كلّهم متحفُ الغباءِ... وكُلٌّ
يدَّعي أنَّهُ محيطُ المعاجِمْ

فيلوكون مِنْ «مريضِ» التَّواريخِ
حُروفاً من فَهْرَساتِ... التَّراجِمْ

ويُنيلونَ «باقِلاً» ثغر «قسٍّ»
ويُعيرونَ «مَادِراً» جودَ «حاتِمْ»

كيفَ هُنَّا فقادنا أغْبِياءٌ
ولصوصٌ متوَّجُونَ أكارِمْ؟

وصِغارٌ مُؤَنَّثونَ وغِيدٌ
غالياتُ الحُلى رخاصُ المباسِمْ

* * *

هكذا كانَ حاكمونا وكُنَّا
فنَحزنَا فينَا خُضوعَ السَّوائِمْ

وانتظرنَا الصّباحَ حتَّى أَفَقْنَا
ليلةً وهو ضجَّةٌ مِنْ طلاسم

أتُرى قامتِ القيامةُ أم هَبَّ
العفاريتُ يَطْحَنُونَ القماقم؟

وأصَخْنَا نُفَسِّر الوَهْمَ بالأوهام
والظَنَّ بالظُّنونِ الرَّواجِمْ

ووراءَ الضَّجيجِ إيماءُ رَعْدٍ
يزرعُ الشُّهبَ في يِدَيْهِ خواتِمْ

والدُّجى يَعْلُكُ السُّكونَ ويَغْدو
مثلما تَغْلِكُ الخيولُ الشَّكائِمْ

وسألنا ماذا؟ فأوْمتْ طُيوفٌ
زهراتُ البنانِ خُضْرُ المعاصِمْ

وتَحدَّى صمتَ القبورِ دويٌّ
شَفقيُّ الصَّدى عَنِيدُ الغماغِمْ

والعيانُ الكبيرُ ميعادُ رؤيا
أنكَرتْ صِدْقَهُ العيونُ الحوالِمْ

وإذا فاجأ اليقينُ على الشَّكِ
حسبْتَ اليقينَ تهويلَ واهِم

* * *

وهُنا حرَّق الغيومَ انفجارٌ
والصَّدى يعزفُ اللهيبَ ملاحِمْ

فتراخَى «قصرُ البشائِر» كالشَّيخ
ولاذتْ جُدرانُهُ بالدَّعائِمْ

واختمى بالقوى فضجّ عليهِ
لهبٌ عارمٌ يلبّيهِ عارِمْ
وحريقٌ يُذمِي قُواهُ ويمضي
وحريقٌ جهنّميٌّ... يُهاجِمْ
فارتمى في اللّظى كما تَرْتَمي الأفْيَالُ
حمرَ الرؤوسِ جرحى القوائِمْ
وتعالى الدُّخانُ والنّارُ فاللّيلُ
نهارٌ صحوُ الأساريرِ غائِمْ
وتَنَادَى الشُّروقُ من كُلِّ أفق
ثورةً فانبئي الرُّبى يا نَسَائِمْ
فإذا مأتمُ المآتمِ أعراسٌ
نَشَاوَى مُزغرِدَاتٌ نواغِمْ

* * *

أشرقَ الثّائرونَ فالموتُ عُرسٌ
وأنينُ الحِمَى لُحونٌ بَواسِمْ
وارتعاشُ الخريفِ دفءٌ رَبيعِيٌّ، وصيفٌ داني العناقيدِ دائِمْ
والجِراحُ التي على كُلِّ شبرٍ
أثمرتْ فَجْأةً وكانَتْ براعِمْ

* * *

مَنْ رَأى الثائرينَ زَحفاً من الحَضْبِ
وزحفاً منْ شامخاتِ العَزائِمْ؟

وصباحاً ضَافيَ الشُّروقِ مُطِلاً
وصباحاً في شاطئ اللَّيلِ عائِمْ
وشباباً تَوهَّجُوا فانْطَفَا «نَيْرونُ»
وانهارَ أغبرَ الوجهِ فاحِمْ
واسْتَثَاروا دفءَ الحياةِ فماتَ الـ
ـموتُ، وانْقَضَّ عرشُهُ وهو راغِمْ
وأطلَّتْ وجُوهُهم مِنْ وراءِ
اللَّيلِ، كالصَّحوِ مِنَ وراءِ الغمائِمْ
ومَشَوْا تزرعُ الدُّروبَ خُطَاهُم
مَوْسِماً طيِّباً يَجُرُّ مواسِمْ
وشُموساً هَواتِفاً وانتصاراً
حاسِماً يهتدي على إثرِ حاسِمْ
والضُّحى في الدُّروب يمرحُ كالأ
فراح، في أعيُنِ الصَّبايا النَّواعِمْ

* * *

فتهادَتْ مواكِبُ الشَّعبِ ألواناً
كنيسانَ مائجِ الحُسْنِ فاغِمْ
وتوالَتْ حُشودُهُ الكُثرُ تَشدو
فالرُّبى والسُّهولُ شادٍ وباغِمْ
ونسينا في غَمْرَةِ البِشرِ... عهداً
أسْودَ القَلبِ أحمرَ السَّيفِ قاتِمْ
كُلَّما عَبَّ جيفةً مدَّ للأُخرى
كُؤوساً كحنجراتِ... الضَّراغِمْ

كانَ حكّامُهُ ذبابـاً عليها
من صديدِ الجِراحِ أخْزَى المعالِمْ
وذِئاباً بُلهاً وكُنّا قطيعاً
قَسَّمُونا واستَجْمَعونا غنائِمْ

* * *

فاتّقَسَمْنَا بِرُغمنا وسألنا
أينَ أينَ القُربَى؟ وأينَ المراحِمْ؟
أوَما نحنُ إخوةٌ أمُّنا الخضراء؟
فيمَ اختِصامُنَا؟ مَنْ نُخاصِمْ؟
أنجبتْنا هٰذي البلادُ فأنْهَتْ
بِدَعُ الفنِّ قبلَ بدءِ العَوالِمْ
وغذَّتنَا تآخياً كانَ أبْقَى
من رُبى ريفِها ووَهْجِ العَواصِمْ

* * *

فمَضَوْا يُطعِمُونَنَا الحِقدَ حتَّى
جَهِلَ المرءُ قصدَهُ وهوَ عالِمْ
وتمادَوْا في الهدمِ حتَّى كَسَرْنا
مِعولَ الحِقدِ في يديْ كُلِّ هادِمْ
ودفَنّا حُكمَ الشُذوذِ رُفاتاً
واحْتَشَدنَا نتوِّجُ الشَّعبَ حاكِمْ
والتقينا نُمُدُّ للفجرِ أُفقاً
مِن دمِ التَّوأمينِ «عادٍ» و«هاشِمْ»

ومَراحاً من تضحياتِ «البَلاقِيسِ»
وَمَغدى مِنْ تضحياتِ «الفَواطِمْ»

فانطلقْ حيث شئت يا فجرُ إنَّا
قَدْ فَرَشْنَا لك الدُّروبَ جماجِمْ

وزَحَفْنَا نَهْدِي الهُدى ومدَدْنَا
من قُوانَا إلى الأعالي سلالِمْ

وسَمَوْنَا صَفّاً مبادئُهُ الحبُّ
وغاياتُهُ سماءُ المكارِمْ

* * *

وأضأْنا حتَّى أنثنى سارقُ الإسلامِ
عريانَ يَحْتَمي بالهزائِمْ

واشرأبّتْ أرضُ النَّبيِّ تُدَوِّي
مَنْ «سعودٌ»؟ أَطْغى وأغْشَم غاشِمْ!

وغبيٌّ سلْمٌ لكلِّ عدوٍّ
وهو حَرْبٌ على أخِيهِ المُسَالِمْ

مَنْ رآه يَرْجو «حُسَيناً» ويَهْذِي؟
مَنْ يَقِينَا هَوْلاً مِنْ النَّارِ داهِمْ؟

فيعودُ الجوابُ عنهُ سُؤَالاً
هَلْ لطاغٍ مِنْ غضبةِ الشَّعبِ عاصِمْ؟

❁❁❁

الحريقُ السَّجين

٣ ـ ١ ـ ١٣٨٣هـ/ ٢٦ ـ ٥ ـ ١٩٦٣م

هناكَ وراءَ الأنينْ
أنينِ التُّرابْ
حَريقٌ سجِينْ

يُهَذْهِدُ خَلْفَ امتدادِ الغيومِ صباحاً دفينْ
يَمدُّ نهودَ أغانيهِ، يُرضعنَ حُلْمَ الأنِينْ
وتَخْضَرُّ بينَ جناحيْ صَدَاهُ رمالُ السّنينْ
على وَجْهِهِ مِنْ سُهادِ اللَّـ ـيالي ذهولٌ حَزِينْ
وجُوعٌ إلى لا مَدَى حَنينٌ يُنَادي حَنِينْ

* * *

وشَوْقٌ يُفَتِّش في كُلِّ طَيفٍ عن الجنَّةِ الضائِعَهْ
ويُنهِضُ من عثراتِ التُّرابِ مُنًى ضارعَهْ
ويَخسو الفَراغَ ويسقِيهِ أُغْنِيَةً رائِعَهْ
ويَسْتَودِعُ الرِّيحَ أنْفَاسَ رغبتِهِ الجائِعَهْ

* * *

ويُوقِدُ أَشْلاءَهُ للرُّؤى والصَّدى العائدِ
ويَطْمَعُ أَنْ يَسْتفِزَّ ضميرَ الدُّجَى... الحاقِدِ
وحَشْرَجةُ الشُّهبِ فِيهِ بقايا دَمٍ جامِدِ
ويُغْطِي عُيونَ الجَليد رُؤَى الموسمِ الواعِدِ

وتَغوي الرِّياحُ فيخَفِقُ كالطَّائِرِ البَارِدِ
ويَغيَا جَنَاحٌ فيَسْمو على جانِحٍ واحِدِ

* * *

يُدَلِّلُ فَوْقَ انتظارِ الرُّبى مُنْيَةً كادِحَهْ
ويَسْقِي الحنانَ قُبُوراً هُناكَ مُعُذَّبَةً صائِحَهْ
تُعالِجُ أوْجَاعَهَا المُعضِلاتِ «بِيْس» و «الفاتِحَهْ»
وتَخْشَى خيالَ الشُّروقِ فتغلقُ حُفْرَتَهَا النَّازِحَهْ

❁ ❁ ❁

شمسان

سنة ١٣٧٣هـ

حُرَقُ «الجنوبِ» قذائفٌ في مُهجَتي
تَغزو الحدودَ وتَحرِقُ الأسْدَادا

وحدي وفي أرضِ الجنوبِ عشيرتي
تتطلَّبُ السُّقيا وتَرجو الزَّادا

وتَسيرُ في الأصفادِ تائِهةَ الخُطَى
تَستنجِدُ الأغْوارَ والأنْجَادَا

فمتى تُحَرِّقُ بالدِّمَا أصفادَهَا
وتُبيدُ مَنْ صَنَعوا لها الأصْفادَا

دَغني أُلُمْها في القيودِ... لعلَّها
تَتَذكَّرُ الآباءَ... والأجْدادَا

ولعلَّها ترنو إلى تاريخِنَا
فتَرى الفُتوحَ وتَعرِفُ القُوَّادَا

فعلى رُبى التَّاريخِ مجدُ جدودِنَا
يَهْدِي البنينَ ويُرشِدُ الأحْفَادَا

أدْنى المَواطنِ مَوطِنٌ إنْ هَزَّهُ
جُرْحُ الكرامةِ للصِرَاعِ تَمَادى

وأذَلُّ ما في الأرضِ شعبٌ يَجْتدي
مُستَغمِراً ويُؤَلِّهُ اسْتِبدادا

ويَـئِـنُّ مِـنْ جَـلَّادِهِ وهـو الَّـذي
صَـنَـعَ الـطُّـغـاةَ وسَـلَّـحَ الـجَـلَّادَا

فـي الـنَّـاسِ أنـذالٌ وأوغَـدُ أُمَّـةٍ
مَـنْ ولَّـتِ الأنْـذالَ والأوْغـادَا

«صِـرواحُ» يـا شَـمَـمَ الـبـطـولـةِ لـم يَـزَلْ
«شـمـسـانُ» يَـسْـطـعُ بـاسـمِـك الأطْـوادَا

* * *

«شـمـسـانُ» زَمْـجَـرَ بـالإبـاءِ وأرْعَـدت
هَـضَـبـاتُـه تَـتَـحَـرَّقُ اسْـتِـشـهـادَا

أنِـفَ الـدَّخـيـلَ فَـسِـرْ إلـيـهِ وشُـدَّ فـي
زَنْـدَيْـكَ مـنـهُ سـواعِـداً وزِنـادَا

واذرِ الـعداةَ عـلـى الـسّـفـوحِ وفـي الـرُّبـى
مِـزَقـاً كـمـا تَـذْرو الـرِّيـاحُ رمـادا

❁ ❁ ❁

قالت الضحية

ذو القعدة سنة ١٣٨٢هـ

كيفَ كُنتم أيَّامَ كُنتُ مُثِيرَهْ؟
حشراتٌ حَولِي وكُنتُ أمِيرَهْ

كُنتُ أمشي فتَفرِشونَ طَرِيقي
نظراتٍ مُستَجدياتٍ كسيرَهْ

وشُجوناً حُمراً وشوقاً رَخيصاً
ونِداءً وثَرثراتٍ كَثيرَهْ

تَتَناجَوْنَ بينكُمْ: أتُراها
بنتُ «كِسْرى» أم «شَهر زاد» الصغيرهْ؟

لو رأى «شَهريارُ» طَيْفَ صِباها
باعَ فيها سُلطانَهُ وسريرَهْ

وتَحومونَ تَزرعَون رمالَ الجُوعِ
نَجوى وأمنياتٍ وَفِيرَهْ

ليتها لِي أو ليتَ أنِّي طريقٌ
لخُطاها تَمُدُّ فيهِ المسيرَهْ

ليتني مشطُها فأَشْتَمَّ منها
شعرَهَا أو أكونَ فيهِ ضَفيرَهْ

ليتني ثوبُهَا، ويَهمسُ ثانٍ
يَدَّعي أنَّهُ مُناها... الكبيرَهْ

آخرُ العهدِ بيننا سمَرُ الأمسِ
شَكوتُ الهَوَى وبَثَّت سعيرَهْ

لا تَقولوا: سامَرْتُ وهماً فما زالَ
على ساعِدَيَّ دِفءُ السَّميرَهْ

فَيُلَبيِّهِ ثالِثٌ: ليتَ أنّي
نُقطةٌ فوقَ خدِّها مُستَديرَهْ

ويُجاريهِ رابعٌ: فَيُغَنّي
ليتني البحرُ وهي فِيَّ... جزِيرَهْ

ويُعيدُ المُنى أديبٌ شَجِيٌّ
ليتَها جدولٌ أُناغي... خريرَهْ

هكذا كُنتمْ أمامي وخَلْفِي
غَزَلاً مُغرِياً وكُنْتُ... غَرِيرَهْ

ولأنّي أُنثى وأُمّي عجوزٌ
ماتَ عنها أبي، سَقَطْتُ أجِيرَهْ

كيفَ أروي حِكايتي؟ وإلى مَنْ؟
كيفَ تَشكو إلى العقورِ العَقِيرَهْ

نشأتْ قِصّتي وكانَ أبِي كَهْلاً؟
وَقُورَ السِمَاتِ نذلَ السَّرِيرَهْ

يشتري كُلَّ حَظِّهِ مِنْ عَجوزٍ
بالأساطيرِ والغُيوبِ خَبيرَهْ!

كانَ زُورُ المديحِ يَحلبُ كفَّيْهِ
ويُعطيهِ وَسْوَساتِ خَطيرَهْ

فَيَرى أنَّ قومَهُ أهمَلُوهُ
فأضاعُوا أنْقَى وأغْلَى ذخيرَهْ

فَتَمَنَّى قتلَ الأُلوفِ ولكنْ
بُغيةٌ صَعبةُ القِيادِ عَسيرَهْ

فالتوى يَذبحُ الصِّغارَ مِنَ الأطفالِ
أو يخطفُ الصَّبايا النَّظيرَهْ

ويُرابي بالبائِساتِ وراءَ الحيِّ
والهِيْنَماتُ تُخفِي... نَكِيرَهْ

واختَمَى بالصَّلاةِ لم يَدنُ مِنْهُ
بَصَرُ الحيِّ أو ظُنونُ البصِيرَهْ

فانثَنى ليلةً كما يَخْبِطُ المخمورُ
في الوَحْلِ، والسَّماءُ مَطيرَهْ

قلِقاً تجرحُ الفراغَ خطاهُ
وهو يُصْغي إلى خُطَاهُ الحَسيرَهْ

وصَفِيرُ السُّكونِ ينفخُ أُذنيْهِ
فيرتابُ، يَستعيدُ صَفيرَهْ

وتَمادى تَنَهُّدُ الجوِّ حولَيْهِ
ووَالى شَهِيقَهُ... وزَفِيرَهْ

ورمى خلفَهُ وبينَ يديهِ
عاصِفاً أدْمَتِ البروقُ هَدِيرَهْ

وعلى المُنْحَنى حِفيرَةُ صَخْرٍ
جاءَها فانْطَوَتْ عليهِ الحفيرَهْ

وهُناكَ انتهى أو انقضتِ الجِنُّ
عليهِ كما تقولُ: الغَجيرَهْ

زعموه كانَ يصيحُ من الصَّخر
ويَرجو أصداءَهُ أن تُجيرَهْ

لستُ أدري كيفَ انتهى؟ ماتَ يَوْ
ماً ورَمَى عِبْئَهُ علينا... ونِيرَهْ

* * *

فَتَبنَّى الضَّياعُ طِفْلاً كسِيحاً
وأنا، والأَسَى وأُمّاً فَقِيرَهْ

فسهرنا نَشْقى ونَسْتَرجعُ الأمسَ
ونبكي أبي ونرويهِ سِيرَهْ

كانَ يَشْرِي الحُظوظَ من أُمٍّ يحيى
كُلَّ يومٍ كانَتْ لهُ كالمُشِيرَهْ

كانَ يَمْتَدُّ هٰهُنا كُلَّ لَيلٍ
وهنا يَرتمي... قُبيلَ الظَّهِيرَهْ

* * *

كُنْتُ في مِحنتي كزَنبقةِ الرَّملِ
أُعاني جفافَهُ... وهجيرَهْ

فأَشَرْتُمْ إليَّ بالمُغرياتِ الخُضْرِ
والبيضِ، والوعودِ الغزِيرَهْ

وملأْتُم يدي وأشْعَلْتُمُوني
شمعةً في دُجى الخطايا الضَّريرَهْ

وعلى رُغمِ عفّتي، رُغمَ أُمّي
وأبي عُذتُ مُومساً سكّيرَهْ

ولَهونا حِيناً وأشتَى رَبيعي
فَتَعرَّيتُ أرتَدي زَمهريرَهْ

وانصَرَفتمْ عنّي أمَا كُنتُ يوماً
عِندكم منيةَ الحياةِ الأثيرَهْ؟

وزَعمتُمْ بأنّني كُنتُ وَحْلاً
آدمِيّاً أمَا شَرِبتُمْ عَصِيرَهْ؟

وأشَغتُمْ في الحيِّ أنّيَ شرٌّ
يَتفادى دُنوَّهُ. . . ونذيرَهْ

فتوقّى حتّى خيالَ وجودي
وهو حَيٌّ على الحياةِ جَرِيرَهْ

* * *

كيفَ أبقى هنا وأنصافُ ناسٍ
جِيرَتي، ليسَ لي رِفاقٌ وجِيرَهْ

وغَدِي رهبةٌ ويومي انتحارٌ
واحتقارٌ، والأمسُ ذِكرى مَرِيرَهْ

وهنا حَيُّنَا خُطَاهُ إلى الأمسِ
وأمجادُهُ عِظَامٌ نَثِيرَهْ

دفنَ الأمسَ جُثَّةً مِنْ دَنايا
وانثَنى يَستعيرُ مِنْها مَصِيرَهْ

فهو حَيٌّ مِنَ الجليدِ المدَمَّى
يَجتبي لِصَّهُ ويَجفو خَفِيرَهْ

يَدّعي المجدَ وهو مقبرةٌ تهتزُّ
خلفَ التُّرابِ وهْيَ قَريرَهْ

يَزْدريني وَخدي وإنِّي وإيّاهُ
ضحايا شُرورِهِ المُسْتَطيرَهْ

يَزْدرِيني وتَوْبتَي وحناني
فوقَ أهدابِهِ صلاةٌ مُنيرَهْ

هل أُنادِي الضَّميرَ والخُلْقَ فيهِ؟
لم أَجدْ فيهِ خُلْقَهُ أو ضَميرَهْ

* * *

أيُّها الآكِلُونَ عِرضِي لأنِّي
كنتُ ألُعوبةً لديكُمْ أسِيرَهْ

حَقِّروني يا دُوْدُ لو لَمْ تَكونوا
حُقَراءً ما كُنْتُ يوماً حَقِيرَهْ

لا تَقولوا: كانَتْ بَغِيّاً، أَمَا الفُجّارُ
كُثْرٌ والفَاجِراتُ كثيرَهْ؟

لستُ وحدي، كَم البَغَايا ولكِن
تلكَ مَغْمورَةٌ وهٰذي شهيرَهْ

صَدِّقوني إنْ قُلتُ في دُورِكُمْ مثلي
فَلَسْتُ الأُولَى ولستُ الأخِيرَهْ

كُلُّ حسناءَ زهرةٌ: هل يَرُدُّ الزَّهْـ
ـرُ عنهُ حتَّى الذُّبابَ المُغِيرَهْ؟

۞ ۞ ۞

لا ارتِداد

٥ ـ ١ ـ ١٣٨٣هـ/ ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٦٣م

أَلدَّرْبُ شياطينٌ فرْحَى ... زُمَرٌ تَهذي مَرْحى مَرْحى
وتَخوضُ الدَّربَ فتسلبُهُ ... رُؤْيَاهُ أَعْيُنَهُ القَرْحَى
وتُحَوِّلُ هَجْعَةَ... تُربَتِهِ ... تَسْهِيداً، ولَيالِيه... جَرْحى
وتَعُبُّ دَماً وتَمُجُّ دَماً ... ومُداها تَرتجِلُ... الذَّبْحَا
والشُّهبُ حنينٌ مَصْلوبٌ ... ظَمْآنٌ يَجترعُ «المِلْحَا»
فَتَئِنُ الرِّيحُ... تُمازِحُهُ ... وتُلَوِّنُ أُذْناهُ المَزْحَا
والآفَاقُ الوَسْنَى وَرَقٌ ... مُحِيَتْ، أو أوراقٌ... تُمحَى
والحَيُّ سُكونٌ مُصَفَّرٌ ... كخطايا تَسْتَجدِي الصَّفْحَا
وتموتُ الشَّكوى في فَمِهِ ... فيُكَلِّفُ رَعْشَتَهُ البَوْحا
إصغاءٌ لم يَسمع شَذواً ... غَنَّاهُ ولم يَذْكُرْ... نَبْحَا
صَمْتٌ، إغْفَاءٌ، ثَلْجِيٌّ ... لم يَلْمَحْ في الحُلْمِ الصُّبْحَا

* * *

فتثاءبَ حولَيْهِ جَبَلٌ ... وتَنَهَّدَ فاجْتَرَّ السَّفْحا
وتَلَظَّى دَمُهُ فامْتَدَّتْ ... كالجُذوةِ قامَتُهُ السَّمْحا
وتَسَلَّقَتِ الأطيافُ إلى ... عَيْنَيْهِ تَقْتَبِسُ اللَّمْحا

* * *

فرَنا والظُّلْمَةُ مِشْنقةٌ ... بِجراحِ الأنجُمِ مُبْتَلَّهْ

ودُخانٌ عِملاقٌ يُزخي فوقَ التِّيهِ العاني ظِلَّهْ
ويَروعُ الحُلْمُ فباغَتَهُ تَيَّارُ الصَّحْوِ على غَفْلَهْ
وتَلَوَّى حيناً في دَمِهِ وهَوَى أشْلاءَ مُنحَلَّهْ
وتعالَتْ أحلامُ الوادي تُومِي كعناقيدِ النَّخْلَهْ
وأفاقَ ثَرَاهُ كموعُودٍ بالموتِ، أبَلَّ مِنَ العِلَّهْ
وتَمَطَّى يَبْدأُ مِيلاداً خِصْباً نيْسَانِيَّ الحُلَّهْ
واهْتَزَّ كأسْخَى مَزْرعةٍ حُبْلَى تتمخَّضُ بالغَلَّهْ
وافْتَرَّ وبَاحَتْ شفَتَاهُ للبَيْدَرِ بُشْرَى مُخْضَلَّهْ
ومُنَى كتَبَسُّمِ زَنْبَقَةٍ فتَحتْ شفَتَيْهَا للنَّحلَهْ
وأعادَ الجوُّ حِكايتَهُ كحدِيثِ الطِّفلِ إلى الطِّفلَهْ
وكَغُنْجِ الوَعْدِ على ثَغْرٍ خَمْرِيٍّ يَسْتَهوي القُبْلَهْ
وأسالَ الجوُّ مباهجَهُ كالشلَّالاتِ المُنْهلَّهْ
وغَلَى في الثَّلجِ دمٌ حيٌّ فأحالَ بُرودَتَهُ شُعْلَهْ

* * *

وامتدَّ عموداً جَمْرِيّاً واحْمَرَّ بِعَيْنَيْهِ الأَرَقُ
ماذا؟ مَنْ أذْكى الرَّملَ هُنا؟ فَهَفَا يَخْضَرُّ ويَنْطَلِقُ
وتَنَادَى التُّرْبُ فمَقْبرةٌ تَذْوِي ورَمَادٌ يَحْترِقُ
وهُنا احتشدَ العدَمُ الغَافي كالصَّيفِ يفُوحُ ويأتَلِقُ
يَلِدُ الميعادُ بِجَبْهَتِهِ تَارِيخاً يُبْدِعُه العَرَقُ
ويُوشِّحُهُ أفُقٌ صَحْوٌ بالدِّفءِ، ويحضُنُهُ أُفقُ
وتَوالَى مَوْكِبُهُ الشَّادي فَتَغَنَّت وازْدَهَتِ الطُّرُقُ
وتَعَنْقَدَتِ الشُّهُبُ السُّكْرَى بِيَدَيْهِ واخْضَرَّ الشَّفَقُ

يَمْضي يَجْتَرُّ مَوَاسِمَهُ ... ويُزَغرِدُ حَوْلَيْهِ العَبَقُ
ويُجَنِّحُ فَجْراً مِعْطَاءً ... يَنْصَبُّ وفَجْراً . . . يَنْبَثِقُ
فَتَغيمُ هُنَالِكَ أسْئِلَةٌ ... «تَلْغو» هل يَرْتَدُّ الغَسَقُ؟
وتَهُزُّ بَقِيَّةَ أشْبَاحٍ ... تَطْفُو فَيُرَسِّبُها الغَرَقُ
وتُزَوِّرُ بَوْحاً مَسْلُولاً ... بسُعالِ الدَّغْوى يَخْتَنِقُ
فَتَضِجُّ الرَّبْواتُ الجَذْلَى ... لم يَخْفِقْ في المَوْتَى الرَّمَقُ

فارس الآمال

ذو القعدة سنة ١٣٨١هـ
على ذكرى الشهيد عبد الله اللقيه.

أخـي أدعـوكَ مِـنْ خـلـفِ اتِّـقَـادي
وأبـحـثُ عَـنْ لـقـائِـكَ فـي رمـادي
ويَـنْـطِـبـقُ الـحـريـقُ عـلـيَّ. . . قَـبْـراً
فـيَـمْـضَـغُـنِـي ويَـعْـيَـا بـازْدِرَادِي
وأحْـيَـا فـي انْـتِـظـارِكَ نِـصْـفَ مَـيْـتٍ
ورائِـحَـةُ الـرَّدى مـائِـي وزَادِي
وأرْقُـبُ «فـارِسَ الآمـالِ» حـتَّـى
أخـالُ إزايَ حَـمْـحَـمَـةَ الـجِـيَـادِ
وتَـرْفَـعـنـي إلـيـكَ رُؤى ذُهُـولـي
فـتـتـكـئ الـنُّـجـومُ عـلـى وِسَـادِي
وأهْـوي عـنـكَ أصـفـعُ وجْـهَ حَـظِّـي
وأُعْـطـي كُـلَّ «جِـنْـكِـيـزٍ» قِـيَـادِي
وعـاصِـفَـةُ الـوَعـيـدِ تَـهُـزُّ حَـوْلِـي
يَـدُ «الـحَـجَّـاجِ» أَوْ شِـدقَـيْ «زِيـادِ»

* * *

فـتَـخْـفِـقُ مِـنْـكَ فـي جُـدرانِ كـوخـي
طُـيـوفٌ كـالـمـصـابـيـحِ الـهـوادي

فَتَشْدُو كُلُّ زَاويةٍ ورُكْنِ
ويُبْدِعُ عازفٌ ويجِيدُ شَادِي

ويلمعُ وهْمُ خَطْوِكَ فِي الرَّوَابي
فَتَرْقُصُ كالجَمِيلاتِ الخِرادِ

ويَجمعُ جِيرَتِي فَرَحُ التَّلاقي
ويَخْتلطُ احتشادٌ باحتشادِ

ويَظْمَا الشَّوْقُ في عينيْ «سَعِيدِ»
فَيَنْدى الوَعْدُ مِنْ شَفَتَيْ «سُعادِ»

* * *

وتعوي الرِّيحُ تَنْثُرُ وَسْوَسَاتِي
وُرَيقاتِ تَحِنُّ إلى المِدَادِ

وتَخنُقُ حُلْمَ جِيرَانِي وحُلْمِي
وتَسْلبُ حيَّنا صَمْتَ الحِدادِ

ويَخْتَرِقُ الطَّرِيقُ إليكَ شَوْقاً
فَتُطْفِئُهُ أعَاصيرُ العَوَادِي

وتَقْبِرُ فِيهِ قافِلَةَ الأمانِي
وتُرْدِي الصَّوتَ في فمِ كُلِّ حادي

* * *

ويسألُ هل تَعودُ إلى حِمانا؟
فتَسْعدَ سُمَّرٌ ويُضيءَ نادي

مَزارِعُنا إلى لُقْياكَ لَهْفَى
وبَيْدَرُنا يَتُوقُ إلى الحَصَادِ

أتَرْحَلُ تستفِزُّ الفجرَ حتَّى
شَقَقْتَ دُجَاهُ ـ تُبْتَ عنِ المَعَادِ

أتأبَى أنْ تعودَ ألَا تُلَبِّي
نِدائي هل دريتَ مَنِ المُنادِي؟

سُؤالٌ عنكَ يحفِرُ كُلَّ تلٍّ
ويَسْبِرُ عنكَ أغوارَ الوِهادِ

أُفتِّشُ عنكَ أطيافَ العَشايا
وأهدابَ النُّسيماتِ الغوادي

وتَنْأى عَنْ مدى ظَنِّي فأمْضِي
إليكَ على جناحٍ مِنْ سُهادِ

وأهمِسُ أينَ أنتَ؟ وأيُّ تُرْبٍ
نما واخْضَرَّ مِنْ دَمِكَ الجَوَادِ

أيسألُكَ النِّضالُ دَماً شهيداً
فَتَسقيهِ وأنتَ تموتُ صَادِي؟

أجِبْ حدّث فلمْ يُخمِدْكَ قَتْلٌ
فأنتَ الحَيُّ والقَتْلى الأعادي

أُحِسُّكَ في بَرَاءةِ كُلِّ حَيٍّ
صِباً وأُحِسُّ نَبْضَكَ في الجَمادِ

وأشْتَمُّ اختِلاجَ صَداكَ حَوْلِي
يُمَنِّيني ويَغْبِقُ في فُؤادي

فأدنو مِنْ نَجيعكَ أصْطَلِيهِ
وأُشْعِلُ مِنْ تَلَظِّيهِ اعتقادي

* * *

أتسألُ كيفَ جِئتُ إليكَ إنّي
أُفتِّشُ في دمائِكَ عن بِلادي؟

وأنضَحُ مِنْ شذاها ذِكرياتي
وأقبسُ مِنْ تحدِّيها عِنادي

أتأبى أن تُجيبَ؟ ومَنْ يُحلِّي
بِغَارِ النَّصرِ هَاماتِ الجلادِ؟

وهل أرتَدُّ عنكَ بِلا رَجاءٍ؟
يُعاتِبُني ويُخجِلُني ارْتدادِي؟

أتَذرِي أنَّ خلفَ الطِّينِ شَعباً
مِنْ الغِربانِ يَفخرُ بالسَّوادِ؟

يَموتُ توانِياً ويعيشُ وَهماً
بِلا سببٍ بِلا أدنى مُرادِ

يسيرُ ولا يسيرُ: يُبيدُ عهداً
ويأكلُ جِيفةَ العَهدِ... المُبادِ

يبيعُ ويَشترِي بالغَبْنِ غَبْناً
ويجترُّ الكَسادَ إلى الكَسادِ

وتَهدي خطوَهُ جُثَثٌ كسالى
تُفِيقُ مِنْ الرُّقادِ إلى الرُّقادِ

تُعِيدُ تَثاؤباً أو تَبْتَدِيهِ
كأسمارِ العَجائزِ في البَوادِي

* * *

«أعبدَ اللّهِ» كم يُشقيكَ أنّا
ضحايا العَجزِ أو صَرْعى التَّمادِي؟

أينبِضُ في ثَراكَ الشَّعبُ يوماً
فتورِقَ رَبْوةٌ ويَرِفَّ وادي
وتَعتنِقُ الأُخُوَّةُ والتَّصافي
ويَبْتَسِمُ الوَدادُ إلى الوَدادِ
رحلْتُ إليكَ أسْتَجْدِي جواباً
وأسْتَوْحِيكَ مَلْحَمةَ الجِهادِ

❁ ❁ ❁

يـوم المفاجأة

كانت هذه القصيدة أغنية ترحيب بالرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة زيارته المفاجئة للجمهورية العربية اليمنية في ١١ ذي الحجة سنة ١٣٨٣هـ الموافق ٢٣ أبريل سنة ١٩٦٤م.

جـمـالٌ! أَيَـأْتِـي؟ أَجَـلْ! ربَّـمَـا
وَتَـسْـتَـفْـسِـرُ الأُمْـنِـيَـاتُ الـسَّـمَـا

أَيَـأْتِـي؟ وَيَـزْنُـو الـسُّـؤَالُ الـكَـبِـيـرُ
يُـزَغْـرِدُ فِـي مُـقْـلَـتَـيْـهِ الـظَّـمَـا

فَـيُـخْـبِـرَهُ الـحُـلْـمُ إِخْـبَـارَ طِـفْـلٍ
يَـرُوضُ عـلـى اسْـمِ أَبِـيـهِ الـفـمـا

* * *

وَفِـي أَيِّ حِـيـنٍ؟ وَصَـاحَ الـبَـشِـيـرُ
فَـجَـاءَتْ إِلَـيْـهِ الـذُّرَى عُـوَّمَـا

وَأَزْخَـى عَـلَـيْـه الـضُّـحَـى صَـحْـوَهُ
وَدَلَّـى سَـوَاعِـدَهُ سُـلَّـمَـا

وَحَـيَّـاهُ شَـعْـبٌ رأَى فِـي الـشُّـرُوقِ
جَـنَـى الـحُـلْـمِ مِـنْ قَـبْـلِ أَنْ يَـحْـلُـمَـا

فَـأَيُّ مُـفَـاجَـأَةٍ بَـاغَـتَـتْـهُ...
كَـمَـا تَـفْـجَـأُ الـفـرحـةُ الأَيِّـمَـا؟

فَمَادَ رَبِيعٌ عَلَى سَاعِدَيْهِ
وَفَجْرٌ عَلَى مُقْلَتَيْهِ ارْتَمَى

وَلَبَّى الهُتَافُ المُدَوِّي هُنَاكَ
هُتَافاً هُنَا... وَهُنَا مُفْعَمَا

يُلَبِّي وَيَدْعُو فَيَطْغَى الضَّجِيجُ
وَيَعْلُو الصَّدَى يَغْزِفُ الأَنْجُمَا

تُثِيرُ الجَمَاهِيرُ فِي جَوِّهِ
مِنَ الشَّوْقِ أَجْنِحَةً حُوَّمَا

وتَسْأَلُ فِي وَجْهِهِ مَوْعِداً
خَصِيباً وتَسْتَعْجِلُ المَوْسِمَا

وَتَخْدُو غَداً فَوْقَ ظَنِّ الظُّنُونِ
وَأَوْسَعُ مِنْ أُمْنِيَاتِ الحِمَى

* * *

جَمَالٌ! فَكُلُّ طَرِيقٍ فَمٌ
يُحَيِّي وأَيْدٍ تَبُثُّ الزَّهَرْ

تَرَامَتْ إِلَيْهِ القُرَى والكُهُوف
تُوَلِّي جَمُوعٌ وَتَأْتِي زُمَرْ

وَهَزَّتْ إِلَيْهِ حُشُودُ الحِسَانِ
مَنَادِيلَ مِنْ ضَحِكَاتِ القَمَرْ

وَلَاقَتْهُ «صَنْعَاءُ» لُقْيَا الصِّغَارِ
أَباً عَادَ تَحْتَ لِوَاءِ الظَّفَرْ

تُلَامِسُهُ بِبَنَانِ اليَقِينِ
وَتَغْمِسُ فِيهِ ارْتِيَابَ البَصَرْ

وَتَهْمِسُ فِي صَخَبِ البُشْرَيَاتِ
أَهٰذَا هَوَ القَائِدُ المُنْتَظَرْ؟

أَرَى خَلْفَ بَسْمَتِهِ «خَالِداً»
وَأَلْمَحُ فِي وَجْنَتَيْهِ «عُمَرْ»

وَتَدْنُو إِلَيْهِ تُنَاغِي المُنَى
وَتَشْتَمُّ فِي نَاظِرَيْهِ الفِكَرْ

* * *

أَهٰذَا الَّذِي وَسِعَتْ نَفْسُهُ
هَوَى قَوْمِهِ وَهُمُومَ البَشَرْ؟

أَطَلَّ فَأَوْمَا انتِظَارُ الحُقُولِ
وَمَاجَ الحَصَى وَاشْرَأَبَّ الحَجَرْ

وَهَنَّأَتِ الرَّبْوَةُ المُنْحَنَى
وَبَشَّرَتِ النَّسْمَةُ المُنْحَدَرْ

وَأَخْبَرَ «صِرواحُ» عَنْهُ الجِبَالَ
فَأَوْرَقَ فِي كُلِّ نَجْمٍ خَبَرْ

وَأَشْرَقَ فِي كُلِّ صَخْرٍ مَصِيفٌ
يُعَنْقِدُ فِي كُلِّ جَوٍّ ثَمَرْ

* * *

وَأَعْلَتْ زُنُودُ الرُّبَى وَحْدَةً
سَمَاوِيَّةَ الأُمِّ طُهْرِ الأَبِ

نَمَتْهَا المُرُوءاتُ فِي «مَأْرِبٍ»
وَأَرْضَعَهَا الوَحيُ فِي «يَثْرِبِ»

وَغَنَّى عَلَى صَدْرِهَا شَاعِرٌ
وَصَلَّى عَلَى مِنْكِبَيْهَا نَبِي

وَرَدَّدَهَا الشَّرْقُ أُغْرُوْدَةً
فَعَبَّ صَدَاهَا فَمُ الْمَغْرِبِ

* * *

وَدَارَتْ بِهَا الشَّمْسُ مِنْ مَوْسِمٍ
سَخِّي إِلَى مَوْسِمٍ أَطْيَبِ

إِلَى أَنْ غَزَتْهَا سُيُولُ التَّتَارِ
وَرَنَّحَهَا الْعَاصِفُ الأَجْنَبِي

تَهَاوَتْ وَرَاءَ ضَجِيجِ الْفَرَاغِ
تُفَتِّشُ عَنْ أَهْلِهَا الْغُيَّبِ

وَتَبْحَثُ عَنْ دَارِهَا فِي الطُّيُوفِ
وَتَسْتَنْبِىءُ اللَّيلَ عَنْ كَوْكَبِ

وتحلُمُ أَجْفَانُهَا بَالْكَرَى
فَتَخْفِقُ كَالطَّائِرِ الْمُتْعَبِ

هُنَاكَ جَثَتْ فِي اشْتِيَاقِ الْمَعَاد
تُحَدِّقُ كَالْمُوثَقِ الْمُغْضَبِ

فَتَلْحَظُ خَلْفَ امْتِدَادِ السِّنِينَ
عَلَى زُرْقَةِ «النِّيلِ» وَعْداً صَبِي

تَمُرُّ عَلَيْهِ خَيَالاتُ «مِصْرٍ»
مُرورَ الْغَوَانِي عَلَى الأَعْزَبِ

رأتْ فَمَهُ بُزعُماً لا يَبُوحُ
وَنَيْسَانُ فِي قَلْبِهِ مُخْتَبِي

* * *

وَكَانَ انْتِظاراً فَحَنَّتْ إِلَيْهِ
حَنِينَ الوَلِيدِ إلَى المُرْضِعَهْ

وَدَارَتْ نُجُومٌ وعَادَتْ نجومٌ
وَأَهْدَابُهَا تَرْتَجِي مَطْلَعَهْ

وكَانَتْ تُواعِدُها الأُمْسِيَاتُ
كَمَا تَعِدُ البيدرَ المَزْرَعَهْ

ولاقَتْهُ يَوْماً وَكَانَ اسْمُهُ
«جمالاً» فلاقَتْ صِبَاهَا مَعَهْ

* * *

هُنَا لاقَتِ الوحدةُ ابْناً يَسَير
فَتَمْشِي الدُّنَا خَلْفَهُ طَيِّعَهْ

وَمْهداً صَبُوراً سَقَاهَا النِّضَالَ
فأهْدَتْ إلَى المُعْتَدي مَصْرَعَهْ

غَذَاها دَمُ «النِّيلِ» خِصْبَ البَقَاء
وَلَقَّنَهَا الفِكْرَةَ المُبْدِعَهْ

وَعَلَّمَهَا مِنْ عَطَايَا حَشَاهُ
وَكَفَّيْهِ أَنْ تَبْذُلَ المَنْفَعَهْ

وَمِنْ جَوِّهِ رفرفاتِ الحَمَامِ
وَمِنْ رَمْلِهِ طَفرةَ الزَّوْبَعَهْ

وَقَطَّرَهَا فِي خدودِ النُّجُوم
صَلاةً وأَغْنِيَةً مُمْتِعَهْ

وَأَطْلَعَ للعُرْبِ أَقْبَاسَهَا
شموساً بِصَخوِ المُنَى مُشْبَعَهْ

هُنَاكَ أَفَقْنَا عَلَى وَحْدَةٍ
يَمُدُّ الخُلُودُ لَهَا أَذْرُعَهْ

فَصَارَتْ مَبَادِئَنَا فِي السَّلام
وَأَلْوِيَةَ النَّصْرِ فِي المَغْمَعَهْ

مدينة الغد

فاتحة

١٨/٣/١٩٦٨م

يا صمتُ ما أحناكَ لو تستطيعْ
تلفُّني، أو أنني أستطيعْ

لكنَّ شيئاً داخلي يلتظي
فيخفقُ الثلجُ، ويَظمَا الربيعْ

يبكي، يُغنِّي، يجتدي سامعاً
وهو المُغنِّي والصدى والسميعْ

يهذي فيجثو اللَّيلُ في أضلُعي
يشوي هزيعاً، أو يدُمِّي هزيعْ

وتطبخُ الشهبُ رمادَ الضُّحى
وتطحنُ الريحُ عشايا الصَّقيعْ

ويلهثُ الصبحُ كمهجورةٍ
يجتاح نهدَيْهَا خيالُ الضجيعْ

* * *

شيءٌ يناغي، داخلي يشتهي
يزقو، يدوِّي كالزحامِ الفظيعْ

يدعو، كما يدعو نبيٌّ، بلا
وعيٍ، وينجرُّ انجرارَ الخليعْ

فيغتلي خلفَ ذبولي فتًى
ويجتدي شيخٌ، ويبكي رضيعْ

يجوعُ حتى الصيفِ ينسى الندى
معيادَهُ، يهمي شهيقُ النجيعْ

ويركضُ الوادي، وتحبو الرُّبى
ويهربُ المرعى، ويَغْيا القطيع

ما ذلك الحِمْلُ الذي يحتسي
خفقي، ويعصي ذاهلاً أو يُطيعْ

يشدو فترتدُّ ليالي الصِّبا
فجراً عنيداً، أو أصيلاً وديعْ

وتحبلُ الأطيافُ تجني[1] الرؤى
ويولدُ الآتي ويحيا الصريعْ

فتبتدي الأشتاتُ في أحرفِي
ولادةَ فرْحى، وحملاً وجيعْ

* * *

هذه الحروفُ الضائعاتُ المَدى
ضيَّعتُ فيها العمرَ، كي لا تضيعْ

ولستُ فيما جئتهُ تاجراً
أُحِسُّ ما أشري وماذا أبيعْ

أليكها يا قارئي إنها،
على مآسيها: عَذابٌ بديعْ

❁❁❁

(١) تجني: تدخل موسم الإثمار.

مدينةُ الغد

صنعاء ٣٠ يونيو سنه ١٩٦٧م

من دهورٍ . . . وأنتِ سحرُ العباره
وانتظارُ المُنى وحلمُ الإشاره

كنتِ بنتَ الغيوب دهراً فنمَّت
عن تجلّيكِ حشرجاتُ الحضاره

وتداعي عصر يموتُ ليحيا
أو ليفنى، ولا يُحسُّ انتحارَه

جانحاه في منتهى كلِّ نجمٍ
وهواهُ، في كلِّ سوقٍ: تجاره

باعَ فيه تألُّهُ الأرضِ دعواه
وباعت فيه الصلاةُ الطَّهاره

أوَ مَا تلمحينَه كيف يَعدو
يطحنُ الريحَ والشَّظايا المُثاره

* * *

نَمَّ عن فجرِكِ الحنونِ ضجيجٌ
ذاهلٌ يلتظي ويمتصُّ نارَه

عالمٌ كالدَّجاجِ، يعلو ويهوي
يلقُطُ الحَبَّ، مِن بطونِ القذاره

ضيَّعَ القلبَ، واستحال جذوعاً
ترتدي آدميّةً... مستعاره

* * *

كلُّ شيءٍ وشى بميلادِك الموعودِ
واشتمَّ دفئَه واخضرارَه

بشَّرتْ قريةٌ بلقياكِ أخرى
وحكت عنكِ نجمةٌ لمنَاره

وهذتْ باسمكِ الرؤى فَتَنادتْ
صَيْحاتُ الديوكِ من كلِّ قاره

ألمدى يستحمُّ في وعدِ عينيْكِ
وينسى في شاطِئيْه انتظارَه

وَجِباه الذُّرى مرايا تجلَّت
من ثُريَّاتِ مقلتَيْكِ شراره

* * *

ذاتَ يومٍ، ستُشرقين بلا وعدِ
تعيدين للهشيمِ النَّضاره

تزرعين الحنانَ في كلِّ وادٍ
وطريقٍ، في كُلِّ سوقٍ وحاره

في مدى كلِّ شرفةٍ، في تمنِّي
كلِّ جارٍ، وفي هوى كلِّ جاره

في الروابي حتى يعي كلُّ تلٍّ
ضَجرَ الكهفِ واصطبارَ المغاره

* * *

سوف تأتين كالنبوءاتِ، كالأمطارِ
كالصَّيْفِ، كانثيالِ الغَضاره

تَملئين الوجودَ عدلاً رخِيّاً
بعد جورٍ مدجَّجٍ بالحقاره

تحشُدين الصفاءَ في كلِّ لمسٍ
وعلى كلِّ نظرةٍ، وافترارَه

تلمسين المُجندلين فَيَغْدون
تُعيدين للبغايا البَكارَه

وتصوغين عالماً تُثمر الكثبانُ فيـ
ـه، ترفُّ حتى الحجاره

وتعفُّ الذئابُ فيهِ، وينسى
جبروتُ السِّلاحِ، فيهِ المهاره

أَلعشايا فيه، عيونٌ كَسَالى
واعداتٌ، والشمسُ أشهى حراره

لخطاهُ عبيرُ (نيسان) أو أشذى
لتحديقه، أجدُّ إناره

ولألحانِه، شفاهٌ صبايا
وعيونٌ، تخضرُّ فيها الإثاره

أيُّ دنيا ستُبدعين جَنَاها
وصِباها فوق احتمالِ العبارة؟!

❁ ❁ ❁

عـائد

صنعاء سبتمبر ١٩٦٣م

مَـنْ أنـتَ، واسْـتـبـقَـتْ جـوابـي
لـهـبٌ، يـحـنُّ إلـى الـشـهـابِ
مَـنْ أنـتَ، عـزَّافُ الأسـى
والـنـارُ قـيـثـارُ الـعـذابِ
وعـلـى جـبـيـنِـك، قِـصَّـةٌ
حَـيْـرى، كـديـجـورِ الـيـبـابِ
وخـواطـرٌ، كـهـواجـسِ الإفـلا
سِ، فـي قـلـقِ الـمُـرابـي
وأنـا أتـدري: مـن أنـا؟
قُـلْ لـي، وأسـكَـرهـا اضـطـرابـي
سَـلْ تـمـتـماتِ الـعـطـرِ: هـل
«نـيـسـانُ» يـمـرحُ فـي ثـيـابـي؟
مَـنْ هـذه؟ أسـطـورةُ الأحـ
ـلامِ، أخـيـلـةُ الـشِّـهـابِ
هـمـسـاتُـهـا، الـخـضـرُ الـرِّقـاقُ
أشـفُّ مِـن ومـضِ الـسـراب
إنـي عـرفـتُـكِ كـيـف أفـرح؟
كـيـف أذهـلُ عـن رغـابـي؟

مـن أيـن أبـتـدِئُ الـحـديـثَ. . . ؟
وغـبـتُ فـي صـمـتِ ارتـيـابـي

مـاذا أقـولُ، وهـل أُفـتِّـشُ
عـن فـمـي، أو عـن صـوابـي؟

مَـنْ أنـتِ، أشـواقُ الـضُّـحـى
قُـبَـلُ الأصـيـلِ، عـلـى الـهـضـابِ

حـلْـمُ الـمـواسـمِ، والـبـلابـلِ
والـتَّـسـيـمـاتِ الـرطـابِ

أُغـرودةُ الـوادي، نـبـوغُ الـعـنـد
لـيـبِ. . . شـذى الـروابـي

وذهـولُ فـنَّـانِ الـهـوى
ورؤى الـصِّـبـا وهـوى الـتـصـابـي

وهـجُ الأغـانـي، والـصـدى
حُـرقُ الـمـعـازفِ، والـرَّبـابِ

لا تـبـعـدي: أَرْسـتْ عـلـى شُـطـآ
نِـك الـنَّـعـسـى، رِكـابـي

فَـدنَـتْ تُـسـائـل مَـنْ رفـاقـي
فـي الـضـيـاع، ومـن صِـحـابـي. . ؟

هـل سـاءَلـتْـكَ مـديـنـةٌ
عـنِّـي؟ وسـهَّـدهـا مُـصَـابـي

كـانـت تـرى نـكـبـاتِ أهـلـي
فـي شـحـوبـي واكـتـئـابـي

فتقولُ لي: من أينَ أنتَ؟
وتزدريني، بالتغابي
أنا مِن مغاني شهر زادَ
إلى رُبى، الصَّحوِ انتسابي
بي من ذوائبِ (حدَّةٍ)[1]
عبقُ السماحةِ والغلابِ
وهنا أَصَخْتُ ووشوشا
تُ (القاتِ)[2] تُنبي باقترابي
وأظلَّنا جبلٌ ذُراه
كالعمالقةِ الغضابِ
عيناهُ مُتكأُ النجومِ
وذيلُه، طُرقُ الذئابِ
فَهَفَتْ إليَّ مزارعٌ
كمباسمِ الغيدِ الكعابِ
وحنتْ نهودُ الكرمِ
فاسترختَ لَلَمْسي واحتلابي
وسألتُ (ريَّا) والسكو
نُ يَنِثُّ وَهْوَهةَ الكلابِ
ماذا؟ أينكر حَيُّنا
خفقاتِ خطوي وانسيابي؟

(١) حدة: متنزّه سياحي جنوب صنعاء.
(٢) القات: شجر يمضغ فيحدث تأثيراً كقهوة البن أو أكثر قليلاً.

إنّا تلاقينا... هنا،
قبل انتظارِك... واغترابي

هل تلمحين الذكرياتِ
تهزُّ أضلاعَ التُرابِ؟

وطيوفَ مأساةِ الفرا
قِ، تُعيدُ نوحَكِ وانتحابي

والأمسُ يرمقنا وفي،
نظراتِه خَجَلُ المتابِ

كيف اعتنقْنا للوداعِ
وبي من اللهفاتِ ما بي؟!

وهتفتُ لا تَتَوَجَّعي:
سأعودُ، فارتقبي... إيابي!

ورحلتُ وحدي، والسطـ
ـيقُ دمٌ، وغابٌ، من حِرابِ

فنزلتُ حيث دمُ الهوى
يجترُّ، أجنحةَ الذُّباب

حيث البهارجُ والحُلى
سلوى القشورِ عن اللُّبابِ

فترين ألوانَ الطِّلاءِ
على الصُّدوعِ، على الخرابِ

والتسلياتُ، بلا حساب
والملالُ، بلا حِسابِ

والجوُّ محمومٌ، يئنُّ
وراء جدرانِ الضبابِ

كَمْ كُنتُ أبحثُ عن طِلابي
حيث ضيَّعني طِلابي

واليومَ عُدتُ، وعادَ لي
مرحُ الحكاياتِ العِذابِ

ما زلتُ أذكرُ كيفَ كُنَّا
لا نُنافقُ، أو نُحابي

نُفضي بأسرارِ الغرامِ
إلى المهبَّاتِ الرِّحابِ

والريحُ تغزلُ من زهو
ر (البُنِّ)، أغنيةَ العتابِ

فتهزُّنا أرجوحةٌ
من خمرةِ الشفقِ المُذاب

وكما تناءَيْنا التقينا
نبتدي صفوَ الشبابِ

ونعيدُ تأريخَ الصِّبا
والحبِّ، من بدءِ الكتابِ

أترين: كيف اخضوضرت
لبقائنا مُقَلُ الشِّعابِ؟

وتلفَّتَ الوادي إليكِ
وهشَّ، يسألُ عن غيابي

مـا دمـتِ لـي فـكُـوَيْـخُـنَـا
قـصـرٌ، يـعـومُ عـلـى الـسَّـحـابِ
والـشُّـهـبُ بـعـضُ نـوافـذي
والـشَّـمـسُ، شُـبّـاكـي ويـابـي

❁❁❁

امرأةُ الفقيد

أكتوبر ١٩٦٤م

لِـمَ لا تـعـود؟ وعـادَ كـلُّ مـجـاهـدِ
بُحلى (النقيبِ) أو انتفاخِ (الرائدِ)
ورجـعـتَ أنـتَ، تـوقُّـعـاً لَـمـلـمـتـهُ
من نبضِ طيفِك واخضرارِ مواعِدي
وعلى التصاقِك باحتمالي أقلقتْ
عيناي مُضطجعَ الطريقِ الهامدِ
وامتدَّ فصلٌ في انتظارِكَ وابتدا
فضلٌ، تلفَّح بالدخانِ الحاقدِ
وتمطَّتِ الربواتُ تبصقُ عُمرَها
دَمَها وتحفرُ عن شتاءٍ بائدِ
وغداةَ يومٍ، عادَ آخِرُ موكبٍ
فشمَمْتُ خَطْوَك في الزحامِ الراعدِ
وجَمعتُ شخصكَ بُنيةً وملامحاً
من كلِّ وجهٍ في اللقاءِ الحاشدِ
حتى اقتربتُ وأَمَّ كلٌّ بيته
فتَّشتُ عنك بلا احتمالٍ واعدِ

* * *

مـن ذا رآكَ وأيـن أنـتَ؟ ولا صـدَى
أومـي إلـيـكَ، ولا إجـابـةُ عـائـدِ

وإلى انـتـظـارِ الـبـيـتِ، عُـدتُ كـطـائـرٍ
قـلـقٍ يـنـوءُ عـلـى جـنـاحٍ واحـدِ

* * *

لا تـنـطـفـي يـا شـمـسُ: غـابـاتُ الـدُّجى
يـأكـلْـن وجـهـي يـبـتـلْـعـنَ مـراقـدي

وسَـهـدتُ والـجـدرانُ تُـصـغـي مـثـلـمـا
أُصـغـي، وتـسـعـلُ كـالـجـريـحِ الـسَّـاهـد

والـسـقـفُ يـسـأل وجـنـتـيَّ لـمـن هـمـا؟
ولـمـن فـمـي؟ وغـرورُ صـدري الـنـاهـدِ؟

ومـغـازلُ الأمـطـارِ تـعـجـنُ شـارعـاً
لَـزِجـاً حـصـاهُ مـن الـنَّـجـيـعِ الـجـامـدِ

وأنـا أُصـيـخُ إلـى خـطـاكَ أُحـسُّـهـا
تـدنـو، وتـبـعـد، كـالـخـيـالِ الـشـاردِ

ويـقـول لـي شـيءٌ، بـأنـك لـم تَـعُـدْ
فـأعـوذُ مـن هـمـسِ الـرجـيـمِ الـمـاردِ

* * *

أتـعـودُ لـي؟ مَـن لـي؟ أتـدري أنـنـي
أدعـوكَ إنَّـك مـقـلـتـاي وسـاعـدي

إنـي هـنـا أحـكـي لـطـيـفِـك قِـصَّـتـي
فـيـعـي، ويـلـهـثُ كـالـذبـالِ الـنَّـافِـدِ

خلَّفتَني وحدي، وخلَّفَني أبي
وشقيقتي، للمأتم المُتزايدِ
وفقدتُ أُمِّي: آه يا أُمَّ افتحي
عينيكِ، والتفتي إليَّ وشاهدي!
وقبرتُ أهلي، فالمقابرُ وحدها
أهلي، ووالدتي الحنونُ ووالدي
وذَهلتَ أنتَ أو ارتميت ضحيَّةً
وبقيتُ وحدي، للفراغِ الباردِ

* * *

أتعود لي؟ فيعبُّ ليلي ظلَّهُ
ويصيحُ في الآفاقِ، أين فراقدي؟

❁ ❁ ❁

اليوم الجنين

مايو ١٩٦٥م

عـلـى الـدَّربِ والـمَـرْتـعِ
يـجـودُ، ولا يـدَّعـي
يـوشِّـي غـنـاءَ الـحُـقـولِ
وأنـشـودةَ الـمَـصـنـعِ
ويُـعـطـي حـيـاةً.. بـلا
نـيـوبٍ ولا مَـضْـرعِ
يـشـدُّ أَبَـضَّ الـخـصـورِ
إلـى أغْـطَـشِ الأَذْرُعِ
ويـسـخـو سـخـاءَ الـمـصِـيـفِ
عـلـى السطَّـيـرِ والـضِّـفـدعِ
عـلـى الـسـفـحِ والـمُـنـحـنَـى
عـلـى الـسّـهـلِ والأَرْفَـعِ
أَتَـشْـتَـمُّ أنـفـاسَـهُ
طـيـوفَ الـرُّبـى الـهُـجَّـعِ
هـنـاك رؤى مَـهْـدِه
نـبـيـذيَّـةُ الـمـنـبـعِ
حَـمـامٌ مـن الأُغـنـيـاتِ
عـلـى جَـدولٍ مُـمْـرَعِ

مـــرايـــا هـــوائـــيَّـــةٌ
ســـرابـــيَّـــةُ الـــمَـــخـــدَعِ

وغـــيـــبٌ وراء الـــقـــنـــاعِ
ووعـــــدٌ بـــلا بُـــرقـــعِ

هـــنـــاكَ انـــتـــظـــارٌ يـــحـــسُّ
خـــطـــاهُ وحـــلـــمٌ يَـــعـــي

ودفءٌ صـــريـــعٌ يـــحـــنُّ
إلـــى لـــمـــسِـــهِ الـــمُـــبـــدِعِ

ووادٍ يُـــصـــيـــخُ إلـــى
تـــبـــاشـــيـــرِهِ الـــلُّـــمَّـــعِ

فـــأحـــلـــمُ أنَّ الـــجـــنـــيـــنَ
ولـــيـــدٌ بـــلا مُـــرضـــعِ

فـــألـــوي زنـــودَ الـــحـــنـــانِ
عـــلـــى خـــصـــرِهِ الـــطـــيِّـــعِ

ويـــحـــبـــو عـــلـــى ســـاعـــديَّ
فـــأُرضِـــعُـــهُ أدمُـــعـــي

ويـــنـــأى، فـــتـــرنـــو الـــكُـــوَى
يُـــفـــتِّـــشـــن عـــنـــهُ مـــعـــي

ويـــرتـــدُّ، حـــلـــمٌ مـــضـــى
ويـــمـــضـــي، بـــلا مـــرجـــعِ

وتـــحـــتـــشـــدُ الأمـــســـيـــاتُ
عـــلـــى الـــعـــامـــرِ الـــبَـــلـــقـــعِ

فأرجوهُ أَنْ يَشْرئبَّ
إلى شُرفةِ المطلعِ
أمُدُّ لَهُ سُلَّماً
إلى النُّورِ من أضلُعي
وأشدو لميلادِهِ
ويُصغي بلا مسمعِ
فأبكيهِ في مقطعٍ
وألقاهُ في مقطعِ

❁ ❁ ❁

أسمار القرية

يوليو سنة ١٩٦٤

مِن صدى البيدِ، والشِّعابِ الحواشذْ
بالمهاوي والضارياتِ السواهذْ

مِن مُدى الموتِ حين تحمرُّ فيها
شهْوةُ الدُّودِ والقبورِ الزوارذْ

مِن لياليه حين مسَّ (عليّاً)
ليلةَ العُرسِ أنه شرٌّ وافذْ

أو أتى مرشداً فأوما إليهِ
صاحباهُ أَنَّ الضحيَّةَ راشِذْ[1]

مِن صخورٍ جُلودُهنَّ حرابٌ
وكهوفٍ عيونُهنَّ مواقذْ

حيث للريحِ والتلالِ عروقٌ
من أفاعٍ، وغابةٌ من سواعذْ

وعلى المُنحنى تمدُّ «صيادٌ»[2]
للأذِلَّاءِ حائطاً مِن أساوِذْ[3]

---

(١) من حكايات الأسمار في أرياف بلادنا أن المحتضر يشاهد ملك الموت في يده سكين حمراء، وأنه قد يغلط فيهم بقبض روح شخص والمراد آخر وعلى الخصوص إذا اشتبه الاسمان.

(٢) صياد: اسم جِنِّيّة توصف بصيد الرجال وهي أكثر طمعاً في الأذلاء.

(٣) الأساود: نوع من الحيات.

ولـهـا حـافـرا حـمـارٍ وتـبـدو
مـرأةَ، قـد تـزوجـت ألـفَ مـارذ
مـن ركـوبِ السُّرى عـلـى كـلِّ قـفـرٍ
لـم تَـرِدهُ حـتـى خـيـالاتُ رائـذ
واللـيـالـي عـلـى أكُـفِّ الـعـفـاريـتِ
نُـعـوشٌ، ذواهـبٌ، وعـوائـذ
مِـن قـوى الـبـأسِ قـصـةٌ تـلـو أخـرى
تـصـرعُ الـوحـشَ قـبـل نـهـضـة قـاعـذ
مِـن سـؤالٍ عـن الـحـجـازِ وردٍّ
عـن غـلاءِ الـكـسـاءِ، و: الـتـبـنُ: كـاسـذ
مـن خـصـامٍ بـيـن الأقـاربِ فـي الـوا
دي، وحـربٍ فـي الـتـلِّ بـيـن الأبـاعـد
مـن تـثـنِّي الـمـراتـعِ الـخُـضـرِ تـومـي
بـالأغـانـي لـلـراعـيـاتِ الـنـواهـذ
من متاهِ الظنونِ تستجمعُ الأسما
رَ، شُعثَ الرؤى، وفوضى المَشاهذ
بـيـن جـدرانِـهـا ركـامُ الـحـكـايـا
مـن جـديـدِ الـقـرى وأكـفـانِ تـالـذ
وتـجـاعـيـدُ الـشـعـوذاتِ عـلـيـهـا
كـرُفـاتِ تـقـيـأتْـهـا الـمـراقـذ
وعَـلـى كُـلِّ بـوحِـهـا وصـداهـا
تـتـنـادى زواحـفٌ ورواكـذ

تجمع القريةُ الشتاتَ فتحوي
أمسياتٍ من عاصفات الفدافدْ

وسيولاً من الفراغِ المدوِّي
أسْهلت فوقها بطونُ الروافدْ

وغناءً كخَفْقِ بيتٍ من القشِّ
تعاوت فيه الرياحُ الشدائدْ

وبخوراً وشادياً من جليدٍ
ونداءً: كم في الصلاةِ فوائدْ

يحشرُ السُّمَّرُ الضجيجَ عليها
من شظايا نعشِ السنينِ البوائدْ

يتلاقيان كلَّما حشرجَ الطَّبْلُ
وأعلى الدخانُ ريحَ الموائدْ

فيقصُّون كيفَ طارَ (ابنُ علوانٍ)[1]؟
وماذا حكى (عليُّ بن زائدْ)[2]؟

عن مدارِ النجومِ وهي وعيدٌ
عن فمِ الغيبِ أو بريقِ المواعدْ

عندما تُسبلُ الثُّريَّا عِشاءً
عقدها تحبلُ السحابُ الخرائدْ

---

(١) بطل أسطوري معتقد في اليمن...

(٢) حكيم معتبر في الأوساط القبلية اليمنية ويعتمد الزراع على تجاربه السايرة في أمثال تحدد أوقات الأمطار والبذر والحصاد.

وإذا الـغـربُ وَاجَـهَ الـصَّـيْـفَ بـالأر
يـاحِ بـاعـثْ عـيـالَـهـا (أمُّ قـالـد)[1]
ويـعـودون يـغـزلـون مـن الـرَّمـلِ
، ودودِ الـبـلـى، عـروقَ الـمـحـامـذ
فَـيـلـوكـون مـعـجـزاتِ (فـقـيـهٍ)
يـحـشـدُ الـجِـنَّ والـظَّـلامُ يـشـاهِـذ
ومـزايـا قـومٍ يـصـلُّـون فـي الـظُّـهـرِ
وفـي الـلَّـيـلِ يـسـرقـون الـمـسـاجـذ
وحـكـايـا تـطـولُ عـن بـائـعـاتِ الـخـبـزِ
كـم فـي حـديـثِـهـنَّ مَـكـايـذ
عـن بـنـاتِ الـقـصـورِ يـقـطُـرنَ طـيـبـاً
كـرواب مـن الـورودِ الـفـرايـذ
أو كـصـيـفٍ أجـادَ نـضـجَ الـعـطـايـا
أو ربـيـعٍ فـي الـبُـرعـمِ الـطـفـل واعـذ
شَـعـرُهُـنَّ انـشـيـالُ فـجـرٍ خـجـولٍ
ظـلُّـهُ فـي عـيـونِـهِـنَّ مَـرَاوذ
كـلُّـهـنَّ اسـتَـمَـخـنـهـم فـتـأبَّـتْ
حـكـمـةُ الـطـيـنِ فـيـهـمُ أن تُـسـاعـذ
ويـتـوبـون يـسـتـعـيـذون بـالـلَّـهِ
لأنَّ الإنـاثَ نـبـعُ الـمـفـاسـذ

---

(١) سنة القحط عند المزارعين.

ويَـــودُّون لـــو يـــعـــودُ زمـــانٌ
كـان ثـرَّ الـجَـنـى عـمـيـم الـمَـوارِدْ
ويـسـبُّـون حـجَّـةً[1] طـوَت الـزَّاد
فـلاكَ الـفـراغ جـوعُ الـمـزاوِدْ
وتـنـاءت أسـمـارُهُـمْ وتـدانـت
مـثـلـمـا تـخـتـفـي الـرؤى وتـعـاوِدْ
والـتـقـوا لـيـلـةً عـجـوزاً[2] تـوارت
فـي أخـاديـدِهـا الـنُّـجـومُ الـخـوامِـدْ
فـابـتـدَوا ثـرثـراتِـهِـمْ وأعـادوا
مـا ابـتـدوا مـن رواسـبٍ وزوائـدْ
وعـلـى صـمـتِـهِـمْ تـهـيَّـأ شـيـخٌ
مـثـلـمـا تـخـفـقُ الـطـيـوفُ الـشَّـوارِدْ
فـحـكـى قـصـةً تـمـلـمـلَ فـيـهـا
كـلُّ حـرفٍ، كـأنَّـهُ قـلـبُ حـاقـدْ
وتـعـالـى فـيـهـا الـتـبـجُّـحُ بـالـثـأرِ
فـهـاجَـتْ مـسـتـنـقـعـاتُ الـعـوائـدْ
وتـنـادَوا.. لـبَّـيـك يـاعـمُّ هـيَّـا
كـلُّـنـا سـائـرون لا عـاذ واجـدْ
إنَّـهـا سـاعـةٌ إلـيـهـم فـكِـرُّوا
عـمـيَـتْ عـنـكـمـو الـعـيـونُ الـخـواسِـدْ

* * *

(١) حجة: سنة.
(٢) ليالي العجوز: بين أواخر الشتاء وأوائل الصيف في عرف أهل الريف.

واشرأبّتْ بيوتُهُمْ تلمحُ الشّهبَ
دماً في ملامحِ الأُفقِ جامِدْ

وتعايا فيها النُّعاسُ تَعايي
طائرٍ موثقِ الجناحين بارِدْ

ومع الفجرِ ساءلَ السفحُ عنهم
جدولاً، في ترقُّبِ الفجرِ سَاهِدْ

فرآهُ يهفو، يمدُّ ذراعيْهِ
ويُومي لها بأهدابِ عابِدْ

وارتمى يحتسي عبيرَ خُطَاهَا
ويُعاني وَخْزَ الحصى ويُكابِد

ودَنَتْ فالتَوَى على صُبحِ ساقيْها
يُناغي ويَجتدي ويُراوِدْ

مَنْ أتتهْ؟ فلاّحةٌ مِشْطُها الشّمسُ
عليها مِن الشُّروقِ قَلائِدْ

وقميصٌ مِن النَّدى ماج فيهِ
موسمٌ، نابضُ الأفانينِ مائِدْ

وانثنت مثلما يميسُ عمودٌ
زنبقيٌّ تَشْتَمُّ أخبارَ (قائِدْ)[1]

وعلى فجأةٍ تلقَّت خُطاها
من غبارِ الصَّدى، غيومٌ رواعِدْ

أيُّ شيءٍ جرى؟ وتُصغي وتعدو
وتُداري، نشيجَها فيُعانِدْ

---

(١) من أسماء أهل الريف.

وتَرامَتْ مناحَةُ القريةِ الثَّكلى
كما يزخرُ انفجارُ الجلامِذْ

ودنَتْ مَن ترى؟ أبا طفلتيْها
وهو جذعٌ مِن الجراحاتِ هامِذْ

وعجوزاً تبكي وحيداً وأطفالاً
كزُغبِ الحَمامِ يبكون والِذْ

وجريحاً يصيحُ أين يدايَ؟
أين رجلايَ؟ هُنَّ ما كنتُ واجِذْ

وشقيقاتُهُ يَمُتْنَ التياعاً
ويَهَبْنَ لهُ القلوبَ ضمائذْ

يرتمي يرتمين يجثو فينصُبْنَ
لهُ مِن صدورِهِنَّ وسائِذْ

وعواءُ النجيعِ في السَّاحِ يدوي
يذهبُ الحاقدون والحقدُ خالِذْ

أحمقُ الحمقِ أن تصيرَ الكراها
تُ تُراثاً، أو يَسْتحِلنَّ عَقائِذْ

وعلى إثر مَن مَضَوا عادت الأسما
رُ تحيا على أصولِ القواعِذْ

وتُباهي: أزدوْا صغيرين منَّا
وقتَلنا منهم ثلاثين ماجِذْ

وتعيدُ الذي أعادتْ دهوراً
من صدى البيدِ والشعابِ الحواشِذْ

❁ ❁ ❁

شعب على سفينة

أبريل سنة ١٩٤٦م

كهودجٍ مِن الضَّبابْ
مِن الطيوفِ، والسَّرابْ
تَزُفُّهُ سفينةٌ
مِن الضياعِ والتُّرابْ
ومِن تخيُّلِ الغِنى
ومِن تلهُّفِ الرغابْ
ومِن حكايا العائدِ
ين بالحقائبِ العجابْ
المتخماتِ بالحُلى
وبالعطورِ والثيابْ
وبالجُيوبِ تحتوي
دراهماً، بلا حسابْ
لمَّا أتَوا تلفَّتتْ
حتى القصورُ والقبابْ
حتى السهوبُ والقُرى
حتى الكهوفُ والشعابْ
وكلُّ صخرٍ عندنا
وكلُّ شارعٍ وبابْ

* * *

ورغم خوفِهِ مضى
مِن غربةٍ إلى اغترابْ

حشاهُ ملجأُ الطُّوى
عيناهُ مرفأُ الذُّبابْ

على الفراغِ يبتدي
وينتهي دُجى العذابْ

و (مأربٌ) تساؤلٌ
متى يعودُ؟ وارتقابْ

و(حدَّةٌ)[1] مخاوفٌ
وموعدٌ على ارتيابْ

أينثني؟ فينثني
إلى المزارعِ الشَّبابْ

ومُقلتا (سمارةٍ)[2]
جوًى (ومَيْتمٌ) عِتابْ

يَعي لُهاثَ ربوةٍ
تعدُّ أشهُرَ الغيابْ

وتشرئبُّ ربوةٌ
إلى محاجرِ الشِّهابْ

تهزُّ نهدَها إلى
مسافرٍ بلا إيابْ

---

(١) حدة: من مصايف صنعا.

(٢) سمارة: جبل مطل على ناحية إبّ. وميتم: نهر في المنطقة نفسها.

تحـــطُّـــهُ جـــزيـــرةٌ
ويـــرتـــمـــي بـــه عُـــبـــابْ
مـــســـافـــرٌ أضـــنـــى الـــسُّـــرى
وراعَ غـــيـــهـــبَ الـــذئـــابْ
وأقـــلـــقَ الـــحـــصـــى، بـــلا
مَـــدَى، وأجـــهـــدَ الـــهـــضـــابْ

* * *

مِـــن قـــارةٍ لـــقـــارةٍ
يـــجـــوبُ أرحـــبَ الـــرِحـــابْ
وهـــو عـــلـــى عـــيـــونِـــهـــا
تـــســـاؤلٌ، بـــلا جـــواب
فـــيـــنـــحـــنـــي ويـــبـــتـــنـــي
لـــهـــا نـــواطـــحَ الـــسَّـــحـــابْ
يُـــضـــيـــئـــهـــا ولا يـــرى
يَـــشـــيـــدُهـــا، وهـــو الـــخـــرابْ
يـــعـــيـــشُ عُـــمْـــرَه عـــلـــى
أرجـــوحـــةٍ، مِـــن الـــحِـــرابْ
أيـــامُـــهُ ســـفـــيـــنـــةٌ
جـــنـــائـــزيَّـــةُ الـــذِهـــابْ
تـــزفُّـــه إلـــى الـــنـــوى
كـــهـــودجٍ مِـــن الـــضَّـــبـــابْ

❁ ❁ ❁

الشهيدة

يوليو ١٩٦٥م

كرجوعِ السَّنى لِعينَيْ كفيفِ
بغتةً كاخضرارِ نعشٍ جفيفِ

وكما مدَّتِ الحياةُ يديْهَا
لغريقٍ، على المنَيَّةِ مُوفي

وكما ينثني إلى خَفْقِ شيخٍ
عنفوانُ الصِّبا الطليقِ الخفيفِ

رجعتْ فجأةً رجوعَ وحيدٍ
بعد شكٍّ إلى أبيهِ اللَّهيفِ

كابدتْ دَربها إلى العودة الجَذْلى
وأَدْمَتْ شوطَ الصراعِ الشَّريفِ

حدَّقتْ مَن ترى ومَن ذا تُنادي؟
أين تمضي: إلى الفراغِ المخيفِ؟

وأرتها خوالجُ الذُّعرِ وجهاً
بربريّاً، كبابِ سجنٍ كثيفِ

وجذوعاً، لها وجوهٌ، وأذقانٌ
وإطراقةُ الحمارِ العليفِ

فتنادتْ فيها الظُّنونُ وأَصْغَتْ
لحفيفِ الصَّدى ووهمِ الحفيفِ

وكما يرتمي على قلقِ السَّمعِ
هدوءٌ بعد الضَّجيجِ العنيفِ

سرَّحتْ لمحةً فطالعها شيءٌ
كإيماءةِ السِّراجِ الضعيفِ

كان يُعطي حياتَهُ للحيارى
وعلى وجههِ اعتذارُ الأسيفِ

فأحسَّت هناك حيّاً مهيضاً
يتلوَّى تحت الشِّتاءِ الشفيفِ[1]

قُرَى، بِغْنَ عُمرَهُنَّ على أد
نى الخصوماتِ والهُراءِ السخيفِ

واشرأبَّتْ ثقوبُهنَّ إلى الرِّيحِ
يُسائِلْنَ: عن شميمِ الرغيفِ

فدَنَتَ تنظرُ الحياةَ عليهنَّ
بقايا مِن الغُثاءِ الطَّفيفِ

والدوالي هناك أشلاءُ قتلى
جَمَدَتْ حولَها، بقايا النَّزيفِ

وتجلَّت أُمّاً تجعَّد فيها
عَرقُ الصيفِ وارتعاشُ الخريفِ

سألتها عن اسمِها فَتبَدَّى
مِن أخاديدها حنانُ الأليفِ

---

(١) الشتاء الشفيف: عنيف البرد.

واستدارت تَقصُّ: إن أباها
من (زَبيدٍ) وأمَّها من (ثقيفِ)

فأعادتْ لها الربيعَ فماست
في شبابَيْن تالدٍ وطريفِ

نزلتْ ضيفةَ الحنانِ فكانَتْ
لديارِ الضياعِ، أسخى مُضيفِ

نزلتْ في مواكبٍ من شروقٍ
وحشودٍ مِن اخضرارِ الرَّفيفِ

في إطارٍ مِن انتظارِ العصافيرِ
ومِن لهفةِ الصَّباحِ الكفيفِ

وتهادتْ على الرُّبى فتلظَّى
في عروقِ الثلوجِ، دفءُ المَصيفِ

وأجادتْ مِن الفراغِ وجوهاً
وجباهاً، من الشموخِ المنيفِ

رجعتْ فانثنى اصفرارُ التوابيتِ
إلى خُضرةِ الشبابِ الوريفِ

❁ ❁ ❁

ابن سبيل

١٦/ يوليو/ ١٩٦٥م

سارَ والدَّربُ ركامٌ من غباءِ
كلُّ شبرٍ فيهِ شيطانٌ بدائي

كان يرتدُّ ويمضي مثلما
تخبطُ الريحُ، مضيقاً مِن عناءِ

بين جنبيْهِ، جريحٌ هاربٌ
مِن يدِ الموتِ، ومسلولٌ فِدائي

يصلب الخطوَ على ذُعرِ الحصى
وعلى جذعٍ مديدٍ مِن شقاءِ

وعلى منعطفٍ أو شارعٍ
مِن دمِ الذكرى وأنقاضِ الرجاء

من يعي يسأله: أين أنا؟
ضاعَ قُدَّامي، كما ضاعَ ورائي

وإلى لا منتهى هذا السُّرى
في المتاهاتِ ومِن غيرِ ابتداءِ

إنني أخطو على شلوي وفي
وَهْوَهاتِ الرِّيحِ، أَشْتَمُّ دمائي

من يؤاويني؟ أيُصغي منزلٌ
لو أنادي، أو يَعي أيَّ خباءِ؟

أَلـمـمـراتُ مـغـاراتٌ لـهـا
وثـبـةُ الـجـنِّ، وإجـفـالُ الـظِّـبـاءِ

وهـنـاك الـشُّـهـبُ غـربـانٌ، بـلا
أعـيـنٍ، تـجـتـازُ غـيـماً لا نـهـائـي

وهـنـا الـشَّـمـسُ عـجـوزٌ، تـحـتـسـي
ظِـلَّـهـا، تـصـبـو إلـى تـحـديـقِ رائـي

مَـن دنـامـنّـي؟ وكـالـطَّـيـفِ الـتـوى
ونـأى، خـلـفَ خـيـالاتِ الـتـنـائـي

مِـنْ وراءِ الـتـلِّ عَـنَّـتْ غـابـةٌ
مـن أفـاعٍ؟ وكـهـوفٌ مـن عُـواءِ

وعـيـونٌ، كـالـمـرايـا، لـمـعـتْ
فـي وجـوهٍ، مـن رمـادٍ وانـحـنـاءِ

إنـه حـشـدٌ، بـلا اسـم وجـهُـهُ
خـلـفـهُ مِـرآةُ تـزويـرِ الـطِّـلاءِ

مَـن يـرى؟ أيَّ زحـامٍ ودرى
أنـه يـرنـو إلـى زيـفِ الـخـواءِ؟

* * *

وبـلا زادٍ ولا دربٍ مـضـى
كـالـخـيـالاتِ الـكـسـيـحـاتِ الـظِـمـاءِ

تـخـفُـقُ الأحـزانُ، فـي أهـدابِـه
وتُـنـاغـي، كـعـصـافـيـرِ الـشـتـاءِ

يـنـحـنـي، يـسـتـفـسـرُ الإطـراق عـن
وجـهِـهِ الـذَّاوي، وعـن بـابٍ مُـضـاءِ

عن يدٍ، صيفيَّةِ اللَّمسِ وعن
شُرفةٍ جَذْلى، وعن نبضِ غناءِ

وتأنَّتْ نجمةٌ، أرسى على
جفنِها طيفٌ، خريفيُّ الرِّداءِ

فتملَّاها مليّاً وارتدى
جوَّ عينيه، أصيلاً من صفاءِ

والتظى برقٌ، تضنَّى خَلفَهُ
ألفُ دنيا، من ينابيعِ السخاءِ

وبلا وعيٍ دنا، من كوخهِ
كغريقٍ، عاد من حَلقِ الفناءِ

فأحسَّ البابَ يلوي حوله
ساعدَيْ شوقٍ، وحضناً من بكاءِ

أين من يسأله، يخبرُهُ
عن مآسيهِ فيحنو أو يُرائي؟

وجثا، يحنو عليه منزلٌ
سقفُهُ الثلجُ، وجدرانُ المساءِ

وكما تنجرُّ أمٌ ضيَّعت
طِفلَها، يبحثُ عن أدنى غذاء

يجتدي الصَّمتَ نداءً أو يداً
أو فماً يفترُّ، أو رجعَ نداءِ

ويُداري السُّهدَ أو يرنو إلى
ظلِّه، يختالُ في ثوبِ نسائي

فتُعاطيه مناهُ أكؤساً
من دخانٍ؟ واحتضاناً من هباءِ
تحتسي أنفاسَهُ أُمسِيَةٌ
عاقرٌ، تمتصُّ ألوانَ الهواءِ
هل هنا لابن سبيلِ الريحِ مِن
موعدٍ؟ أو هٰهُنا دفءُ لقاءِ؟
عاد من قفرِ دُخانيٍّ، إلى
عامرٍ؟ أقفرَ من ليلِ العَرَاءِ
وغدا يبتدئُ الأشواطَ من
حيث أنهاها، إلى غيرِ انتهاءِ
يقطعُ التِّيهَ، إلى التِّيهِ، بلا
شوقِ أسفارٍ، ولا وعدِ انثناءِ
وبلا ذكرى، ولا سلوى رؤًى
وبلا أرضٍ، ولا ظلِّ سماءِ
عُمْرُهُ دوَّامةٌ من زئبقٍ
وسهادٌ وطريقٌ من غَبَاءِ

❁❁❁

صديقُ الرِّياحْ

مارس ١٩٦٦م

على اسمِ الجنيهاتِ، والأسلحهْ
يتاجرُ بالموتِ، كي يربَحهْ
ويشتمُّ كفَّيْ مُرابي الحروبِ
فيزرعُ في رملِهِ مطمحَهْ
ذوائبهُ الحاضناتُ النُّجومَ
بأيدي المُرابين، كالمِمسحَهْ
يُمنِّيهِ طاغٍ، حساهُ الفجورُ
وجَلْمَدَ في حلقِهِ النَّحنحَهْ
فيدمى وتغدو جراحاتُهُ
منادِيلَ. . في كفِّ مَنْ جَرَّحَهْ
وتومي له حربةُ [الهرمزانِ]
بقرآنِ (عثمانَ) والمِسْبَحهْ
فيهوي، له جُبَّةٌ من رمادٍ
ومن داميات الحصى أوشِحَهْ
على وجهِهِ، ترسُبُ الحشرجاتُ
وتطفو، قبورٌ، بلا أضرحَهْ
ويجترُّهُ من وراءِ السرابِ
أسًى، يرتدي صَبغةً مُفرِحَهْ

فيجتاحُ تلّا شواهُ الحريقُ
وتلاّ، دخانُ اللّظى لوّحهْ
ويغتالُ رابيةً مُمْسياً
وتأكلُهُ ربوةٌ، مُصْبحَهْ
وكالسّلِّ يمتصُّ زيتَ (الرياضِ)
ويُرضِعُ من دمِه المذبحَهْ
ويسقطُ حيث تلوحُ النقودُ
هنا أو هنا، لايعي مطرحَهْ
طيوفُ الحياةِ على مُقلتَيْهِ
عصافيرُ دامية الأجنحَهْ
تَعُبُّ أساريرَه الأمسياتُ
وتنسى الصبيحاتُ أن تلمحَهْ
و غاياتُهُ أن يُديرَ الحروبَ
ويبتزَّ أسواقها المُربحَهْ
وما دام فيهِ بقايا دَمٍ
فمن صالحِ الجيبِ أن يسفحَهْ
يجُودُ بأشلائِهِ ولتكُنْ
(لإبليسَ) أو (آدم) المصلحَهْ

* * *

وتلك عوائدُهُ الخالداتُ
يجوعُ، ومن لحمِهِ، يأكلُ
بلا دِرْهمٍ كان يَدْمَى فكيف؟
وكنزُ (المُعزِّ) لهُ يُبذَلُ

أينسى عراقتَه أنه:
أبو الحربِ أو طِفلُها الأوّلُ

وما زال تُنجبُهُ كلَّ يوم
(بسوسٌ) وأخرى به تحبلُ

إلى أين يسري؟ وردَّ الصدى:
إلى حيث لا ينثني الرُّحَّل

وكانَ هناك سراجٌ حزينٌ
يَئِنُّ، ونافذةٌ تسعُلُ

فأصغى الطريقُ إلى مَسمَرٍ
كنعشٍ ينوء بما يحملُ

وقال عجوزٌ سها الموتُ عنهُ
على مَن ننوحُ ومَن نثكلُ؟

رمى أمسِ (يحيى) أخاهُ (سعيداً)
وأردى ابن أختي أخي (مقبلُ)

فردَّ لهُ جارُهُ: لو رأيتَ
متاريسَنا كيف تستقتِل

تمورُ فتغشى الجبالُ الجبالَ
ويبتلعُ الجندلَ الجندلُ

ويهوي الجدارُ على ظلِّهِ
ويجترُّ أسوارَهُ المعقِلُ

وقالت عروسٌ صباحَ الزفافِ
سعى قبل أن يبردَ (المخملُ)

ويوماً حكوْا أنَّهُ في (حريب)[1]
ويوماً أتى الخبرُ المذهلُ

وصاح فتًى: أخبروا عن أبي
وأجهشَ، حتى بكى المَنزِلُ

وولَّى ربيعٌ مريرٌ، وعادَ
ربيعٌ، بمأساتِه مثقلُ

وضاعَ المدى وصديقُ الرياحِ
يحومُ.. وعن وجهِهِ يَسألُ

ويمضي به عاصفٌ قُلَّبٌ
ويأتي به عاصفٌ حُوَّلُ

* * *

أما آن يا ريحُ أن تهدئي
ويا راكبَ الريحِ أن تتعبا

وأين ترى شاطئَ الموجِ يا
(براشُ)[2] ويا نسماتِ الصَّبا

ويا آخرَ الشوطِ: أين اللقاء؟
ويا جدبُ أرجوكَ أن تُخصِبَا

ويا حلمُ، هل تجتلي مُعجزاً
تحيلُ خطاهُ الحصى كَهرَبا

يُبيدُ بكفٍّ، نيوبَ الرياح
ويمحو بكفٍّ، حلوقَ الرُّبى

(١) حريب مدينة شرق اليمن. (٢) براش: جبل شرق صنعاء.

ويغرسُ في الذئبِ رفقَ النِّعاجِ
ويمنحُ بعضَ القوى الأرنبَا

أيأتي؟ ويحتشدُ الانتظارُ
يمدُّ له المهدَ والملعبَا

ويبحثُ عن قدميه الشروقُ
ويحفرُ عن ثغرِهِ المَغْرِبَا

وعادت كما بدأتْ غيمةً
توشِّي بوارقَها الخُلَّبا

وتُفرِعُ أثدَاءَها في الرمالِ
وتهوي تحاولُ أن تَشْرَبا

و(صنعاءُ) ترتقبُ المعجزاتِ
وتحلمُ بالمُعجزِ المُجتبى

وكالصَّيفِ، شعَّ انتظارٌ جديدٌ
على الأفقِ، وامتدَّ واعشوشَبا

وحدَّق من كلِّ بيتٍ هوًى
يراقبُ عملاقَهُ الأغلبَا

ويختارُ أحلى الأسامي لَهُ
وينتخبُ اللَّقبَ الأعجبَا

ويخلقُهُ فارساً يمتطي
هلالاً ويتَّشحُ الكوكَبَا

سيدنو فقد آن للشُّهدِ أن
ينامَ وللنَّوحِ أن يطربَا

فـعُـمْـرُ الـرَّصـاصِ كـعُـمْـرِ سـواهُ
وإن طـالَ جـاءَ لـكـي يـذهـبَـا

وقـد يُـقْـمِـرُ الـجـوُّ بـعـد اعـتـكـارٍ
وقـد يُـنـجـلُ[1] الأحـمـقُ الأنـجـبَـا

❁ ❁ ❁

(١) يُنجل: يكون له نجل.

كانَت وكان

أغسطس سنة ١٩٦٥م

كانت له، حيث لا ظِلٌّ ولا سعفُ
من النخيلِ الحوالي، ناهدٌ نَصَفُ

وكان أرغدُ نصفَيْها الذي ابتدأتْ
أو انمحى من صِباها الياءُ والألفُ

أغرى، وأفتنُ ما في بعضِ فتنتِها
طفولةٌ، وامتلاءٌ مثمرٌ هَيفُ

كانت له بعضَ عام، لا يمتُّ إلى
ماضٍ ولا امتدَّ من إخصابِه خَلَفُ

ولَّى، ولا خبرٌ يُهدى إليهِ وفي
حقائبِ الريحِ، من أخبارهِ تُحَفُ

وقِصَّةٌ لمْلَمَ التأريخُ أحرُفَها
فاستضحكَ الحبرُ في كفَّيْهِ والصُّحفُ

وغابَ أولَ يومٍ عن تذكُّرِهِ
وفي تظنّيهِ من إيمائِهِ نُتَفُ

كان الخميسُ أو الاثنين واحتشدتْ
مواقفٌ، تدفعُ الذكرى وتلتقِفُ

في بدءِ تشرينَ، نادَتْهُ نوافذُها
فحامَ كالطيف، يستأني وينجَرفُ

هل داك مخدعها؟ تومي النجوم على
جبينِهِ وعلى عينيْهِ تعتكِفُ

بل تلك غرفتُها أو تلك أيُّهما؟
أو هذه، وارتدت أزياءَ ها الغُرفُ

وبعدَ يومٍ وليلٍ، جاءَ يسألُها
عن عمِّها أخبروه أنهُ دَنِفُ

من ذا تريدُ؟ وتسترخي عبارتُها
فيأكلُ الأحرفَ الكَسلى ويرتشِفُ

ويدَّعي أنَّهم قالوا: أليس لها
عمٌّ ويعتصرُ الدَّعوى وينتزِفُ

ويستزيدُ جواباً هل هنا سكنٌ؟
أظنُّ [بيتُ فُلانٍ] أهلهُ انصرفوا

وخانهُ الرّيقُ، فاستحلتْ تلعثُمَهُ
واخضرَّ في شفتيْها العذرُ والأسفُ

ونصفَ (كانون) زارت بنتَ جارتِهِ
فأفشتِ الخبرَ الأبوابُ والشُّرَفُ

وقالت امرأةٌ: من تلك؟ والتفتتْ
أخرى، تُكذِّبُ عينيْها وتعترفُ

وعرّفتها عجوزٌ، كلُّ حِرفتِها
صُنعُ الخطايا، لوجهِ اللّهِ تحترِفُ

وقضّتِ امرأةٌ عنها، لجدّتِها
فصلاً، كما ذابَ فوق الخُضرةِ الصَّدَفُ

فعوَّدتْها وقالت: كنت أُشبِهَها
لكن لكلِّ طويلٍ يا ابنتي طُرَفُ
وغمغمَ الشَّارعُ المهجور: مَن خطرَتْ
كما تَخَطَّرَ تلٌّ مائجٌ ترِفُ
وحين عادت وحيَّاها على خجلٍ
ردَّتْ، وما كان يرجو، ليتها تقفُ
وخلفها اقتادَهُ وعدُ السَّرابِ إلى
بيتٍ نضيجِ الصِّبا جدرانُهُ الشَّغَفُ
حتى احتَستْها شفاهُ البابِ، لا أحدٌ
يُومي إليه، ولا قلبٌ لَهُ، يجفُ
وظَنَّ وارتابَ حتى اشتَمَّ قِصتَه
كلبٌ هناك وثورٌ كان يعتلِفُ
وعاد من حيث لا يدري على طُرقٍ
من الذهولِ إلى المجهولِ ينقذِفُ
فاعتادَ ذكراهُ بيتٌ مسَّه فمُها
في دربِها، وبظلِّ الدَّارِ يلتحِفُ
وقرَّبت دارَها من ظلِّ ملجئهِ
يدٌ تَعلَّم مِن إغداقِها السَّرفُ
وكان يُصغي فتدعو غيرُها ابنتَها
وجارةٌ غَيرها تَخفَى وتنكشِفُ
متى تبوحُ وهل يُفضي بخطرتِها
دربٌ، ويخبرُ عنها الريحَ منعطفُ؟

وحلَّ شهرٌ رماديُّ الخُطى هرِمٌ
ضاعت ملامِحُه، واسترختِ الكتِفُ

وفي نهايتِه، جاءت تُسائِلُهُ
عن هِرِّها.. لم يزُرنا، فاتنا الشَّرفُ

فنغَّمتْ ضحكةً كَسْلى، طفولتُها
جَذْلى، على الرقَّةِ المغناجِ تَنْقَصِفُ

فمدَّ كفّاً خجولاً، وانحنى فَرَنَا
من وجهِها الموعدُ المجهولُ والصَّلَفُ

وكان يرنو، وجوعُ الأربعين على
ذبولِ خدَّيْهِ يستجدي ويرتجفُ

وقال ماليس يدري فادَّعت غضباً:
مَنْ خِلتَني؟ قُلْ لغيري: إنني كَلِفُ

وأعرضتْ واستدارتْ: كيف شارِعُنا؟
حلوٌ.. أما ساكنوه السوْءُ والحَشَفُ؟

(فلانةٌ) لم تَدَعْ عَرْضاً و(ذاك) فتًى
يُغوي ويكذبُ في ميعادِهِ الحلِفُ

من ذلك اليومِ يومِ (الهرِّ) كان له
عُمرٌ ومتَّجهٌ غضٌّ ومنصرفُ

واخضرَّ قُدَّامَهُ عُشٌّ تُدَلِّلُهُ
على رفيقِ الدوالي روضةٌ أَنِفُ

أجنَتْ[1] لهُ، أيُّها يدعو مَجاعتَهُ
وأيُّ أفنانِها يحسو ويقتطِفُ؟

(١) أجنت له: أبدت له الثمار الجنية.

ومرَّ عهدٌ كعمرِ الحلمِ يرقُبُهُ
متى يعودُ يُمنِّيهِ ويختلفُ؟

وكان فيه كمولودٍ على رغدٍ
أنهى رضاعتَه التشريدُ والشَّظَفُ

كانت لَهُ ويَقُصُّ الذكرياتِ على
طيفٍ، يقابلُ عينيه وينحرفُ

واليومَ في القريةِ الجَوعى يُضيَّعهُ
دربٌ، ودربٌ من الأشواكِ يختطفُ

يَسِيحُ كالرِّيحِ في الأحياءِ يَلفِظهُ
تِيهٌ، ويسخرُ من تصويبِهِ الهَدَفُ

❁ ❁ ❁

نهايةُ حسناءَ ريفيَّة

سبتمبر سنة ١٩٦٥م

كـمـا تـذبـلُ الـدَّالـيـاتُ الـصَّـبـايـا
ذوَتْ فـي سـخـاءِ الـمُـنـى والـعـطـايـا

وكـالـثَّـلـجِ فـوقَ احـتـضـارِ الـطُّـيـورِ
تـراخَـتْ عـلـى مُـقـلـتـيْـهـا الـعـشـايـا

وكـابـنِ سـبـيـلٍ جـئَـتْ وحـدهـا
تُـهـدِّجُ خـلـفَ الـضَّـيـاعِ الـشـكـايـا

وتَـسْـعُـلُ فـي صـدرِهـا أمـسـيـاتٌ
مـن الـطـيـنِ، تـبـصـقُ ذَوْبَ الـحـنـايـا

ويـومـاً أشـار أخـوهـا الـقـتـيـلُ:
تـعـالـيْ تـشـهَّـتْ يـديْـكِ يـدايـا

فـنـاحـتْ كـبـنـتِ مـلـيـكٍ غـدَتْ
بـأيـدي (الـتَّـتـارِ) أذلَّ الـسَّـبـايـا

أهٰـذي أنـا؟ وتـعـيـدُ الـسـؤالَ
وتـبـحـثُ عـن وجـهِـهَـا فـي الـمَـرايـا

أمـا كـان ملءَ قـمـيـصـي الـربـيـعُ؟
فـأيـن أنـا؟ فـي قـمـيـصـي سـوايـا

وفـرَّ سـؤالٌ خـجـولٌ تَـلاهُ
سـؤالٌ، عـلـى شـفـتـيْـهـا تـعـايـا

وأيـن الـفَـراشُ الـذي امـتـصَّـنـي
أيـرثـي هـشـيـمُ الـغـصـونِ الـعَـرايـا
وذاتَ مـسـاءٍ تـمـطّـى الـسـكـونُ
كـبـاغٍ يـهِـمُّ بـأدهـى الـقـضـايـا
وأقـعـى يـهـزُّ إزاءَ الـجـدارِ
أكُـفّـاً مـن الـشـوكِ خُـرسَ الـنـوايـا
وفـي الـصـبـحِ أهـدتْ لـهـا جـارتـان
غـبِـيّـاً رضـيَّ الـرُّقـى والـسَّـجـايـا
يَـفُـضُّ الـكـتـابَ ويَـشـوي الـبـخـورَ
ويـسـتـلُّ مـا فـي قـرارِ الـخـفـايـا
فـتَـشْـتـمُّ أمسِ الـمُـسـجَّـى، يـعـودُ
وتـجـتـرُّهُ مـن رمـادِ الـمـنـايـا
وهُـمْ يـنـتـظـرُ الـزائـريـن كـأُمٍّ
تـراقـبُ عَـوْدَ بـنـيـهـا الـضـحـايـا
فـلا طـيـفَ حُـبٍّ يـشـقُّ إلـيـهـا
سُـعـالَ الـكـوى أو فَـحـيـحَ الـزَّوايـا
وكـان يَـمُـدُّ الـمـسـاءُ الـنـجـومَ
إلـيـهـا مـعـبَّـأةً بـالـهـدايـا
وتـتَّـئِـدُ الـشَّـمـسُ قـبـل الـغـروبِ
تُـوشّـي رؤاهـا، بـأزهـى الـخـبَـايـا
ويـجـثـو الـصـبـاحُ مـلـيّـاً يَـرشُّ
شـبـابـيـكَـهـا، بـأرقِّ الـتَّـحـايـا

وتحملُ عَن وَهْجِ أسمارِها
رياحُ الدُّجى هَوْدجاً من حكايا

وكانت كما يخبِرُ الذاكرونَ
أبضَّ الغواني، وأطرى مزايا

وأنْضَرُ مِن صاحباتِ (السُّمُوِّ)
ولكنها بنتُ أشقى الرعايا

تهادتْ من الريفِ عامَ الجرادِ
تُعاطي المقاصيرَ أحلى الخطايا

وفي بَدءِ (نسيانَ) حثَّ الخريفُ
إليها من الريحِ أمْضى المطايا

فشظَّى كؤوسَ الهوى في يديْها
وخبَّأَ في رئتيْها الشظايا

وخلَّفَ منها بقايا الأنينِ
وعادَ، فأنهى بقايا البقايا

❁ ❁ ❁

لا اكتراث

سبتمبر سنة ١٩٦٥م

روِّيهِ، أو حطِّمي في كفِّه القَدَحا
فلم يَعُدْ ينتشي، أو يطعمُ التَّرحا
لا، لم يُحسَّ ارتواءً، أو يجدْ ظمأً
أو يبتهجْ، إن غَدَت أحلامُهُ مُنَحا
سُدًى، تُمنِّين مَنْ ماتت رغائِبهُ
مِنْ طولِ ما اغتبقَ القطرانَ واصْطَبَحا
فعادَ، لا يرتجي ظِلاً ولا شجَراً
ولا يراقبُ وعداً، جدَّ أو مَزَحا
إذا اشتهى اقتاتَ شِلواً من تذكُّرهِ
وامتصَّ ما خطَّ في رملِ الهوى ومحا
كالطَّيفِ يحيا بلا شوقٍ، ولا حُلُمٍ
ولا انتظارِ رجاءٍ، ضَنَّ أو سَمَحا
يُنقِّرُ السُّهدَ عن ميعادِ أُغنيةٍ
كطائرٍ جائعٍ، عن سِرْبهِ نَزَحا
ويَنزوي، كضريحٍ يستعيدُ صدًى
يبكي ويهزجُ (لا حُزناً ولا فَرحا)

لا تسألي: لم يَعُدْ مَن تعرفين هنا
ولَّى وخلَّفَ من أنقاضِهِ شَبَحا
آسِي بقاياهُ، أو شظِّي بقيَّتَهُ
للرِّيح، لم يدْرِ مَن آسى ومَنْ جَرحَا

❁ ❁ ❁

رائدُ الفَراغ

ديسمبر ١٩٦٤م

طـــاوِ، يـــريـــدُ بـــلا إرادَه
ظـمـآنُ، يـجـتـرعُ اتِّـقـادَه

هـيـمـانُ، تَـركُـضُ فـيـهِ أشـواقُ
الـجـنـيـنِ، إلـى الـولادَه

فـيُـفـتِّـشُ الأطـيـافَ، عـن إيـمـاءِ
قـــــرطٍ أو قِـــــلادَه

عـن وعـدِ بـاذلـةٍ تـجـودُ
فـيـسـتـزيـدُ إلـى الـزِّيـادَه

لـفـتـاتُـهـا لـحـنٌ، تـتـوقُ إلـيـه
أخـــيـــلَـــةُ الإجـــادَه

ويُـسـائـلُ الأشـبـاحَ مَـن
أعـصـي، ومَـنْ أُدنـي قـيـادَه؟

مَـنْ أمـلأُ الـجـاراتِ، مَـنْ
أشـهـى، يـحـومُ بـكُـلِّ غـادَهْ

ويـغـيـبُ فـي حُـمَّـى الـسُّـهـا
دِ، يُـعـيـدُ كـارثـةً مُـعـادهْ

وكـمـا يُـقـدِّرُ يـرتـمـي
فـي دفءِ (تـقـوى) أو (سـعـادَه)

ويمدُّ زنديه، ويَهصِرُ مَنْ
يظُنُّ، بلا هوادَه

ويمورُ حتى يشتكي
قلقُ الفراشِ إلى الوسادَهْ

ويعودُ يغفو، أو يُحرِّقُ
في ندامتِهِ، سُهادَه

* * *

حتى أطَلَّتْ ليلةٌ
مِعطاءَةُ الأيدي، جوادَه

مَنحَتْهُ مِنْ رغدِ المواسمِ
فوق أحلامِ الرَّغادَه

وعلى صبيحتِها دَهَتْهُ
صيحةٌ، وَأدَتْ رُقادَهْ

ضاعِفْ كِراءَ البيتِ أو دَعْهُ
... أتحرمني الإفادَه؟

ماذا يقولُ (لِمدفَنِ)
ورثَ الغباوةَ والسِّيادَة

ذهبتْ ملامِحُ وجهِهِ
وتَجلْمَدَتْ فيهِ البَلادَه

مِنْ أين يُعطي مِنْ قَطَعْتَ
سبيلَهُ، وحكرتَ زادَه

حسناً، سأتركُهُ، أضِفْهُ
إلى مبانيكَ المُشادَه

وانـــجـــرَّ يـــرتـــادُ الـــفـــراغَ
ويُـــطـــعـــمُ الـــشَّـــوكَ ارتـــيـــادَه

والـــريـــحُ تَـــبـــصـــقُـــهُ وتَـــضْـــفَـــعُ
فـــي مـــلامـــحِـــهِ بِـــلادَه

❁ ❁ ❁

مـن أيـن؟

يناير ١٩٦٥م

مِـنْ أيـن تـهـمـسـيـن لـي؟
فـتـسـتـعـيـدُ الأهْـويَـهْ

مِـنْ أيـن؟ إنَّـنـي عـلـى
أيْـدِي الـظُّـنـونِ، أُلـهِـيَـهْ

مِـنْ حـيـث لا أعـي ولا
تَـذريـن، أيُّ أُحـجِـيَـهْ؟!

وَتَـهـمِـسـيـن لـي كَـمَـا
يَـنْـدَى اخـضـرارُ الأوديَـهْ

كـمـا تـبـوحُ جَـنَّـةٌ
حُـبـلـى بـأسـخـى الأعـطـيَـهْ

فـيـشـرئـبُّ مَـنـزلـي
مـن الـثُّـقـوبِ الـمُـصـغـيَـهْ

عـريـانُ يَـغـزلُ الـصَّـدى
أسِـرَّةً وأغْـطـيَـهْ

يـمـدُّ كـلَّـهُ إلـيـكِ
حُـضـنَـهُ وأيـديَـهْ

أتـشـعُـريـن أنـنـي
ألـقـاكِ، كـلَّ أُمـسـيَـهْ

عـــلـــى جـــفـــونِ خـــاطـــرِ
أو احـــتـــمـــالِ أُمْـــنـــيَـــة

يَـــطـــيـــرُ بـــي إلـــيـــكِ مِـــنْ
هـــنـــا، جـــنـــاحُ أُغْـــنِـــيَـــة

فارس الأطياف

يونيه ١٩٦٦م

كان اسمُهُ (يحيى) وكان يُوافي
بيتاً، من الميعادِ والإخلافِ
وافاه أولَ مرةٍ كمجُدِّفٍ
أعطى الضَّياع، قيادةَ المِجْدَافِ
وغداةَ حَيَّا البابَ قطَّبَ لحظةً
وصفا كوجهِ الوارثِ المتلافِ
وهفا إلى لُقياهُ، أنضرَ مَدْخلٍ
تُومي رَوائحُهُ، إلى الأضيافِ
وأتاه ثانيةً، فماسَ أمَامَهُ
ثوبٌ، كوشيِ الموسمِ الهَفهافِ
فكأنَّ كلَّ خميلةٍ ألقَتْ على
كتفيْه أزْديةً، من الأفوافِ
ماذا وراء الثوبِ؟ فجرٌ راسبٌ
يَهوي ويستحيي وفجرٌ طافِ
ورَنَا إلى الشُّبَّاكِ، يرجو فاختفتْ
وارتدَّ بالوعدِ الجليِّ الخافي
وغدا إليهِ، فرفَّ شيءٌ ظَنَّهُ
حسناءَ، تَرفِلُ في ثيابِ زفافِ

ودعا (حسيناً) مرةً فأجابَهُ
صوتٌ كساقيةٍ من الأصدافِ

فاشتمَّ أترفَ ربوةٍ أجنَتْ له
ودنا، فغابت عن يدِ القَطَّافِ

فهُنَا مزارٌ من طفولاتِ الضُّحى
ومن الشَّذى، وأصايلِ الأصيافِ

يَمضي إليهِ، على الحنين وينثني
منهُ على فرسٍ من الأطيافِ

هي لَمْ تَعِدْه، ويرتجي ميعادَها
وسدًى يُعنقِدُ خُضَرةَ الصَّفصافِ

فيرودُ كالسِّمسارِ، متجرَ عمِّها
ويُشيدُ، بالبيَّاع والأصنافِ

ويعودُ قبلَ العصرِ، يقصدُ جَدَّها
في البيتِ، يُطري حُمقَهُ ويُصافي

ومضى يصادقُ عندَ مدخلِ بابِها
مقهًى، وباباً كالخفيرِ الجافي

وبلا محاولةٍ رآها مرَّةً
جَذْلى كحقلِ الزَّنبقِ الرفَّافِ

كان المساءُ الغضُّ عندَ رجوعِهِ
حقلاً ربيعياً ونهرَ سُلافِ

حقّاً رآها كالضُّحى، والبوحُ في
نظراتِهِ، كالطَّائرِ الخوَّافِ

خلفَ الزُّجاجِ تبرَّجتْ وأظَلَّها
شعرٌ، كأهدابِ الغروبِ الصَّافي

كانت تُغنِّي حينذاكَ وتنتقي
ثوباً وترمي بالقميصِ الضَّافي

وأمامَ مرآةٍ، تُعرِّي نِضفَها
وتموجُ تحتَ المِئزرِ الشَّفافِ

لِمَ لا يُناديها؟ وكيفَ؟ ويختفي
عنهُ اسمُها، ويضيعُ في الأوصافِ

شفقيَّةُ الشَّفتينِ، كَحْلى ناهدٌ
صيفيَّةٌ، ثلجيَّةُ الأعطافِ

وخلا الطريقُ، فلم يُصِخْ إلَّا إلى
أصدائِها، وعبيرِهَا الهَتَّافِ

ومشى يُحدِّقُ والذهولُ الحلوُ في
عينيه يبسمُ كالصَّبِيِّ الغافي

ويُعيدُ رؤيتَها ويحضنُ ظِلَّها
ويمدُّ آمالاً، بلا أطرافِ

ويَعي، فيتَّهمُ المُنى، ويعودُهُ
حُلمٌ سخيُّ الهمسِ والإرجافِ

فيشيدُ مملكةً، ويستولي على
أسمى الرؤوسِ، وأعرض الأكتافِ

ويرنُّ مِذياعٌ فُيمسي مُطْرباً
في زحمةِ التَّصفيقِ والإرهافِ

يَشدو، فتحتشدُ المَسامرُ حولهُ
مـوَّاجـةَ الأثـداءِ، والأزدافِ
ويمدُّ خطوتَهُ فيركضُ «عَنْتَرٌ»
في صَدرِهِ ويكرُّ، «عبدُ منافِ»
فيُغيرُ، يطعنُ، أو يحوزُ فُلانةً
وفُلانةً بشريعةِ الأسيافِ
فإذا اسمُهُ، أخبارُ كُلِّ مدينةٍ
وإذا صداهُ مَسَامِرُ الأريافِ
وتليـنُ خطوتُه فيصبحُ تاجراً
تكسوهُ أُبَّهةٌ من الآلافِ
إنَّ النُّقودَ سلاحُ كُلِّ مُقاتلٍ
ماكانَ أصدقَ حكمةَ الأسلافِ!
مَنْ كانَ أوضعَ مِنْ «مُثَنَّى» فاحتوى
مالاً، وأصبحَ أشرفَ الأشرافِ
سأفوقُ مَنْ أثَرَوا، وتُخبرُ جدَّتي
أنَّ الزَّمانَ يَرِقُّ بعدَ جَفافِ
وتقصُّ أُمِّي كيفَ كانَ دعاؤها
حولي قناديلاً، تضيءُ مَطافي
وانجرَّ يهمسُ، للطّيوفِ ويجتلي
وعداً، مِنْ الإغداقِ والإسرافِ
ويُحَوِّلُ الدُنيا، بلمعةِ خاطرٍ
قيثارةً، موهوبةَ العَزَّافِ

فيُعِدُّ مشروعاً، ويُنجزُ ثانياً
كالبرقِ، يحملهُ إلى الأهدافِ
وغداً، ستُخبرُ كلُّ بنتٍ أُمَّها
عنهُ، وتحسدُ أُختَها وتُجافي
وتنافِسُ الحُلواتُ بنتَ مزارهِ
فيهِ، وتمنَحُهُ بلا استعطافِ
وإلى مَدى التَّحليقِ يرفَعُهُ هوًى
وهوًى يخوضُ بهِ مَدَى الإسفافِ
ورَنَا، بلا قصدٍ، فخالَ تحرُّكاً
يدنو كقُطَّاعٍ مِنْ الأجلافِ
مَنْ ذا هُناكَ؟ وكان يسعلُ حارسٌ
ويقصُّ ثانٍ فرقةَ الألّافِ
وأجابَ هِرٌّ هِرَّةً فأجالَ في
وَجْهِ السُّكونِ توسُّمَ العَرَّافِ
فاعتادهُ شبحٌ عليهِ عباءةٌ
شَعثاً ووجهٌ كالضَريحِ العافي
واحتَجَّ مُنعطفٌ أطارت صَمْتَهُ
ونُعَاسَه نقَّالةُ الإسعافِ
ماذا دنا مِنهُ؛ توثُّبُ غابةٍ
من أذرعٍ صخريَّةِ الأخفافِ؟
ومشى كمُتَّهمٍ تُكشِّرُ حَولَهُ
وحشيَّةُ المَنفى ووجهُ النَّافي

وأشارَ مصباحٌ فأنكرَ وجهَهُ
ويديْه في إيمائِهِ الخطَّافِ
ورأى هواجسَهُ على ظَلِّ الدُّجى
كدَمِ الشَّهيدِ على يدِ السَّيَّافِ
وأحسَّ عمَّتَهُ تقولُ لأُمِّهِ:
رجعَ ابنُ قلبكِ: فأْمني أو خافي
وهناكَ أخبرَهُ التَّعَثُّرُ أنَّهُ
يمضي ويرجعُ وهو طاوٍ حافِ

❁ ❁ ❁

وراء الرياح

يونيو سنة ١٩٦٤م

تقولينَ لي: أينَ بيتي مُزاحْ؟
مِنْ النَّارِ زادَ رمادي جراحْ؟
تقولينَ أينَ؟ وبيتي صدًى
مِنْ القَبرِ، جُدرَانُهُ مِنْ نُوَاحْ
وتِيهٌ وراءَ ضياعِ الضَّياعِ
وخلفَ الدُّجى، ووراءَ الرِّياحْ
هُنَاكَ قراري، على اللاقرارِ
وفي لا غُدُوٌّ وفي لا رَوَاحْ
وراءَ النَّوى، حيثُ لا برعمٌ
جنينٌ، ولا موعدٌ، من جَنَاحْ
أموتُ، وأستولدُ الأغنياتِ
وأبذُلُها، للبِلى في سماحْ
وأحلُمُ، حيثُ الرُّؤى ترتمي
على غابةٍ، من لُهاثِ النُّباحْ
وحيثُ الأفاعي، تبيعُ الفحيحَ
وتمتصُّ جوعَ الحَصَى في ارتياحْ
لماذا أُجيبُ؟ وتَستَبِينَ
سؤالاً، يُبرعمُ حُلمَ الصَّباحْ

فأُصغي، وأسمعُ من لا مكان
صدَى واعداً، زنبقيَّ الصُّداخ

وأَشْتَمُّ صيفاً خجولَ القِطافِ
تلعثمَ في وجنتيْكِ وفاخ

وناغى على شاطِئيْ مُقلتيْكِ
مُنَى رُضَّعاً، ووعوداً شِحاخ

أحَلْنَ رمادي حريقاً صموتاً
وأورقنَ في شفتيْهِ فبَاخ

لأنَّا التقيْنا، وَلَدْنا الشُّروقَ
وأَهْدى لنا كلُّ نجمٍ وِشَاخ

فماجَ بِنَا منزلٌ من شذاً
ومِنْ أُغنياتِ الصِّبا والمَراخ

❁ ❁ ❁

يا نجوم

مارس ١٩٦٧م

لفتةً «يا نجومُ إنِّي أُنادي»
من رآني، أو من تجلَّى المُنادى؟
إنَّني يا نجومُ كُلَّ مساءٍ
هٰهُنا، أبلعُ الشِّفارَ الحِدادا
وبلا موعدٍ، أمُدُّ بنانا
من حنينٍ، لكُلِّ طيفٍ تهادى
لكنوزٍ، من شعوذاتِ التَّمني
تتبدَّى ثُنَّى، وتَخفى فُرادى
أزرعُ السَّقف والزوايا فُتوحاً
فتسوقُ الكوى إليها الجرادا
وأُنادي والريحُ تمضي وتأتي
كالمناشيرِ، جَيئةً وارتدادا
وتقصُّ الذي حكته مِراراً
للرَّوابي، ولقَّنتهُ الوِهادا
وتعيدُ الذي أعادت وَتَزوي
مِن سُعالِ البيوتِ فَصلاً مُعادا
مَنْ أُنادي يا ريحُ؟ مَنْ لستُ أدري
هل سيدنو، أم يستزيدُ ابتعادا

مَـنْ يـرانـي؟ إنّـي هُـنَـا يـا عَـشـايـا
أنـفـخُ الـسَّـقـفَ، أو أُداري الـرُّقـادا

ورؤَى، تـسـتـفـزُّنـي وتُـولِّـي
ورؤَى تـزرعُ الـمـسـاءَ سُـهـادا

وهَـوَى، يَـعـزفُ احـتـراقـي ويـشـدو
فـأُعـيـدُ الـصَّـدى، وأحـسـو الـرَّمـادا

❁ ❁ ❁

أُمٌّ يعرُب

أغسطس ١٩٦٤م

حيث الغُبارُ الأهوجُ
على الرِّياحِ ينشجُ
وحيث تشمخُ الدُّمى
ويستطيلُ العَوْسَجُ
هناكَ، حيث يدَّعي
على القشورِ البَهرجُ
جزيرةٌ، تطفو على
صحوِ الرُّبى، وتدلجُ
مُطِلَّةٌ، كأنَّها
نعشٌ، أشمُّ أبلجُ
تمضي به، حَنيَّةٌ
جرحى، وتلٌّ أعرجُ
سمراءُ، حلمها على
أيدي الرياحِ، هودجُ
ومِرودٌ، من الهوى
ومرتعٌ، مُضرَّجُ
تجثو كذاهلٍ إلى
ما لا يرى يُحدِّجُ

كجائعٍ يشتمُّ مِن
حوليهِ لحماً ينضجُ
تَهوَى، وظلُّ نفسِهَا
يُخيفُها، ويزعجُ
فتحبلُ الرُّؤى على
أهدابِهَا، وتُخدجُ
على الفراغِ، تنطفي
وللفراغِ تُمسرجُ
على اصفرارِ وجهِهَا
تَعَملَقَ التَّشَنُّجُ
فبعضُها، لبعضِها
تَوَحُّشٌ، مُهيِّجُ
يُومي إلى رُكامِها
ركامُها المدجَّجُ
فترجع (البسوسُ) في
أحشائِها تُهَملِجُ
ويَعصرُ التحامُهَا
دماءَ ها، ويَمزجُ
وتنثني يَهزُّهَا
تبجُّحٌ، مُحَشرَجُ
تَقُصُّ عن جدودِهَا
كَمْ أخمدوا، وأجَّجوا

وأبدعوا، مَقابراً
وأسقطوا، وتوَّجوا
وأتخموا سوقَ الرَّدى
وأكسدوا، وروَّجوا
وأينَ صالَ «جُزهُمٌ»
وأينَ جالَ «خَزرَجُ»
فيشرئبُّ «هاشمٌ»
من رملِهَا «ومذحجُ»
فتغزلُ الحياةُ مِنْ
ثلجِ البِلى، وتَنسُجُ
سَلِ الرِّياحَ: هَلْ لَهَا
خلفَ الرُّؤى، توهُّجُ
هل يستفزُّ وجهَهَا
إلى الضُّحى، التَّبَرُّجُ
هناكَ ذرَّ بُرعمٌ
فأومأ التأرُّجُ
الى نهودِ هَضْبَةٍ
يُحيلُها التَّرَجرُجُ
تُشير موعداً، على
عينيهِ، طَيْفٌ أدعجُ
هناكَ: نبضُ مولدٍ
يُريبُهُ، التَّحرُّجُ

تلجلجت بنائُهُ
فأفصحَ التَّلجلُجُ
وكَرْمةٌ، عيونُها
أحلامُ أنثى، تَزوَّجُ[1]
ومُنحنًى، يَخضرُّ في
حروفِهِ، التَّهدُّجُ
وواحةٌ، حبلى تَعي:
متى؟ وكيفَ تُنتِجُ؟
فتَبتَدِي جزيرةٌ
أُخرى أجدُّ أبهَجُ
لها طفولةٌ، على
رَكْضِ البزوغِ، تذرُجُ
على امتدادِ حِضْنِها
تَندَى الحَصى، وتَهزُجُ
ويَنتشي «عَرارُها»
ويفرحُ البَنَفْسَجُ
فللكُوى، تَلَفُّتٌ
وللرُّبى تَموُّجُ

❁❁❁

(١) تزوج: تدخل طور الزواج.

آخر جديد

إبريل ١٩٦٥ م

مولاتي، يا أحلى الأحلى
عندي لكِ، أخبارٌ عجلى

قالوا عن «حُورِيَّةَ» امتلأت
فتناً، أغلى ما في الأغلى

نَهداها: كِبْرُ شُموخِهما
خدَّاها، نظرتُها، النَّجلا

أنَّى خَطَرَتْ، لَبِسَتْ حقلاً
من غزلٍ، وانتعلت حقلا!

فهُنا وهناكَ، لِمِشيتِها
تأريخٌ، يستهوي النَّحلا

أملاهُ يوماً منعطفٌ
والرِّيحُ، أعادَتْ ما أملى

«وثُريَّا» أَجْنَتْ، وحَواها
عُشٌّ، فاخْضَوْضَرَ واَخْضَلَّا

وحكى عن «مرَيَمَ» جِيرَتُها
ميعاداً، ولقاءً نَذْلا

حتى عرَّاها إخوتُها
من أكفانِ الحسبِ الأعلى

وانحلّتْ عن «يحيى» قمرْ
واستهوت مِطلاقاً كَهلا

* * *

لكن، أأقصُّ لغاليتي
من آخرِ أخباري فَصلا
إنّي وحدي، والبردُ على
أنقاضي، يسقطُ كالقتلى
أجترُّ الطينَ، وأعزفُهُ
وأُغنّي، للرّيحِ الثّكلَى

* * *

بالأمسِ، شذا المذياعُ هُنَا
فشممتكِ، أُغنيةً جَذْلى
وكزهرِ الرمّانِ اختلجتْ
شفتاكِ، وخِفّتُكِ الخجلى
وتناغى الطّيبُ، كعزّافٍ
ولَدَتْ قيثارتُهُ الحُبْلى
وكأنَّ لقاءً يحضُنُنَا
أرجو، فتُجيدين البَذلا

* * *

واليومَ، تقمّصني قَلَقٌ
مجنونٌ، لم يعرف مهلا
فتقاذفني التّجوالُ كما
تستاقُ العاصفةُ الرّمْلا

فَعَبَرْتُ زُقاقاً مأهولاً
وزُقاقاً هَرِماً مُنحلّا

وتُراباً ينسجُ أقنعةً
لوجوهٍ لَمْ تَحملْ شَكْلا

وطريقاً سَمحاً أسْلَمَني
لمضيقٍ يَلتَحِفُ الوَحْلا

وإلى سوقٍ في آخرِهِ
مُنعطفٌ يُنشدني أهلا

وسألتُ هنالك «فلفلة»
عن دارِكِ فادَّعتِ الجهلا

أوَلا تَدْرينَ، تلقّاني
عَبَقٌ، مِنْ شرفتكِ انهلّا

وهُناكَ جَثَوتُ، أعبُّ صَدًى
حيّاً، وأعيدُ صَدًى ولّى

وإخالُ الممشى يَسْتَرْخي
ويُلَحِّنُ خَطْرَتَكِ الكَسْلى

فأُصيخُ، إلى ما لا أدري
و أضمُّ، الهِرَّةَ والطِّفْلا

ورآني البابُ، فمَدَّ على
كتِفَيَّ، الخُضْرةَ والظِّلّا

وحكى لي، كيفَ تلاقَينا
في تِلكَ الأُمسِيَةِ الكَحْلى

ومتى تأتينَ؟ أيخبرُني؟
وتلعثمَ بالخبرِ الأجلَى

* * *

والآنَ، رجعت، كما تسري
في الغابِ، القافلةُ العَزْلا
هذا ما جدَّ، ولا أدري
ماذا سيجدُ، وما يَبْلى

خدعة

مايو سنة ١٩٦٥م

مَنْ تمنحينَ، الضّحكةَ الواعِدَهْ
والهزّةَ المعطاءَةَ، النّاشِدَهْ

سُدَى، تَمُدّينَ إليهِ اللّظَى
لن تستحرَّ الكومةُ الخامِدَهْ

قد أصبحَ الجُوعان، يا روحَه
شبعانَ، تزدانُ لَهُ المائِدهْ

أَلجمراتُ، الخضرُ، في لَمسِه
تثلّجَتْ، واحِدَةً، واحِدَهْ

تَسَاءَلي: أينَ اختفى وجهُهُ؟
كيفَ انطفَتْ أعراقُهُ الواقِدَهْ؟

وفتّشي عينيهِ، هَلْ فيهِما
حتى رمادُ الجُذوةِ البائِدَهْ

مَنْ ذا تُثيرين، كما تقتفي
صَبِيَّةٌ، عصفورةً شارِدَهْ

يَدَاهُ، في مجناكِ، لَكِنَّهُ
ريَّانُ، يحسو، قهوةً بارِدَهْ

وكانَ لا يصحو، ولا يرتوي
مِنْ دفءِ هٰذي الثّروةِ الحاشِدَهْ

عُـودي إلـى، الأمـسِ تَـريـهِ، كـمـا
كـانَ اجـتـداءَ أو مُـنًـى سـاهِـدَهْ

أو حـاولـي أن تُـصـبـحـي، لُـعـبـةً
أُخـرى، ومُـدِّي نـظـرةً كـائِـدَه

فـالـحـلـوةُ الأولـى عـلـى نُـضـجِـهَـا
وخِـضـبِـهـا، كـالـسِّـلـعـةِ الـكـاسِـدَهْ

فـكـيـفَ، والأُخـرى غـداً عِـنـدَهُ
أُولـى، فـيـا لـلـخـدعـةِ الـخـالِـدَهْ!

مـاذا تـقـولـيـنَ، أكـلُّ الـذي
يـبـنـي، وتـبـنـيـنَ، بـلا قـاعِـدَهْ

❁ ❁ ❁

صَدَى

مـن ذا يُـنـاديـنـي؟ أحِـسُّ نـداء
يـعـتـادُنـي، فـيُـحـيـلُـنـي أصـدَاء
خـلـفـي، وقُـدَّامـي، يُـزنـبـقُ دِفـئُـهُ
ويـنـرجـسُ الـلَّـفـتـاتِ والإغـراء
فـأشـدُّ أنـفـاسـي وأعـراقـي إلـى
فـمـه، وأغـزِلُ مِـنْ شـذاه رداء
مَـنْ ذا؟ ويـلـثُـمـهُ الـتـسـاؤلُ والـمُـنـى
يـحـفـرن عـنـهُ الـحـيـرةَ الـشـقـراء
والـبـابُ يـلـثـغُ، بـالـلِّـقـاءِ وينـطـوي
فـي صـمـتـهِ، يـتـحـرَّقُ اسـتـجـداء
والسُّهدُ يلهثُ، في الرُّفوفِ، ويحتسي
أنـفـاسَـه، ويُـجَـرجِـرُ الإعـيـاء
فـأقـولُ لـلـجـدرانِ: مَـنْ؟ وتـقـولُ لـي:
مَـنْ؟ والـكُـوَى تـتـسـاجـلُ الإيـمـاءَ
وتَـمـدُّ أَذْرُعَـهـا إلـيـهِ، وتـنـحـنـي
تُـصـغـي، وتـجـمـعُ ظـلَّـهـا، أشـلاءَ
والـليـلةُ الكَحْلى، تُصيخُ إلى الصَّدى
فـتُـحـيـلـهـا مـعـزوفـةً سـمـراء

وَتِميسُ، مِنْ خِلفِ الثُّقوبِ، كناهدِ
خَجْلى، تريدُ وتَحْذَرُ الإفشاءَ
مَنْ ذا يُناديني؟ ويدنو مِنْ يدي
حتى أَهِمَّ بلمسِهِ، يتناءى
كيفَ اسْتسرَّ؟ وأستحيلُ ترقُّباً
شَرِهاً، يُداري السُّهدَ والإغفاءَ
حتى يعودَ. . أكادُ أهتفُ باسمِهِ
ويُريبني، فأضيِّعُ الأسماءَ
مِنْ أينَ يدعوني؟ وأنبشُ لهفَتي
عن نَبْعِهِ؟ وأفتِّشُ الإصغاءَ
وأمدُّ أسئلةً، يُمنِّي بعضُها
بعضاً، ويضحكُ بَعْضُها استهزاءَ
من أينَ باحَ؟ أمِنْ هُنالكَ؟ ربَّما:
أَمْ أنَّهُ مِنْ هٰهُنَا، يتراءى
مِنْ حيثُ لا أدري، وأدري أنَّهُ
يعتادُني، فيحيلُني أصداءَ

أصيلُ القرية

مارس ١٩٦٧م

تـدلَّـى كـمـزرعـةٍ مِـنْ شَـرَزْ
مُـعـلَّـقـةٍ، بـذيـولِ الـقَـمَـرْ
وحـامَ، كـغـابٍ مِـن الـيـاسـمـيـن
تـنـدَّى عـلـى ظـلِّـه واسـتَـعَـرْ
فـمـالَـتْ تُـودِّعُـهُ، رَبْـوةٌ
وتـهـتـزُّ، كـالـلَّـهـبِ الـمُـحـتـضِـرْ
كـحـسـنـاءَ عـرَّى الـعـتـابُ الـخـجـو
لُ هـواهـا وبـالـبـسـماتِ اسـتَـتَـرْ
تُـعـابِـثُـهُ وتُـبـاكـي الـطـيـورَ
وتـسـتـعـبـرُ الـرابـيـاتِ الأُخَـرْ
ومـدَّت لَـهُ الـقـريـةُ الـهَـيْـنَـمَـاتِ
كـلـغـوِ الـرؤى كـاصـطـخـابِ (الـتَّـتَـرْ)
وأغـلَـتْ لَـهُ، جـوقـةً مِـنْ دُخـانٍ
ومـعـزوفـةً، مِـنْ خـوارِ الـبَـقَـرْ
فـرَفَّ كـأجـنـحـةٍ، مِـنْ نُـضَـارٍ
كـأرديـةٍ، مـن دمـوعِ الـزَّهَـرْ
وعـرَّاهُ، صـحـو الـمَـدى، فـارتـدى
لـهـيـبَ ذوائـبـه، واتَّـزَرْ

* * *

تهادى، يُجمِّعُ من كُلِّ أفقٍ
صدى عُمْرِهِ، ولهاثَ البَشَرْ
ويحبو كموجٍ يمدُّ.. يديه
إلى شاطىءٍ مِنْ مُزاحِ القَدَرْ
وأرسى على كَتِفَيْ شاهقٍ
كأرجوحةٍ، مِنْ ذهول الفِكَرْ
يُلَمْلِمُ مِنْ جَمْرَتي مُقْلَتَيْهِ
حِبالاً، يخيطُ شِراعَ السَّفَرْ
ويجبلُ آثارَ أقدامِهِ
أباريقَ حُبٍّ، ونجوى سَهَرْ
وأغفى، فنادى الرَّواحُ الرُّعاةَ،
فعادوا ثُنًى، وتوالَوْا زُمَرْ
وناشَتْ خُطاهُمْ هدوءَ التُّرابِ
ورعشَ الكَلا، وسكونَ الحَجَرْ
ونقَّرَ خطوُ القطيعِ الحصى
كما ينقرُ السَّقفَ وقعُ المَطَرْ
وشدَّ الرُّعاةُ، إلى الراعياتِ
شبابَ المُنى، وملاهي الصِّغَرْ
وكانت (غزالٌ) غناءَ الرُّعاةِ
وصيفَ الرُّبى، وشذا المُنحَدَرْ
مآزرُها، مِنْ رنوِّ الحقولِ
إليها، ومن قُبلاتِ النَّهَرْ

وقامتُها، مِنْ عمودِ الصَّباح
ذوائبُها، مِنْ خيوطِ السَّحَرْ

* * *

وكانت تُماشي (مُثنَّى صَلاح)
وتقرأُ في وجهِ (تقوى) الأثر

ولمَّا دنا الحيُّ ضَجَّت (سُعادٌ)
أضاعَ (حسينُ) الخروفَ الأغرّْ

فَمَنْ مَنْ رآهُ؟ تعالَوْا نعدُّ
مواشيَنا، قبلَ تيهِ النَّظَرْ

ولما أتمُّوا، حَكَتْ (وردةٌ)
و (فرحانُ) عن كُلِّ وادٍ خَبَرْ

فأخبرَ: أين ذوى مرتَعٌ؟
وأين زَكا مرتَعٌ وازدهر؟

وفي أيِّ شِعْبٍ؟ تمدُّ الذئابُ
حَلاقِمَها، مِنْ وراءِ الحذر

* * *

ومرُّوا كحقلٍ، تلمُّ الرِّياحُ
وُرَيقَاتِهِ، وَتَميلُ الثَّمَرْ

كقيثارهاوٍ؟، دؤوبٍ يُلحُّ
على وترٍ؟ ويُدَمِّي وَتَرْ

وأدمى الوداعُ، نداءَ العيونِ
ولوَّن ظلُّ الغروبِ الخَفَرْ

* * *

وحيًّا فمُ القريةِ العائدين
ونادى مَمَرٌّ، ولَبَّى مَمَرْ

وأخفى (عليّاً) مضيقٌ طويل
ووارى (ثُقى) شارعٌ مُختَصَرْ

ودارت ثوانٍ، فرانَ السُّكونُ
ينَوِّع، بالذكرياتِ السَّمَرْ

ففي مسمرٍ، ذكرت (مَريمٌ)
أباها، وناحت كيومِ انتحَرْ

وفي مسمرٍ بَثَّ (سَعدٌ) أباه
شجونَ الزَّواجِ، وأغضى البَصَرْ

وثَرثَرَ في كُلِّ بيتٍ حديثٌ
وأحزن كلُّ حديثٍ وسَرّْ

(فأُمُّ ثُريَّا)، تفوقُ الرِّجالَ
وتُوحي أمرَّ... وأحلى الذِّكَرْ

فكيفَ تجلَّتْ مساءَ الزِّفافِ
وفي الصُّبحِ، مات أبوها الأبَرّْ

(وأُمُّ عليٍّ) تُربِّي الدَّجاجَ
وتكدحُ خلفَ ارتعاشِ الكِبَرْ

تُرقِّعُ أسمالَ أطفالِها
وتحسو عروقَ يديها.. الإبَرْ

(وحسَّانُ) خانَ غرورَ البناتِ
بهِ، وانتقى: أمَّ إحدى عشر

وبـاعَ (رَجـا) أُختَـهُ فـي «الـريـاضِ»
بـألـفـيـن، لـلـتَّـاجِـر الـمُـعـتـبَـرْ

ومـاتَ (ابـنُ سـرحـانَ) يـومـاً وعـادَ
يُـخـبِّـر جـيـرانَـهُ، عـن سَـقَـرْ

وأصـغـى الـسُّـكـونُ، إلـى كُـلِّ بـيـتٍ
كـحـيْـرانَ، يـنـوي ويـنـسـى الـوَطَـرْ

وأغـفـى رفـاقُ الـهـوى والـقـطـيـعِ
عـلـى مـوعـدِ الـمُـلـتـقـى الـمُـنـتـظَـرْ

ولـيـلـتُـهُـمْ ذكـريـاتٌ وحُـلْـمٌ...
كـلـمـعِ الـنـدى، فـي اخـضـرارِ الـشَّـجَـرْ

طـيـوفٌ، كـمـا حـثَّ سـربُ الـحـمـام
قـوادَمَـهُ، خَـلـفَ سـربٍ عَـبَـرْ

وكـلَّـت ريـاحٌ، وجُـنَّـت ريـاحٌ
ونـجـمٌ تـأنَّـى، ونـجـمٌ طَـفَـرْ

وَفـتَّـشَ عـن قـدمـيْـهِ الـدُّجـى
ودبَّ، كـأعـمـى يـجـوسُ الـحُـفَـرْ

فـأذكـى هُـنَـا جـمـراتِ الـشُّـهـادِ
وأعـطـى هُـنَـاكَ الـرؤى والـخـدَرْ

وأفـنـى هـزيـعـاً وأدمـى هـزيـعـاً
فـعـادَ الأصـيـلُ الـمُـوَلِّـي سَـحَـرْ

لصٌّ في منزِل شاعِرْ

نوفمبر ١٩٦٦م

شكراً، دخلتَ بلا إثارَهْ
وبلا طفورٍ، أو غَرارهْ
لما أَغَرْتَ خنقتَ في
رجليكَ ضوضاءَ الإغارهْ
لَمْ تسلُبِ الطِّينَ السُّكونَ،
ولم تُرِعْ نومَ الحجارهْ
كالطَّيفِ، جئتَ بلا خُطَى
وبلا صدًى، وبلا إشارهْ
أرأيتَ هذا البيتَ قِز
ماً، لا يُكلِّفُكَ المهارهْ؟
فأتيتَهُ، ترجو الغنا
ئِمَ، وهوَ أَعْرَى مِنْ مَغَارَهْ

* * *

ماذا وجدتَ سِوى الفراغِ
وهِرَّةٍ تَشْتَمُّ فاره
ولهاثَ صُعلوكِ الحُروفِ
يَصوغُ، مِنْ دمِهِ العِبارهْ

يُطفي التوقُّدَ باللَّظى
يَنسى المرارةَ، بالمرارهْ
لَمْ يُبقِ في كوبِ الأسى
شيئاً حساهُ إلى القراره

* * *

ماذا؟ أتلقى عندَ صُعلو
كِ البيوتِ، غِنى الإمارهْ
يا لصُّ، عفواً إن رجِعْتَ
بدون رِبحٍ، أو خسارَهْ
لَمْ تَلْقَ إلَّا خيبةً
ونسيت صندوقَ السِّجارهْ
شكراً، أتنوي أنْ تُشرِّفَنا،
بتكرارِ الزِّيارهْ!؟

❁ ❁ ❁

ذهول الذهول

فبراير سنة ١٩٦٤ م

لديهِ، أحلى الحكايا شُكولْ
تُثيرُ فيها عنفوانَ الفُضولْ
يُخبِّرُها.. يسألُها.. ينتقي..
مِنْ قِصَّةِ الأشواقِ أشهى الفُصول
وكيفَ؟ ينسلُّ إليها إذا
تَشاءَب البابُ، وأوما الدُّخولْ
وغابَ في التَّفكيرِ، واعتادَهُ
ظِلٌّ دُخانِيٌّ، كوجهِ العَذولْ
ماذا؟ إذا لا حت لَهُ فجأةً
وأنكرتْه، واحتَمَتْ بالأُفول
لا، لَمْ يَغِبْ عن بالِهَا، إنَّهُ
كانَ لَهَا جاراً عطوفاً وَصُول
لكن أتدري أنَّ أشواقَهُ
كما تَكبُّ العاصفاتُ السيولْ؟
أَلَا تَرى، أنَّ اختلاجاتِهِ
أمامَها شَهْقُ الحريقِ الأكولْ؟
وكانَ يخشى بينَ جيرانِهَا
جاراً تُرابيَّ الاماني خَتُولْ

يُحَمْحِمُ الشَّيطانُ في صدرِهِ
وبينَ فكَّيهِ يُصَلِّي بَتُول

واستنطقَ البابَ ومدَّ المُنى
وهو احتراقٌ وانتظارٌ سَؤول

واستَنْزَلَتْها قبضتا وهمِهِ
فضمَّها، قبل احتمالِ النُّزول

* * *

مَنْ ذا؟... وإذ لا حت رماهُ إلى
شموخِ نَهْديهَا، الخيالُ العَجول

وأقبلَتْ في موكبٍ مِنْ شذى
مُلَحَّنِ الخَطْوِ طروبِ الذبول؟

مفاصلُ المَمْشى على خطوِهَا
عادت صنوجاً، واستحالَتْ طُبُول

ومُقلتاها، تَغْزِلان الرُّؤى
حمائماً زُرقاً وصحواً كَسول

كيفَ يُناجِيها؟ ألا تنطوي
أحرفهُ، تحت اصفرارِ الذُّبول

فيَنحني خجلانَ، لكَنَّها
حسناءُ يُرضيها اللهيفُ الخَجول

ماذا يُلاقي؟ شعلةً بضَّةً
من الصِّبا، والكبرياءِ المَلول!

دفْئاً، وإشراقاً، كما يرتمي
فجرُ الرُّبى، فوقَ اخضرارِ السُّهُول

يحبو على أهدابِهَا، موعدٌ
طِفلٌ، ويسترخي عليه الخُمولْ
في أيِّ زاهٍ من تهاويلها؟
يرسو، وفي أيِّ اخضرارٍ يَجولْ
يذهلهُ عن بعضِها بَعضُها
فما الذي يُغوي؟ وماذا يَهُولْ؟

* * *

وعادَ يحكيها لِنَاي الهوى
ويسألُ الأشباحَ ماذا يَقُولْ؟
هل يُخبرُ الأشواقَ عنها كما
يخبرُ عن (جنَّاتِ) عدنٍ رَسولْ
ووجهُهُ، أسئلةٌ حوَّمٌ
ظوامئٌ، يمتصُّهُنَّ النُّحُولْ
يَخفِقنَ كالأوراقِ، يسألنَ عن
روائحِ الأُنثى، رياحَ القُبولْ

* * *

وكانَ يَطوي شارعاً جوُّهُ
غابٌ، كثيفٌ، مِنْ زُنودِ (المَغولْ)
كالنَّعشِ، يستلقي عليهِ الدُّجى
وتَعجنُ السُّحبُ عليهِ الوحولْ
وسَاءَلَ الدَّربُ التفاتَ الحَصى
مَنْ ذلكَ الآتي؟ كطَيفِ الطُّلولْ!

يَـــمـــدُّ رؤيـــاهُ إلـــى لا مـــدَى
ويـــذرعُ الأوهـــام عَـــرْضـــاً وطُـــولْ

عـــهـــدتُـــهُ مـــرَّ عِـــشـــاءً وفـــي
عـينـيـه، مِـنْ أطـيـافِ (قـيـسٍ) فُـلـولْ

وزارَ داراً بـــيـــنَ جُـــدرانِـــهـــا
صـيـفٌ، نـبـيـذيُّ الـجَـنـى والـحُـقـولْ

مـضـى إلـيـهـا ذاهـلاً وانـثـنـى
عـن بـابِـهَـا، وَهْـوَ ذهـولُ الـذُّهـولْ

ذكريات شيخيْن

ابريل سنة ١٩٦٧م

كان يا «عمرو» هنا بيتُ المَرَحْ
زنبقيَّ الوعدِ، صيفيَّ المِنَحْ

أَلطيوفُ الحمرُ، والخضرُ على
مقلتيْهِ، كعناقيدِ البَلَحْ

أشمست فيهِ اللَّيالي... والمدى
بشريَّاتِ دواليه اتَّشَحْ

كان مضيافاً، إذا ما جئتهُ
شعَّ كالفجرِ، وكالوردِ نَفَحْ

فانمحى: يا للتلاقي بعدما
نَزَحَ الرُّوَّادُ عنهُ ونَزَحْ!

* * *

يا تُرى، من أينَ نمشي؟ هٰهُنَا
قام حيٌّ، وهُنَا أرسى مَصَحْ

وعَهِدنَا مَنزلاً قَزماً هُنَا
من تُرى عملَقَهُ، حتى طَمَحْ؟

واستراحتْ هٰهُنَا مقبَرَةٌ
قَرُبَ العُمرانُ مِنها فاكتَسَحْ

ووراءَ السُّورِ، أرسى مصنعٌ
وهناكَ، امتدَّ سوقٌ وانفسح

أينَ نَحنُ الآنَ؟ وارى عَهْدُنا
وجهَهُ، وانطفأت فيهِ اللُّمَحْ

أنكر (النهرينِ)[1] وجهيْنا ومِنْ
قبلهِ، أنكرنا (بابُ السَّبَحْ)

مَنْ يُقوِّينا، وكُنَّا زمناً
كبغالِ (الرُّومِ) أو خيلِ (جَمَحْ)[2]

* * *

هٰهُنَا نَجْلِسُ، يا (عمرو) نرى
ما اقتنى التأريخُ مِنَّا واطَّرَحْ؟

خطَّ آثارَ خُطانا، زمنٌ
بيديهِ وبرجليهِ، مَسَحْ

فانحنى (عمرو) وقالَ: اذكُرْ لنا
يا (عليُّ) الأمسِ واتركْ ما اجتَرَحْ

أمسُنا، كانَ كريماً مُعْدَماً
وزمانُ اليومِ، أغنى وأَشَحْ

كيفَ كُنَّا نَتْطَوي، خلفَ اللِّحى
ونواري مِنْ هَوَانا، ما افتَضَحْ

---

(١) النهرين وباب السّباح حيان شهيران في قلب صنعاء.
(٢) هذه حكاية الشيوخ حين يصفون ما ذهب مِنْ قوى الشباب.

يومَ أعلَتْ (روضةٌ) برقُعَها
واستجدنا، ما اختفى مِمَّا اتَّضَخ
أطعَمَتنا... وألحَّتْ في النَّوى
عن يدينا، وتشهَّينا أَلَخْ
فتردَّدنا على جارٍ لَهَا
نشتري التَّبغَ، ونُطري ما امتَدَخ
وأطلَّت ذاتَ صُبحٍ مِثلما
يرتدي صحو الرُّبى (قوسَ قُزَحْ)
فارتَعَشْنا، وانْجَلَتْ دهشَتُنا
ثم أومأنَا إليها، بالسُّبَخ
فاقتفتْنا، وَتَركْنَا لِلهوى
كُلَّ أمرٍ، وأَطَعْنَا ما اقتَرَخ
ومضى عامان، لا ندري متى
جدَّ حادي العُمرِ، أو أينَ مَزَحْ؟
كيفَ كُنَّا، قبلَ عشرين نعي
هَمْسَةَ الطَّيفِ، وإيماءَ الشَّبَخ
ونُغَنِّي كالسُّكارى، قبلَ أَنْ
يعد العنقودُ أشواقَ القَدَحْ
ثُمَّ أصبحنا نشازاً، صوتُنا
في ضجيجِ اليومِ، كالهمسِ الأبحْ
كلُّ شيءٍ صارّ ذا وجهين، لا
شيءَ يدري، أيُّ وجهيهِ أَصَحْ؟

يـا (عـلـيُّ): انـظُـر، ألاح الـمُـنـتَـهـى
لا انتهى المسعى، ولا السَّاعي نَجَحْ!

لـم نَـعُـدْ نـهـنـأ، ولا نـأسـى ذَوَتْ
خـضـرةُ الأُنـسِ، خَـبَـتْ نـارُ الـتَّـرَحْ

أو خَـبَـا الـحِـسُّ الـذي كُـنَّـا بـهِ
نَـطْـعَـمُ الـحُـزْنَ، ونَـشْـتَـمُّ الـمَـرَحْ

لَـمْ يَـعُـدْ شـيءٌ كـمـا نـألَـفُـهُ
فـعَـلامَ الـحُـزْنُ، أو فِـيـمَ الـفَـرَحْ؟

* * *

دَخَـلَـتْ (صـنـعـاءُ) بـابـاً ثـانـيـاً
لـيـتَـهـا تَـدري، إلـى أيـنَ افـتَـتَـحْ

سَبَّاحُ الرَّمَاد

أكتوبر سنة ١٩٦٣م

يـريـدُ، ويَـمـضـي، إلـى لا مـرادْ
يـخـوضُ إلـى الـوعـدِ، مـوجَ الـرَّمـادْ

ويَـرمـي سـفـيـنـتَـهُ لـلـحـريـقِ
وتُـنـشِـدُ أهـدابُـهُ: لا ارتـدادْ

يـقـذفُـهُ سَـفَـرٌ حـالِـمٌ
إلـى سـفـرٍ، مِـنْ رؤى (شـهـرزادْ)

وتـجـتـرُّهُ مِـنْ غـيـومِ الـصَّـديـدِ
بـلادٌ مـن الـطِّـيـبِ، فـي لا بـلادْ

يـنِـمُّ عـلـيـهـا اخـتـلاجُ الـبـروقِ
فـتـمـتـدُّ عـيـنـاهُ، فـي.. لا امـتِـدَادْ

فـتـبـصِـقُـهُ الـرِّيـحُ، مِـنْ كُـلِّ فَـجٍّ
وتـمـضـغُ فـي مُـقـلـتـيـهِ.. الـعِـنَـادْ

وتـسـألُـهُ: هـل يـعـودُ إلـى
مـصـيـفِ رُبَـاهُ، ودِفءِ الـوِهَـادْ؟

فـيـسـألُـهـا: هَـلْ لَـهُ مَـنْـزِلٌ
عـلـى شُـرفـتـيْـهِ، انـتـظـارُ الـمَـعَـادْ؟

فـتُـخـبِـرُهُ: أنَّ دُنـيـاهُ ريـحٌ
ودوَّامـةٌ، مِـنْ طُـيـوفِ الـسُّـهـادْ

ضـجـيـجُ فـراغٍ، يـلـوكُ صَـدَاهُ
ويُـوهِـمُ شِـدقـيْـهِ، بـالإزدراذ

ووديـانُـهُ، فـي ضـيـاعِ الـضَّـيـاعِ
ومَـوعِـدُهُ، رحـلـةُ (الـسِّـنـدبـاذ)

يـغـازلُ خـلـفَ امـتـدادِ الـخَـيـالِ
مـدًى لـلـفُـتـونِ، عـلـيـهِ احـتـشـاذ

سـواعِـدُهُ، سُـلَّـمٌ لـلـشُّـمـوسِ
وأهـدابُـهُ لـلـثُّـريَّـا وِسَـاذ

ذوائِـبُـهُ، لُـجَـجٌ مـنْ رحـيـقٍ
وأحـضـانُـهُ الـخُـضْـرُ، صَـيْـفٌ، جَـواذ

لـوافِـتُـهُ، مِـنْ أغـانـي الـطُّـيـوبِ
وأبـوابُـهُ، أذرعٌ، مِـنْ وِداذ

حـنـونُ الـمَـمَـرَّاتِ، جـدرانُـهُ
نـجـومٌ كَـسَـالـى، تُـديـرُ الـرُّقَـاذ

❁ ❁ ❁

كلمةُ كُلِّ نَهَار

سبتمبر ١٩٦٧م

كيف اشرأبَّ (ظفارٌ)[١] وانتخى[٢] (صَبِرُ)
يوم التقى الشَّعبُ، والآمالُ، والقَدَرُ

وكيفَ عادَ (لصنعاءَ) العجوزِ، صِباً
أطرى، وأشمسُ، في أرجائِها السَّمَرُ

وكيف يا (نِقمُ) المولودُ، كيف هَمَتْ؟
أصداؤهُ الخُضْرُ، حتى أورقَ الحَجَرُ

وكيف أنكرت يا (صراوحُ)[٣] كُلَّ صدًى
حتى تورَّدَ في أهدابِكِ الخَبَرُ

وكان يومُ نُشورِ الشَّعبِ مُنتظراً
وافى، كما انْهَلَّ في ميعادهِ المَطَرُ

أطلَّ، فاحتضنتْهُ كُلُّ رابيةٍ
وبَشَّرَ الواديَ الممتدَّ، مُنْحَدَرُ

وسارَ، والفجرُ في كَفَّيْهِ ألويةٌ
ومِنْ جراحِ الضَّحايا، خلفَهُ، سَحَرُ

---

(١) ظفار جبل حنوب غرب صنعاء ـ وصبر جبل مطل على تعز من الجنوب.

(٢) انتخى: ساورته النخوة.

(٣) صرواح: جبل في الشرق من صنعاء حدثت فيه أول معركة بعد قيام الثورة.

فـهـنّـأتْ جـارةٌ أُخـرى، وهـنّـأهـا
جـارٌ، وزغـردتِ الـشُّـرفـاتُ والـجُـدُرُ

وهٰـهُـنـا غَـمْـغَـمَ الـتـأريـخُ: أيـنَ أنـا؟
مَنْ قائدُ الزَّحفِ، سيفُ اللهِ أو عُمَرُ؟

مـاذا هُـنـا الـيـومَ، يـا دُنـيـا؟ هُـنـا يـمـنٌ
طِـفـلٌ، عـلـى شـفـتـيـه يـبـسـمُ الـظَّـفَـرُ

هـذا الـنُّـشـورُ، أو الـمـيـلادُ، مَـدَّ فـمـاً
إلـى الأعـالـي، فـدلّـى نـهـدَهُ الـقَـمَـرُ

مـضـى، وكـلُّ طـريـقٍ تـحـت مـوكـبِـهِ
شَـدوٌ، وكُـلُّ حـصـاةٍ حـولَـهُ، وَتَـرُ

* * *

وذاتَ يـومٍ، ربـيـعـيِّ الـضُّـحـى، نَـبَـحَـتْ
(صِـنـوانَ)[1] عـاصـفـةٌ تَـعـوي وتَـنْـفَـجِـرُ

مـن ذا أهـاجَ رمـادَ الأمـسِ، فـاشـتَـعَـلَـتْ
فـي أعْـيُـنِ الـرِّيـحِ، مِـنْ ذرّاتِـهِ، شَـرَرُ

أهـذهِ الـحَـرْبُ، يـا تـاريـخُ، كـيـف تَـرى
مِن خلف (جنّاتِ عدنٍ) أومَأت (سَقَرُ)

ومـرَّ عـامٌ، جـحـيـمـيٌّ، روائـحُـهُ
دمٌ، بِـحَـشـرجـةِ الـبـتـرولِ، مُـتَّـزِرُ

ودبَّ ثـانٍ، خـريـفـيُّ الـمَـدى، قَـلِـقٌ
يُـفـني، ويَـفْـنَـى، ويـحـيـا، وَهْـوَ يـنـتـحـرُ

(١) صنوان: منطقة شمال صنعاء.

وطالَ كالسُّهدِ، حتى انهدَّ في دمِهِ
تثاءبَتْ مِنْ بقايا وجهِهِ، الحُفَرُ

وغابَ خلفَ الشَّظايا، فابتَدَتْ سَنَةٌ
تُعَبِّيءُ النَّارُ، ثديَيْها وتعتَصِرُ

فأجهدَ الموتُ شِدْقَيْه وقبضَتَهُ
حتى تجلمدَ في أنيابِهِ الضَّجَرُ

وقالَ كلُّ نهارٍ: لن تنالَ يدٌ
مِنْ ثورةٍ، ماتَ في ميلادِهَا، الخَطَرُ

❁ ❁ ❁

ليلة خائف

نوفمبر ١٩٦٧م

كانت قناديلُ المدينةِ
كالشرايين، النَّوازِفْ
والجوُّ يَلهثُ، كالمداخنِ
فوقَ أكتافِ العواصِفْ
وهناك مذعورٌ، بِلا
حانٍ على الأشواكِ عاكِفْ
كالطَّائِرِ المجروحِ، في
عشٍّ، بأيدي الرِّيح واجِفْ
أَلسقف يُنذِرُهُ، ويصمتُ
أو يوسوِسُ، كالزَّواجِفْ
والظِلُّ، يلمحُهُ، وفي...
عينيه، تحترقُ الهواتِفْ
والباب، يلغطُ، بالوعيدِ
وينتقي، أعتى الرَّواجِفْ
ماذا هُناكَ؟ ورَاعَهُ
شيءٌ، كلغلَعَةِ القذائفْ
فأحسَّ أفواجَ (التَّتارِ)
طوائفاً، تتلو طوائِفْ

ورأى النوافذَ أغيُناً
كالجمرِ، مُطفأةَ العواطِفْ
أينَ المفرُّ؟ وهَمَّ واستأنى
وأحجمَ، نصفُ تالِفْ
فيفرُّ، وهو مُسمَّرٌ
والبيتُ، يَهربُ وَهْوَ واقِفْ
ومَضَتْ نجومٌ مُطفآتٌ
وانثنَتْ، أُخرى كواسِفْ
فرَوَتْ إليهِ الرِّيحُ، خَفْـ
ـقَةَ مِعزَفٍ ونحيبَ عازِفْ
وعلى اختناقِ لُهَاثِهِ
ضَحِكَى، بصوتٍ غيرِ آسِفْ
وهُنَا، تحدَّى الرُّعبَ، أو
داراهُ، أو ألِفَ المخاوِفْ
فَهَمَى على عينيه إغْـ
ـفاءٌ، كأسحارِ المَصَائِفْ
وتبنَّتِ الأحلامُ، هَجـ
ـعَتَهُ، وبُدِّلتِ المواقِفْ
فانهارَ قُطَّاعِ الطَّريـ
ـقِ وأسكتَ الجوُّ، العواصِفْ
ورأى فَراديساً تُدلِّـ
ـلهُ، تَمُدُّ لَهُ، المقاطِفْ

وبـــرغـــمِـــهِ، عَـــصَـــفَ الـــتَّـــيَـــقُـــ
ظُ، بـــالـــعُـــلالاتِ الـــخـــواطِـــفْ

فـــأفـــاقَ، رُبـــعَ مُـــخـــدَّرٍ
ثُـلُـثـيْ صـريـعٍ، نِـصـفَ خـائِـفْ

❁ ❁ ❁

أُمٌّ في رِحلة

سبتمبر ١٩٦٧م

هل هذا طِفلُكَ؟ واقتربت
كالطِّفلِ تُناغي، وتُنادي:
طِفْلي، هل أعجبَ سيِّدتي؟
حلوٌ، كهدايا الأعيادِ
وكأوَّلِ إحساسِ الأُنثى
برنوِّ المُعجَبِ والصَّادي
ما اسمُ المحروسِ؟ أجِبْ يا بْني
(نعمان) كجَدِّ الأجدادِ
أهلاً (نُعمانُ) فيستحيي
ويُرَفرِفُ، كالوَردِ النَّادي
فتُحاكي لثغَتَهُ الخَجْلى
وتُغمِّمُ كالنَّبعِ الشَّادي
ما أروَعَهُ، يا عمُّ وما
أسخى عينيهِ، بإسعادي
أولادي الأربعةُ، اختلطوا
فيهِ، ما أحلى أولادي
عيناهُ، كعيني (عائشةٍ)
خدَّاهُ، كخَدَّيْ (عبَّادِ)

فمهُ، يفترُّ، كثغرِ (لمَى)
زنداهُ، كزِنْدي (حمَّادِ)

* * *

شكلٌ حلوٌ، ما أجملَه
كالطَّيفِ، كأطْيارِ الوادي
كالحبِّ كدغدغةِ الذِّكرى
كالحلمِ، كهمسِ الميعادِ
أشتَمُّ حليبي... في فمِهِ
قُبلاتي أنفاسَ بلادي
وتمدُّ إليَّ ملامِحُهُ
فَرحي وعذابَ الميلادِ
زَهوي بالحملِ، كجاراتي
صرخاتُ المَهدِ، وإجهادي
وتُعيدُ إليَّ طفولتُهُ
صِغري، وطفولةَ أندادي
فكأنِّي ولِدَاتي نَشْدُو
أو نركضُ، كالسَّيلِ العادي

* * *

(نعمانُ) أعاد صِبَا عُمري
يا عمُّ، وأيقظَ، إيقادي
كهوًى، كلَّتْ أنشودتُهُ
وتَلَظَّى، رجعُ الإنشادِ

خلفي، ياعمُ، نداءاتٌ
وأمامي، سِحرُ الأبعادِ

أمضي، وأعودُ، وأطفالي
أسفاري، أشواقُ مَعَادي

لا تأسَيْ، يابنتي، إني
سافرتُ العمر، بلا زادِ

خضت الخمسين، بلا ولَدٍ
يرجى، وبلا أملِ حادي

وأتى الأولاد، بلا رزق
وبلا طُرقٍ، وبلا هادي

فصَبَرْنَا صبرَ الدَّربِ على
أقدامِ الرَّائحِ، والغادي

واستنجدنا المولى حتى
لبَّانا، أسخى إنجادِ

* * *

أتُحبِّينَ ابني؟ كلَّ ابنٍ
في الأرضِ، وكلَّ الأحفادِ

* * *

عفواً، ياعمُّ، أنا أمٌّ
أولادُ، الغيرِ كأولادي

❁ ❁ ❁

سفَّاحُ العمران

مارس ١٩٦٧م

يا قاتلَ العُمران.. أخْجَلت ... المعاوِلَ.. والمكينةْ
ألِأَنَّ في فمِكَ النفوذَ ... وفي يديكَ دَمَ الخزينَهْ؟
جَرَّحْتَ مُجْتَمعَ الأسى ... وخنقتَ في فمِهِ.. أنينَهْ
وأحلتَ مُزدحمَ الحياة ... خرائباً، ثكلى، طَعينهْ
ومضيتَ من هدمٍ إلى ... هدمٍ، كعاصفةٍ هجينَهْ[1]
وتَنهُّدُ الأنقاضِ في ... كفَّيْكَ، أوراقٌ ثمينَهْ
وبشاعَةُ التَّجميلِ في ... شفتيْكَ، كأسٌ أو دَخِينَه[2]
سَلْ ألفَ بيتٍ عطَّلَتْ ... كفَّاكَ مِهنَتَها الضَّنِينهْ
كانتْ لأهليها متاجرُ ... مِثلَهُمْ، صُغرى، أمينهْ
كانوا أحقَّ بها، كما ... كانت لِمِثْلِهِمُ، قِمينَهْ
فطَحَنْتَها... ونَفَيْتَهُمْ ... مَنْ للضَّحايا المُستَكِينهْ؟
أخرَجتَهُمْ كاللاجئينَ ... بلا معينٍ، أو مُعينهْ
وكنَسْتَهم تحتَ النَّهارِ ... كطينةٍ، تَجترُّ طِينهْ
فمَشَوا بلا هدفٍ، بلا ... زادٍ، سِوى الذِّكرى المُهينهْ
يستصرخونَ اللهَ والإنسان ... والشَّمسَ الحزينهْ
وعيونُ أمِّ النُّورِ خَجْلى ... والضُّحى يُدمي جَبِينَهْ

(١) هجينة: لئيمة مدخولة النسب.
(٢) دخينه: سجاره.

والرِّيحُ تنسجُ من عصيرِ الوَحْلِ قِصَّتَكَ المُشينهْ

* * *

من أنتَ؟ شيءٌ، عن بني الإنسانِ مقطوعُ القرينه!
ذئبٌ على الحَمَلِ الهزيل تروعُكَ الشَّاةُ السَّمينه
عيناك، مذبحةٌ مصوَّ بةٌ، ومقبرةٌ كمينه
ويداكَ، زوبعتانِ، تنبحُ في لُهاثهما الضَّغينهْ
يا وارثاً عن «فأرِ مأربَ» خُطَّةَ الهَدمِ اللَّعينَهْ
حتى المساجدُ، رُعْتَ فيها الطُّهرَ، أقلقتَ السَّكينهْ
يا سارقَ اللُّقماتِ، مِن أفواهِ أطفالِ المدينهْ
يا ناهبَ الغفواتِ، من أجفانِ «صنعاء» السَّجينهْ
من ذا يكفُّ يَديْكَ، عن عصـ ـرِ الجراحاتِ الثخينهْ
من ذا يُلبِّي، لو دَعَتْ هـ ـذي المناحاتُ الدَّفينهْ
من ذا يُلقِّنُ طَفرةَ الإعصـ ـارِ، أخلاقاً رزينهْ
نأتِ الشواطىءُ، يا رياح فأينَ من يُنجي السَّفينهْ؟!

❁❁❁

ذات يوم

سبتمبر ١٩٦٢م

أَفَقنا على فجرِ يومٍ صَبي
فياضحواتِ المُنى إطرَبْي

* * *

أتدرينَ، يا شمسُ ماذا جرى؟
سَلَبنا الدُّجى فجَرنا المُختبي!
وكانَ النُّعاسُ على مُقلتيكِ
يُوشوِشُ، كالطَّائِرِ الأزْغَبِ
أتدرينَ، أنَّا سبقْنَا الربيعَ
نُبشِّرُ بالموسمِ الطَّيِّبِ؟
وماذا؟ سؤالٌ على حاجبيْكِ
تَزَنْبَقَ في هَمسكِ المذهبِ!
وسِرنا حشوداً تطيرُ الدروبُ
بأفواجِ ميلادِنا الأنجبِ
وشَعباً يدوِّي: هي المعجزاتُ
مُهودي، وسيفُ «المثنَّى» أبي
غربتُ زماناً غروبَ النهارِ
وعُدتُ، يقودُ الضُّحى مَوْكِبي

* * *

أضأنا المَدى، قبلَ أنْ تستشفَّ
رؤى الفجرِ، أخيلةَ الكَوكَبِ

فولّى زمانٌ، كعرضِ البَغيِّ
وأشرقَ عهدٌ، كقلبِ النَّبي

طلعْنا نُدَلِّي الضُّحى ذاتَ يومٍ
ونهتفُ: يا شمسُ لا تَغْرُبي

❁❁❁

سيرةٌ للأيام

مارس ١٩٦٨م

ربـمـا لا تـطـيـقُ مـثـلـي قـرارا
فـلـنُـسـافِـر... تـسـاؤلاً وادِّكـارا

يا صديقي الحنينُ... من أين تدري؟
كـيـف عـاد الـضُّـحـى؟ وأيـن تـوارى؟

أتـراهُ نـهـارَ الأمـسِ... الـمُـوَلِّـي
عـاد أشـهـى صـبـاً، واسـخـى انـهـمـارا

هـل رمـادُ الـضُّـحـى، يَـحُـولُ رداءً
لـلـعـشـايـا، لـكـي يـعـودَ نـهـارا

أَلـعـشـايـا صـبـحُ كـفـيـفٍ يُـدلِّـي
شـوقَـه مـن رمـادِ عـيـنـيْـه نـارا

يـسـحـبُ الـظـلَّ، والـطـيـوفَ الـحـزانـى
ويُـعـانـي شـوقَ الـطُّـيـورِ الأسـارى

ثـم يأتي... كـمـا مـضـى... في ذهـولِ
شـفـقـيٍّ، يَـدْمـى، ويـنـدى افـتـرارا

يا صديقي... وهل يَعي كيفَ أغفى
جـمـرُ أجـفـانِـهِ وكـيـفَ أنـارا

وهـلِ الـشَّـمـسُ طـفـلـةٌ، أو عـجـوزٌ
تـسـتـعـيـرُ الـصِّـبـا، وتُـغـوي الـمَـدارا

أتـــراهـــا عـــصـــريَّـــةٌ، أم تَـــراهـــا
مـتـحـفـاً دايـراً، يُـوشّـي الـجِـدارا
مـا الـذي تـدَّعـي؟ لـهـا كـلَّ يـوم
مـولـدٌ، كـيفَ «يـا فـقـيـهَ بُـخـارى»؟
أَوَ مَـا أزوجَـتْ[1] (ورومـا) جـنـيـنٌ
و(أبـو الـهـولِ) فـي حـنـايـا الـصَّـحـارى
أَوَ مَـا أدفَـأَتْ[2] (ثُـبـيـراً) ولـمَّـا
يَـلِـدُ الـغـيـبُ (يَـغـرُبـاً) أو (نِـزارا)؟
فـلـيَـكُـن... إنَّـمـا الأصـالاتُ أبـقـى
جِـدَّةً، والـنُّـضـارُ يـبـقـى نُـضـارا
يـا صـديـقـي... فـكـيـفَ يَـدْعُـونَ هـذا
مُـسـتـعـاداً، وذاكَ يُـدعـى ابـتـكـارا
رُبَّـمـا لـم يَـجِـدَّ شـيءٌ، ولـكـن
نـحـنُ نَـرنـو، بـنـاظـراتِ الـسُّـكـارى!
والـرَّبـيـعُ، الـذي نـرى الـيـوم، هـل كـان
الـرَّبـيـعَ، الـذي رأيـنـا مـراراً
وسـنـلـقـاهُ، بـعـدَ (كـانـون) أمـلـى
بـالـرؤى مـن عـيـونِ أحـلـى الـعَـذارى
والـمـصـيـفُ الـذي نَـراهُ كِـبـاراً
كـان ذاكَ الـذي شَـهِـدنـا صِـغـارا

---

(١) أزوجت: دخلت سن الزواج.
(٢) ثبير: جبل في الجزيرة العربية.

ولـمـاذا صـمـتَّ، تـرنـو يـمـيـنـاً
فـي شـرودٍ، وتـسـتـديـرُ يـسـارا
كـيـفَ تُـغـضـي، ولـلـسـؤالاتِ ركـضٌ
تـحـتَ أهـدابِـنَـا، يـخـوضُ الـغِـمـارا؟
هـل تُـحِـسُّ الـحـقـولُ مـا سرُّ (نـيـسـانَ)؟
ومِـنْ أيـنَ عـادَ يَـهـمـي اخـضـرارا؟
كـيـفَ أَصْـغَـتْ إليهِ؟ هـل ضَـجَّ يـا أشـواكُ
مَـوتـي.. وبـارِكَ (الـجُـلَّـنـارا)
أيُّ فـصـلٍ مـن الـفـصـولِ الـتـوالـي
أسـكـتَ(الـبـومَ) واسـتـعـادَ (الـهـزارا)؟
أينَ يَمضي الزَّمانُ: هل سوف يَطْوي
سِـفْـرَهُ، أو يَـعـي فـيـشـكـو الـعـثـارا؟
ربَّـمـا... إنـمـا... لـمـاذا نُـنـادي؟
ويـضـيـعُ الـصَّـدى، فـنـرجـو الـقِـفـارا
أتـظُـنُّ الـريـاحُ، تـدري إلـى أيـنَ؟
ومِـن أيـنَ، تَـسْـتَـهِـلُّ الـمَـسـارا؟
أتـراهـا، تُـعـطـي الـرُّبـى جـانـحـيْـهـا
ذاتَ يـومٍ، وتـسـتَـعـيـرُ الـوقـارا؟
يـا صـديـقـي... أنـا وأنـت اشـتـهـاءٌ
نـحـتـسـي الـمـلـحَ، أو نـلـوكُ الـشَّـفـارا
طـالَ فـيـنـا جـوعُ الـسُّـؤالِ، فـأطـعـمـنـاهُ
(كـانـونَ) واعـتـصـرنـا الـغُـبـارا

واجـتـدانـا ولائـمـاً عـاجـلاتِ
فـطـبـخـنـا عـلـى الـنُّـجـومِ الـحـيـارى

كـلُّ مـا عـنـدنـا نـداءٌ بـلا ردٍّ
سـؤالٌ، يـتـلـو سـؤالاً، مُـثـارا

مَـنْ دَعَـانـا؟ ومَـنْ نُـنـادي؟ أصَـخْـنَـا
وانـتـظـرنـا، حـتـى حَـرِقْـنَـا انـتـظـارا؟

فـلـنَـنَـم... والـنـعـاسُ يَـروي حـكـايـانـا،
ويُـرخـي قـبـلَ الـشُّـروع الـسِّـتـارا

❁ ❁ ❁

عند مجهولة

٢٩/١٠/١٩٦٩م

هذه الأمسيَّةُ الكَسْلى الغريبهْ
مرحٌ خابٍ ولذَّاتٌ كئيبَهْ
أَلسَّقوفُ الخُرسُ أيدٍ لا ترى
ووراءَ البابِ أنفاسٌ مُريبهْ
والزَّوايا أذرعٌ مجهولةٌ
والكُوى عينا رقيبٍ أو رقيبَهْ
رُبَّما أخطأت لكن قلقٌ
يعتريني واحتمالاتٌ قريبَهْ

* * *

أَللقاءُ الحلو مرَّ هٰهُنَا
وتناجى الحُبُّ دقَّاتٍ رتيبَهْ
هذه الساعاتُ أنسٌ خائفٌ
ومُنًى خمريَّةٌ جَذْلى رَهيبَهْ
أينَ طعمُ الخمرِ والحُبِّ هنا
ولديَّ الكأسُ ملأى والحبيبَهْ
يا حنانَ الحلوةِ الغَنجَا إليَّ
أينَ تَمضي بي لياليكَ العجيبَهْ

هٰهُنَا يا شهرزادُ انطفأت
نارُ جَذْبي وابتدت نارٌ خَصِيبَهْ

* * *

إنما من أنتِ قُولي لي أَمَا
خلْفَ برقِ الأُنسِ أمطارُ المُصِيبَهْ

بالهوى مَنْ أنتِ يا مجهولةً
دونَ أَنْ أدعوَها كانت مُجيبَهْ

فلتكوني مَنْ تُريدين لقد
كنتُ مَصدوراً فأصبحتِ الطَّبيبَهْ

❁ ❁ ❁

ضائع في المدينة

٢٥/٤/١٩٦٩م

سوفَ أبكي ولَنْ يُغيِّرَ دَمعي
أيَّ شيءٍ من وضعِ غيري وَوَضْعي
هَلْ هُنَا أو هُنَاكَ غيرُ جذوعٍ
غيرُ طينٍ يَضِجُّ، يعدو ويُقعي
لو عبرت الطَّريقَ عريانَ أبكي
وأُنادي، من ذا يعي، أو يُوَعِّي؟
يا فتى! يا رجال! يا يا، وأنسى
في دويِّ الفراغِ صَوْتي وسَمْعي

* * *

رُبَّما قالَ كاهنٌ، ما دهاني؟
ومَضَى يستعيذُ مِنْ شَرِّ صُنعي
رُبَّما استفسرَتْ عجوزٌ صبيّاً
ما شجاني، وأين أُمِّي ورَبعي
أو رمى عابرٌ إليَّ التفاتاً
واختفى في لحاقِ جمعٍ بجمعِ

* * *

إنَّما لو لَمَسْتُ جيبَ غنِيٍّ
في قوى قبضتيْهِ قوتي، ومَنْعي

لـتـلاقـى الـزّحـامُ حـولـي يُـدوّي
مـجـرمٌ، واحـتـفـى بـركـلِي وصَـفْـعِي

ولـصـاحَ الـقُـضـاةُ مـا اسـمـي وعُـمْـرِي؟
مَـنْ ورائـي؟ مـا أصـلُ أصـلـي وفَـرْعِـي؟

مـا الـذي يـا فـلانُ يـا بـن فُـلانِ؟
ولَـهَـوْا سـاعـةً بـخـفـضـي ورفـعـي

وهَـذَى الـمُـدَّعـي بـقـتـلـي لأنّـي
خُـنـتُ، حـاولـتُ مـكـسـبـاً غـيـرَ شـرعـي

وزرعـتُ الـلُّـصـوصَ فـي كُـلِّ دربٍ
وعـلـيَّ ابـتـلاعُ أشـواكِ زَرْعـي

فـيـقـصُّ الـقَـضَـاةُ أخـطـارَ أمـسـي
وغَـدِي وانـحـرافَ وَجْـهـي وطَـبْـعـي

عـنـدهـم مِـنْ سَـوابـقـي نـصـفُ سِـفْـرٍ
وفـصـولٌ أشـدُّ، عـن خُـبـثِ نَـبْـعـي

وسـأُدعـى تـقـدُّمـيّـاً خَـطـيـراً
أو أُسـمَّـى تـآمُـرِيّـاً، ورَجْـعـي

وهُـنَـا سـوفَ يـحـكـمـونَ بـسـجـنِـي
ألـفَ شـهـرٍ، أو يَـسْـتَـجـيـدون قَـطْـعـي

وسـأبـكـي ولـن يُـغـيِّـرَ دَمـعـي
أيَّ شـيءٍ مِـنْ وضـعِ غَـيـري وَوَضْـعِـي

❁ ❁ ❁

بينَ أُختين

١/٧/١٩٦٨م

أيقولُ إنِّي ربَّما
سَلَخْتُهُ مِنْ دعوى الشَّهامَة
لو يجتديها هل تجود
ولو أبَتْ يا للنَّدامة
كانت مُطَلَّقةً فهل
تأبى الذَّلولُ المُستهامَة
لكن لماذا يشتهيها كَمْ
يُلِحُّ بلا سآمَة
أو مَا تَلوحُ كأُختِهَا
أو أنَّها أجلى قَسامَة
وأبضُّ أفنانا وأعرض
مِئزراً وأمدُّ قامَة
في عنفوانِ السَّبع والـ
ـعشرين أمْرَحُ مِنْ غُلامَة
لو لَمْ تَكُنْ أختُ التي
في دارِهِ لرمى احتشامَة

* * *

أيُطيقُ لو سَخِرت بهِ
حَمْلَ القطيعةِ والمَلامَة

أوْ لَوْ حَكَتهُ لأُختِها
لا ستعجلت يومَ القيامَهْ
لكنْ رفيفُ ثمارِها
يدعوه ينتظرُ اقتحامَهْ

* * *

أترُدُّهُ لن تستحيلْ
لَبُوءةً هذي الحَمامَهْ
أوَ لَمْ تَعِذْهُ دلائلٌ
مِنْها ملوَّنَةُ الوَسامَهْ

* * *

ضَحِكتْ لَهُ يومَ الخميس
وضِحْكةُ الأُنثى علامَهْ
وأحَسَّها لمحت هواه
بعينِ زَرْقَاءِ اليمامَهْ
أيامَ وعكةِ أُختِها
جاءَتْ وطَوَّلَتِ الإقامَهْ
وبَدَتْ أرقَّ مِنْ النَّدَى
وتكلَّفَتْ كَذِبَ الصَّرامَهْ
وغداةَ زارَ شقيقَها
كانَتْ أرقَّ مِنْ المدامَهْ
حيَّتهُ حينَ أتى وقا
لَتْ حينَ عادَ مَعَ السَّلامَهْ

سـلِّـمْ عـلـى تـقـوى وزا
دت دِفءَ نَـبْـرَتِـهـا رخـامَـهْ

فـنـوى تـصـيُّـدَهَـا غـداً
أو بـعـدُ وَلْـتَـقُـمِ الـقِـيـامَـهْ

* * *

واخـتـار حُـلَّـتـه ونـمَّـق
فـوقَ جـبـهـتِـهِ الـعَـمَـامَـهْ

وأتـى يُـغَـنِّـي «يـا عـروسَ الـرَّوْضِ»
أو يـا ريـم رامَـهْ

أو يـشـرئـبُّ كـظـامـيءٍ
بـيـديـهِ يـعـتـصـرُ الـغَـمَـامَـهْ

حـتـى دَنـا مِـنْ دارِهـا
حـيَّـتـهُ آيـاتُ الـفَـخَـامَـهْ

مـنْ ذا هُـنَـا؟ خـرجـوا أتَـدْ
ري عـاد خـالـي مِـنْ تِـهـامَـهْ

كـيـفَ الـعِـيـالُ؟ وأيـنَ أخـتـي
عِـنـد عَـمَّـتِـهـا كَـرَامَـهْ

ودَعَـتْـهُ ضِـحـكَـتُـهَـا فـهَـمَّ
وعـادَهُ خَـوَرُ «الـنَّـعـامَـهْ»

ودَنَـتْ كـأجـنـى كَـرْمَـةٍ
تـلـهـو بـنـهـديْـهَـا أمَـامَـهْ

وأرادَ فـاسـتـحـيـا عـلـى
شـفـتَـيْـهِ مـشـروعُ ابـتـسـامَـهْ

سوفَ تَذْكُرين

٢/٢/١٩٦٩م

ذاتَ يـومٍ سَـتَـذكُـريـنَ ارتـجـافـي
بـيـنَ كـفَّـيْـكِ وانـهـيـالَ اعـتـرافـي

وسـؤالـي مَـنْ ذا هُـنَـا وارتـيـاعـي
مـنْ سُـؤالـي وخَـشْـيـتـي أَنْ تـخـافـي

واقـتـرابـي حـتـى شَـمَـمْـتُ وعـودي
بـأسـى جـيـئـتـي وهـزء انـصـرافـي

* * *

ووراءَ ذِكـرى تَـعُـضُّ يَـدَيْـهَـا
وأمـامـي طـيـفٌ كـوحـشٍ خُـرافـي

مَـنْ رآنـي مِـنْ أيـنَ جِـئْـتُ وأمـضـي
كـالـصَّـدى كـاغـتـرابِ ريـحِ الـفـيـافـي

أيُّ جَـذْلـى رَجِـعْـتُ عـنـهـا ومِـنـهـا
وإلـيـهـا جِـنـازتـي وزِفَـافـي

والـذي كـانَ مَـنـزلـي قـبـلَ حـيـنٍ
جـئـتُـهُ فـاسـتـحـالَ مَـنـفـى الـمـنـافـي

إنَّـمـا سـوفَ تَـذْكُـريـنَ وقـوفـي
بـيـن كـفَّـيْـكِ اجـتـدي أو أُصـافـي

ذاتَ يـومٍ سـترحـمـيـن احـتـراقـي
بـعـدمـا ذُبْـتُ واعـتـصـرتُ جَـفـافـي

وتـقـولـيـنَ كـانَ عـصـفـورَ حُـبٍّ
ظـامِـئـاً كـيـفَ عـزَّ عـنـهُ ارتـشـافـي

كـانَ يـأتـي والـجـوعُ يـشـوي يـديـهِ
وعـلـى وجـهِـهِ اصـفـرارُ الـقـوافـي

واخـتـلاجـاتُـهُ تُـسَـلِّـي غُـرُوري
وانـكـسـاراتـهُ تَـحُـثُّ انـعـطـافـي

كـانَ يـقـتـادُهُ عَـبـيـري فـيـدنـو
ثُـمَّ يُـثـنـيـهِ ضَـعْـفُـهُ عـن قِـطـافـي

* * *

وتَـعـوديـنَ تَـذْكُـريـن الـتـمـاسـي
ورُجـوعـي وكـيـفَ كـنـتُ أُوافـي

وتـودِّيـنَ لَـوْ بَـذَلْـتِ ولـكـن
عـنـدَ أنْ تُـجـدِبـي وأرضـى عَـفـافـي

❁ ❁ ❁

نحنُ أعداؤنا

إبريل ١٩٦٩م

لأنّا رضِعْنَا حليبَ الخُنُوع
تقمَّصْنَا مِنْ صِبانا الخُضُوع

فجُعْنَا ليكتَظَّ جَلَّادُنَا
ويَطْغى، وننسى بأنّا نَجُوع

وحينَ شَعَرنا بنهشِ الذِّئا
ب شَدَدْنا على الجُرحِ نارَ الدُّمُوع

ورُحنا نُجيدُ سِبابَ الدُّجى
ولَمْ ندرِ كيفَ نضيءُ الشُّموع

نفورُ وتُطْفِئُنَا تفلةٌ
فنَمْتَصُّ إطفاءَنا في خُشُوع

ولمّا سَمِعنا انفجارَ الشُّعوب
أفقنا نرى الفجرَ قبلَ طُلُوع

ويوماً ذكرنا بأنّا أُناس
فثُرنا ومُتنا لتحيا الجُمُوع

ولكنْ لبسْنا رداءَ الأُباة
وفي دَمِنا المُستضامِ الهُلُوع

فحينَ انتوينا شروعَ المَسِير
حَذِرنا المغبّاتِ قبلَ الشُّروع

وقُلنا أتى من وراءِ الحُدود
جرادٌ غريبٌ فأشقى الرُّبُوغ

ولَيسَ عِدانا وراءَ الحُدود
ولَكِنْ عِدانا وراءَ الضُّلُوغ

فقد جَلَتِ الرِّيحُ ذاكَ الجَرادَ
فكُنَّا جراداً وكُنَّا الزُّروغ

* * *

ومَنْ ذا أتى بعدُ؟ غازٍ تَصول
يداهُ ويرنو بعينَيْ «يَسُوغ»

عرفناكَ يا أروعَ الفاتحين
إلى أينَ؟ ليسَ هُنَا من تَرُوع

أنلقاكَ يا «عنترَ» ابنُ السُّيوف
بغيرِ المَواضي وأَقْوى الدُّروع

وكانَتْ بروقُ الدَّمِ المُفتدي
وعوداً تَعي وغيوباً تَضُوغ

هُناكَ انتصرنا بَذَرنا الرَّبيع
ولَكِنْ جَنَيْنا شِتاءَ القنوغ

وَقُفْنا نَحوكُ لأبلى القبور
وُجُوهاً، نَغصِرُ طلاء الصُّدوغ

ولَيسَ عِدانا وراءَ الحُدود
ولَكِنْ عِدانا وراءَ الضُّلُوغ

* * *

تُرى كيفَ نَمضي وهَلْ خلفَنَا؟
مَنُوعٌ وبينَ يدينا مَنُوغ
وأينَ وَصَلنَا؟ هُنَا لَمْ نَزَلْ
نبيعُ المُحيَّا ونَشري الهُجوغ

* * *

فهَلْ خلْفَنا شاطئٌ يا رياح!
أقدامُنا مرفأٌ يا قُلُوغ؟
وصَلنا هُنا لا نُطيقُ المُضِيَّ
أمَاماً ولا نستطيعُ الرُّجوغ
فلَمْ يبقَ فينا لماضٍ هوًى
ولَمْ يبقَ فينا لآتٍ نُزُوغ

❁ ❁ ❁

حماقةٌ وسَلاَم

١١/١٠/١٩٦٨م

ماذا ترى؟ وهناً يريدُ، وطاقةً تمتَصُّ طاقَهْ
وإفاقةً كالسُّكرِ... أو سُكْراً أَمَرَّ مِنْ الإفاقَهْ
جيلاً يوثِّقُ بينَ مَصْرَعِهِ، ومحياهُ.. العَلاقَهْ
ويريقُ آلافَ الكؤوسِ، أسًى على الكأسِ المُراقَهْ
تشتدُّ فيه قوى الفتى، وتَميعُ في دمِهِ الرَّشاقَهْ

* * *

جيلُ التَّحرُّرِ والهَوى، عبدُ التفاهةِ والأناقَهْ
جيلُ التَّفَتُّحِ والتَّمزُّقِ، والحداثةِ والعِتاقَهْ
حيْرانُ يَغمرهُ الشُّروقُ، ولا يَرى أيَّ ائتلاقَهْ
ومُرفَّهٌ، للجوعِ في ذرَّاتِ طينتِهِ... عراقَهْ
غضبانُ يبلعُ بعضُهُ بعضاً، ويفخرُ بالصَّفاقَهْ
وسينتهي.. وجدُ السِّلاحِ، وليسَ تَنْقُصُهُ الحماقَهْ
ليتَ الذي دفَعَ السِّلاحَ إليهِ، علَّمَهُ اللَّباقَهْ
حتى يَعي مَنْ يستفزُّ، ومن يُلاقي في طلاقَهْ
حتى يُوالي عن هُدًى يقظٍ، ويَكْرَهُ عن لياقَهْ
مَنْ لا تُعلِّمُهُ العداوةُ، فهو أجهلُ بالصَّداقَهْ

ثكلى بلا زائر

مارس سنة ١٩٦٩م

بناتُ عيسى وابنةُ المَغربِ
لَبِسنَ ألوانَ الرَّبيعِ الصَّبي

رَجِعْنَ بعدَ «النَّقشِ» مِنْ بابِنا
يَرْكُضنَ، يَضْحَكنَ، بلا مُوجبِ

ومَوْكَبَتْ «بِلقيس» مِنْ صِنْفِها
عَشراً، وقادت رحلةَ المَوْكِبِ

ورُحْنَ من سوقٍ إلى شارعٍ
على شظايا أعيُنِ العُزَّبِ

يَسخَرنَ حيناً مِنْ هوى مُعجبٍ
وتارةً يَبْحَثنَ عن مُعجبِ

يُبدينَ أطرافَ الحُلى عَنْوَةً
وغفلةً يُسْفِرنَ، للأجنبي

و«أمُّ نشوان» احتلَت فانثنت
حسناءَ، بينَ البِكرِ والثَّيِّبِ

* * *

فكيفَ ألقى العيدَ يا والدي؟
أقوى مِنَ النِّسيانِ ذِكرى أبي

جاءتْ قُبيلَ الأمس أُمّي «تُقى»
في لهفةِ الأُمِّ، وعُنْفِ الغَبي

فاحمرَّ مِنْ تقبيلِها مَدْمَعي
وانهدَّ من تربيتِهَا، مَنْكِبي

وهدَّأتني أمسِ «وهّاسةٌ»
يا بنتي ارتاحي غداً واطربي

لا تحرمي طفليْكِ، عيديهِمَا
لاقيهِمَا فرحى، ولو، جَرِّبي

ما أنتِ أولى امرأةٍ فارقتْ
أباً، جرى هذا، لبنتِ النَّبي

* * *

ولفَّني ليلٌ كسولٌ، بلا
قلبٍ، بلا حلمٍ، بلا كوكب

وأصبحَ العيدُ فماجَ الصَّبَا
مِنْ ملعبٍ داوٍ، إلى ملعب

وثرثرَ المِلياعُ، مِلءَ المَدى
يا عيدُ، يا عيدُ، ولَمْ يَتْعَبِ

واستنطقَ «الحيمي» فُنْغَرَافَهُ
وصاحَ وابناهُ مع «القعطبي»

زُمَرٌ وحشدٌ هُهُنا أو هُنا
مدافعٌ كالأحمقِ المُغْضَبِ

لا، لَنْ أطيقَ اليومَ أمواجَهُ
مِنْ صَخَبٍ عالٍ إلى أصخبِ

أغلقتُ بابَ البيتِ في وجهِهِ
فانسلَّ مِنْ شُبّاكِهِ الأشيَبِ

هربت مِنْ تلويحِ كفَّيْهِ، مِنْ
عينيْهِ، فانثالَ على مَهْرَبي

كيفَ يَرى «ثكلى بلا زائرٍ»؟
وأينَ مِنْ أضوائِهِ أختبي

اليومَ «عيدُ اللّهِ» يا والدي
فأينَ أنتَ اليومَ؟ تَهتَمُّ بي

تجيئُني قَبلَ الضُّحى كي أرى
أثمارَ حُلمي في السَّنى المُذهبِ

تلتذُّ باسمِي تستجيدُ ابنتي
يُتَمتمُ ابني باسمِكَ الأعذبِ

تقولُ «كَعْكِي» لم تَذُقْ مَثْلَهُ
«كقهوتي» في العُمْرِ لَمْ تشرَبِ

يُعيدُني تدليلُكَ المُشْتَهى
صبيَّةً كطائرِ الأَزْغبِ

زوّارُ جاراتي أتَوْا وانثنوْا
وأنتَ لَمْ تُقبِلْ ولَمْ تَذْهَبِ

فرُحتُ أُضني البَحثَ فيمن مضى
أو مَنْ أتى عن وجهِكَ الطَّيِّبِ

لِكُلِّ بنتٍ والدٌ أو أخٌ
إلا أنا، يا ليتَ يَدري أبي

حتى أبو «سعدى» أتى بعدما
غابَ ثلاثينَ، ولم يكتبِ

وعاد من «غانا» أخو «زهرةٍ»
وعمُّ «أروى» عاد من «يثربِ»

أبي، أتدري مَنْ يُنادي؟ أما
تشتمُّ ريحَ الدارِ كالغيهبِ

عمِّي الذي أوصيتهُ لا تسَل
عن فرخةٍ، في ذمّةِ الثعلبِ

لو شَمَّ كفِّي لا حتسى خاتمي
لو مسَّ رِجلي، لا حتوى جوربي

في آخرِ السَّبعينَ، لكنّهُ
أصبى إلى اللّدغِ من العقربِ

ومُتَّ أنتَ الغضُّ، وابن البِلى
كالبغلِ، يا للموقفِ الأغربِ

كيفَ نَجَا اللِّصُّ ومات الّذي
يستغفرُ اللهَ ولم يُذنِبِ

عفواً، فلا تدري، ولاعِلْمَ لي
كيفَ يُعادي الموتُ أو يجتبي

❁ ❁ ❁

حلوةُ الأمس

٥/٧/١٩٦٨م

أيُّ شـوقٍ إلـيـكِ أيُّ انـدفـاعَـهْ
فـلـمـاذا استـحـالَ جُـوعـي قَـنـاعَـهْ

لـم تـكـونـي شـهـيَّـةَ الـدِّفءِ لـولَـمْ
تـرتَـعِـشْ فـي دَمـي إلـيـكِ الـمَـجـاعَـهْ

كُـنـتِ يـا حُـلـوتـي أَضَـنَّ اشـتـهـائـي
بـعـد أَنْ تَـبـذُلـي يـزيـدُ فـظـاعَـهْ

غـيـرَ أنّـي طـيـنٌ يـئـجُّ وتُـطـفـي
نـارَهُ تـفـلـةٌ تُـسـمَّـى اضـطـجـاعـه

* * *

قـد تـقـولـيـنَ سـوفَ أنـاى ويَـظـمـا
ثـم يـأتـي وتـجـتـدي فـي ضـراعَـهْ

رُبَّـمـا أشـتـهـيـكِ عـامـاً وأُنـهـي
شـوقَ عـامـيـن فـي مـدى رُبْـعِ سـاعَـهْ

«حُـلـوةَ الأمـسِ» مـا تـزالـيـن أحـلـى
إنَّـمـا فـي تـصـوُّراتـي الـشَّـنـاعَـهْ

مـا اخـتـتـمـنـا تـمـثـيـلَ دورٍ بـدأنـا
مِـنـهُ فَـصـلاً لَـكِـن فَـقَـدْنَـا الـبَـرَاعَـهْ

* * *

هل تُخيفينني بإسعادِ غيري
صَدِّقيني إذا أدَّعيتُ المناعَ
فلتخُصِّي بما لديكِ فُلاناً
أو فلاناً أو فلتكوني مُشاعَ

❁ ❁ ❁

من رحلةِ
الطَّاحونةِ إلى الميلادِ الثَّاني

٢/٨/١٩٦٩م

مِنْ الفجرِ حتى الفجرِ ننجرُّ كالرَّحى
إلى اينَ يا مَسرى ومن أينَ ياضُحى

أَضَعْنا بلا قصدٍ طريقاً أضَاعَنا
ولاحَ لَنَا دربٌ بدأناهُ فانمحى

وشَوَّشَنا تلويحُ برقٍ أهاجَنا
وولّى ولا ندري إلى أينَ لوَّحا

وقُلنا، كما قالَ المُجِدُّون، مَنْ غفا
عن الفوزِ لم يظفرْ ومن جدَّ أفلحَا

إذا لم نَجِدْ في أولِّ الشَّوطِ راحةً
فسوف نُلاقي آخرَ الشَّوطِ أروحا

ورُحنا نسقّي الرَّملَ أمواهَ عُمْرِنا
فيظما، ويرويهِ إلى أن ترَنَّحا

* * *

سَرينا وسِرنا نَطحنُ الشَّوكَ والحَصى
ونحسو ونقتاتُ الغُبارَ المُجرَّحا

ومِنْ حولِنا الأطلالُ تستنفرُ الدُّجى
وتُرخي على الأشباحِ غاباً مِنَ اللِّحى

هُنا أو هُنا، يا زحفُ نرتاحُ ساعةً
تعِبْنا وأتعبنا المَدارَ المُسافِرا

كطاحونةٍ نمضي ونأتي كمُنحنى
يَشدُّ إلى رجليهِ تلّاً مُجنْدِرا

* * *

فيا ذكرياتِ التّيهِ مَنْ جرّ قبلَنا
خُطاهُ وأمسى مثلَنا حيثُ أصْبَحا

ركضنا إلى الميلادِ قرناً وليلةً
وُلِدْنا فكانَ المهدُ قبراً تفتّحا

ومِتْنَا كما يبدو، رَجِعنا أجنّةً
لننختارَ ميلاداً أشقَّ وأنجحا

❁ ❁ ❁

كاهنُ الحَرف

سبتمبر ١٩٦٩م

مَنْ تُغنِّي هُنا؟ وتَبكي علاما؟
كلُّ شيءٍ لا يستحقُّ اهتماما
أَلقضايا التي أهاجتكَ أقوى
مِنْ أغانيكَ مِنْ نُواحِ الأيامى
خلفَ هذا الجدارِ تشدو وتبكي
والزَّوايا تندى أسًى وجُثَامَا
هذه ساعةُ الجدار كسولٌ
تَرجِعُ القَهقَرى وتَنْوي الأمَامَا
والثَّواني تَهمي صديداً وشوكاً
وسَتهمي وليسَ تدري إلى ما؟
والحكايا رؤى سجينٍ أقَرُّوا
شنقَهُ بعدَ سجنِ عشرينَ عَاما
والمحبَّاتُ والتَّلاقي رمادٌ
والأغاني بردُ القبورِ القُدامى
والصَّبيحاتُ كاليَتَامى الحَزَانى
واللَّيالي كأُمَّهاتِ اليَتَامى
عبثاً تنشدُ الكؤوسَ لتَسلى
ماتَ سِحرُ الكؤوسِ، ملَّ النَّدامى

لُّ حـيـنٍ وكـلُّ شـبـرٍ زِحـامٌ
مِـنْ رُكـامِ الـوحـولِ يـتـلـو زِحـامَـا

نْ تُـغـنِّـي يـا (كـاهـنَ الـحـرفِ) مـاذا؟
هَـلْ سُـعـالُ الـحـروفِ يُـشـجـي الـرُّكـامـا

❁ ❁ ❁

30/06/2014

حكايةُ سنين

إبريل ١٩٦٥م

مِنْ أينَ أبتدئُ الحكايه؟
وأضيعُ في مَدِّ النِّهايَهْ
وأَعي نهايةَ دَورِهَا
فتعودُ من بدءِ البدايَهْ
تَصِلُ الخطيئةَ بالخطيئةِ
والجنايةَ بالجنايَهْ
مِنْ عهدِ مَنْ وُلِدوا بلا
سببٍ وماتوا دونَ غايَهْ
أَلمُسبلينَ على الذِّئابِ
البيضِ أجنحةَ الرِّعايَهْ
أَلناسجينَ عُروقَهُمْ
لمواكبِ الطَّاعونِ رايهْ
مَنْ حوَّلوا المُستنقعاتِ
الجائعاتِ إلى النِّفايَهْ
أنصافُ آلهةٍ مُطَوَّقةٌ
بأسلحةِ العِنايهْ
ووجوهُهُمْ كاللَّافتاتِ
على مواخيرِ الغِوايهْ

كانوا ملوكاً ظلُّهم
حرمٌ ورَقيتهم حماية

فلحومُنا لخيولِهم
مرعًى وأعظمُنا سقاية

وبيادِرٌ تُعطيهِمُ
حبّات أعيننا جباية

واللهُ والإسلامُ في
أبواقِهم بعضُ الدعاية

أيام كانت للذُبابِ
على الجراحاتِ الوصاية

أيامَ كان السُّلُّ يأكُلُنا
وليسَ لنا دراية

وأبي يُعلِّمُنا الضّلالَ
ويسألُ اللهَ الهداية

ويعيذُنا بـ(المُصْطَفى)
والصَّالحين وكُلِّ آية

ويقولُ: إعتادوا الطَّوى
كَمْ عادةً بدأتْ هواية

ويعودُ يَشكو والسُّعالُ
يرضُّ في فمِهِ الشكاية

مِنْ هٰهُنا ابتدت الرِّوايَةُ،
أينَ أينَ مَدى الرِّواية؟

* * *

أأَقُصُّها؟ بعضي يُهيِّئُني
وبعضي يزدريني
وبرغمِ إرهاقي أخوضُ
مَجَاهلَ السِّرِّ الكمِينِ
وظلالها خلقي وقُدَّا
مي كأمسيةِ الطَّعينِ
فأتيهُ فيها كالتفاتِ
الطَّيفِ للطَّيفِ الحَزينِ
وأعافُها فيشُدُّني
أرَقِي ويعزفُني حَنيني
وتُزَقْزِقُ الخَلَجَاتُ في
رأسي كعصفورٍ سجينِ
ماذا يُعاودُني؟ كشعوذةِ الرُّؤى،
كصدى اليقينِ؟!
ويديرُ كأساً من دمِ
الذِّكرى وحشرجةِ الأنينِ
فَتُهيجُني، ومُنايَ تحفرُ
في حريقي عن معيني
والحرفُ يمزحُ في فَمِي
والسُّهدُ يلهثُ في جَبيني
ومَدى السُّرى يطفو ويرسبُ
في فمِ الوهمِ الضَّنينِ

ويمدُّ أغنيةً تَحِنُّ
إلى الصَّدى، وإلى الرَّنينِ
ولِمَنْ أُلَحِّنُ هَجْعةَ الأشـ
ـباحِ والرُّعبِ الدَّفينِ؟
لمواكبِ التَّاريخ يَرْوِيها
الأمينُ عن الأمينِ
ولِأُمِّيَ اليمنِ العجوزِ
ولابنيَ اليمنِ الجَنينِ
كانت مواقعُ خَطْوِهِ
طيناً توحَّلَ فوقَ طِينِ

* * *

أتقولُ لي، ومتى ابتدَتْ
سخريَّةُ القدرِ البَليدِ؟
وإلى بدايتِها أعودُ
على هُدى الحلمِ الشَّريدِ
مُنْذُ انحنى مغنى (عُلَيَّةَ)[1]
واستكانَ حِمى (الوليدِ)
واستولَدَ السُّحبَ الحَبَالى
ألفُ (هارونِ الرَّشيدِ)
حتى امتطى (جنكيز)
عاصفةَ الصَّواهِلِ والحديدِ

(١) عليّة بنت المهدي كرمز لانهيار الحضارة العربية والوليد بن عبد الملك كرمز للفتح العربي.

وهنالكَ انتعلَ (التَّتارُ)
معاطِسَ الشَّمَمِ العنيدِ
وتموكَبَتْ زُمَرُ الذِّئابِ
على دَمِ الغنمِ البَديدِ
فاستَغجَمَ (الضَّادُ) المبينُ
ورايةُ الفتحِ المَجيدِ
أينَ العروبةُ؟ هَلْ هُنا
أنفاسُ «قيسٍ» أو «لبيدِ»
أينَ التماعاتُ السُّيوفِ
ودفءُ رنَّاتِ القَصيدِ؟
لا هٰهُنا نارُ القِرى
تهدي، ولا عبقُ الثَّريدِ
لا مستعيدَ، ولا اختيالُ الشَّدوِ
في شفتيْ «وَحِيدِ»[1]
فتلامَعَتْ أيدي علوج «التُّركِ»
تومِئُ من بعيدِ
وتقولُ: يا ريحُ ابدئي صَخَبي،
ويا دُنيا: أعيدي
وتمدُّ تَلمسُ مِنْ هُنَاكَ
ذوائبَ اليمنِ السعيدِ

(١) (وحيد) المغنية التي أجاد ابن الرومي وصفها في داليته الفذة.

حيثُ اختلاجاتُ الغروبِ
على الرُّبى، لفتاتُ غيدِ
حيثُ المزارعُ، وانتظارُ
الجوعِ حبَّاتِ الحَصِيدِ
حيثُ الصراعُ على السَّفاسفِ،
والزِّحامُ على الزَّهيدِ
ومضى العُلوجُ إليه كالإعصارِ،
كالسَّيلِ الشَّديدِ
وبرغمِهِ أَذمُوا إلى
(صنعاء) بيداً بعدَ بيدِ
فتثاءَبَتْ أبوابُها
لزحوفِ (أبرهةَ) الجَديدِ

* * *

وهنا انحنى (نقمُ) الصَّبُورُ
وأذعنت كثبانُ (مِيدي)
وتهافَتَ الأجدادُ، فاتَّكلَ
المُطيقُ على القعيدِ
وتخدَّروا بروائحِ المَوتى
وعهدِهِمُ الرَّغيدِ
وكما تُقلِّدُ أمُّ أُمِّي
لثغةَ الطِّفلِ الوليدِ
راحوا يُعيدون المُعاد
عن (الحسينِ) وعن (يزيدِ)

عن مُهرِ (عنترةٍ) وعن
صمصَامَةِ الشَّيخ الزَّبيدِي
عن (شهريار) و (بابِ خيبر)
و (ابنِ علوان)[1] النَّجيدِ
وغذاؤهم زجلُ (الخفنجي)[2]
واللحومُ بِكلِّ عيدِ
ومصيرُهُمْ حُلْمٌ على
أهدابِ شيطانٍ مَريدِ
وتَمَلْمَلوا يوماً وفي
نظراتِهم كسلُ الوعيدِ
فمَحَوْا دُخانَ (التُّركِ)
وارتدّوا إلى الغسقِ الحميدي
فتَخَيَّروا للحُكمِ أوثاناً
مِنَ الدَّمِ والجليدِ
أهواؤهُم كمسارِبِ الحيَّاتِ
في الغارِ المديدِ
أو كالمقابرِ، يبتلِعْنَ
ويَستَزِدنَ إلى المَزيدِ
كانوا عبيدَ خُمولِهِمْ
والشَّعْبُ عِبدانُ العَبيدِ

---

(١) يعرف ابن علوان في اليمن بأنه المنقذ من الجان كما هو في الاساطير الشعبية.

(٢) الخفنجي شاعر شعبي ساخر.

كانوا يُعيرونَ المُدى
شرعيَّةَ الذَّبحِ المُبيدِ
أو يَقتلونَ ويَخرُجونَ
يُرحِّمون على الفقيدِ
خلفَ الدُّخانِ يُمَثِّلونَ
روايةَ (اليمنِ) الشَّهيدِ

* * *

أتقولُ لي؟ وهل انْطَفَتْ
في ذلكَ العهدِ النُّجومُ؟
دفَنَ الغبارُ هواءَهُ
فتَجَلْمَدَتْ فيهِ الغُيومُ
وتهدَّج الرَّاوي كما
يستعطفُ الأُمَّ الفطيمُ
واجترَّ نَبرَتَهُ، وقال
وكفَّنَ الزَّمنَ السُّهومُ
تمشي الفصولُ كَمَا يُخشخِشُ
في يدِ الرِّيحِ الهشيمُ
أنَّى أَصَخْتَ فلا صدًى
يُنبي، ولا يوحي نسيمُ
إلَّا رفاتُ البائدين
تقيَّأتهُنَّ الجحيمُ
وعلى امتدادِ التِّيهِ يزعقُ
(هدهدٌ) ويصيحُ (بُومُ)

وهـنـاكَ كـانَـتْ قـريـةٌ
تـجـثـو كـمـا ارتَـكَـمَ الـرَّمـيـمُ
جَـوْعـى ويـطـبُـخُـهـا الـهـجـيـرُ
وتـحـتـسـي دَمَـهـا الـسَّـمُـومُ
نَـسِـيَـتْ مـواسِـمَـهـا فـأشـتَـتْ
قـبـلَ أَنْ تَـلِـدَ الـكُـرومُ
تـروي حـكـايـاهـا الـثـقـوبُ
فـيـسـعُـلُ الـجـوُّ الـكـلـيـمُ
ووراءَ تـلـويـحِ الـطُّـلاءِ
مـديـنـةٌ جَـرحـى تَـؤومُ
تَـنْـبَـيَـضُ مـن بـعـدٍ كـمـا
يـتـكـلَّـفُ الـضَّـحـكَ الـلـئـيـمُ
وعـلـى الـشـوراعِ تـنـعـسُ الـذِّكـرى،
ويـصـفـرُّ الـوجـومُ
وعـلـى تـجـاعـيـدِ الـرَّمـادِ
يُـهَـيْـنِـمُ الـثَّـلـجُ الـبـهـيـمُ
وتُـغـوِّرُ الـسَّـنـةُ الـعـجـوزُ
وتـبـدأُ الـسَّـنـةُ الـعـقـيـمُ
حـتـى تـفـجَّـرَ لـيـلـةً
حَـدَثٌ كـمـا قـالـوا: عـظـيـمُ
فـهـوى كـمـا زَعَـمـوا (الـحـرامُ)
ونـاحَ (زمـزمُ) و(الـحَـطـيـمُ)

* * *

مـــاذا جـــرى؟ مَـــنْ يـــخـــلـــفُ
الـمَـرحـومَ؟ مـن أتـقـى وأخـشـى؟
أو تـحـسـبُ الـجـوَّ الـكـفـيـفَ
مـحـا الـدُّجـى، أو صـارَ أعـشـى؟
ألـقـتْـهُ غـاشـيـةٌ إلـى
أُخـرى إلـى أدجـى وأغـشـى
فـجـنـازةُ (الـمـنـصـورِ) أمـسِ
غَـدَتْ(لـيـحـيـى) الـيـومَ عَـرْشـا
فـأجـالَ سُـبـحَـتَـهُ وزادَ
عـلـى امـتـدادِ الـغـشِّ غِـشّـا
واذا بـعـجـلِ (الـتُّـركِ) عـادَ
عـلـى الـضَّـحـايـا الـعُـزْلِ وَحْـشـا
يُـردي ويـجـهـرُ أو يـحـوكُ
مـكـايـداً حُـمـراً ورَقْـشـا
وعـلاهُ (جـوخٌ) فـاخـتـفـت
أظـفـارُهُ وأجـادَ بَـطْـشـا
وعـمـامـةٌ كُـبْـرى تُـتَـوِّجُ
رأسَ طـاعـونٍ مُـوَشَّـى
وتـزيـنـهُ، لـلـعـاثـريـنَ
كـمـا يَـزِيـنُ الـدَّفـنُ نَـعـشـا
فـيـشـقُّ لـلـشَّـعـبِ الـقُـبـورَ
ويـسـتـحـيـلُ الـشَّـعـبُ رَفْـشـا

وضحيَّةٌ تَروي هوى
جلّادِها وتموتُ عَطشى
ويجودُ للكفِّ الذي
يُعطيهِ تمزيقاً ونَهشا
ويعودُ يَستجدي الرَّغيفَ
ويُرهِقُ التَّفتيشَ نَبشا
ماذا يقولُ؟ أيرتجي؟
مولاهُ، هل يُعطيهِ قِرشا؟
لا الجوعُ أنطقَهُ وإنْ
نمَّ الذُّبولُ بهِ وأفشى
أتراهُ لَمْ يحملْ فَماً
فيبوحُ إطراقاً ورَعْشا
ويُحِسُّ أذرَعَهُ وأرجلَهُ
أمامَ الرِّيحِ قَشَّا
يهوي وتبلعُ ما يريدُ
ضراعةٌ مسختهُ كَبْشا
وجهٌ كأقدمِ دِرْهَمٍ
لَمْ يُبقِ فيهِ المَسحُ نَقشا
سنواتُ (يحيى) تستقي
دَمَهُ، ويرجوه ويَخشى

* * *

ويديرُ أسئلةً، ويحذر
همسَهُ ويعي انكسارهْ

ويـــهـــمُّ حـــقـــدُ هـــوانِـــهِ
فـتـفـرُّ مِـنْ دمِـهِ الـجـسَـارهْ
ويـمـدُّ عـيـنـيْـه كَـمَـا
تـرنـو إلـى الـسِّـنَّـوْرِ (فـارَهْ)
فـتـشـدُّ نَـقْـنَـقَـةُ الـطُّـبـولِ
إلـيـه أُبَّـهـةَ الـحَـقَـارَهْ
وغـداة يـومٍ أَوْمـضَـتْ
مـن حـيـثُ لا يَـدري إشـارَهْ
فـأطـلَّ نـجـمٌ مِـنْ هُـنَـاكَ
ومِـنْ هُـنَـا لَـمَـعَـتْ شَـرارَهْ
حـتـى تـنـهَّـدَ (حِـزْيَـزٌ)[1]
وتـنـاشـد الـصَّـمـتُ انـفـجـارَهْ
نـبـضَ الـهـدوءُ الـمـيْـتُ واحـمـرَّت
عـلـى الـثَّـلـجِ الـحَـوارَهْ
مـاذا؟ وأقـمـرتِ الـنَّـوافـذُ
والـسُّـطـوحُ بـكُـلِّ حـارَهْ
وتـنـاغـمـت (صـنـعـاء) تـسـألُ
جـارةٌ، وتُـجـيـبُ جـارَهْ
حُـرِّيَّـةٌ «دسـتـورُ» صُـغـنـاهُ
وأعـلـيْـنـا شِـعـارَهْ

(١) حِزيزٌ المكان الذي صُرع فيه الإمام يحيى عام ١٩٤٨م.

(سَجِّل[1] مكانكَ) وانبرى
التاريخُ يحتضنُ العِبارَهْ
وأطلَّ جوٌّ لم تلذْ
أُمُّ الخيالاتِ انتظارَهْ
وهُناكَ أدركَ (شهرزاد)
الصُّبحُ، فارتقبتْ نهارَهْ
وانثالَ أسبوعٌ، تَزِفُّ
عرائسُ الفجرِ اخضرارَهْ
وتلاهُ ثانٍ لحَّنَتْ
بُشراهُ أعراقَ الحجارَهْ
حتى تبدَّى ثالثٌ
لمَحَتْ ولادتهُ انتحارَهْ
حَشَدَ الخريفُ إزاءَهُ
همجيَّةَ الرِّيحِ المُثارَهْ
وتلاقَتِ الغلواتُ حَوْليهِ،
وأشعلتِ الإغارَهْ
ماذا جرى يا (شهرزادُ)؟
تَضَاحَكي، يا لِلمَرارَهْ!
عشرونَ يوماً، وانثنى
الماضي، فردَّينا الإعارَهْ

* * *

(١) (سجّل مكانك) مُستهل قصيدة ألقاها الزبيري في ذلك الحدث.

مـــن ذا أطـــلَّ، وأجـــهـــشَ
الـمـيـدانُ أحـمـد و«الـوِشـاحُ»
أسـطـورةُ الأشـبـاح دقَّ،
طـبـولَـهُ سـاحٌ، وسـاحُ
يـسـطـو، فـتـعـتـصـرُ الـرُّبـى
يَـدَهُ، ويـسـبِـقُـهُ الـصِّـيَـاحُ
ويَـزُفُّ أعـراسَ الـفُـتـوحِ
إلـى مـقـاصِـرِهِ الـسِّـفـاحُ
«عـوج بـن عـنـق» شـقَّ أنـفَ
الـشَّـمـسِ مـنـكـبُـهُ الـوَقـاحُ
أَلـجـنُّ بـعـضُ جـنـودِهِ
والـدَّهـرُ فـي يـدِهِ سِـلاحُ
أو هـكـذا نَـبَـحَ الـدُّعـاةُ
وعَـمَّـمَ الـفـزعَ الـنُّـبـاحُ
فـاحـمـرَّ مـن وهـجِ الـمـذابـحِ
فـي مـلامـحِـهِ ارتـيـاحُ
واغـبَـرَّ بـالـذَّبـحِ الـمَـسـيـرُ
ومـادَ بـالـجُـثَـثِ الـرَّواحُ
وسـرى، وعـادَ(الـسِّـنـدبـادُ)
ودربُـهُ الـدَّمُ، والـنُّـواحُ
خـمـسٌ مـن الـسَّـنـوات لا
لـيـلٌ لـهُـنَّ ولا صـبـاحُ

يِبِسَتْ على السُّهدِ العيونُ
وأقعدَ الزَّمنَ الكِسَاحُ
(ناشدتكِ الإحساسَ يا أقلامُ)[1]
واختنقَ الصُّداحُ
لم ينبضِ الوادي ولَمْ
ينبُتْ لعصفورٍ جَناحُ
فتناوَمَ التاريخُ والتأمت
على الجمْرِ الجِراحُ
لكِنْ وراء السَّطحِ أسئلةٌ،
يَجِدُّ بها المُرَاحُ
أو يُنطوي صوتُ النَّبيِّ
وَتدَّعي فمهُ (سَجاحُ)
فدوى (الزُّبيريُّ) الشَّريدُ
وأفشتِ الوعد الرياح
وتناقلَ الجوُّ الصَّدى
فَزَقَا التَّهامسُ والطِماحُ
ماذا تقولُ الرِّيحُ؟
فالغاباتُ تومىءُ والبِطاحُ
ويُحدِّق الراعي فتخبرهُ
مراتِعهُ الفِساحُ

(١) مطلع قصيدة للزبيري صورت الأوضاع.

سَتَكِلُّ يوماً «شهرزاد»
ويسكتُ السَّمرُ المُباحُ

* * *

فإذا (الثُّلايا) والبُطولة[1]
يركُلانِ شموخَ (صالة)[2]
فتضاءلَ (الفيلُ) المُخَدَّرُ
وارتدى جلدَ (الثُّعالَة)
وكموعدِ الرؤيا أراحَ
الجنَّ، واطَّرحَ الجلالَة
وانحطَّ تاجٌ، وارتقى
تاجٌ، عموداً من عَمالَة
ماذا يرى (صَبِرٌ)؟ وغاصت، خلف جفنيْه الدلاله
وكما تميدُ على شحوبِ السِّجنِ أروِقَةُ المَلالَة
مَضَتِ اللَّيالي الخمسُ
أجهلَ بالمصيرِ من الجهالَة
فتحسَّسَ الفيلُ المهيضُ،
قواهُ، وابتدرَ العجالَه
وعَلا الجوادَ، وموَّجَ الصَّمصامَ،
واكتسحَ الضَّحالَة

(١) الثلايا: أحد المناضلين الشهداء.
(٢) صالة: قصر الإمام في تعز.

والشَّارعُ المَشْلولُ يزمُرُ،
للبطولةِ والسَّفالَهْ
وكما انتهى الشَّوطُ ابتدا
يُذكي الدَّمُ الغالي مجالَهْ
فيمدُّ عفريتُ الدُّخانِ
على أشِعَّتِهِ، ظِلالَهْ
ويخافُ أنْ يَلِدَ (الثُّلايا)
قبرهُ، ويرى احتمالَهْ
فتُعَسكِرُ الأشباح في
أهدابِ عينيه خيالَهْ
مَنْ ذا؟ وَيتَّهِمُ الصَّدى
وتدينُ يمناهُ شِمالَهْ
فانهارَ «شمشونٌ» وناءَ برأسِهِ، ووعى انحلالَهْ
واستنزفَ الفلكُ المُعطَّلُ
عن جناحيهِ البَطالَهْ
وانساقَ يَغزِلُ كُلَّ حينٍ
كوكباً، ويديرُها لَهْ
ويَشِبُّ نجماً، لم يَعُذْ
من نبضِهِ إلَّا ثُمالَهْ
وهنا تلفَّت موعدٌ
في أعينِ القِمَمِ المُشالَهْ

وتـدافـعَ الـزَّمـنُ الـكـسـيـحُ
عـلـى جـنـاحٍ مـن عُـلالَـهْ
وانـثـالَ كـالـرِّيـح الـعـجـولِ
يـلـوِّنُ الـفَـلَـكُ اشـتـعـالَـهْ
وتـسـاءلـت عـيـنـاهُ، مَـنْ ذا
هٰـهُـنَـا؟ فـرأى حِـيـالَـهْ
إشـراقـةَ (الـعُـلُـفـيِّ) إطـراقَ
(الـلُّـقـيّـةِ) وانـفـعـالَـهْ
فـرمـى عـلـى زنـديـهـمـا الـجُـلَّـى
وأعـبـاءَ الـرِّسـالَـهْ

* * *

وإلـى الـعـشـيِّ تـعـاقَـدا
واسـتـبـطـآ سـيـرَ الـثَّـوانـي
أَلساعةُ المكسالُ مثلُ الشَّعبِ، تجهلُ ما تُعاني
أيـكـونُ مُـسـتـشـفـى (الـحُـدَيـدة)
مـولـدَ الـفَـجـرِ الـيـمـانـي
وعـلـى امـتـدادِ الـيـوم ضـمَّـهُـمَـا
الـتَّـفَـرُّقُ والـتَّـدانـي
يـتـفـرَّقـانِ مِـنْ الـشُّـكـوكِ
ولـلـمُـنـى، يـتـلاقـيـانِ
يـتـخـوَّفـانِ فـيُـحـجـمـان
ويـذكُـران فـيـهـزآنِ

هل بُحتَ بالسِّرِّ المُخيفِ
إلى فُلانٍ أو فُلانِ؟

إنِّي أُحاذرُ مَنْ رأيتُ
على الطريقِ ومَنْ يراني

كَمْ طال عمرُ اليومِ، لِمْ
لا يختفي قبلَ الأوانِ؟

حتى ارتمى الشَّفقُ الغريبُ
على سريرٍ مِنْ دُخانِ

وكأنَّ هُدبيْ مقلتيْهِ
شاطِئانِ مُعلَّقانِ

نظرا إليهِ، يُفتِّشانِ
عن الصَّباحِ ويسألانِ

وكما أشارَ (الهندوانةُ)
أبدَيا بعضَ التَّواني

ومشى الثلاثةُ شارعيْنِ
مِنْ المشانقِ والأماني

ودعا النَّفيرُ، فسارَ (أحمدُ)
سيرَ مُتَّهمٍ مُدانِ

يرنو، أيلمحُ حُمْرَةً؟
كلاَّ، وتَلمعُ نجمتانِ

فيمورُ داخلَ شَخصِهِ
شخصٌ غريبُ الوجهِ ثاني

ويَعي ضمانَ مُنجَميهِ
فيستريحُ إلى الضَّمانِ

ودنا فماجَ البابُ وانهالَ
السُّكونُ على المكانِ

مِنْ أينَ نَبْغَتُهُ؟ ويمَّمْ
فجأةً، قِسْمَ الغواني

فتنادتِ الطَّلقاتُ فيهِ
كالزَّغاريدِ القواني

وانهدَّ قهَّارُ البنادقِ
كالجدارِ الأرجواني

أَتَرى حصادَ القبرِ يرجعُ
كالرَّضيعِ بلا لِبانِ

وعلى يقينِ الدَّفنِ ردَّ
بنبضتينْ مِنَ البَنانِ

فتطلَّعتْ مِنْ كُلِّ أُفقٍ
تسألُ الشُّهبَ الرَّواني

كيفَ انطفا الشهبُ (الثلاثةُ)
في ربيعِ العُنفوانِ

وتراجعَ (الباهوتُ) يحرقُ
بالمواجعِ وهو فاني

يحيا ولا يحيا يموتُ
ولا يموتُ بكُلِّ آنِ

فتبرَّجَتْ مأساةُ (واق الواق)[1]
تُغدِقُ كالجنتانِ

وتجولُ تظفرُ مِنْ ذوائِبها
غروباً مِنْ أغاني

وتهزُّ نَهديْهَا اعتلاجاتُ
المَحَبَّةِ والحنانِ

فاخضرَّ عامٌ بالمواعدِ
واحتمالاتِ العِيانِ

وأهلَّ عامٌ عَسجَدِيُّ اللَّمحِ
صخريُّ اللِّسانِ

فرمى إلى حَلقِ التُّرابِ
بقيَّةَ البَطلِ الجَبَانِ

وهنا ابتدا فصلٌ تروَّى
فيهِ إبداعُ الزمانِ

* * *

ماذا هُنا؟ (سبتمبرٌ)
أشواقُ آلافِ اللَّيالي

حُرَقُ العصافيرِ الجيا
ع إلى البيادرِ والغِلالِ

بثُّ المسَامِرَ والرؤى العطشى وأخيلةَ الخيالِ

(١) مأساة واق الواق: رواية ثورية للأستاذ الزبيري دعا فيها إلى الثورة والجمهورية.

خفقُ النوافذِ وارتجا
فاتُ الرِّياح على التِّلالِ
وتطلُّعُ الوادي وأسئـ
ـلةُ النُّجومِ إلى الجبالِ
وتلهُّفُ الكأس الطر
يحِ إلى انهدالاتِ الدَّوالي
كان احتراقاتِ الإجا
بةِ وابتهالاتِ السُّؤالِ
وتلفّت الآتي، إلى
آثارِ أقدامِ الأوَالي
عشرينَ عاماً قُلَّباً
حَبِلَت بِهَا أُمُّ النِّضالِ
نسجَتْهُ مِنْ شَفَقِ المقا
صلِ والجراحاتِ الغَوالي
حتى أطلَّ على عُقا
بٍ مِنْ أساطيرِ المُحالِ
في كُلِّ ريشةِ جانحٍ
مِنْهُ (أبو زيدِ الهِلالي)
في النَّفخةِ الأولى رمى
بالعرشِ أغوارَ الزَّوالِ
وأمالَ زوبعةَ الرِّمالِ
إلى سراديبِ الرِّمالِ

يُعطي المواسمَ والمَحَبَّةَ
باليمينِ وبالشِّمالِ
أنّى مشى، أجنى (الوليد)
من المُنى وأجدَّ بالي
موجٌ سماويُّ النَّضارة
شاطئاهُ من اللآلي
ماذا هُنا! (سبتمبرٌ)
أتقولُ لي، أجلى المجالي
شيءٌ وراءَ تَصَوُّرِ
الدُّنيا وأبعادِ الجمالِ
فوقَ احتمالاتِ الرَّجاءِ
وفوقَ إخصابِ النَّوالِ

* * *

أتقولُ لي؟ وهل انتهى
في جُنَّةِ الأمسِ النُّزوعُ؟
شاءَ الرُّجوعَ وسلَّحَتهُ البِيدُ، فانتحرَ الرُّجوعُ
وزَوَتهُ حُفرتُهُ وأطبقَ فوقَ مرقدِه الهُجوعُ
وعَلا الدُّخانُ أزقَّةَ البترولِ، فانتبه الصَّريعُ
واهتاجَ ثانيةً فمَدَّ
زنودَهُ (النيلُ) الضَّليعُ
وأحاطتِ الخضراءَ مِنْ
أقوى سواعدِهِ دُروعُ
وارتدَّ ظِلُّ الأمسِ والتحمَ التَّوقُّعُ والوقوعُ

فتنادتِ النِّيرانُ والتقتِ المَصَارعُ والجُموعُ
وانجرَّ عامان نجومهُمَا وشمسهُمَا النَّجيعُ
فبِكُلِّ رابيةٍ إلى
لحمِ ابنها ظمأٌ وجوعُ
وبِكُلِّ مُنعرجٍ إلى
تمزيقِ إخوتِهِ وُلوعُ
فهُنالكَ انقصفت يدا
ن وثَمَّةَ انتثرت ضُلوعُ
وهناكَ خرَّت قِمَّةٌ
وهُنا هوى تلٌّ مَنيعُ
فلكُلِّ شبرٍ مِنْ دمِ الشُّهداءِ، تاريخٌ يَضوعُ
أرأيتَ حيثُ تساقطوا
كيفَ أزدهى النَّصرُ المُريعُ
حيثُ اغتلى الوادي ولفَّ
(عَلِيّاً)[1] الصَّمتُ الجَزُوعُ
رَضِعَ الدُّجى دمَهُ فأشمسَ
قبلَ أن يَعِدَ الطُّلوعُ
حيثُ التقى (الحمزيَّ) ذا
بَ الغيمُ واحترقَ الصَّقيعُ
حيث انطفا (سندٌ) تدلَّتْ أنجمٌ، وعَلَتْ شُموعُ

(١) علي عبد المغني أول شهيد في معارك الثورة على الحدود.

حيث ارتمى (الكبسيُّ) أو
رَقَ منجمٌ، وشدا ربيعُ

وأعادتِ الأحداثُ
سيرَتَها فأرعدَتِ الرُّبُوعُ

وتعطَّشَ الميدانُ فانفجر
الضُّحى ودرى الهزِيعُ

ومشَتَ على دَمِهَا الذِّئا
بُ وغاصَ في دمِهِ القطيعُ

حتى توارى الأمسُ
زغرَدَتِ المآتمُ والدُّموعُ

وهَفَتْ أغانيها، تَضِجُّ
(ليسلَمَ الشَّرفُ الرَّفيعُ)

وتبوحُ للنَّصرِ انطلِقْ
فمجالُكَ الأبدُ اللَّموعُ

ولمُرضعي (سبتمبرٍ)
دَمَهم، لقد شبَّ الرَّضيعُ

* * *

أتظُنُّ رابيةً تتوقُ
إلى دِمٍ أغلى يسيلُ؟

أوَ مَا ارتوى عَطَشُ الرِّما
لِ وأتخِمَ العَدَمُ الأكولُ؟

يا للأسى، كيفَ استطبَّ
مماتَهُ (اليمنُ) العليلُ

ورنـــا الـــسـؤالُ إلـــى الـــسـؤا
لِ وبـــغـــتـــةً وَجـــمَ الـــسَّـــؤولُ

ماذا اسْتَجدَّ فباحتِ الأصداءُ، وارتجفَ الذُّهولُ
لـــبَّـــى الـــدَّمَ الـــغـــالـــي دمٌ
أغـــلـــى إلـــى الـــدَّاعـــي عَـــجُـــولُ

مَـــنْ مـــاتَ؟ واَسْـــتَـــخـــيـــا الـــسـؤا
لُ وأطـــرقَ الـــرَّدُّ الـــخـــجـــولُ

أهُنَا (الزبيريُّ) المُضرَّجُ؟ بَلْ هُنَا شعبٌ قتيلُ
وأعـــادتِ الـــقِـــمَـــمُ الـــحـــكـــا
يـــةَ واســـتـــعـــادتْـــهـــا الـــسُّـــهـــولُ

مـــن ذا انـــطـــوى؟ عـــلَـــمٌ
خـــيـــوطُ نـــســـيـــجِـــه الألـــمُ الـــبـــتـــولُ

في كُلِّ خَفقٍ مِنهُ (جبريلٌ) وفي فَمِهِ رَسُولُ
بـــدأ الـــرَّعـــيـــلُ بـــهِ الـــسُّـــرى
فـــكـــبـــا وســـارَ بـــهِ رَعـــيـــلُ

وخـــبـــا وراءَ حـــنـــيـــنِـــهِ
جـــيـــلٌ، وأشـــرقَ فـــيـــهِ جِـــيـــلُ

وعـــلـــى الـــحـــرابِ أتـــمَّ أشـــواطـــاً
، مَـــداهـــا الـــمُـــســـتـــحـــيـــلُ

وعـــلـــى ســـنـــى مـــيـــلادِهِ الـــثَّـــا
نـــي تـــكـــاتـــفـــتِ الـــفُـــلـــولُ

لفَظَ البِلى غُربان (واقِ الواقِ) وانثنتِ (المَغولُ)

فاحتزَّ رحلتَهُ الرَّصا
صُ النَّذلُ والطِّينُ العَميلْ

فغفا وصِدْقُ الفجرِ في
نظراتِهِ سَحَرٌ بليلُ

أتقولُ عاجلَهُ الأفولُ؟
فكيفَ أشعَلَهُ الأفولُ؟

فعلى الجبالِ مِنَ اسمه
شُعَلٌ مُجنَّحةٌ تَجولُ

وصدَى تعنقِدُهُ الرُّبى
وهوَى تُسَنبِلُهُ الحقولُ

وبِكُلِّ مرمى ناظرٍ
مِنْ لَمْحِهِ صَحْوٌ غَسيلُ

كيف انتهى ولخطوِهِ
في كُلِّ ثانيةٍ هَدِيلُ

هو في النَّهارِ الذِّكريا
تُ وفي الدُّجى الحُلْمُ الكحيلُ

وهُنا ضُحًى مِنْ جُرحِهِ
وهُناك من دمِهِ أصيلُ

غربَ الشَّهيدُ وبينَهُ
والمُنتهى الموعودِ (مِيلُ)

مَنْ ذا يَكِرُّ إلى مَدَاهُ؟
وقد خَلا مِنْهُ السَّبيلُ

فلْيبتهِجْ دَمُهُ إلى
أبعادِ غايتهِ وصولُ

أَوَ مَا رأى الشهداءَ كيفَ؟
اخضوضرتْ بِهِمُ الفصولُ

فرشوا (السَّعِيدةَ) بالرَّبيع
ليهنَأَ الصَّيفُ البَذولُ

ومَضَوْا لوِجْهَتِهِمْ ويبقى الخِصبُ إن مَضَتِ السُّيولُ

❁ ❁ ❁

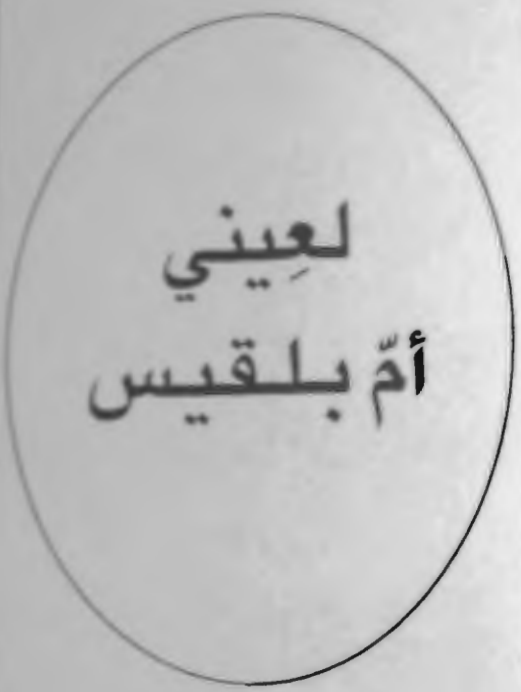
لعِيني
أمّ بلقيس

أنسى أن أموت

تمتصُّني أمواجُ هذا اللَّيلِ في شَرهٍ صَموتْ
وتُعيدُ ما بدأتْ . . وتَنوي أن تفوتَ و لاتفوتْ
فتُثيرُ أوجاعي وتُزغمني على وجَعِ السُّكوتْ
وتقولُ لي : مُتْ أيها الذَّاوي . . . فأنسى أن أموتْ

* * *

لكنَّ في صَدري دُجَى الموتى وأحزانُ البيوتْ
ونشيجُ أيتامٍ . . . بلا مأوى . . . بلا ماءٍ وقوتْ
وكآبةُ الغَيمِ الشِّتائي وارتجافُ العنكبوتْ
وأسًى بلا اسمٍ . . . واختناقاتٌ بلا اسمٍ أو نعوتْ

* * *

مَنْ ذا هنا؟ غير ازدحامِ الطينِ يهمسُ أو يصوتْ
غيرُ الفراغِ المُنحني . . . يذوي . . . يُصِرُّ على الثُّبوتْ
ودمُ الخُطى والأعينُ الملأى بأشلاءِ الكبوتْ

* * *

مَنْ ذا هنا؟ غيرُ الأسامي الصُّفر تصرُخُ في خُفوتْ
غيرُ انهيارِ الآدميَّةِ وارتفاعُ (البنكنوتْ)
وَحدي ألوكُ صدى الرياحِ وأرتدي عُرْيَ الخبوتْ

القاهرة ١٩٧١م

صنعاء
والموت والميلاد

وُلِدَتْ صنعاءُ بسبتمبرْ
كي تلقى الموتَ بنوفمبرْ
لكنْ كي تولدَ ثانيةً
في مايو. . . أو في أكتوبرْ
في أوّلِ كانونَ الثاني
أو في الثاني من ديسَمبرْ
ما دامتْ هَجعتُها حُبلى
فولادتُها لنْ تتأخرْ
رُغمَ الغثيانِ تَحِنُّ إلى:
أوجاعِ الطَّلقِ ولا تَضجرْ

* * *

ويُنبي عنْ مولِدها الآتي
شفقٌ دامٍ فَجْرٌ أشقرْ
ميعادٌ كالثَّلجِ الغافي
وطيوفٌ كالمطرِ الأحمرْ
أشلاءٌ تخفقُ كالذِّكرى
وتنامُ لتحلُمَ بالمحشرْ

ورمـــادُ نـــهـــارٍ صـــيـــفـــيٍّ
ودخـــانٌ كـــالـــحُـــلـــمِ الأسْـــمَـــرْ
ونـــــداءٌ خـــلـــفَ نـــداءاتٍ
لا تـــنـــسَ (عـــبـــلـــةَ) يـــا (عـــنـــتـــرْ)
أســـمـــاءٌ لا أخـــطـــارَ لـــهـــا
تُـــنـــبـــي عَـــن أســـمـــاءٍ أخْـــطَـــرْ

* * *

هـــل تَـــدري صـــنـــعـــاءُ الـــصَّـــرعـــى
كـــيـــف انـــطـــفـــأتْ؟ ومـــتـــى تُـــنـــشـــرُ
كـــالـــمُـــشـــمـــشِ مـــاتَـــتْ واقـــفـــةً
لـــتُـــعِـــدَّ الـــمـــيـــلادَ الأخـــضـــرْ
تـــنـــدى وتَـــجِـــفُّ لـــكـــي تَـــنـــدى
وتـــرِفُّ تَـــرِفُّ لـــكـــي تَـــضـــفَـــرْ
وتـــمـــوتُ بـــيـــومٍ مـــشـــهـــورِ
كـــي تُـــولَـــدَ فـــي يـــومٍ أشـــهـــرْ
تَـــرمـــي أوراقـــاً مَـــيِّـــتـــةً
وتُـــلـــوِّحُ بـــالـــورقِ الأنْـــضَـــرْ
وتَـــظـــلُّ تـــمـــوتُ لـــكـــي تَـــحـــيـــا
وتـــمـــوتُ لـــكـــي تـــحـــيـــا أكـــثـــرْ

أبريل ١٩٧٠م

❁ ❁ ❁

من منفى
إلى منفى

بـــلادي مـــن يَـــدَيْ طـــاغٍ
إلـــى أطْـــغـــى إلـــى أجـــفـــى
ومـــن ســـجـــنٍ إلـــى ســـجـــنِ
و مـــن مـــنـــفـــى إلـــى مـــنـــفـــى
ومـــن مُـــســـتـــعـــمـــرِ بـــادٍ
إلـــى مُـــســـتـــعـــمـــرِ أخْـــفـــى
ومـــن وحـــشٍ إلـــى وحـــشـــيْـــن
وهـــي الـــنَّـــاقـــةُ الـــعَـــجْـــفـــا

* * *

بـــلادي فـــي كـــهـــوفِ الـــمـــوتِ
لا تَـــفـــنـــى ولا تَـــشْـــفـــى
تُـــنـــقِّـــرُ فـــي الـــقـــبـــورِ الـــخُـــرسِ
عـــن مـــيـــلادِهـــا الأصـــفـــى
وعـــن وعـــدِ ربـــيـــعـــيٍّ
وراءَ عُـــيـــونِـــهـــا أغْـــفـــى
عـــن الـــحـــلـــمِ الـــذي يـــأتـــي
عـــن الـــطَّـــيـــفِ الـــذي اســـتـــخـــفـــى

فتمضي من دُجًى ضافٍ
إلى أدجى.. إلى أضفى

بلادي في ديارِ الغيرِ
أو في دارِهَا لَهْفى

وحتى في أراضِيها
تُقاسي غُربةَ المَنفى

نوفمبر ١٩٧١م

❁ ❁ ❁

(إلاَّ أنا وبلادي)

تسليـاتي كمُوجعاتي، وزادي
مثلُ جوعي، وهَجعتي كسُهادي
وكؤوسي مريرةٌ مثلُ صَحوي
واجتماعي بإخوتي كانفرادي
والصداقاتُ كالعداواتِ تؤذي
فسواءٌ من تَصطفي أو تُعادي
إنَّ داري كغُربتي في المنافي
واحتراقي كذكرياتِ رمادي
يا بلادي! التي يقولونَ عنها:
منكِ ناري ولي دخانُ اتِّقادي
ذاكَ حظِّي لأن أُمي (سعودٌ)[1]
وأبي (مُرشدٌ) وخالي (قمادي)[2]
أو لأنِّي دفعتُ عن طهرِ أُختي
وبناتي مكرَ الذِّئابِ العَوادي

(١) (سعود) اسم نسائي في الريف اليمني.
(٢) (قمادي) عائلة يمنية كبيرة توارثت الفقر.

أو لأنّـي زَعَـمْـتُ أنَّ لـديـهـم
لي حقوقاً من قبل حقّ (ابنِ هادي)[1]

* * *

يـا بـلادي هـذي الـرُّبـى والـسـواقـي
فـي ضـلـوعـي تـنـهُّـداتٌ شَـوادي

إنَّـمـا مَـنْ أنـا ولـيـسَ بـكَـفّـي
مـدفـعٌ والـتـرابُ بـعـضُ امـتـدادي!

رُبَّـمـا كـنـتُ فـارِسـاً لـسـتُ أدري
قـبـلَ بـدءِ الـمَـجـالِ مـاتَ جَـوادي

* * *

أَلـعـصـافـيـرُ فـي عُـروقـي جـيـاعٌ
والـدَّوالـي والـقـمـحُ فـي كُـلِّ وادي

فـي حـقـولـي مـا فـي سِـواهـا ولـكـن
بـاعـتِ الأرضَ فـي شـراءِ الـسَّـمـادِ

* * *

يـا نـدى... يـا حـنـانَ أُمِّ الـدَّوالـي:
وبِـرُغـمـي يـجـيـبُ مـن لا أنـادي!!

هـذه كـلُّـهـا بـلادي... وفـيـهـا
كـلُّ شـيءٍ... إلّا أنـا وبـلادي!!

ديسمبر ١٩٦٩م

❁❁❁

(١) (حق بن هادي) مصطلح للرشوة.

صنعاء
والحلم والزَّمان

صنعاءُ يا أُختَ القبورِ
ثُوري فإنَّكِ لمْ تَثُوري

حاولتِ أن تتقيَّئِي
في ليلةٍ عَفَنَ العُصورِ

وأردتِ قبلَ وسائلِ البُنيانِ
تشييدَ القُصورِ

ونَويتِ في تشرينَ أنْ
تَلدي أعاجيبَ الزُّهورِ

* * *

فدهاكِ غَزوٌ مِثلما
يَحكُونَ عن يومِ النُّشورِ

أيدٍ كأيدي الأخطبوط
وأوجهٌ مثلُ الصُّخورِ

فتساقطتْ شُرفاتُكِ النَّعسى
كأعشاشِ الطُّيورِ

وانصبَّ إرهابُ المَغولِ
من البُكورِ إلى البُكورِ

وامتدَّ من بابٍ إلى
بابٍ كغاباتِ النُّمورِ
حتى رَأى «نُقمٌ»[1] ذُراكِ
تَخِرُّ داميةَ الظُّهورِ
ورأى قلوبكِ في الضُّحى
الأعمى تَفِرُّ من الصُّدورِ
ورأى خمائلكِ الظَّليلةَ
يرتجِلنَ مِنْ الجُذورِ
هَرَبَ الجِدارُ من الجِدارِ
هَوَى النُّفورُ على النُّفورِ

* * *

صنعاءُ مِنْ أينَ الطَّريقُ
إلى الرُّجوعِ أو العُبورِ
ماذا تَرينَ أتسبحينَ؟
أتَعبُرينَ بلا جُسورِ؟
هل تُسفرينَ على الشُّروقِ؟
أتخجَلينَ من السُّفورِ؟
أتُزاحمينَ العالمَ المجنونَ؟
يا بنتَ الخُدُورِ
شهرٌ، وعُذتِ كما أتيتِ
بلا مكانٍ أو شُهورِ

(١) (نقم) جبل مطل على صنعاء من الجهة الشرقية.

تتنهَّدينَ بلا أسَى
أو تَضْحكينَ بلا سُرورِ

* * *

صنعاءُ ماذا تشتهين؟
أتهدئينَ لكي تَموري
تتوهَّجينَ ولا تَعينَ
وتنطَفينَ بلا شُعورِ
كَمْ تحملينَ ولا ترينَ
وتعتبينَ على الدُّهورِ
ما زالَ يخذِلُكِ الزَّمانُ
فتبزُغينَ لكي تَغوري
يا شمسَ صنعاء الكسولَ
أما بَدا لكِ أن تَدوري

يوليو ١٩٧٠م

بلادٌ في المَنفى

لأنَّ بـــلَادي الـــحـــبـــيـــبـــة
فـــي مُـــرتَـــبَـــاهـــا غـــريـــبـــة
لأنـــهـــا وهـــي مَـــلأى
بـالـخـصـبِ... غـيـرُ خـصـيـبـة
لأنَّـــهـــا وهـــي حُـــبـــلـــى
بـــالـــرَّيِّ عَـــطْـــشـــى جَـــديـــبـــة

* * *

جـــاعَـــتْ ومَـــدَّتْ يـــديْـــهـــا
إلـــى الأكُـــفِّ الـــمُـــريـــبـــة
ثُـــمَّ ارتَـــمَـــتْ كـــعَـــجـــوزٍ
مِـــنْ قـــبـــلِ بـــدءِ الـــشَّـــبـــيـــبـــة
تـــنـــســـى الـــمـــصـــيـــرَ ويـــأتـــي
مـــصـــيـــرُهـــا فـــي حَـــقـــيـــبـــة
لأنَّ دارَ أبـــيـــهـــا
لـــهـــا مَـــنـــافِ رهـــيـــبـــة

❁ ❁ ❁

عيِّنةٌ
جديدة مِنْ الحُزن

مثلما تعصرُ نهديْها السَّحابَهْ
تُمطرُ الجُدرانُ صمتاً وكآبَهْ
يسقطُ الظِّلُّ على الظِّلِّ كما
تَرتمي فوق السآماتِ الذُّبابَهْ
يمضغُ السَّقْفُ وأحداقُ الكُوى
لَغطاً ميتاً وأصداءً مُصابَهْ
مِزقاً من ذكرياتٍ وهوًى
وكؤوساً مِن جِراحاتٍ مُذابَهْ

* * *

تبحثُ الأحزانُ في الأحزانِ عن
وترٍ باكٍ وعن حَلْقٍ ربابَهْ
عَن نُعاسٍ يملكُ الأحلامَ عن
شجَنٍ أعمقَ من تيهِ الضَّبابَهْ
تسعلُ الأشجارُ تحسو ظلَّها
تجمدُ الساعاتُ من بردِ الرتابَهْ
هٰهُنا الحُزنُ على عادتِهِ...
فلماذا اليومَ للحُزنِ غرابَهْ؟

ينزوي كالبومِ يهمي كالدُّبى
يرتخي، يمتدُّ، يزدادُ رحابَهْ

يلبسُ الأجفانَ، يمتصُّ الرُّؤى
يمتطي للعنفِ أسرابَ الدُعابَهْ

يلتوي مثلَ الأفاعي، يغتلي
كالمُدى العطشى ويسطو كالعصابَهْ

يرتدي زِيَّ المُرائي... ينكفي
عارياً كالصَّخرِ شوكيَّ الصَّلابَهْ

* * *

وبلا حِسٍّ يُغنِّي وبلا
سببٍ يبكي ويَستَبكي الخَطابَهْ

يكتبُ الأقدارَ في ثانيةٍ
ثُمَّ في ثانيةٍ يمحو الكتابَهْ

للثَّواني اليومَ أيدٍ وفمٌ
مثلما تَعدو على المذعورِ غابَهْ

وعيونٌ تغزلُ اللَّمحَ كما
تغزلُ الأشباحَ أنقاضُ الخرابَهْ

مَنْ يُنسِّينا مراراتِ العِدى؟
مَنْ يقوِّينا على حملِ الصَّحابَهْ؟

من يُعيدُ الشَّجوَ للأحزانِ؟ مَنْ
يمنحُ التَّسهيدَ أوجاعَ الصَّبابَهْ؟

مـــن يـــردُّ الـــلَّـــونَ لـــلألـــوانِ؟ مَـــنْ
يـهـبُ الأكـفـانَ شـيـئـاً مـن خـلابَـهْ

* * *

كـــانَ لـــلـــمـــألـــوفِ لـــونٌ وشـــذًى
كـانَ لـلـمـجـهـولِ شـوقٌ ومَـهـابَـهْ!
مَـنْ هُـنـا. . . ؟ أسـئـلـةٌ مـن قـبـلِ أَنْ
تَـــبـــتـــدي غـــرابـــاتُ الإجـــابَـــهْ

فبراير ١٩٧٣م

في بيتِها العَريق

مَـنْ؟.. قـلـتُ: أنـا يـا غَـزُولَـهْ
.. أهـلاً بـحـروفٍ مَـشـلـولـهْ
أهـلاً...! فـي لـهـجـةِ قـاتـلـةٍ
تـخـشـى أنْ تُـمـسِـيَ مـقـتـولَـه
مـاذا تَـخـشـيْـنَ؟.. ألـيـسـت لـي
بـالـدَّارِ صِـلاتٌ مَـوصـولَـهْ؟!
أَوَلـسـتُ صـديـقـاً تـعـرفُـنـي
هٰـذي الـحُـجُـراتُ الـمَـمْـلـولَـهْ!؟

* * *

هـذا الـدِّهـلـيـزُ الـمُـسْـتَـلـقـي
هٰـذي الـجُـدرانُ الـمَـصـقـولَـهْ...

* * *

إصـعـذ... لٰـكـن هـلِ فـي فَـمِـهـا
أُخـرى؟.. أو أُذنـي مَـخـلـولَـهْ؟
وصـعـدتُ كـمـجـهـولِ قـلـقٍ
يـجـتـازُ شِـعـابـاً مـجـهـولَـهْ!
ومـعـي صَـعَـدَتْ... كـانـت تـبـدو
جَـذْلَـى بـالـحـسـرةِ مَـكـحـولَـهْ!

كمؤَمَّرةٍ... من تحكُمُهُمْ...
ماتوا، أو باتَتْ مَعزولَهْ

في نصفِ العُمرِ بعينيْها
أجيالُ وعودٍ مَمْطولَهْ

وشظايا معركةٍ بدأتْ
نصراً وارتدَّتْ مَخذولَهْ

* * *

شرَّفتَ، وزادتْ ترحيباً
كزواقِ عروسٍ معلولَهْ

عندي ضيفٌ ومددتُ يَدي
لِبَنانٍ كَسْلى مقفولَهْ

أهلاً، فأجابَ كمن يُلقي
أعذاراً ليسَتْ مقبولَهْ

* * *

إجلسْ، قالَتْهَا واقتربتْ
تروي أخباراً مَعقولَهْ

عندي الجاراتُ.. وزوجُ (هدى)
وطبيبٌ.. إنِّي مَنزولَهْ

وهنا أنتزَعَتْني قهقهةٌ
وصَدى نحنحةٍ مَغلولَهْ

فسمعتُ من الغُرفِ الأُخرى
أنفاسَ حنايا متبولَهْ

بـوْحـاً كـالـحـبَـلِ الـمُـسـتـرخـي
تـحـتَ الأثـوابِ الـمـبـلـولَـة
نـبـراتُ نـداءٍ وجـوابٍ
كـلُـهـاثِ عـجـوزٍ مَـسـعـولَـة
ضـحـكـاتُ ذئـابٍ جـائـعـةٍ
هـمـسـاتُ نِـعـاجٍ مـأكـولَـة
هـل هـذا الـبـيـتُ بـعـزَّتِـهِ
أمـسـى أحـضـانـاً مـبـذولَـة؟
بـيـتٌ خـدَّاعٌ . ربَّـتُـهُ
مـن زيـفِ الـدَّعـوى مـجـبـولَـة
أيـكـونُ الـخَـلُّ سِـوى خَـلّ . . .
حـتـى فـي الـكـأسِ الـمَـعـسـولَـة
لٰـكـنْ . . . مـا بـالُ الـضَّـيـفِ يـرى
وَجـهـي بـلـحـاظِ مَـذهـولَـة

* * *

مـا جِـئـتُ أفُـتِّـشُ عَـنْ عَـبَـثٍ
أو عَـنْ لـحَـظـاتٍ مـسـلـولَـة
مـا جـئـتُ لِأنـزِلَ مـنـطـقـةً
بـنـعـوشِ سُـكـارى مـأهـولَـة
قـولـي لـي أنـتَ . بـلا ذوقٍ
فـلـتـذهـبْ . . . إنِّـي مَـشـغـولَـة

* * *

مـا جـئـتُ إلـيـكِ عـلـى أمـلِ
أسـفـاري لـيـسـتْ مـأمـولَـة
لـكـنِّـي جـئـتُ بـلا سـبـبٍ
رُدِّيـنـي. لـسـتِ الـمـسـؤولَـة
ورجـعـتُ كـمـا أقـبـلـتُ بـلا
هـدفٍ كـالـرِّيـحِ الـمـخـبـولَـة

يوليو ١٩٧٠م

❁ ❁ ❁

لعينيْ أم بلقيس

لـهـا أغْـلـى حَـبـيـبـاتـي
بـدايـاتـي... وغـايـاتـي
لـهـا غَـزوي وإرهـاقـي
لـهـا أزهـى فُـتـوحـاتـي
وأسـفـاري إلـى الـمـاضـي
وإبـحـاري إلـى الآتـي
لعـيـنـيْ (أمِّ بـلـقـيـسِ)
فُـتـوحـاتـي ورايـاتـي
وأنـقـاضـي وأجـنـحـتـي
وأقـمـاري وغَـيـمـاتـي
لـهـا تـلـويـحُ تَـوديـعـي
لـهـا أشـواقُ أوبـاتـي
أُشـرِّقُ وهـي قُـدَّامـي
أُغـرِّبُ وهـي مـرآتـي
إلـيـهـا يـنـتـهـي رُوحـي
ومـنـهـا تـبـتـدي ذاتـي

* * *

أُغنِّي... وهي أنفاسي
وأسكتُ وهي إنصاتي

وأظمأ... وهي إحراقي
وأحسُو... وهي كاساتي

أموتُ وحُبُّها موتي
وأحيا وهي مأساتي

* * *

تُروِّيني لظًى وهوًى
وأشدُو ظامئاً: هاتي

فتُقصيني كعادتِهَا
وأتبعها كعاداتي

وأغزلُ مِنْ روايحها
مجاديفي ومَرساتي

هُنَا وهُناكَ مولاتي
وأسألُ: أينَ مولاتي؟

* * *

أنا فيها وأحملها
عَلى أكتافِ آهاتي

على أشواقِ أشواقي
على ذرَّاتِ ذرَّاتي

وأذوي... وهي تحمِلُني
فتنمو في جراحاتي

وأسـألُ : أيـنَ ألـقـاهـا؟
فـتُـغـلـي فـي صَـبـابـاتـي
وتَـرنُـو مـن أسـى هـمـسـي
ومِـنْ أحـزانِ أوقـاتـي
ومِـنْ صَـمـتـي كـتـمـثـالِ
أُشَـكِّـلُ وجـهَ نـحَّـاتـي
وتـبـدو مِـنْ شـذى غَـزَلـي
ومِـنْ ضـحـكـاتِ حُـلـواتـي
ومِـنْ نـظـراتِ جـيـرانـي
ومـن لـفـتـاتِ جـاراتـي
ومِـنْ أسـمـارِ أجـدادي
ومِـنْ هـذَيـانِ جَـدَّاتـي
ومِـنْ أحـلامِ أطـفـالـي
ومِـنْ أطـيـافِ أمـواتـي

* * *

هُـنـا مـيـلادُ غـالـيـتـي
هـنـا تـاريـخُـهـا الـعـاتـي

* * *

هُـنـا تـمـتـدُّ عـاريـةً
وراءَ الـغَـيْـهَـبِ الـشَّـاتـي
تَـجِـنُّ إلـى الـغَـدِ الأهـنـى
فـيـمـضـي قـبـلَ أن يـاتـي

١٥/ نوفمبر / ١٩٧٢م

امرأةٌ وشاعِر

أتُسائلينَ مَنْ التي
آثرتُ . . . أو أينَ اشتياقي؟
وتردِّدينَ ألستَ مَنْ
أبدعتَ صَحوي وائتلاقي؟
شُطآنُ عينَيَّ . . . اخضرارُ
مواسمي . . . دِفئي . . . مذاقي
بستانُ وجهي . . أمسياتُ
جَدائلي . . . ضحواتُ ساقي

* * *

سَمَّيْتَني وهجَ الضُحى
قمراً يَجِلُّ على المَحاقِ
بوحُ الزنابِقِ والورودِ
إلى النُسيماتِ الرِّقاقِ
أنسيْتَني بشريَّتي
ونسيتَ بالأرضِ التصاقي . . ؟
وذهبتَ يا أغلى مَرايا
الحُسنِ . . . أو أحلى نِفاقِ

أتُعودُ لي... تبكي غُروبي؟
أو تُغنّي لا نبتاقي؟

* * *

لن تَعدمي غيري ولَنْ
تلقيْ كصِدقي واختلاقي

قَدْ كُنتُ موثوقاً إليكِ...
مَنْ التي قَطَعتْ وِثاقي؟

لمَّا وَجَدْتُ القُربَ منكِ
أمرَّ مِنْ سهَرِ الفِراقِ

آثرتُ حُزنَ البُعدِ عنكِ
على مراراتِ التَّلاقي

* * *

وبدونِ توديعٍ ذهبتُ
كما أتيتُ بلا اتِّفاقِ

ونسيتُ بيتَكِ والطَّريقَ
... نَسيتُ رائحةَ الزُّقاقِ

لَمْ أدرِ مِنْ أينَ انطلَقتُ
... ومَنْ لقِيتُ لدى انطلاقي

إنسقتُ... لا أدري الطَّريقَ
ولا الطَّريقُ يعي انسياقي

حتى المصابيحُ التي
حولي تُعاني كاختناقي

كـــانَ الـــلـــقـــاءُ بـــلا وجـــوهٍ
والـــفِـــراقُ بـــلا مـــآقـــي

فـلـتـتـركـيـنـي لـلـنَّـوى
أظـمـا وأمـتـصُّ احـتـراقـي

وبـــرغـــمِ هـــذا الـــجـــدبِ لـــن
أَأَسَـى عـلـى الـخَـلِّ الـمُـراقِ

* * *

لـكـنْ لـمـاذا تـسـألـيـن؟
بـمـن أهـيـمُ... ومَـنْ أُلاقـي؟

فـلـتـسـتـريـحـي إنَّـنـي
وحـدي، وأحـزانـي رِفـاقـي

كـالـسِّـنـدبـادِ بـلا بـحـارٍ
كـالـغـديـرِ بـلا سـواقـي

ورجـــايَ ألَّا تَـيـسـألـي
هـل مِـتَّ... أو مـازِلـتَ بـاقـي؟

١٩٧١م

مدينةٌ بلا وجه

أتدرين يا صنعاءُ ماذا الذي يجري
تموتين في شعبٍ يموت ولا يدري..
تموتينَ.. لكِنْ كلَّ يومٍ وبعدما
تموتينَ تستحينَ مِنْ مَوتكِ المُزري
ويمتصُّكِ الطَّاعونُ لا تسألينَهُ
إلى كَمْ؟ فيستحلي المقامَ ويستشري
تموتينَ... لكن في تَرَقُّبِ مَولدٍ
فتَنسينَ أو ينساكِ ميعادُهُ المُغري

* * *

فهلْ تبحثينَ اليومَ عن وجهكِ الذي
فَقَدْتِهِ أو عن وَجْهكِ الآخر العَصري
إلى أينَ هل تدرينَ مِنْ أينَ..؟ رُبَّما
طَلَعْتِ بلا وجهٍ وغِبتِ بلا ظهرِ؟
تسيرين مِنْ قبرٍ لقبرٍ لتبحثي
وراءَ سُكونِ الدَّفنِ عن ضجَّةِ الحَشرِ
أتستنشقينَ الفجرَ في ظلمةٍ بلا
هدوءٍ.. بلا نجمٍ.. يدلُّ على الفجرِ؟

* * *

خبا كلُّ شيءٍ فيكِ لا تسأليـنَهُ
لماذا..؟ ألا يعنيكِ شيءٌ مِن الأمرِ
وحتى الرَّوابي فيكِ باعَتْ جِباهَهَا
وما عرفَتْ ماذا تبيعُ وما تَشري..!
وحتى عَشايا الصَّيفِ فيكِ بلا رؤًى
وحتى أزاهيرُ الرَّبيعِ بلا عطرِ
وحتى الدَّوالي فيكِ ضاعَ مَصيفُها
وحتى السَّواقي ضيَّعت مَنْبَعَ النَّهرِ
وحتى أغاني الحُبِّ مات حنينُها
وحتى عيونُ الشِّعرِ فيكِ بلا شِعرِ
أتدرينَ أنَّ الشَّمسَ فوقَكِ لا ترى
وأنَّ لياليكِ المريضاتِ لا تسري
سُدًى تَنشُدينَ الفجرَ في أيِّ مَطلعِ
وفي ناظريْكِ الفجرُ أو ليلةُ القدرِ

يناير ١٩٧١م

صبوة

دكتورةُ الأطفالِ إنّي هُنا
مِنْ يومِ ميلادي بلا مُرضعَهْ
عندي عصافيرُ الهوى تجتدي
حنانَ هٰذي الكَرمةِ الطَّيِّعَهْ
وربما استكْذَبْتِني إنَّما
من أينَ لي... أن أُحرِقَ الأقنعَهْ
تَرينني كهلاً وفي داخلي:
من التَّصابي صِبيةٌ أَربعَهْ
مجاعَةُ الخمسينَ في أَضْلُعي
طفولةٌ أعتى مِنْ الزَّوبعَهْ
خلفَ اتِّزاني مائجٌ صاخبٌ
سفينةٌ ناريَّةُ الأشرِعَهْ

* * *

دكتورةُ الأطفالِ لا تبعُدي
عنّي وعن مأساتيَ الموجعَهْ
لقد زرعتُ الحُبَّ... لكنني
ما ذُقتُ إلا حنظلَ المزرعَهْ

عُمري بلا ماضٍ... ومُستقبلي
كأُمسياتِ الغابةِ المُفزعَة

٢٣/ يناير / ١٩٧٠م

يمني
في بلاد الآخرين

مـــن أيـــنَ أنـــا؟ مَـــنْ يـــدري
أَوَلـيـسَـت لـي جِـنـسـيَّـة؟
نَـسَـبـي رايـاتٌ حُـمْـرٌ
وفـتـوحـاتٌ ذَهـبـيَّـة
فـلـمـاذا تَـسْـتَـغـرِبُـنـي
هٰـذي الـزُّمَـرُ الـخَـشَـيَّـة
يـا إخـوانـي أصـلـي مِـنْ
صـنـعـاء أُمِّـي: (دُبَـعِـيَّـة)
صـنـعـاويٌّ... حُـجَـريٌّ!
مـا صـنـعـاء.. مـا الـحُـجَـرِيَّـة؟

* * *

مِـنْ أيـنَ أنـا؟ تـشـويـنـي
بـتـغـابـيـهَـا الـسُّـخـريَّـة
عـربـيٌّ لا تـعـرفُـنـي...
حـتـى الـدُّنـيـا الـعـربـيَّـة
وأبـي قـالـوا يـمـنـيٌّ
أمِّـي - قـالـوا - يـمـنـيَّـة

لكن أنستني لوني
وفمي... أيدي الهمجيَّة

سنواتٌ جَوعى عَطشى
وقياداتٌ تَبعيَّة

وغرابات لا تُروى
وغرباتٌ مَرويَّة

* * *

يا ريحُ... بلادي خَلفي
ومعي مثلي منسيَّة

حتى أرضي يا أرضي
كأهاليها منفيَّة!!

وطني أسفارٌ تمضي
وتعودُ بلا أُمنيَّة

تشريدٌ لا بدءَ لَهُ
ومسافاتٌ وحشيَّة

حُرَّاسُ حدودٍ يقظى
وتقانينٌ وثنيَّة

مدنٌ لا أسماع لها
وزحاماتٌ عدميَّه

أسواقٌ كُبرى أدنى
ما فيهِنَّ البشريَّة

وبدائياتٌ غرقى
في الأقنعةِ العَصريَّة

وعلى رُغمي أستجدي
كلَّ الايدي الحَجَريّة

* * *

وبلادُ بلادي منفى
ومتاهاتٌ أبديّة
من أينّ أنا؟ مجهولٌ
جوّالٌ دونَ هويّة
وبلا وطنٍ لكِنّي
موهومٌ بالوطنيّة

أكتوبر ١٩٧٢م

❁ ❁ ❁

اعتيادان

حانَ لي أنْ أُطيقَ عنكِ ابتعادا
والتهابي سيستحيلُ رمادا
وتجيئينَ تسألينَ كلَهْفى
عن غيابي، وتدَّعينَ السُّهادا
وتقولينَ: أينَ أنتَ؟ أتنسى؟
وتُعيدينَ لي زماناً مُبادا
أوَمَا كنتُ أغتلي وأُرَجِّي
قطراتٍ، فتبذُلينَ اتِّقادا
تزرعينَ الوعودَ في جدبِ عُمري
وتدُسِّينَ في البذورِ الجرادا

* * *

كان لابُدَّ أنْ أقولَ: وداعاً
وبرغمي لا أستطيعُ ارتدادا
غيرَ أنّي أودُّ أن لا تَظُنِّي
أنني خنتُ أو أسأتُ اعتقادا
ربما تزعمينَ أنَّ ابتعادي
عنكِ أدنى (رضيَّة) أو (سعادا)

أو تـقـولـيـنَ : إنَّ جـوعَ احـتـراقـي
عـنـدَ أُخـرى لاقـى جـنّـى وابـتـرادا
إطـمـئِـنّـي . . . لـديَّ غـيـرُ الـتـسـلّـي
مـا أعـادي مِـنْ أجـلـهِ وأُعـادى

* * *

قـد أُنـادي نـداءَ (قـيـسٍ) ولـكـن
كـلُّ (قـيـسٍ) وكـلّ (لـبـنـى) الـمُـنـادى
لـي نـصـيـبـي مـن الـتـفـاهـات، لـكـن
لـن تـريـنـي . . . أريـدُ مـنـهـا ازديـادا

* * *

لـم أكـنُ (شـهـر يـار) لـكـن تـمـادَتْ
عِـشـرةٌ صـوَّرتـكِ لـي (شـهـر زادا)
كـان حُـبّـي لـكِ اعـتـيـاداً وإلـفـاً
وسـأنـسـاكِ إلـفـةً واعـتـيـادا

مارس ١٩٧٠م

❁❁❁

صنعاني يبحث عن صنعاء

هٰذي العماراتُ العوالي ضيّعْنَ تجوالي . . . مجالي
حولي كأضرحةٍ مُزوَّرةٍ بألوان اللآلي
يلمحنني بنواظرِ الإسمنت من خلف التعالي
هٰذي العماراتُ الكبارُ الخرسُ ملأى كالخوالي
أدنو ولا يعرفْنني أبكي ولا يسألنَ: مالي
وأقولُ: من أينَ الطريقُ؟ وهنّ أغبى من سُؤالي

* * *

كانت لِعمّيَ هٰهُنا دارٌ تحيط بها الدوالي
فغدت عمارةَ تاجرٍ (هندي) أبوهُ (برتغالي)
وهناك حصنُ تامرٍ كان اسمهُ (دار الشلالي)
وهناك دارُ عمالةٍ كانَ اسمها (بيت العبالي)
وهنا قصورُ أجانبٍ غُلفٍ كتجّار الموالي

* * *

هل هذه صنعا . . .؟ مضت صنعا سوى كسرِ بوالي
خمس من السنوات أجلت وجهها الحرّ (الأزالي)[1]

* * *

من اين يا إسمنتُ أمشي؟ ضاعت الدنيا حيالي

(١) أزال: الاسم التاريخي لمدينة صنعاء.

بيت ابنِ أختي في (معمّر) في (الفليحي) بيت خالي
ايـن الـطـريـق إلـى (مـعـمّـر)؟ يـا بـنـاتـي يـا عـيـالـي
وإلى (الفليحي) يا زحام... ولا يعي أو لا يبالي
بـالـلـه يـا أمـاهُ دُلّـيـنـي ورقّـت لابـتـهـالـي
قالت: إلى (النهرين)... قدّامي وامضي عن شمالي
والـى (الـقـزالـي) ثـم أَسـتـهـدي بـ(صـومـعـة) قـبـالـي
من يعرف.. (النهرين)؟.. من أين الطريق إلى (القزالي)[1]

* * *

مـن ذا هـنـاك؟ مـسـافـر مـثـلـي يـعـانـي مـثـلَ حـالـي
حشدٌ من العجلات يلهثُ في السباق وفي التوالي
وهـنـاك (نـصـرانـيـة) كـحـصـان (مـسـعـود الـهـلالـي)
وهـنـاك مـرتـزق بـلا وجـه... عـلـى كـتـفـيـه (آلـي)[2]

* * *

أَلـيـوم (صـنـعـا) وهـي مـتـخـمـةُ الـديـار بـلا أهـالـي
يحتلها السِّمسار، والغازي، ونصفُ الرأسمالي
والسائحُ المشبوه، والداعي، وأَصناف الجوالي
من ذا هُنا؟ (صنعا) مضت واحتلّها كلُ انحلالي

* * *

أمـي! أَتـلـقـيـن الـغـزاة بـوجـه مـضـيـاف مـثـالـي؟
لـم لا تُـعـاديـن الـعـدى..؟ مـن لا يـعـادي لا يـوالـي

---

(١) معمر والفليحي والنهرين والقزالي: من احياء صنعاء القديمة.
(٢) آلي: نوع من البندقيات.

مَنْ لا يصارعُ . . . لا نسائيَّ الفؤاد . . . ولا رجالي
إني أغالي في محبة موطني . . . لِمَ لا أغالي؟

* * *

من أين أرجع . . . أو أمرُّ . . ؟ هنا سأبحث عن مجالي
ستجدُّ أيام بلا منفى وتشمس يا نضالي!
وأحبُّ فجرٍ ما يهلُّ عليك من أدجى الليالي

٣ ـ ٥ ـ ١٩٧٢م

❁ ❁ ❁

30/06/2011

اعترافٌ بلا توبة

غابت هذه القصيدة عن الدواوين السابقة إجابة لرغبة أستاذنا الذي وجهت إليه... ولمّا أصبح بلا رغبة لدخوله عالم الصمت، رغبت القصيدة أن تخرج من مخبئِها كصورة لتحدي الصِّبا... وكصورة لأفكار بعض أساتذة الجيل الماضي:

إنْ يـدَّعِ الـعـلـمَ فـلا فِـريـةٌ
فـالـصِّـدقُ كـلُّ الـصِّـدقِ فـيـمـا ادَّعـى

لـكـنَّ سِـرَّ الـعـلـمِ فـي نـفـسِـهِ
كـالـعـسـلِ الـصَّـافـي خـبـيـثُ الـوِعـا

* * *

يـقـولُ: شـيـطـانٌ وشـيـطـانـةٌ
دعـتْ.. قـلـبـي... أوهَـفَـتْ إذ دعـا

ولـم يَـقُـلْ: إلـفٌ ومـألـوفـةٌ
تـجـمَّـعـا.... سـبـحـانَ مَـنْ جـمَّـعـا

* * *

لأنـنـي اسـتـحـلـيـتُ أُمـسـيَّـةً
يَـردُّنـي عـن درسِـهِ مُـوَجَـعَـا

إنْ كـنـتُ ألـقـى نـادراً حـلـوةً
فـهـو يُـلاقـي... دائـمـاً أربـعـا

أريـدُ أُنـسـاً مِـثـلَـهُ... أشـتـهـي
كـالـنَّـاسِ أنْ أروى... وأنْ أشـبـعـا

* * *

يـا سـيـدي الـمـفـضـالُ قـالـوا: تَـرى
تـعـلـيـمَ مـثـلـي قـطُّ لَـنْ يَـنْـفَـعَـا

أغـلـقـتَ بـاب الـبـيـتِ والـدَّرسِ فـي
وَجْـهـي.. سـأُلـقـى الـدَّرسَ والـمـوضِـعَـا

* * *

يـا (لـطـفُ)... مـهـمـا لُـمـتَـنـي لـم أدَعْ
هـذا الـسـلـوكَ الـشـائـنَ الـمُـمْـتِـعـا

ولـتـمـنـعِ الـتـعـلـيـمَ عـنِّـي كـمـا
تـهـوى... فـخـيـرٌ مـنـك لـن يـمـنَـعـا

* * *

أبـصـرْتـنـي مـن بـيـتِـهَـا خـارجـاً
كـالـكـلـبِ... أمشي واجـفـاً مُـسـرعـا؟

نـعـم... جَـرى هـذا وإنْ تـبـتـغِ
شـهـادةً أقـوى سَـلِ الـمـضـجـعـا

تـقـولُ: إنِّـي مُـنـكِـرٌ بـعـدمـا
ألـقَـتْ لـديـكَ الـتُّـهـمَـةَ الـبُـرقُـعَـا

فـلأعـتـرف... لا نـاويـاً تـوبـةً
إنِّـي ومَـنْ سـمَّـيـتَ بـتـنـا مـعـا

١٩٤٧م

تقرير إلى عام ٧١ حيثُ كُنَّا

حيثُ كُنَّا كما أرادَ الإمامُ
كلُّ دعوى.. مِنَّا.. علينا.. اتِّهامُ
إنَّما سوف نَدَّعي ولْتُصَدِّقْ
يا «وصابان» ولتَثِقْ يا (رجامْ)
غير أنَّا وبعدَ تسعِ طوالٍ
حيثُ كُنَّا كأنما مرَّ عامُ
كلَّمَا جَدَّ، أنَّنَا قد كَشَفْنا
أوجُهاً دلَّنا عليها اللِّثام
وعرفْنا من العمالاتِ صِنفاً
كانَ أطرى ما أحدثَ «العمُّ سامُ»
يرتدي كلَّ ساعةٍ ألفَ لونٍ
ولَهُ كلَّ ساعتينْ نظامُ

* * *

حيثُ كُنَّا، لكن لماذا أضَعْنَا
في التَّعادي سبعاً، وفيمَ الخِصامُ؟
جرَّحتنا الحروبُ في غيرِ شيءٍ
وبلا غايةٍ دَهانا السَّلامُ

* * *

أَلـغـزاةُ الـذيـنَ يـومـاً تـلاشَـوْا
بِـقـوانـا، لَـهُـمْ عـلـيـنـا اقـتـحـامُ
إنَّـهُـمْ يُـوغِـلُـونَ فـيـنـا ونُـغـضـي
فـلـمـاذا . . . رِعـنـاهـمـو حـيـن حـامـوا

* * *

أَلـرُّكـامُ الـذي نـفـضـنـاهُ عـنَّـا
ذاتَ يـومٍ لَـهُ عـلـيـنـا ازدحـامُ
ونِـعـالُ الـغُـزاةِ وهـي كـثـيـرٌ
فـوقَ أعـنـاقِـنَـا جِـبـاهٌ وهَـامُ
والأُبـاةُ الـذيـنَ بـالأمـسِ ثـاروا
أيـقـظـوا حـوْلَـنـا الـذِّئـابَ ونـامـوا
حـيـنَ قُـلـنـا قـامـوا بـثـورةِ شَـعْـبٍ
قـعـدوا قـبـلَ أن يَـرَوْا كـيـفَ قـامـوا
رُبَّـمـا أحـسـنـوا الـبـدايـاتِ لـكـن . . .
هـل يُـحِـسُّـون كـيـفَ سـاءَ الـخِـتـامُ؟
مـاتَ (سـبـتـمـبـرُ) الـبـشـيـرُ ولـكـن
أُمُّـهُ نـاهِـدٌ هَـواهـا غـلامُ

يناير ١٩٧١م

❁ ❁ ❁

مواطنٌ بلا وطَنْ

مـــواطـــنٌ بـــلا وطـــنْ
لأنَّـــهُ مِـــنَ الـــيـــمـــنْ
تُـــبـــاعُ أرضُ شَـــعـــبِـــهِ
وتُـــشـــتـــرى بـــلا ثَـــمَـــنْ
يـــبـــكـــي إذا ســـألـــتَـــهُ
مـــن أيـــنَ أنـــتَ؟.. أنـــتَ مَـــنْ؟
لأنَّـــهُ مِـــنْ لا هُـــنـــا
أو مـــن مـــزائـــدِ الـــعَـــلَـــنْ

* * *

مـــواطـــنٌ كـــانَ حِـــمَـــاهُ
مـــن (قُـــبَـــا) إلـــى (عَـــدَنْ)
والـــيـــومَ لَـــمْ تَـــعُـــدْ لَـــهُ
مـــزارعٌ ولا سَـــكَـــنْ
ولا ظـــلالُ حـــائـــطٍ
ولا بـــقـــايـــا مِـــنْ فَـــنَـــنْ

* * *

بـــلادُهُ سَـــطْـــرٌ عـــلـــى
كـــتـــابِ: (عِـــبـــرةِ الـــزَّمـــنْ)[1]

---

(١) كتاب في التاريخ اليمني القديم.. (لعمارة اليمني).

روايـــةٌ عـــن (أســـعـــدِ)
أســـطـــورةٌ عـــن (ذي يـــزنْ)

حـــكـــايـــةٌ عـــن هُـــدهُـــدِ
كـــانَ عـــمـــيـــلاً مـــؤتـــمـــنْ

وعـــن مـــلـــوكٍ استَـــبـــوا
أو ســـبـــأوا مـــلـــيـــونَ دَنْ[1]

أَلـــمُـــلـــكُ كـــانَ مُـــلـــكَـــهُـــم
سِـــواهُ (قَـــغـــبٌ مـــن لَـــبَـــنْ)[2]

* * *

والـــيـــومَ طـــفـــلُ حِـــمْـــيَـــرِ
بِـــلا أبٍ بـــلا صِـــبـــا

بـــلا مـــديـــنـــةٍ.. بـــلا
مـــخـــابـــىءٍ... بـــلا رُبـــى

يَـــعـــزوهُ ألـــفُ هُـــدهُـــدِ
وتـــنـــثـــنـــي بـــلا نـــبـــا

* * *

يـــكـــفـــيـــهِ أنَّ أُمـــهُ
(ريّـــا)[3] وجـــدَّهُ (سَـــبَـــا)

---

(١) يقال أن ملوك (سبأ) سموا بهذه التسمية لكثرة ما استبوا من النساء.. أو ما سبأوا من الخمر (أي شربوا)

(٢) إشارة إلى بيت (أمية بن أبي الصلت الذي مدح به سيف بن ذي يزن): (هذا هو الملك لا قعبان من لبن).

(٣) (ريّا) بنت الحارث فارسة حميرية شهيرة.

وأنَّ عـــــمَّ خـــــالـــــهِ
كـــانَ يـــزيـــنُ (يَـخـصُـبَـا)
وأنَّ خـــــالَ عـــــمِّـــــهِ
كـــانَ يـــقـــودُ (أرحـــبـــا)
كـــانـــوا يُـضـيـئـونَ الـدُّجـى
ويَـعـبـدونَ الـكَـوكَـبـا[1]
يـــدرونَ مـــاشـــادوا . . . ولا
يـــدرونَ مـــاذا خـــرَّبَـــا
يـبـنـونَ لـلـفـارِ الـعُـلـى
ويـــزرعـــونَ لـــلـــدُّبـــا
يـا نـاسـجَ (الإكـلـيـلِ)[2] قُـلْ:
تـلـكَ الـجِـبـاهُ مـن غَـبـا
أَوْ سَـمِّـهـا كـواكـبـاً
تـمـنَّـعـتْ أن تـغـرُبـا
فـهـل لـهـا ذرِّيَّـةٌ
مـنَ الـشـمـوخِ والإبـا؟

* * *

أَلـيـومَ أرضُ (مـأربٍ)
كـأُمِّـهـا مـوجَّـهَـهْ

---

(١) إشارة إلى (معبد القمر) في (مأرب).
(٢) (الإكليل): كتاب عن ملوك اليمن القدامى. . (لأبي محمد الهمذاني) من مؤرخي القرن العاشر.

يـــقـــودُهَـــا كـــأُمِّـــهـــا
فـــارٌ . . وســـوطُ (أبـــرهَـــة)[١]

فـــمـــا أمـــرَّ أمـــســـهـــا
ويـــومَـــهَـــا مـــا أشـــبـــهَـــهْ

تـــبـــيـــعُ لـــونَ وَجـــهِـــهَـــا
لـــلأوجُـــهِ الـــمُـــمَـــوَّهَـــهْ

(تـــمـــوزُ) فـــي عـــيـــونِـــهَـــا
كـــالـــعـــانِـــسِ الـــمُـــوَلَّـــهَـــهْ

والـــشَّـــمـــسُ فـــي جَـــبـــيـــنِـــهـــا
كـــالـــلَّـــوحـــةِ الـــمُـــشَـــوَّهَـــهْ

* * *

فـــيـــا (ســـهـــيـــلُ)[٢] هـــل تَـــرى
أَسْـــئِـــلَـــةً مُـــدلَّـــهَـــهْ؟

مـــتـــى يـــفـــيـــقُ هٰـــهُـــنـــا
شـــعـــبٌ يَـــعـــي تـــنـــبُّـــهَـــهْ؟

وقـــبـــلَ أن يـــرنـــو إلـــى
شـــيءٍ يَـــرى مـــا أتـــفـــهَـــهْ. . .

فـــيـــنـــتـــقـــي تـــحـــتَ الـــضُّـــحـــى
وجـــوهَـــهُ الـــمُـــنـــزَّهَـــهْ

يَـــمـــضـــي ويـــنـــســـى خـــلـــفَـــهُ
عـــاداتِـــهِ الـــمُـــســـفَّـــهَـــهْ

---

(١) (أبرهه) القائد الحبشي الذي غزا اليمن.

(٢) نجم يماني عند الفلكيين القدامي.

يَـــفـــنـــى بـــكـــلِّ ذرَّةِ
مـــن أرضِـــهِ الـــمـــؤلَّـــهَـــة
هُـــنـــا يُـــحِـــسُّ أنَّـــهُ
مـــواطـــنٌ لَـــهُ وطـــنْ

يوليو ١٩٧٠م

أبو تمام
وعروبة اليوم

ما أصدقَ السَّيفَ! إن لم يُنضهِ الكَذِبُ
وأكذبَ السَّيفَ إنْ لم يصدُقِ الغَضَبُ

بيضُ الصفائحِ أهدى حينَ تحمِلُها
أيدٍ إذا غَلَبَتْ يعلُو بها الغَلَبُ

وأقبحُ النَّصرِ.. نصرُ الأقوياءِ بلا
فَهْمٍ.. سِوى فهمِ كم باعوا.. وكم كَسِبوا

أدهى من الجهلِ عِلمٌ يطمئِنُّ إلى
أنصافِ ناسٍ طَغَوْا بالعلمِ واغتصبوا

قالوا: همُ البشرُ الأرقى وما أكلوا
شيئاً.. كما أكلوا الإنسانَ أو شَرِبوا

* * *

ماذا جرى.. يا أبا تمّام تسألُني؟
عفواً سأروي.. ولا تسألْ.. وما السَّببُ

يُدمي السؤالُ حياءً حينَ نسألُهُ
كيف احتفت بالعِدى(حيفا) أو(النَّقبُ)

مَنْ ذا يُلَبِّي؟ أمَا إصرارُ مُعتصمٍ
كلاً وأخزى من (الأفشينِ)[1] ما صُلبوا
أَليومَ عادتْ عُلوجُ (الرُّوم) فاتحةً
ومَوطِنُ العَرَبِ المسلوبُ والسَّلَبُ
ماذا فعلنا؟ غَضِبنا كالرِّجالِ ولم
نَصدُق.. وقد صَدَقَ التَّنجيمُ والكُتُبُ
فأطفأت شُهُبُ (الميراجِ) أنجُمَنا
وشمسَنا، وتحدَّت نارَها الخُطبُ
وقاتلت دوننا الأبواقُ صامدةً
أمَّا الرِّجالُ فماتوا.. ثَمَّ أو هربوا
حُكَّامُنا إنْ تَصَدَّوا للحِمى اقتحموا
وإن تَصَدَّى لَهُ المستعمرُ انسحبوا
همَ يفرشونَ لجيشِ الغزوِ أعيُنَهُمْ
وَيدَّعونَ وثوباً قبلَ أنْ يَثِبوا
أَلحاكمون و«واشنطن» حكومتهُمْ
واللَّامعونَ.. وما شَعُّوا ولاغربوا
أَلقاتلون نبوغَ الشَّعبِ تَرضيةً
للمُعتدينَ وما أجْدَتهُمُ القربُ

---

(١) (حيدر الأفشين) كان قائد جيش المعتصم، فخانه فصلب وأُحرق، وقال أبو تمام في حرقه: رائيته الشهيرة: الحقُّ أبلج والسيوفُ عواري.. إلخ.

لهم شُموخُ (المُثنّى)[1] ظاهراً ولَهُمْ
هوًى إلى «بابك الخُرْميّ» ينتسبُ

* * *

إذاً ترى يا (أبا تمام) هل كَذَبَتْ
أحسابُنا؟ أو تَناسى عِرْقَهُ الذَّهبُ؟
عروبةُ اليومِ أُخرى لا ينِمُّ على
وجودِها إسمٌ ولالونٌ. . . ولا لقبُ
تِسعونَ ألفاً (لعمُّورِيَّة) اتَّقدوا
وللمُنَجِّمِ قالوا: إنَّنا الشُّهبُ
قيلَ: انتظارَ قِطافِ الكَرْمِ ما انتظروا
نُضْجَ العناقيدِ. . لكن قبلَها التهبوا
واليومَ تِسعونَ مليوناً وما بَلغوا
نُضجاً. . وقد عُصِرَ الزيتونُ والعنبُ
تنسى الرؤوسُ العوالي نارَ نخوتِهَا
إذا امتطاها إلى أسيادِهِ الذَّنَبُ
(حبيبُ) وافيتُ من صنعاءَ يحملُني
نسرٌ وخلفَ ضلوعي يلهثُ العربُ
ماذا أحدِّثُ عن صنعاءَ يا أبَتِ؟
مليحةٌ عاشقاها: السِّلُّ والجَرَبُ

(١) المثنى بن حارثة الشيباني. . . الفارس الشهير.

ماتت بصندوقِ «وضّاحٍ»[1] بلا ثمنٍ
ولم يَمُت في حَشاها العِشقُ والطَّربُ
كانت تُراقبُ صُبحَ البَعثِ.. فانبعثت
في الحُلمِ.. ثم ارتمت تغفو وترتقبُ
لكنَّها رُغمَ بُخلِ الغَيثِ ما بَرِحَتْ
حُبلى وفي بطنِها «قَحطان» أو «كَرِبُ»
وفي أسى مُقلتيها يغتلي «يمنٌ»
ثانٍ كحُلمِ الصِّبا.. ينأى ويقتربُ

* * *

«حبيبُ» تسألُ عن حالي وكيف أنا؟
شبَّابةٌ في شفاهِ الرِّيحِ تنتحبُ
كانت بلادكَ (رحلاً)، ظهر (ناجيةٍ)
أمَّا بلادي فلا ظَهْرٌ ولا غَبَبُ
أزعيت كُلَّ جديب لحَم راحلةٍ
كانت رعتهُ وماءُ الرَّوضِ ينسكبُ
ورُحتَ من سفرٍ مُضنٍ إلى سفرٍ
أضنى... لأنَّ طريقَ الرَّاحةِ التَّعبُ

---

(١) هو: عبد الرحمن بن اسماعيل.. شاعر يماني غلب عليه لقب وضاح لاشراق وجهه ووضوحه.
أحبَّتْهُ (أم البنين) زوج الخليفة (الوليد بن عبد الملك) وعندما اكتشف أمره ساعة وصل خبأته في صندوق.... وعندما عرف الخليفة أخذ الصندوق ورماه في بئر كانت تحت بساطه.

لكنْ أنا راحلٌ في غيرِ ما سفرِ
رَحلي دمي.. وطريقي الجمرُ والحطبُ
إذا امتطيتَ ركاباً للنَّوى فأنا
في داخلي... أمتطي ناري وأغتربُ
قبري.. ومأساةُ ميلادي على كتفي
وحوليَ العدَمُ المنفوخُ والصَّخبُ
«حبيبُ» هذا صداكَ اليومَ أُنشِدُهُ
لكن لماذا تَرى وَجهي وتكتئبُ؟
ماذا؟ أتعجبُ من شَيبي على صِغَري؟
إنِّي ولِدتُ عجوزاً.. كيف تعتجبُ؟
واليومَ أذوي وطيشُ الفَنِّ يَعزفُني
و الأربعونَ على خدَّيَّ تلتهبُ
كذا إذا ابيَضَّ إيناعُ الحياةِ على
وجهِ الأديبِ أضاءَ الفكرُ والأدبُ
وأنتَ من شِبتَ قبلَ الأربعين على
نارِ (الحماسةِ) تجلوها وتنتحبُ
وتجتدي كلَّ لصٍ مُترفٍ هِبةً
وأنتَ تُعطيهِ شِعراً فوق ما يهَبُ
شرَّقت غرَّبتَ من (والٍ) إلى (ملكٍ)
يَحُثُّكَ الفقرُ... أو يقتادك الطَّلبُ
طوّفتَ حتى وصلتَ (الموصل) انطفأتْ
فيكَ الأماني ولم يشبعْ لها أربُ

لكنَّ موتَ المجيدِ الفَذِّ يبدأهُ
ولادةً من صِباها ترضعُ الحِقَبُ

* * *

(حبيبُ) ما زال في عينيكَ أسئِلةٌ
تبدو... وتَنسى حكاياها فتنتقبُ
وما تزالُ بحلقي ألفُ مُبكية
من رهبةِ البَوحِ تستحيي وتضطربُ
يكفيكَ أنّ عِدانا أهدروا دَمنا
ونحنُ من دِمنا نحسو ونحتلبُ
سحائبُ الغزوِ تَشوينا وتحجبُنا
يوماً ستحبَلُ من إرعادناالسُّحُبُ.؟
ألا تَرى يا «أبا تمَّام» بارِقنا
(إنَّ السَّماء تُرَجَّى حينَ تحتجِبُ)

ديسمبر ١٩٧١م

❁ ❁ ❁

نصيحة سيئة

إنْ تـــريـــدي ســـيـــارةً وإدارهْ
فـلـتـكـونـي قـوّادةً عـن جَـدارَهْ
ولـتُـعـدّي لـكُـلّ سـلـطـانِ مـالِ
كـلَّ يـومٍ زواجـةً مُـسـتـعـارَهْ
ولـتـكـونـي عـمـيـلـةً ذاتَ مـكـرٍ
تـشـربـيـنَ الـقـلـوبَ حـتـى الـقَـرارَهْ
ولْـتـبـيـتـي سـريـرَ كـلِّ وزيـرٍ
ولْـتُـمَـنّـي مَـنْ فـي انـتـظـارِ الـوزارَهْ
ويـهـذا الـنّـشـاط تُـمـسـيـنَ أعـلـى
مـن وزيـرٍ.. ورُبّـمـا مُـسـتـشـارهْ
فـسـراويـلُ الـحـاكـمـيـنَ تُـعـانـي
رُغـمَ تـبـريـدهـا وُثـوبَ الـحـرارَهْ

* * *

أنـتِ أدرى بـهـمْ فـلـيـس لـديـهـم
غـيـرُ مـا تـعـرفـيـن أدنـى مـهـارَهْ
إنّـمـا.. هـل تـريـن هـذا امـتـيـازاً؟
مـثـلُ هـذا يُـجـريـهِ فـارٌ وفـارَهْ

* * *

ليسَ للحاكمينَ أيُّ طموحٍ
غيرَ تحقيقِ أُمسياتِ العهارَهْ

والتماسِ المُساعداتِ لتفنى
جبهةُ الشَّعبِ تحتَ نعلِ التِّجارَهْ

واجتلابِ المُخطِّطين صنوفاً
كي تضيعَ البلادُ في كُلِّ قارَهْ

* * *

أنتِ أدرى بهم وليسَ غريباً
فالبغايا عيونُ حكمِ الدّعارِه

أنتِ تَشرينَهُم بدفءِ اللَّيالي
فيبيعونَ في هواكِ الإمارَهْ

وتقودينَ المُنتناتِ إليهِم
فتقودينهم بأخفى إشارَهْ

* * *

لا تضيقي فلم يَعُدْ ذاكَ سِرّاً
إنَّ أقوى الرِّياحِ ريحُ القذارَهْ

فلْتَزيدي من النَّشاطِ لتبني
كالسَّلاطينِ كلَّ شهرٍ عمارَهْ

تلكَ أخزى نصيحةٍ فاقبليها
ـ كي تفوزي ـ ولا تكوني حِمارَهْ

لستِ إلّا عبارةً ذاتَ وجهٍ
لوجوهٍ دلَّتْ عليها العبارَ

❁ ❁ ❁

لافتة على
طريق العيد العاشر

لثورة سبتمبر

أيُّـهـا الآتـي بـلا وجـهٍ إلـيـنـا
لـم تَـعُـدْ مِـنَّـا ولاضـيـفـاً لـدَيـنـا

غـيـر أنَّـا . . يـا لِـتـزيـيـفِ الـهـوى
نـلـتـقـي الـيـومَ بـرغـمـي رغـبـتَـيْـنـا

سـتـرانـا غـيـرَ مَـنْ كُـنَّـا كـمـا
سـوفَ تـبـدو غـيـرَ مَـنْ كُـنَّـا رأيـنـا

أسـفـاً ضـيَّـعْـتـنـا . . أو ضِـعـتَ مِـنْ
قـبـضـتَـيْـنـا يـومَ ضَـيَّـعْـنـا يـدَيْـنـا

* * *

قـبـلَ عـشـرٍ كُـنـتَ مِـنَّـا ولـنـا
يـا تُـرى كـيـفَ تَـلاقـيْـنـا . . . وأيْـنـا؟

أنـتَ لا تـدري ولا نَـدري مَـتـى
فـرَّقـتـنـا الـرِّيـحُ . . أو أيـنَ الـتـقـيْـنـا؟

وإلـى أيـنَ مـضـى الـسـيـرُ بـنـا
دونَ أن نـدري . . ومِـنْ أيـنَ انـثـنَـيْـنـا

يومَ جِئنا المُلتقى لم ندرِ مِنْ
أينَ جِئنا وإلى أينَ أتينا؟
رُبَّما جِئنا إليهِ مثلما
يطفرُ الإعصارُ أو سِرنا الهُوينا
رُبَّما جِئنا بلا وجهيْن أو
ضاعَ وجهانا ومَرأى وجهتينا

* * *

عبثاً نسألُ أطلالَ المُنى
بعدَ بؤسِ المُنتهى كيفَ ابتدينا؟
كيفَ ذُقنا وجعَ المِيلادِ كم
ضَحِكَ المَهدُ لنا أو كَمْ بكينا
كيفَ ناغينا الصِّبا . . ماذا انتوى؟
مهدُنا المشؤومُ . . . أو ماذا انتوينا؟

* * *

لا نَعي كيفَ ابتدينا . . أو متى
كلُّ ما نذكرهُ أنَّا انتهينا؟
أنتَ مهما ترتدي أسماءَنا
مِنْ أعادينا ومحسوبٌ علينا
غيرَ أنَّا كُلَّ عامٍ نلتقي
عادةً والزّيفُ يُخزي موقفينا

صنعاء ٢٦/ سبتمبر/ ١٩٧٢م

❁ ❁ ❁

الفاتحُ الأعزل

ساهٍ.. في مقعدِهِ المُهمَلْ
كسؤالٍ ينسى أنْ يسألْ

كحريقٍ يبحثُ عن نارِ
فيهِ عن وقدتهِ يذهلْ

كجنينٍ في نهدَيْ أُمٍّ
لهفى تتمنى أن تحبلْ

* * *

يطفو ويفرُّ كعصفورِ
توَّاقٍ في قفصٍ مُقفلْ

يستسقي كالحُلْمِ الظَّامي
ويحدِّق كالطَّيفِ الأحولْ

فيشمُّ خُطى الفَجرِ الآتي
في مُنتصفِ اللَّيلِ الألْيَلْ

ويصوغُ الصَّمتَ ضُحًى غزِلاً
وأصيلاً ورديّاً أكحلْ

ويُضيعُ جمالاً مَبذولاً
في الكشفِ عن العدمِ الأجملْ

يشدو للزّاويةِ الكسلى
ويُصيخُ إلى الرُّكنِ الأكسَلْ
ويُفتِّشُ عن فَمِهِ الثّاني
ويحِنُّ إلى فمِهِ الأوّلْ

* * *

والأربعةُ الجدرانُ إلى
عينيْهِ تُصغي.. تتأمّلْ
ترنُو كفتاةٍ تستجدي
غَزَلاً.. وإذا ابتَسَمَتْ تخجلْ

* * *

يغلي ويمورُ كما يعدُو
في كفِّ العاصفةِ المِشعَلْ
مَرمِيٌّ كالقبرِ المَنسي
وإلى كُلِّ الدُّنيا يرحلْ
يغزو الأقمارَ ولا يَغْيا
ويخوضُ البحرَ ولا يَبْتَلْ

* * *

في كُلِّ روايةِ فنّانٍ
مِنْ قِصَّتِهِ الفَصلُ الأطْوَلْ
في كُلِّ تَغَنِّي أُغنيةٍ
أنثى لهواهُ تتجمَّلْ
في كُلِّ كتابٍ عن بطلٍ
أخبارٌ عنهُ لم تُنقَلْ

* * *

حيّاً في التاريخ الفاني
في الكُثبانِ العَطْشى يخصِلْ
يقتادُ الخيلَ (كعنترةٍ)
يجترُّ الزقَّ مع (الأخطلْ)
ويُناضلُ (قيصرَ) في (روما)
(كَسِبرْتاكوس) ولا يَفْشَلْ
يطوي الإسكندرَ في يدِهِ
ويجولُ على كتفيْ (أخيَلْ)
ويردُّ اليومَ إلى الماضي
ويعيدُ الماضيَ مُستقبلْ
ويلُمُّ الأزمنةَ الشَّتَّى
لحظاتٍ تعرفُ ما تجهلْ
تتشهَّى «تنوي» تتحدَّى
تستأني «تَعدو» تتخيَّلْ
فيُعفِّرُ «ابرهةً».. يُذكي
عينيْ (سينا) بدمِ المُحتَلْ
يهمي فوقَ (الجولانِ) لظًى
يرمي (بالشِّمْرِ) عن المنهلْ
يمحو (سايجونَ) بإصبعِهِ
ويُمزِّقُ (خيبرَ) بالمِنجلْ
يرمي عن صَهوتِهِ (كِسرى)
ويقاتلُ في (حيفا) أعزلْ

يُدميهِ القصفُ ولا يَدمى
يُرديهِ القتلُ ولا يُقتَلْ
يَهفُو من حلقِ الموتِ إلى
أعتابِ الميلادِ الأحفَلْ

* * *

يَجتَثُّ الكونَ ليبدأهُ
أسخى ويشكِّلَهُ أفضلْ
ويصوغُ العالمَ ثانيةً
أو يأمُرهُ أن يتحوَّلْ
مَرمِيٌّ يرحلُ من بُعدٍ
كالهولِ إلى البُعدِ الأهْوَلْ
في كُلِّ متاهٍ يَستهدي
في كُلِّ حريقٍ يتغسَّلْ
يغزو المجهولَ بلا وعيٍ
ويَعي لا يَدري ما يفعلْ
فيعودُ يُشكِّلُ ما ألغى
أو يمضي يمحو ما شَكَّلْ

ديسمبر ١٩٧٢م

❁ ❁ ❁

كانوا رجالاً

مَنْ نحنُ يا «صرواحُ» يا «ميتمُ»؟
موتى... ولكن ندَّعي... نَزْعَمُ
ننجرُّ... لانمضي... ولا ننثني
لا نحنُ أيقاظٌ... ولا نُوَّمُ
نغفو بلا نومٍ ونَضحو بلا
صحوٍ... فلا نَرنو ولا نحلمُ

* * *

كم تضحكُ الدُّنيا وتبكي أسًى
ونحنُ لا نبكي ولا نبسمُ
فلمْ يعُدْ يُضحكُنا مُضحِكٌ
ولَمْ تَعُدْ آلامُنا تؤلِمُ
أضاعتِ الأفراحُ ألوانَها
وفي عروقِ الحُزنِ جفَّ الدَّمُ
ماذا..؟ أَلِفْنا طعمَ أوجاعِنا
أوْ لَمْ نَعُدْ نشتَمُّ... أو نَطعمُ؟
أزِقَّةُ البترولِ تمتصُّنا
تبصُقُنا للرِّيح.. أو تَهضمُ

والسيِّدُ المَحكومُ في دارِهِ
في دارنا المُستحكِمُ الأعظمُ

* * *

بلادُنَا كانت، وأبطالُنا
كانوا رجالاً قبل أن يَحكُموا
يُقالُ: كانوا فُهماء الحِمى
واليومَ لا ينوونَ أنْ يَفهموا
ثاروا صباحَ القصفِ لكِنَّهم
يومَ انتصارِ الثَّورةِ استسلموا
وبعدَ عامٍ غيَّروا لونَهُمْ
وبعدَ أيَّامٍ نسوا مَن هُمُو
يا موطني... مَنْ ذا تُنادي هُنا؟
أسكُتْ... لماذا..؟ أنتَ لا تَعلَمُ
إنَّ الطويلَ العُمرِ لا يرتضي
حُبّاً يُنادي.. أو صدًى يُلهِمُ
ترونَ أنْ أنسى يمانيَّتي
كي يطمَئِنَّ الفاتحُ الأغشمْ
أَلصَّمتُ أنجى... حسنٌ..! إنَّما
في نارِ صَمتي (يمنٌ) مُرغمُ
هٰذي بلادي، وهنا إخوتي
أسكُتْ.. تأدَّبْ.. طافرٌ مُجرمٌ
لكن لماذا..؟ إنَّ أهلي بَنَوْا
هُنا ديراً، وهُنا خيَّموا

في كُلِّ شبرٍ تنجلي ضحوةٌ
مِن خَطوِهِمْ.. أو يزدهي مَوسمُ

هٰذي الحَصى من بعضِ أشلائِهِمْ
من لحمِهِمْ هٰذي الرُّبى الجُثَّمْ

هٰذا الضُّحى من وهجِ أبصارِهِمْ
ومِنْ رواهمْ هذهِ الأنجُمُ

ما زلتُ أدري أنَّ ذا مَوطني
.. لِمْ لا أُناديهِ وعندي فَمُ؟

* * *

بعد الحنين

هـل تـغـفـريـنَ لـو أنّـنـي
أُبـدي الـذي حـاولـتُ أُخـفـي؟
سـأقـولُ شـيـئـاً تـافِـهـاً
يَـكـفـي الـذي قـد كـانَ يـكـفـي
مـا عـادَ يـسـبـقُـنـي الـحـنـيـنُ إلـيـكِ
أوْ يـنـجَـرُّ خـلْـفـي
مـا كـانَ جـبَّـاراً هَـواكِ
وإنَّـمـا قَـوَّاهُ ضَـعـفـي
والـيـومَ لا أبـكـي نَـواكِ..
ولا أقـتـرابـي مـنـكِ يـشـفـي

أغسطس ١٩٦٩م

❁ ❁ ❁

ساعة نقاش
مع طالبة العنوان

ما جاء بين قوسين على لسان البطلة

ـ أهـلاً!.. أتُـريـديـنَ الـعـنـوانْ؟
مـهـلاً أرجـوكِ... لـمـاذا الآن؟
لا أدري الـسَّـاعـةَ... أيـنَ أنـا
أوْ مـا اسـمـي... أو مِـنْ أيِّ مـكَـانْ؟
فـي صَـدري تـبـكـي أطـيـارٌ
عـطـشى... في جُـمجمتِي شيطانْ

* * *

«شـيـطـانٌ أُنـثـى أو ذَكـرٌ..؟
شـيـطـانُ (الأعـشـى) أو (حـسَّـانْ)؟»
ـ خـفـقٌ نـاريٌّ يـعـزفُـنـي
وصـدًى كـأزاهـيـرِ الـرُّمَّـانْ

* * *

(هٰـذي أغـراضُ الـشِّـعـرِ كـمـا
جـرَّبـتَ ولاداتُ الـوِجـدانْ)
(تـغـلـي كـربـيـعٍ مـخـبـوءٍ
يـشـتـاقُ إلـى لـقُـيـا الـبُـسـتـانْ)

* * *

(أَلـطَّـقْـسُ رديءٌ ثـلـجـيٌ
أحـيـانـاً... جـمـرِيٌ أحـيـانْ)
(أخـبـارَ الـيـومِ نـفـوا، هـجـمـوا
كَـسَـروا إحـدى كَـتِـفـيْ لُـبـنـانْ)

* * *

(ألـديْـكَ جـديـدٌ تُـنـشِـدُنـا؟
مـا زال جـنـيـنـاً... بَـلْ غَـثَـيـانْ
«غـداً الـمـولـودُ سـنـرقُـبُـهُ»
- تـدريـنَ مـواعـيـدَ الـفَـنَّـانْ

* * *

«مـا مـطـلـعُـهـا؟.. أقِـفـا نـأسـى
مـن ذِكـرى سـيـنـا والـجـولان»
كـلُّ الـوطَـنِ الـغـالـي (سـيـنـا)
وجـمـيـعُ مـدائِـنـنـا (عـمَّـانْ)
«مـوشـي» مـا عـادَ هُـنـاكَ... هُـنـا
وهـنـا ألـفـا «مـوشـى ديَّـانْ»
مـن ذا يـقـتـادُ سَـفـائِـنـنـا؟
يـا ريـحُ... الـمـوجُ بـلا شُـطـآنْ
أتـعـيـدُ الـرِّيـحُ دَمَ الـقـتـلـى
وتَـشِـبُّ شـرايـيـنَ الـمـيـدانْ؟

* * *

أتَـريـنَ مـقـابِـرَنـا يـومـاً
تـهـتـاجُ.... فـتـقـذفُـنَـا شُـجـعـانْ

نـهـمـي أمـطـاراً . . . أو نَـهـوي
أشـلاءً . . . أونـمـضـي فُـرسـانْ

«مـعـقـولٌ . . . مـا دُمـنـا نُـشـوى
أنْ يُـنـضِـجَـنـا الألـمُ الـحَـرّانْ»

«أسـخـى الـثـوراتِ جـنًـى وُلِـدَتْ
فـي الـمَـنـفـى أو خـلـفَ الـقُـضـبـانْ»

أنـسـيـتَ الـقَـهـوةَ : ـ فـلـتَـبـرُدْ
«بَـرَدَتْ جـدّاً سـئـمَ الـفـنـجـانْ»

* * *

«قـل لـي أقـرأت مـقـالاتـي»
ـ فـي أنـقـى سـاعـاتِ الإمـعـانْ

وقـصـائـدكَ الـحـلـواتُ ضُـحًـى
وغـروبٌ صـيـفـيُّ الأجـفـانْ

ديـوانٌ يـبـدو . . . لا أحـلـى
مِـنـهُ إلّا أُمُّ الـدِّيـوانْ

«شُـكـراً يـا . . .» وارتـبَـكَـتْ ورَنَـا
مِـنْ عـيـنـيْـهـا خُـبـثٌ فَـتّـانْ

وتـراءَتْ كـامـرأةٍ أُخـرى
تـلـهُـو فـي داخِـلـهِـا امـرأتـانْ

فـتـنـاسـتْ لـهـجـتَـهـا الأولـى
وتـنـاغـتْ كـالـطِّـفـلِ الـجَـذلانْ

وتناعَستِ النُّبراتُ على
شفتيْها كالفجرِ النَّعسانْ

* * *

«ما بدءُ قصيدتِكَ الكُبرى؟»
وأضاءَتْ ضِحكَتُها الفُستانْ
ـ ما زلتُ أُفتِّشُ عن صوتي
وفمي... في مُعترَكِ الألحانْ
وأُسائِلُ عن وجهي عَنِّي
عن يومي في تيهِ الأزمانْ
عن حرفٍ حُرِّ الوَجهِ لَهُ
نفسٌ غَضبى وفمٌ غضبانْ
«أَلشِّعرُ اليومَ كما تَدري
ألوانْ.. ليسَ لَهَا ألوانْ»
«كُلُّ الأنفاسِ بلا عبَقٍ
كلُّ الأوتارِ بلا عِيدانْ»
«زمنُ الصَّاروخِ قصائدُهُ
عَجْلى كالصَّاروخِ العَجلانْ»
«ولِمَنْ تَشْدو.. والقصفُ هُنا
وهُنا.. والعصرُ بلا آذانْ»
أيديهِ فولاذٌ... فمُهُ
طاحونٌ... أرجُلُهُ نيران
«يرنُو من خلفِ التِّيهِ كما
تَرنُو الحيطانُ إلى الحيطانْ»

«أقـــراصُ الـــنَّـــومِ تـــبـــيـــع لَـــهُ
أهـــدابـــاً . . وهُـــدوءاً يـــقـــظـــانْ»

* * *

مـــا أضـــيَـــعَـــنـــايـــا شـــاعـــرتـــي
فـــي عـــصـــرِ الـــوزنِ بـــلا مِـــيـــزانْ
فـــي ظـــلِّ الـــغـــزوِ بـــلا غَـــزوِ
فـــي عـــهـــدِ الـــبـــيـــعِ بـــلا أثـــمـــانْ
أمـــوازنـــةُ الـــقُـــوَّاتِ سِـــوى
تـــجـــمـــيـــلِ مـــنـــاقـــيـــرِ الـــعِـــدوان؟

* * *

«فـــلـــتـــســـلَـــمْ فـــلـــســـفـــةُ الأيـــدي
ولـــتـــســـقـــطْ فـــلـــســـفـــةُ الأذهـــانْ»
«كـــلُّ الأرواقِ بـــمـــا حَـــمَـــلَـــتْ
تـــشـــتـــاقُ إلـــى ألـــفـــيْ طـــوفـــانْ»

* * *

ـ مـــا أتـــعـــبـــنـــا . . يـــا أخـــتُ، ومـــا
أقـــوى وأمـــرَّ عِـــدى الإنـــســـان!
«أدري إنَّـــا لـــم نـــتـــغـــيَّـــرْ
مـــهـــمـــا» عَـــصـــرَوْا[1] «لـــون الـــطُّـــغـــيـــانْ»
أتـــرى الـــقُـــرصـــانَ وإن لَـــبـــســـوا
أطـــرى الأشـــكـــالِ . . . سِـــوى الـــقُـــرصـــانْ

(١) عصروا: جعلوه عصريا.

«تـــدري . . مـــا زِلـــتَ لـــمـــولاتـــي
نـعـلاً . . وأنـا نـعـلُ الـسُّـلـطـانْ»
«قُـلْ: لـم نَـتُـركْ وثـنـاً لـكِـنْ . .
. . . فـي أنـفُـسِـنـا أصـلُ الأوثـانْ»
«مـــا أضـــعـــفَـــنـــا شـــيءٌ إلّا
مـا فـيـنـا مـن طـيـنِ الإذعـانْ»

* * *

«فـلأذهـب . . . عـفـواً طـوّلْـنـا»
ـ لـم تَـذهـبْ لُـقـيـانـا . . مـجّـانْ
«حـسـنـاً عـنـوانَـكَ» . . . وابـتـسـمـتْ
عـيـنـاهـا . . . . كـعـشـايـا (نـيـسـانْ)
ـ (صـنـعـا) يـا سـلـوى عـنـوانـي
بـيـتـي: فـي مُـزدَحَـمِ الأحـزانْ
عـمـلـي: عـزّافٌ مُـبـتـدِئٌ
يـبـكـي أو يَـشـدُو لـلـجُـدرانْ
صـنـدوقُ بـريـدٍ . . . مـعـروفٌ
بـرمـيـلُ الـحَـرقِ . . . أو الـنِّـسـيـانْ

* * *

وهـدأتُ بـرغـمـي وانـصـرفَـتْ
ولَـبِـسـنـا الـصَّـمـتَ عـلـى الأشـجـانْ

١٢ ـ ابريل ـ ١٩٧٢

السَّفر إلى الأيام الخُضر

إهـــداء

لـها..

لـتـلـكَ الـتـي تَـفـنـى وأخـلـقُ وجـهَـهَـا
وأرفـعُ نَـهـدَيْـهـا وأُبـدِعُ فـاهـا
أذوبُ وأقـسـو كـي أذوبَ لـعـلَّـنـي
أُؤجِّجُ مـن تـحـتِ الـثُّـلـوجِ صِـبـاهـا
وأنـسـجُ لـلـحـرف الـذي يـسـتـفـزُّهـا
دمـي أعـيـنـاً جـمـريَّـةً وشِـفـاهـا

* * *

أذُكِّـرُهـا مـرآتَـهـا، عـرقَ مـأربٍ
وأنَّ لـهـا فـوق الـجـيـوبِ جِـبـاهـا
وأنَّ اسـمَـهـا بـنـتُ الـمُـلـوك وأنَّـهـا
تـبـيـعُ بـأسـواقِ الـرَّقـيـقِ أبـاهـا
وأنَّ لـهـا طـيـشَ الـفـتـاةِ وأنَّـهـا
عـجـوزٌ... لـعِـنِّـيـنِ تـبـيـعُ هـواهَـا
أغَـنِّـي لِـمَـنْ؟.. لـلـحـلـوةِ الـمُـرَّةِ الـتـي
أُبـرعـمُ مـن حُـزنِ الـرَّمـادِ شـذاهـا

لِصنعَا التي تُردي جميعَ ملوكِها
وتهوى وتَستجدي ملوكَ سِواها
لِصنعَا التي تأتي وتَغربُ فجأةً
لتأتي ويجتازُ الغروبَ ضُحاها

طقوس الحرف

هُنَا، أُرَقِّمُ الصَّدى
وأنمحي كالخَربَشة
وكالصَّلاةِ أرتقي
وأرتمي كالأَرْوشة
أهمي ندًى وأرتخي
كالتُّربةِ المُرَشَّشة

* * *

سحابةٌ تزرعُني
تفاحةً ومِشمشة
فعشباً تجرُّه الحَصى
إلى الوعودِ المُنعِشة

* * *

مقبرةٌ تُلبِسُني
عباءةً مُزركشة
عِمامةً زيديَّةً
ولِحيَةً مُنتَفِشة
عشيَّةٌ تَمُدُّني
للرِّيحِ بيداً مُوحِشة

جـــنـــازةً هِـــنـــديَّـــةً
حـــمـــامـــةً مُـــعَـــشِّـــشَـــهْ

* * *

عـــصـــفـــورةٌ تَـــحِـــمـــلُـــنـــي
صـــفـــيـــحـــةً مُـــنَـــقَّـــشَـــهْ
جـــزيـــرةً... شـــواطِـــئـــاً
ســـفـــيـــنـــةً مُـــرَقَّـــشَـــهْ

* * *

حـــقـــيـــبـــةٌ تـــطـــبُـــخـــنـــي
قـــضـــيَّـــةً مُـــشَـــوَّشَـــهْ
أمـــســـيـــةً كـــهـــفِـــيَّـــةً
صـــبـــيـــحـــةً مـــغـــبّـــشـــهْ
بـــيـــتـــاً. كـــتـــابـــاً. شـــارعـــاً
مـــقـــهَـــى. حـــكـــايـــا مُـــذْهِـــشَـــهْ

* * *

ألـــوهَـــةٌ تـــعـــزِفُـــنـــي
وعـــداً غـــريـــبَ الـــوَشْـــوَشَـــهْ
دقـــائـــقـــاً ورديَّـــةً
مـــواقِـــفـــاً مُـــرتَـــعِـــشَـــهْ

نوفمبر ١٩٧٣م

❁ ❁ ❁

لصٌّ تحت الأمطار

أَلـلَّـيـلُ خَـريـفـيٌّ أَزعَـنْ
يَهمي.. يَدوي.. يَرمي.. يَطعَنْ
يَستَلُّ حِراباً مُلهِبَةً
يستلقي كالجبلِ المُثخَنْ
يأتي ويعودُ كطاحونٍ
أحجاراً وزُجاجاً يَطحَنْ
يعدوُ كالأدغالِ الغَضبى
يسترخي يَفْغَرُ كالمدفَنْ
يَعرَى... يتزيَّا... يتبدَّى
أشكالاً... يبسمُ... يتغضَّنْ
في كُلِّ جِدارٍ يَتَلَوَّى
وبُكلِّ مَمَرٍّ... يتأسَّنْ
وبلا أسماءٍ يَتَسَمَّى
وبلا ألوانٍ... يَتَلَوَّنْ
ويَشُمُّ بأُذنيهِ، يَرنو
قلقاً كرقيبٍ يتكهَّنْ

* * *

مـــن أيـــنَ أمُـــرُّ؟ هـــنـــا وَكْـــرٌ
مـــلـــعـــونٌ... رادتُـــهُ ألـــعَـــنْ
وخـــصـــوصـــيَّـــاتٌ... واقـــفـــةٌ
تـــهـــذي كـــالـــمـــذيـــاعِ الألْـــكَـــنْ
وتُـــقِـــلُّ بـــرامـــيـــلاً تَـــســـطُـــو
تـــحـــتَ الأضـــواءِ ولا تُـــســـجَـــنْ
أخـــشـــابـــاً جـــدُّ مُـــبَـــرْوَزَةٌ
بـــأســـامـــي نـــاسٍ تـــتـــزيَّـــنْ

* * *

وهـــنـــا شُـــبَّـــاكٌ يَـــلـــحَـــظُـــنـــي
شـــبـــحٌ فـــي وجـــهـــي يَـــتَـــمَـــعَّـــنْ
شـــيءٌ... يـــهـــتـــزُّ كـــعـــوسَـــجَـــةٍ
وعـــلـــى قَـــدمَـــيْـــهِ... يَـــتَـــوَثَّـــنْ
بـــابٌ يَـــسْـــتَـــجْـــلـــي... زاويَـــةٌ
تُـــضْـــغـــي... مُـــنعَـــطفٌ كـــالـــمَـــكـــمَـــنْ
قـــنـــديـــلٌ يَـــســـهـــوُ كـــالـــغـــافـــي
ويَـــعـــي كـــغـــبـــيٍّ يَـــتـــفـــطَّـــنْ
كـــبـــريءِ عـــاصٍ يـــتـــلـــقَّـــى
إعـــدامـــاً عـــن حُـــكـــمٍ مُـــعـــلَـــنْ

* * *

مـــا هـــذا؟ جـــمْـــعٌ مُـــضـــطَـــخِـــبٌ
يَـــعـــوي أو يـــشـــدو... يَـــتـــفـــنَّـــنْ

حُـفـرٌ تَـزتَـجُّ روادِفُـهـا
حُـزَمٌ مـن قـشٍّ تَـتَـلَـحَّـنْ
طَـرَبٌ فـي ذا الـقـصـرِ الـعـالـي
أو عـرسٌ فـي هـذا الـمَـسْـكَـنْ

* * *

ولـمـاذا أحـسـدُ مَـنْ يَـبْـدو
فَـرِحـاً مـن عـيـشَـتِـهِ مُـمْـتَـنْ؟
لا... لَـسـتُ لـئـيـمـاً يـؤسِـفُـنـي
أن يَـهـنـا غـيـري فـي مـأمَـنْ
لـكِـنَّ مـسـرَّاتِ الـهـانـي
تُـوحـي لـلـعـانـي أن يَـحـزَنْ

* * *

حَـسـنـاً، كـفَّ الـمـطـرُ الـهـامـي
وبـدأتُ كـدَرْبِـي أَتَـعـفَّـنْ
وأخـذتُ كـأُمـسـيـتـي أهـمـي
أتـرَمَّـدُ... أدمَـى... أتـعـجَّـنْ

* * *

أيـسـاراً يـا (صَـنـعـا) أمـضـي
أم أنـتـهـجُ الـدَّربَ الأيـمَـنْ؟
هَـلْ هـذا الأحـسـنُ أم هـذا؟
يـبـدو لا شـيءَ هُـنـا أحـسَـنْ

* * *

فلْتُقدِمْ يا (فرحانُ) بلا
خوفٍ.. ما جدوى أنْ تأمَنْ
أقدَمتُ... أظُنُّ بلا ظَنِّ
وبدونِ يقين أتيقَّنْ
ومَضيتُ، مَضَيتُ.. وَصلتُ إلى
حيٍّ... كدخيلٍ يتيمَّن[1]
فهنا إقطاعيٌّ دَسِمٌ
وهنا إقطاعيٌّ أسمَنْ
هذا ما أعتى حارِسَهُ
بَلْ هذا حارسُهُ أخشَنْ
والدَّارُ الشَّامخةُ الأُخرى
تبدو أغنى... لِكنْ أحصَنْ
وهناكَ عجوزٌ وارثةٌ
تُعطي... لو عندي ما أرهَنْ
هَلْ أغْشى مَنزِلها؟ أغشى
فلعلَّ فوائِدَهُ أضمَنْ
لا، لا... فيهِ جُبنُ امرأةٍ
وأنا لو أخنُقُها أجبَنْ

* * *

ألبنكُ حراسَتُهُ أقوى
ويُقالُ ودائِعُهُ أثمَنْ

(١) يتيمن: يتزيا بزي أهل اليمن.

لـــو كـــانَ الأمـــرُ حِـــراسَـــتَـــهُ
لـحَـسـبـتُ صـعـوبـتَـهُ أمـكَـنْ

أَلـبَـنـكُ مـغـالـقُـهُ أُخـرى
تـحـتـاجُ لـصـوصـاً مـن (لَـنْـدَنْ)

كـــلُّ الأمـــوالِ مُـــسـلَّـحـةٌ
بـفـنـونِ الإرهـابِ الـمُـتـقَـنْ

فـلأرجِـع. حـسـنـاً... لا أدري
أرُجـوعـي... أم تـيـهـي أغـبَـنْ؟

سـيَـهِـلُّ غـدٌ... ولَـهُ طُـرُقٌ
أنـقـى... ومـتـاعِـبُـهُ أهَـونْ

وبـدأتُ أُحِـسُّ بُـزوغَ فـتًـى
غـيـري، مـنِ مـزقـي يـتـكَـوَّنْ

سبتمبر ١٩٧٣م

❁❁❁

يداها

مثلما يبتدِئُ البيتُ المُقفَّى
رحلةً غيميَّةً تبدو وتَخفى
مثلما يلمسُ منقارُ السَّنى
سَحَراً أرعشَ عينيْهِ وأَغْفى
هكذا أخسُو يديكِ إصبعاً
إصبعاً أطمعُ لو جاوَزْنَ ألفا
مثلَ عنقودينِ أعيا المُجتنى
أيَّ حبَّاتِهما أحلى وأصفى
هذه أملى، وأطرى أختُها
تلكَ أشهى، هذه للقلبِ أشفى
هذه أخصبُ نُضجاً إنَّني
ضِعتُ بينَ العشرِ لا أملكُ وَصْفا

* * *

حُلوةٌ تُغري بأحلى، كلُّها
هتفت: كُلني وصَدَّتْ وهي لَهْفى
تلك أصبى، تلكَ أنقى إنَّما
لم أُفَكِّرْ أنَّ في البُستانِ أجفى

* * *

أنـــتَ مـــن أيـــنَ؟ ـ كـــنـــبْـــضـــيْ وَتَـــرِ
ودَنَـــتْ شـــيـــئـــاً ـ أنـــا مـــن كُـــلِّ مَـــنـــفـــى

صـــمـــتَـــتْ بـــعـــدَ ســـؤالِ قَـــرأتْ
مـن صَـداهُ. . . قِـصَّـتي حـرفـاً فـحـرفـا

دمشق ـ أكتوبر ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

أُغنيةٌ مِنْ خَشَبْ

لـمـاذا الـعـدوُّ الـقـصـيُّ اقـتـربْ؟
لأنَّ الـقـريـبَ الـحـبـيـبَ اغـتـربْ

لأنَّ الـفـراغَ اشـتـهـى الإمـتـلاءَ
بـشـيءٍ فـجـاء سِـوى الـمُـرتَـقَـبْ

لأنَّ الـمـلـقِّـنَ والـلَّاعـبـيـن
ونـظَّـارةَ الـعـرضِ هُـمْ مَـنْ كَـتَـبْ

لـمـاذا اسـتـشـاطَ زحـامُ الـرَّمـادِ؟
تـذكَّـرَ أعـراقَـهُ فـاضـطـربْ

لأنَّ (أبـا لـهـبٍ) لـم يَـمُـتْ
وكـلُّ الـذي مـاتَ ضـوءُ الـلَّـهَـبْ

فـقـامَ الـدُّخـانُ مـكـانَ الـضـيـاءِ
لـهُ ألـفُ رأسٍ وألـفـا ذَنَـبْ

لأنَّ الـرِّيـاحَ اشـتـرت أوجُـهـاً
رجـالـيَّـةً والـغـبـارُ انـتـحَـبْ

أضـاعـت (أزالٌ)[1] بـنـيـهـا غَـدَتْ
لـكُـلِّ دعـيٍّ كـأمٍّ وأب

(١) أزال: أحد أسامي صنعاء.

وأقعَدتْ، لها قلبُ فاشيَّةٍ
ووجهٌ عليه سِماتُ العرب

* * *

فهل تِلكَ صَنعا؟ يَفِرُّ اسمُها
أمامَ التَّحري، ويعوي النَّسَبْ

وراءَ السِّتارِ الظَّفاري عيونٌ
صليبيَّةٌ، وفَمٌ مُكتَسَبْ

عجوزٌ تَئِنُّ بعصرِ الجليدِ
وتلبسُ آخر ما يُجتلَبْ

* * *

لماذا الذي كانَ ما زالَ يأتي؟
لأنَّ الذي سوفَ يأتي ذَهَبْ

لأنَّ الوجوهَ استحالت ظُهوراً
تفتِّشُ عن لونِها المُغتَصَبْ

لأنَّ المغنِّي أحبَّ كثيراً
كثيراً، ولم يَدرِ ماذا أحَبْ

لماذا تُمنِّي الظروفُ الحنينَ
فتُغري وتعرضُ غيرَ الطَّلَبْ؟

تَغِلُّ العواسجُ في كُلِّ آنِ
وفي كُلِّ عامٍ يَغِلُّ العِنَبْ

لماذا، لماذا ركامٌ يمُرُّ
ركامٌ يلي دون أدنى سبَبْ؟!

ويَستَفِزُّ الغَضَبُ الحَمْحَماتِ
قليلاً، ويعتادُ يَعيا الغَضَبْ

ويُحصي الطريقُ... جدارٌ مَشَى
جدارٌ سيمشي، جدارٌ هَرَبْ

ولا شيءَ غيرُ جدارٍ يقومُ
بوجهي... وثانٍ يعدُّ الرُّكَبْ

وتحكي - أعاجيبَ مَنْ أدبَروا
وجاؤوا - شبابيكَ (بئرِ العَزَبْ)[1]

ولم يَمضِ شيءٌ يُسَمَّى غريباً
ولم يأتِ شيءٌ يُسَمَّى عَجَبْ

لأنَّ الصَّباح دُجَى، والدُّجى
ضُحَى، ليسَ يَدري لماذا غَرَبْ

فلا الصِّدقُ يبدو كصدقٍ ولا
أجادَ أكاذيبَهُ مَنْ كَذَبْ

* * *

لماذا؟! ويمحو السؤالُ السُّؤالَ
وينسى الجوابُ اسمَهُ واللَّقَبْ

ويُضني المُغَنِّي يديهِ وفاهُ
وشيءٌ يُجَلمِدُ حِسَّ الطَّرَبْ

(١) بئر العزب: أحد الأحياء الراقية في صنعاء.

فتمضي القواربُ مقلوبةً
وتأتي ويَنسى المحيطُ الصَّخَبْ
ويصحو الغرامُ يَرى أنَّهُ
على ظهرِ أغنيةٍ مِنْ خَشَبْ

فبراير ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

من بلادي عليها

قُلْ لها . . . قَبلَ أن تَعُضَّ يديها
هَلْ غرامُ الذِّئابِ يحلو لَدَيْهَا؟
وهي ليست شاةً . . . ولكن لماذا
تتوالى هٰذي الهدايا إليها؟
مُقلتاها أظما من الرَّملِ . . . ماذا
يَرشفُ المُرْتَوونَ مِنْ مُقلَتيْها

* * *

عشقُ هذا الزَّمانِ يَخلعُ وجهاً
ويُغطي وجهاً . . . ويُبدي وُجَيْها
إنَّهم عاشقونَ . . . فلْيخدعوها
لَنْ يُلاقوا أعزَّ مِنْ جانبيْها
تحتسي منهمُ الجُنيهاتِ لَكِنْ
لا ترى عشقَهُمْ يُساوي الجُنيها
تمتطي كفُّها الهدايا . . . ولكن
كلُّ مُهدٍ لا يمتطي مَنْكِبَيها
فهي أشقى من عاشِقَيها وأقوى
غيرَ أنِّي أخافُ مِنها عليها

فبراير ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

أحزان.. وإصرار

شوطُنا فوقَ احتمالِ الإحتمالْ
فوقَ.. الصَّبرِ... لكن لا انخذالْ

نغتلي.. نبكي... على مَنْ سَقَطوا
إنَّما نمضي لإتمام المَجَالْ

دمُنا يَهمي على أوتارِنا
ونُغَنِّي للأماني بانفعالْ

مُرَّةٌ أحزانُنا... لكنَّها
- يا عذابَ الصَّبرِ - أحزانُ الرِّجالْ

نبلعُ الأحجارَ... ندمى إنَّما
نعزفُ الأشواقَ... نشدو للجَمالْ

ندفنُ الأحبابَ... نأسى إنَّما
نتحدَّى... نحتذي وجهَ المُحَالْ

مُذْ بدأنا الشَّوطَ.. جَوْهَرنا الحَصى
بالدَّمِ الغالي وفَرْدَسْنا الرِّمالْ

وإلى أينَ...؟ غَرفْنا المُبتدا
والمسافاتُ - كما ندري - طِوالْ

وكنيسانَ انطلقنا في الذُّرى
نسفحُ الطِّيبَ يميناً وشَمَالْ

نبتتي لليمنِ المنشودِ مِنْ
سُهْدِنا جسراً وندعوهُ: تعالْ

* * *

وانزرغنا تحت أمطارِ الفَنَاءْ
شجراً مِلءَ المَدى... أعيا الزَّوالْ
شجراً يَحضِنُ أعماقَ الثَّرى
ويُعيرُ الرِّيحَ أطرافَ الظِّلالْ
واتَّقدنا في حشا الأرضِ هوًى
وتحوَّلنا حقولاً.... وتِلالْ
مِشْمِشاً.. بُنًّا.. ورواداً.. وندًى
وربيعاً... ومَصِيفاً وغِلالْ
نحنُ هٰذي الأرضُ.. فيها نلتظي
وهي فينا عنفوانٌ واقتتالْ
من روابي لحمِنا هٰذي الرُّبى
من رُبى أعظُمِنا هٰذي الجبالْ

* * *

ليسَ ذا بدءَ التَّلاقي بالرَّدى
قد عشقناهُ وأضنانا وِصالْ
واتقى مِنْ دَمِنا عِمَّتَهُ
واتَّخذنا وجهَهُ النَّاري نِعالْ
نعرفُ الموتَ الذي يَعرفُنا
مَسَّنا قتلاً... ودُسْناهُ قِتالْ

وتَقَحَّمْنا الدَّواهي صُوَراً
أَكَلَتْ مِنَّا... أَكَلْناها نِضالْ
موتُ بعضِ الشَّعبِ يُحيي كلَّهُ
إنَّ بعضَ النَّقصِ روحُ الاكتمالْ

* * *

هُهُنا بعضُ النُّجومِ انطفأتْ
كي تزيدَ الأنجمُ الأُخرى اشتعالْ
تفقدُ الأشجارُ من أغصانِها
ثُمَّ تزداد اخضراراً واخضلالْ
إنَّما.. ياموتُ.. هل تدري متى
ترتخي فوقَ سريرٍ من مَلالْ؟
في حناياناسؤالٌ... مالَهُ
من مُجيبٍ... وهو يَغلي في اتِّصالْ
ولماذا ينطفي أحبابُنا
قبلَ أن يستنفدَ الزَّيتَ الذُّبالْ؟
ثُمَّ ننسى الحُزنَ بالحُزنِ ومَنْ
يا ضياعَ الرَّدِّ ـ يُنسينا السُّؤالْ..؟

مايو ١٩٧٣م

ورقة من التاريخ

مسافرة بلا مُهِمَّة

يا رؤى اللَّيلِ. . . يا عيونَ الظَّهيرهْ
هل رأيتُنَّ موَطني والعشيرهْ؟
هل رأيتُنَّ يحصُباً أو عَسيراً؟
كان عندي هناكَ أهلٌ وجِيرَهْ
ودوالٍ تشقرُّ فيها اللَّيالي
ويمدُّ الضُّحى عليها سريرَهْ
ورواب عيونُهُنَّ شموسٌ
وعليهنَّ كُلُّ نجمٍ ضَفيرَهْ
وسفوحٌ تَهمي ثُغاءً وحبّاً
وحقولٌ تَروي نبوغَ الحَظيرَهْ
وبيوتٌ ينسى الضُّيوفُ لديها
قلقَ الدَّارِ. . . وانتظارَ المُديرَهْ
يا رؤى، يا نجومُ. . أين بلادي؟
لي بلادٌ كانت بشبهِ الجزيرَهْ
أخبرَوا أنَّها تَجلَّت عروساً
وامَتَطَتْ هُدهداً، وطارت أسيرَهْ
وإلى أينَ يا نجومُ. .؟ فتومي
ما عرفنا - يا أختُ - بدءَ المسيرَهْ

مَنْ أنا يا مدى . . ؟ وأُنكرُ صوتي
ويَعبثُ السِّفارُ وجهَ السَّفيرَهْ

مَنْ أشاروا عليَّ كانوا غباءً
ليتَهُمْ موضعي وكنتِ المُشيرَهْ

كيفَ أختارُ . . كيفَ؟ ليسَ أمامي
غيرُ دربٍ، فليسَ في الأمرِ خيرَهْ

رحلَتْ مثلما يَحُثُّ سُراه
موكبُ الرِّيح في اللَّيالي المَطيرَهْ

وارتدى (الفارُ) ناهديْها وأنسَت
هجرةُ المُنحنى خُطاها الأخيرَهْ

ورَووْا: أشأمَتْ على غيرِ قَصدٍ
ثُمَّ أمسَتْ على (دمشقَ) أميرَهْ

قلعَتْني - يا شامُ - ريحٌ . . وريحٌ
زرعَتْني هُنا . . كُروماً عصيرَهْ

وبرغمي نزلْتُ غيرَ مكاني
مثلما تلتقي العظامُ النَّثيرَهْ

وبلا موسمٍ تَنامَتْ وحَيَّتْ
بالرياحينِ والكؤوسِ النَّضيرَهْ

(وسقتْ من أتى البريصُ إليها
بردى . . خمرةً . . ونُعمى وفيرَهْ)

وعَلَتْ جبهةُ (الخورنَقِ) تاجاً
يا(سِنِمَّارُ) أيُّ عُقبى مُثيرَهْ؟!

وهَمَتْ كالنُّجومِ سَعداً ونحساً
وعطايا وحشيَّةً ومُجيرَهْ
(أنتِ كاللَّيلِ مُدركي من أمامي
ووراءي.. كلُّ النَّواحي ضريرَهْ)

* * *

وحكَوْا: أنَّها ثيابُ سواها
جمَّلَتْها... وأنَّها مُستعيرَهْ
فرأوْها وصيفةً عندَ (روما)
ورأوْها في بابِ (كِسرى) خفيرَهْ
وبعيراً لبنتِ (باذانَ) حيناً
وأواناً... تحتَ (النَّجاشي) بعيرَهْ
عندما أحرقَتْ (بنجرانَ)غَزواً
كان ينوي.. صارت رمادَ الجزيرَهْ
أطفأت بالثقاب مدَّ جحيم
أتراها ملَومةً أم عذيره..؟
فتهاوَتْ حصَى وطارتْ عُيوناً
هربَتْ من وجوهِها مُستجيرَهْ
وإلى أينَ ثانياً يا منافي
والإجاباتُ كالسُّؤال مريرَهْ؟

* * *

نزلَتْ (يثرباً) هشيماً فكانَتْ
بالعناقيدِ والرَّفيفِ بشيرَهْ

فتناغى النّخيلُ من أينَ جاءتْ
هذه الكَرمةُ العجوزُ النّكيرَهْ؟
جِئتُ يا عمُّ من جذوري أرجّي
تربةً من رمادِ حُزني قريرَهْ

* * *

وتجلّتْ في ذلكَ القفرِ دُوراً
وقطوفاً تومي بأيدٍ مُنيرَهْ
ونخيلاً من السُّيوفِ المَواضي
وسيوفاً من القوافي الجَهيرَهْ
وارتمت في (حُرى) طريقاً وكهفاً
ثم أَضْحَتْ مَنذورةً ونذيرَهْ
ومصَلًّى، وخندقاً، وحصوناً
ونبيّاً، وسورةً مُستطيرَهْ

* * *

ولياليٍ مَضَتْ وجاءت لياليٍ
وانقضَتْ عِسرةٌ وجاءتْ عسيرَهْ
فانتضَتْ في يدٍ (السَّقيفةِ) (سعداً)
أكبرُ القومِ... للأمورِ الكبيره

* * *

يا قريشُ اذكري نَمَتْنا جميعاً
صُحبةٌ سَمحةٌ وقُربى أثيرَهْ
فلكِ السّبقُ والجبينُ المُحلّى
وأنا الجبهةُ الشّموخُ النّصيرَهْ

أنـتِ أمّـارةٌ . . . أنـا - ثُـمَّ قـالـوا :
سَـكَـتَـتْ قـبـلَ أن تـقـولَ - وزيـرَهْ

* * *

دهـشـةُ الـبـدءِ ضـيَّـعَـتْ مـن خُـطـاهـا
أوَّلَ الـدَّربِ وهـي حـيْـرى حـسـيـرَهْ
وجـهُـهـا غـاصَ فـي غُـبـارِ الـمـرايـا
واسـمُـهـا ضـاعَ فـي الأمـاسـي الـغـفـيـرَهْ
أيـنَ (سـعـدٌ) قـالـوا : رمـاهُ عـشـاءً
مـاردٌ مـن (قُـبـا) يُـسـمـى(بـجـيـرَهْ)
وحـكَـوْا : أنَّـهـا اسـتـعـارت وجـوهـاً
خـبَّـأتْ تـحـتَـهـا الـوجـوهَ الـكـسـيـرَهْ

* * *

وإلـى أيـنَ ثـالـثـاً . . . ؟ هـل لـسـيْـري
وانـثـنـائـي مـهـمَّـةٌ بـي جـديـرَهْ؟
أصـبـحَ الـصَّـارمُ الـيـمـانـي بـكَـفِّـي
(مِـرْوداً) فـي يـديْ فـتـاةٍ غـريـرَهْ
وطَـغَـتْ رِدَّةٌ فـعـادتْ نـبـيّـاً
ونـخـيـلاً مـن الـسُّـيـوفِ الـشَّـهـيـرَهْ

* * *

وإلـى أيـنَ رابـعـاً . . ؟ لـقـتـالِ
جَـنَّـحـتْ خـيـلُـهُ وشَـبَّـتْ نـفـيـرَهْ
مَـنْ رآنـي خُـضْـتُ الـفـتـوحـاتِ لـكِـنْ
عُـدْتُ مِـنـهـا إحـدى الـسَّـبـايـا الـطَّـريـرَهْ

* * *

وإلى أينَ خامِساً . . . يا قوافي؟
هاجرَ الحبُّ والرَّوابي الخَضيرَهْ
فأتَتْ ثانياً (دمشقُ) غراماً
قمريَّ الجبينِ، باكي السريرَهْ

* * *

قصرُ (أُمِّ البنينَ) هذا، عليه
- حسبما أخبرَتْ - سِماتٌ كثيرهْ
جرَّبَتْ أعسرَ الفتوحِ خيولي
فلأُجرِّبْ هذي الفتوحَ اليَسيرَهْ
لم أجدْ (روضةً)، فأدركتُ أزهى،
لعبةٍ، حلوة . . . ولكن خطيرَهْ
وعلى موعدٍ رقَتْ في ثوانٍ
كتِفَ القصرِ بالهوى مُستنيرَهْ
فِتَنٌ فوقَ ما يظنُّ التمنِّي،
غرفةٌ فوقَ وصفِها بالوثيرَهْ
لحظةً والتوى السريرُ ضريحاً
خشبيّاً يموتُ . . . يطوي زفيرَهْ
إيهِ (وضّاحُ) دونكَ البئرَ فانزِلْ
قطعةً دونَ وصفِها بالحقيرَهْ
ولهَتْ (ديدَمُونةٌ) في عُلاها
(وعطيلُ) الهوى صريعُ الحفيرَهْ

هـكـذا أخـبـرُوا. . . لأنَّ بـلادي
خـنـجـرُ الآخـريـنَ وهـي الـعَـقـيـرَهْ

* * *

مـا الـذي جـدَّ؟ أعـولَ الـثَّـأرُ حـتَّـى
لـيـسَ يـدري قـبـيـلَـهُ ودبـيـرَهْ

فـارتـقـى(هـاشـمٌ) و(مـروانُ) ولَّـى
وهـي مـلـغـيَّـةُ الـحـسـابِ. . . هـجـيـرَهْ

مَـنْ أنـا. . ؟ وانـجـلَـتْ لـهـا مـن بـعـيـدٍ
لـوزُ (هـمـدانَ) كـالـنُّـجـومِ الـصَّـغـيـرَهْ

ذكـرَتْ أن مـوطـنـاً كـان فـيـهـا
نـسـيَـتْ بِـدأهُ. . . وتـنـسـى مـصـيـرَهْ

فـانـثَـنَـتْ (هـاديـاً) وقـالـت تُـرابـي
ـ يـا كـنـوزَ الـرَّشـيـدِ ـ أغـلـى ذخـيـرَهْ

* * *

حـقـبـةٌ. . . والـتَـوتْ رُبـى مـن أفـاعِ
غـادراتٍ وهـي الـضَّـحـايـا الـغـديـرِهْ

تـوَّجـتْ. . . أسـقـطَـتْ عـلـى غـيـرِ هَـدْيٍ
وانـتـقَـتْ دون رؤيـةٍ أو بَـصـيـرَهْ

فـانـتـهـتْ فـاطـمـيَّـةً وهـي (أروى)
ظـاهِـراً. . . خـلـفَـهُ سِـجـلٌّ وسـيـرَهْ

وتـسـمَّـتْ (بـالـقـرمـطـيِّ) ولـكـن
أنـقـصـتْـهـا الـمـمـارسـاتُ الـقـديـرَهْ

فنفَت وادَّعَتْ . . . كما شاء داعٍ
لبِستْ وجهها . . . وأخفَتْ ضميرَهْ
وأسرَّتْ قدساً وأبدَتْ شِعاراً
خلفَهُ ـ لو علِمت ـ ألفُ شَعيرَهْ
واستحرَّت خلفَ (النجاحي) وأدمى
في رُباها خيولَهُ وحميرَهْ

* * *

ثُمَّ صارَتْ (مهديَّةً) (ورسولاً)
نزلَتْ وادياً أضاعَتْ شفيرَهْ
فأقامت في كُلِّ صقعٍ إماماً
هيَّأَتْ نعشَهُ وحاكَتْ حريرَهْ
وتساقَتْ دماً وشوقاً إليهِ
وهي أظمى إلى المياهِ النَّميرَهْ

* * *

من أتى . . ؟ عاصفٌ من التُّركِ طاغٍ
فلأمزِّقْ حلوقَهُ وهديرَهْ
إنَّهُ يقذفُ السَّعيرَ المُدوِّي
فلأردِّ إلى حشاهُ سَعيرَهْ
وأعدَّت لَهُ القبوزُ إلى أنْ
دَفَنَتْ عهدهُ أجَدَّتْ نظيرَهْ

* * *

وتراخى عهدٌ عثيرُ اللَّيالي
وارتَخَتْ تحتَ رُكبتيْهِ عثيرَهْ

وبــلا يــقــظــةٍ أفــاقَــتْ ومــدَّتْ
(حـزْيَـزاً) شُـعـلـةً إلـى (ضـبـر خـيـرَهْ)

* * *

وهـنـاكَ انـطـفَـتْ وأطـفَـتْ وقـالـوا:
خـبـزَتْ لـلـخُـلـودِ أشـهـى فـطـيـرَهْ

وحَـكَـوْا: أنَّـهـا أرادت... ولـكـن
جـيـدُهـا الـمُـنـحـنـي قـد اعـتـادَ نِـيـرَهْ

وطـوَتْ أربـعـاً وعـشـراً، مُـنـاهـا
مُـسـرعـاتٌ لـكـن خُـطـاهـا قـصـيـرَهْ

* * *

رُبَّـمـا تـخـدعُ الـبـروقُ عـيـونـي
رُبَّـمـا تـحـتَـهـا غـيـوثٌ غـزيـرَهْ

أيَّ شـيءٍ أريـدُ؟ مـا عـدتُ أغْـفـو
أقـلـقَ الـعـصـرُ مـرقـدي وشـخـيـرَهْ

* * *

هـنـا أنـهـتِ الإمـامـاتُ، هَـبَّـتْ
مِـنْ أسـاهـا تـقـودُ أبـهـى مـسـيـرَه

هَـلَّ (أيـلـول) مـولـداً وربـيـعـاً
لـم تَـزَلْ تـحـمـلُ الـفـصـولُ عـبـيـرَهْ

وقـلاعـاً تـثـنـي الـمـغـيـريـن صَـرعـى
وتـلالاً مـدجَّـجَـاتٍ مُـغـيـرَهْ

* * *

ثُمَّ ماذا؟ أَسمَتْ (سعيداً) (نبيلاً)
ودعَتْ (شُعلةً) (هدى) أو(سميرَهْ)
غيَّرتْ شَعرَ جلدِها وهي لمَّا
تتغيَّرْ ولَمْ تُغيِّرْ وتيرَهْ
فترةً واجتلَتْ قِناعاً يُحلِّي
جبهاتٍ إلى القَفا مُستديرَهْ
أصبحَتْ أطوعَ المطايا ولكِن
بالتواءِ الدُّروبِ ليستْ خبيرَهْ

* * *

فلأُسافرْ كعادتي. كلُّ قفرٍ
ذبْتُ في نبتِهِ سكنْتُ صفيرَهْ
ورمادي خلفي يعدُّ رجوعي
يعجنُ الرِّيحَ باحثاً عن خميرَهْ

* * *

رحلَ النَّبعُ من جذوري فهيَّا
يا هشيمَ الغُصونِ نَتْبَعْ خريرَهْ
وإلى أين - يا منافي... أخيراً...؟
وتشظَّتْ في كُلِّ مَنفى أجيرَهْ
هكذا ما جرى لأنَّ بلادي
ثروةُ الآخرينَ، وهي الفقيرَهْ

يوليو ١٩٧٣ م

الغزو من الداخل

نُشرت هذه القصيدة في أكثر من جريدة ومجلة ومنشور، وكانت مليئة بالأغلاط نتيجة اختلاف الخط النسخي والاستعجال، وهي الآن في صيغتها الصحيحة باستثناء زيادة أربعة أبيات في كل مقطع.

فظيعٌ جهلُ ما يجري
وأفظعُ مِنهُ أنْ تَدري
وهل تدرينَ يا صنعا
مَنِ المُستعمرُ السِّرِّي
غُزاةٌ لا أُشاهِدُهم
وسيفُ الغزوِ في صدري
فقد يأتونَ تبغاً في
سجائرَ لونُها يُغري
وفي صدقاتِ وحشيٍّ
يُؤنسِنُ وجهَهُ الصَّخري
وفي أهدابِ أُنثى، في
مناديلِ الهوى القَهْري
وفي سروالِ أُستاذٍ
وتحتَ عِمامَةِ المُقري
وفي أقراصِ مَنعِ الحملِ
في أنبوبَةِ الحِبرِ

وفي حُريّةِ الغَيَانِ
في عَبَثِيّةِ العُمْرِ
وفي عَوْدِ احتلالِ الأمسِ
في تشكيلِهِ العَصْري
وفي قنّينةِ الويسكي
وفي قارورةِ العِطرِ
ويستَخفُونَ في جلدي
وينسلّونَ مِنْ شعري
وفوقَ وجوهِهِم وجهي
وتحتَ خيولِهِمْ ظهري
غُزاةُ اليومِ كالطّاعونِ
يخفى وهو يستشري
يُحَجِّرُ مولدَ الآتي
يُوَشّي الحاضرَ المُزري
فظيعٌ جهلُ ما يجري
وأفظَعُ مِنهُ أنْ تدري

* * *

يمانيُّونَ في المَنفى
ومَنفيُّونَ في اليمَنِ
جنوبيُّونَ في (صَنعا)
شماليُّونَ في (عَدَنِ)
وكالأعمامِ والأخوالِ
في الإصرارِ والوَهْنِ

خُطى (أكتوبر) انقلبَتْ
حُزيرانيَّةَ الكَفَنِ

تَرَقَّى العارُ من بيعٍ
إلى بيعٍ بلا ثمنِ

ومِنْ مُستعمرٍ غازٍ
إلى مُستعمرٍ وطَني

لماذا نحنُ يا مربى
ويا منفى بلا سكَنِ

بلا حلمٍ بلا ذِكرى
بلا سلوى بِلا حَزَنِ؟

* * *

يمانيُّونَ يا (أروى)
ويا (سيفَ بن ذي يزنِ)

ولٰكِنَّا برغمِكُما
بلا يُمْنٍ بلا يَمنِ

بلا ماضٍ بلا آتٍ
بلا سرٍّ بلا عَلَنِ

* * *

أيا (صنعا) متى تأتينَ؟
مِنْ تابوتِكِ العَفِنِ

تُسائِلُني أتدري؟ فاتَ
قبلَ مجيئِهِ زمَني

30/06/2011

مـــتـــى آتـــي ألا تَـــدري
إلـــى أيـــنَ انـــثـــنَـــتْ سُـــفُـــنـــي
لـــقـــد عـــادَتْ مـــن الآتـــي
إلـــى تـــاريـــخِـــهـــا الـــوثـــنـــي
فـــظـــيـــعٌ جـــهـــلُ مـــا يـــجـــري
وأفـــظـــعُ مـــنـــهُ أنْ تـــدري

* * *

شـــعـــاري الـــيـــومَ يـــا مـــولاي
نـــحـــنُ نـــبـــاتُ إخـــصـــابِـــكْ
لأنَّ غِـــنـــاكَ أركَـــعَـــنـــا
عـــلـــى أقـــدامِ أحـــبـــابِـــكْ
فـــألَّـــهْـــنَـــاكَ قُـــلـــنـــا: الـــشَّـــمـــسُ
مـــن أقـــبـــاس أحـــســـابِـــكْ
فـــنَـــمْ يـــا (بـــابـــكُ الـــخُـــرْمـــي)
عـــلـــى (بـــلـــقـــيـــسَ) يـــا (بـــابـــكْ)
ذوائـــبُـــهـــا ســـريـــرُ هـــواكَ
بـــعـــضُ ذيـــولِ أربـــابِـــكْ
وبـــســـمِ الـــلـــهِ ـ جـــلَّ الـــلَّـــهُ ـ
نـــحـــســـو كـــأسَ أنـــخـــابِـــكْ

* * *

أمـــيـــرَ الـــنَّـــفـــطِ نـــحـــنُ يـــداكَ
نـــحـــنُ أحـــدُّ أنـــيـــابـــكْ

ونحنُ القادةُ العَطشى
إلى فضلاتِ أكوابِكْ

ومسؤولونَ في (صَنعا)
وفرّاشون في بابِكْ

ومن دَمِنا على دَمِنا
تَمَوْقِعُ جيشِ إرهابِكْ

لقد جِئْنا نجرُّ الشَّغْبَ
في أعتابِ أعتابِكْ

ونأتي كُلَّما تهوى
نُمَسِّحُ نعلَ حُجَّابِكْ

ونستجديكَ ألقاباً
نُتوِّجُها بألقابِكْ

فسُمْنا كيفما شاءتْ
نوايا ليلِ سردابِكْ

نعم يا سيِّد الأذنابِ
إنَّا خَيرُ أذنابِكْ

فظيعٌ جهلُ ما يجري
وأفظَعُ مِنهُ أن تدري

نوفمبر ١٩٧٣م

قبل الطريق

قبلَ الطَّريقِ أبتدي
سيري رحيلَ أحرُفي
أجيءُ قبلَ مولدي
بعدَ مدى تخلُّقي
مُفتِّشاً عن جبهتي
وعن عروقِ مِعزَفي
وعن عيونِ مَربعي
وعن نُهودِ مضيَفي

* * *

أصيحُ للرُّبى اقفزي
وللحدائقِ ازحفي
وللضِّفافِ أبحري
وللبحارِ كَفْكِفي
وللغُصونِ سافري
وللعروقِ رَفرِفي
وللحقولِ حَلِّقي
وللمقابرِ اهتفي

وللعواصفِ ارقدي
وللحجارةِ اعصِفي

* * *

أُحِسُّها جميعَها
تدوي: سئِمتُ مَوقفي
مللتُ طولَ وِقفتي
ومِلَّني توقُّفي
هل أبتدي تحرُّكي؟
تعلَّمي أنْ تَعرفي
وَجرِّبي أن تَرفُضي
وحاولي أن تجرُفي
تغَيَّري وغَيِّري
تجدَّدي وفَلسِفي
وأحرِقي ما أخرجوا
وألِّفُو وألِّفي
كي تُولدي جديدةً
قبلَ الولادةِ ائتلِفي
واستَحِثُّ رِحلتي
أضيعُ في تَقصُّفي
لا خطوةٌ تَدلُّني
ولا طريقٌ يقتفي
أمدُّ صوتي مَغبَراً
وأمتطي تلهُّفي

وأجتلي عوالِماً
منفيَّةً وأنتفي
مُحمَّلاً جِنِّيَّةً
حُبلى ووجهاً متحفي
جلدُ الرَّصيفِ مِئزَري
لونُ الرِّياحِ مِعطَفي
جنسيَّتي غرابتي
مملَكَتي تَطَرُّفي
مدينتي قصيدَةٌ
أُشعِلها وأنطفي
حبيبَةٌ تُميتُني
دقائقاً وتختفي
حريقةٌ تَشربُني
أشربُها وأشتفي

* * *

أجسُّ نبضَ نجمةٍ
على جبيني تَنكَفِي
أغيبُ في تَمزُّقي
كي يهتدي تَكَشُّفي

أكتوبر ١٩٧٣م

❁❁❁

السَّفر
إلى الأيامِ الخُضْر

يا رفاقي . . . إن أحزنَتْ أُغنياتي
فالمآسي . . . حياتُكُمْ وحياتي

إن هَمَتْ أحرُفي دماً فلأنِّي
يمنيُّ المِدادِ . . . قلبي دواتي

أمضغُ القاتَ كي أبيتَ حزيناً
والقوافي تهمي أسًى غيرَ قاتي

أنا أُعطي ما تمنحونَ احتراقي
فالمرارات بذرُكُمْ ونباتي

غيرَ أنِّي - ومِذيةُ الموتِ عَطْشى
في وريدي - أشدو فأُلغي وفَاتي

فإذا جِئتُ مُبكياً فلأني
جِئتكُمْ مِنْ مَمَاتِكُمْ ومَمَاتي

عارياً . . . ما استعرتُ غيرَ جبيني
شاحباً . . . ما حملتُ غيرَ سِماتي

جائعاً . . . من صَدى (ابنِ علوانَ) خُبزي
ظامئاً مِنْ ذبول (أروى) سُقاتي

* * *

رُبَّما أشتهي وأنعلُ خطوي
كُلَّ قصرٍ يُومي إليكِ فتاتي؟
أقسمَ الجَدُّ... لو أكلنا بشدي
لُقمةً من يدٍ.. أكلتُ بناتي[1]

* * *

قد تقولونَ ذاتيَ الحسُّ... لكنْ
أيَّ شيءٍ أحسُّ..؟ من أينَ ذاتي؟
كلُّ هذا الرُّكامِ جلدُ عظامي
فإلى أينَ مِنْ يديهِ انفلاتي؟
يحتسي من رمادِ عينيهِ لَمحي
يرتدي ظلَّ رُكبتيْهِ التفاتي
تحتَ سكِّينه تناءَى اجتماعي
وإلى شِدقِهِ تلاقى شتاتي
آخرَ اللَّيلِ... أوَّلَ الصُّبح.. لكنْ
هل أحسَّتْ نهودَها أُمسِياتي؟

* * *

هل أُداري أحلامَكُمْ فأُغَنِّي؟
للأزاهيرِ واللَّيالي شواتي...
عندما يُزهر الهشيمُ سأدعو:
يا كؤوسَ الشَّذى خُذيني وهاتي

---

(١) إشارة إلى المثَل الحِميري، تموت الحرةُ جوعاً ولا تأكُل بثديها

أَلشِّتاءُ الذي سيندى عقيقاً
يبتدي موسمَ الورودِ اللَّواتي . . .
ليسَ قَصدي أن تيأسوا، لخُطاكُمْ
قصَّةٌ مِنْ دمِ الصُّخورِ العواتي

* * *

يا رفاقي في كُلِّ مكسرِ غُصنٍ
ـ إنْ توالى النَّدى ـ ربيعٌ، مُواتي
يرحلُ النَّبعُ للرَّفيفِ ويَفْنى
وهو يُوصي: تَسَنْبلي يا رُفاتي
والرَّوابي يهجُسْنَ: فيمَ وقوفي
هٰهُنا يامدى . . . سأرمي ثباتي؟
سوفَ تأتي أيامُنَا الخُضْرُ لٰكنْ
كي ترانا نجيئُها قبلَ تأتي

أغسطس ١٩٧٤م

صنعاء...
في طائرة

على المقعدِ الرَّاحلِ المُستَقرّ
تطيرين مثلي... ومثلي لهيفَهْ
ومثلي... أناصِرْتُ عبدَ العبيدِ
وأنتِ لكُلِّ الجواري وصيفَهْ
كِلانا تُخشِّبُنا الأمنياتُ
وتعصِرنا الذِّكرياتُ العنيفَهْ
فَقَدْنَا الخليفةَ... مُذْ باعَنا
إلى كُلِّ سوقٍ... جنودُ الخليفَهْ

* * *

أصنعا إلى أينَ..؟ أمضي أعودُ
لأَمضي... كَأنّي أؤدي وظيفَهْ
مَلَكْتُ المطاراتِ والطَّائراتِ
وأكلي (جرادٌ) لأنّي سخيفَهْ
ومملكتي هودجٌ من رياحٍ
تروحُ عَجولاً... وتأتي خفيفَهْ
أتبكينَ؟ لا... لا ومن تؤسِفينَ
إذا أنتِ مقهورةٌ أو أسيفَهْ

وماذا سيحدثُ لو تصرُخِين
وتتَّزرينَ الدُّموعَ الكثيفَهْ

سيرنو إليكِ الرَّفيقُ اللَّصيقُ
وينساكِ حين تمرُّ المُضيفَهْ

ويُعطيكِ قُرصيْنَ مِنْ إسبرين
فتًى طيِّبٌ... أو عجوزٌ لطيفَهْ

وقد لا يراكِ فتًى أو عجوز
ولا يلمحُ الجارُ تلك الضَّعِيفَهْ

أتصغين..؟ لا صوتَ غيرُ الضَّجيج
وغيرُ اختلاج الكؤوسِ المُطيفَهْ

فقد أصبحَتْ رؤيةُ الباكياتِ
لطولِ اعتيادِ المآسي أليفَهْ

* * *

تخافين... ماذا؟ على أيِّ شيءٍ
تضِنِّينَ؟.. أصبحتِ أنتِ المُخيفَهْ

فلَمْ يبقَ شيءٌ عزيزٌ لديكِ
أضَعْتِ العَفافَ ووجْهَ العفيفَهْ

على بابِ (كسرى) رميتِ الجبينَ
وأسلمْتِ نهديْك يومَ (السَّقيفَهْ)

وبعتِ أخيراً لحى (تُبَّعٍ)
وأهدابَ (أروى) وثغرَ (الشَّريفَهْ)[1]

* * *

(١) الشريفة دهمي: مؤلفة وشاعرة من نوابه القرن الثاني عشر الهجري.

أتُعطيكِ (واشنطنُ) اليومَ وجهاً؟
خُذي.. حسناً.. جرِّبي كلَّ جِيفَهْ
فقد تُلْفِتينَ بهذا السُّقوطِ
كأخبارِ مُنتحرٍ في صحيفَهْ

* * *

أصنعا... ولكنْ متى تأنفينَ
يقولونَ قد كُنتِ يوماً مُنيفَهْ
متى منكِ تمضينَ عَجْلى إليك؟
ترينَ اخضرارَ الحياةِ النَّظِيفَهْ
أمِنْ قلبِ أُغنيَةٍ مِنْ دموعٍ
ستأتينَ..؟ أَمْ مِنْ حنايا قذيفَهْ

مايو ١٩٧٤م

بين المِدية والذَّابِحْ

وحشةُ الخارجِ تَعوي حولَهُ
ثُمَّ تَنفيهِ إلى داخلِهِ
غربةُ الدَّاخلِ تَرميه... إلى
مائجٍ يَبْحَثُ عن ساحِلِهِ
راحلٌ منهُ إليهِ... دربُهُ
شاردٌ أضْيَعُ مِنْ راحِلِهِ
بغضُهُ يسألُهُ عن بعضِهِ
ردُّه أَخْيَرُ من سائِلِهِ

* * *

باحثٌ عن قتلِهِ يعدو على
مِديةِ الذَّبحِ إلى قاتلِهِ
يأكلُ الموتُ بقايا عُمرِهِ
ويُغَنِّي في يَدَيْ آكِلِهِ
فمُهُ أصغرُ مِنْ صيحتِهِ
عبئُهُ أكبرُ مِنْ حاملِهِ

٢٥/٩/١٩٧٤م

شاعرٌ.. ووطَنُهُ في الغربة

كانَ صُبحُ الخميسِ أو ظهرُ جُمعَهْ
أَذْهَلَتْنِي عني عن الوقتِ لوعَهْ
دَهشَةُ الراحلِ الذي لم يُجَرِّب
طعمَ خوفِ النَّوى ولا شوقَ رَجْعَهْ
حين نادت إلى الصُّعودِ فتاةٌ
مثل اختي بُنَيَّةُ الصَّوتِ، رَبعَهْ
منذُ صارَتْ مُضِيفةً لقَّبوها
(سوزَنَا) واسمها الطفوليُّ (شَلعَهْ)

* * *

إنَّ عصريَّةَ الأسامي علينا
جلدُ فيلٍ على قوامِ ابنِ سَبعَهْ
هل يُطرِّي لونُ العناوين سفراً
مَيِّتاً زوَّقَتْهُ آخرُ طبعَهْ

* * *

حانَ أن يُقلع الجناحان... طِرنا
حفنةً مِنْ حَصى على صدرِ قلعَهْ
مقعدي كانَ وشوشاتِ بِلادي
وجهُ أرضي في أذْمُعي ألفُ شمعَهْ

ووصلْنا... قُطِّرتْ مأساةُ أهلي
مِنْ دمِ القلبِ دمعةً بعدَ دمعَهْ

* * *

زعموني رفعْتُ بندَ التَّحدِّي
واتَّخذتُ القتالَ بالحرفِ صنعَهْ

فلْيكُنْ... ولأمُتْ ثلاثينَ موتاً
كُلَّما خُضْتُ سِتَّةً هاجَ تسعَهْ

كُلَّما ذُقْتُ رائعاً مِنْ مَمَاتي
رُمْتُ أقسى يداً وأعنفَ روعَهْ

* * *

ألأني يا موطني... أتَجَزَّأ
قِطعاً من هواكَ في كُلِّ رُقعَهْ

نعتوني مُخرِّباً أنتَ تدري
أنَّها لَنْ تكونَ آخرَ خِدعَهْ

عَرَفُوا أنَّهُمْ أُدينوا فسَنُّوا
للجواسيسِ تهمةَ الغيرِ شِرعَهْ

عندما تفسُدُ الظُّروفُ تُسَمَّى
كُلُّ ذِكرى جميلةٍ سوءَ سُمعَهْ

يُظلِمُ الزَّهرُ في الظلام ويَبدو
مثلَ أصفى العيونِ تَحتَ الأشِعَّهْ

* * *

يا رحيلي هٰذي بلادي تُغنِّي
داخلي تغتلي تَدُقُّ بِسُرْعَهْ

كنتُ فيها ومُذْ تغَيبتُ عنها
سكنتني من أرضِها كُلُّ بقعَهْ
إلتَقَتْ فيَّ (صعدة) و(المُعلَّا)
أَلقطاعاتُ داخلي صِرن قِطعَهْ
صِرْتُ للمَوطِنِ المُقيمِ بَعيداً
وطناً راحلاً، أفي الأمرِ بِدعَهْ!؟
أحتسي موطِني لظًى، يحتسيني
من فمِ النَّارِ جرعةً إثرَ جُرعَهْ
في هواهُ العظيمِ أفنى، وأفنى
والعذابُ الكبيرُ أكبرُ مُتعَهْ

١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

مناضِلٌ في الفراش

مَـــنْ أنـــتَ مـــاذا تـــســـاوي؟
وكـــلُّ مـــا فـــيـــكَ خـــاوي
تُـــحِـــسُّ جِـــلـــدَكَ ثـــلـــجـــاً
مُـــطـــيَّـــنـــاً وَهْـــوَ كـــاوي
تَـــئِـــنُّ. تُـــخـــفـــي ضـــجـــيـــجـــاً
أنـــتَ الـــصَّـــدى وهـــوَ عـــاوي

* * *

أَلـــدَّاءُ فـــيـــكَ عـــنـــيـــدٌ
يـــقـــوى ولـــكِـــنْ تُـــقـــاوي
لا تـــســـتـــطـــيـــعُ تُـــوالـــي
ولا تُـــطـــيـــقُ تُـــنـــاوي

* * *

وكـــنـــتَ تُـــضـــنـــي الـــدَّواهـــي
تُـــعـــيـــي حـــلـــوقَ الـــمـــهـــاوي
تـــنـــوي قـــبـــورُكَ لِـــكـــنْ
تـــجـــتـــازُهـــا غـــيـــرَ نـــاوي
تـــدوسُ هَـــولاً وتُـــدمـــي
هـــولاً عـــنـــيـــفَ الـــمـــسَـــاوي

* * *

تلوحُ للقَبْضِ وَهماً
وتختفي في المَلاوي
فمِن رصيفَيْنِ تأتي
إلى رصيفَيْنِ تأوي
تبدو بكُلِّ مكانٍ
تخفى بسخرِ سَمَاوي

* * *

والآنَ تسطو عليهِمْ
وأنتَ وحدَكَ ثاوي
كسلانُ كالجِذعِ تقوى
عليكَ أدنى الهراوي
لا تشتهي أيَّ شيءٍ
وكلُّ ما فيكَ طاوِي
تَعُبُّ عشرينَ قُرصاً
وأنتَ كالأمسِ ذاوي
لا الطِّبُّ يعرفُ داءً
ولا الدَّواءُ يُداوي

* * *

كلُّ القِلاعِ اللَّواتي
أقلَقْتَها في تَهاوِي
فاهدأ فخطوكَ ماضٍ
والدَّربُ مُصغٍ وراوي

سبتمبر ١٩٧٤م

غريبان.. وكانا هما البلد

دلـيـل

عزيزي القارئ.. أحببت قبل أن تدخل إلى هذه القصيدة أن تحمل في يدك هذا الدليل إلى زواياها المعتمة بغبار الأحداث وأثرية الأسماء.

١ ـ (أُمُّهُ مِنْ سورةِ المَسَدْ): في البيت الثالث... إشارة إلى حمّالة الحطب في سورة المسد وهي تدل على الفقر والكدح.

٢ ـ (بينون): في البيت الثالث عشر: حصن من المرمر: بناه (الملك أسعد الكامل)، ويقع في منطقة (ثوبان ـ الحدا)، وليس له شهرة بين الآثار على غرابته لصعوبة الوصول إليه.

٣ ـ (صخرٌ من السَّدّ): في البيت الرابع عشر، إشارة إلى سد مأرب الذي تَهَّدم، وأصبحت أحجاره شريدة يسأل بعضها عن بعض.

٤ ـ يشير البيت الخامس عشر والسادس عشر إلى الغُربة الدائمة لليمنيين، والسفر بأسماء مستعارة وبجوازات مختلفة، تكلف تغيير الاسم لملاءمة الجواز حتى يصبح للمسافر في كل بلد إسمٌ آخر... فقد يحمل الحي جواز الميت، ويستعير المسافر جواز العائد... ويكفي أن يغير اسمه حتى لا يتكلف ثمن جواز آخر هذا قبل فكرة صورة المسافر على جوازه.

٥ ـ (الرامي): في البيت السابع عشر: اسم مرض يفتك بالأبقار حتى يكاد يستأصل الحظائر، ويُسمي مجتمع القُرى هذا المرض (أحمد الرامي)، اختصرته لطول الاستعمال فسمته (الرامي)، وفي بعض المناطق (الطاعون)، وتنسب إليه صفات

غريبة... بعد دخوله إلى القرى، يتحدث البعض إلى البعض أنهم وجدوه في الطريق إلى القرية، وله أربع أرجل يمشي عليها منتصباً كالإنسان، وله عشر أيد أظفارها كالسكاكين المحمرة اللون... وهذا الرعب في وصفه نتيجة تأثيره في الأبقار التي تعتبر وسائل الحرث ومصادر الغذاء كاللبن والسمن. والوقت الذي يطرأ فيه هذا المرض يعتبر حدثاً يؤرخ به أهل القُرى.

٦ ـ (الإدريسي): في البيت التاسع عشر هو (محمد بن علي الإدريسي) أمير صَبية الذي أتى من أفريقيا، واحتلَّ المنطقة التهامية من اليمن، واشتعلت بينه وبين اليمنيين حروب عامين... وكانت له الجولة الأولى حتى هُزم في حرب ثالثة عام ١٩٣٢م.

٧ ـ (حيكان) في البيت(٢١) اسم لأكثر من وادٍ في أكثر من منطقة حتى أصبح رمز الخصب، وفيه يقول الحكيم اليماني (علي بن زايد):

مالذَّلي مثل حيكان المسبلي يُشبع إنسان
والتِّلم يُملي غرارة

وهذا غاية الخصب.

٨ ـ (الدودحية): في البيت (٢٢) هي بنت شابَّة وقعت في الحب في الثلاثينات، وأدَّى بها إلى حمل صورة المحبوب في بطنها... ولأنها من طبقة فوقية انتشرت الحكاية حتى وصلت إلى قاضي المنطقة، فأمر بربطها مع أبيها ومحبوبها، وشدَّ على ظهورهم الطبول وصبغهم بالقطران، ودارت بهم الجموع على المنطقة حتى أصبحت تلك الحكاية مادة الأغاني الشعبية مدة عشرين عاماً، وقد تفنَّن الشعب في هذه الأغاني فعبرت عن

التعبير وعبرت عن الشوق إلى المليحة وعن الحسد لمن نالها، وقد امتد أثر هذه الأغنية إلى الآن فأحيا أداءها الفنان (علي الآنسي) في أغنية: (خَطَرْ غُصنُ القَنا).

حرب السَّبْعْ: في البيت (٢٦) إشارة إلى حروب السنوات السبع مع القوى الاستعمارية والرجعية منذ انفجار ثورة سبتمبر ١٩٦٢م إلى آخر عام ١٩٦٧م.

❁❁❁

غريبان.. وكانا هُما البلد

مَنْ ذلكَ الوجهُ . . . ؟يبدو أنه (جَنَدي)
لا . . . بل (يريمي) سأدعو، جدَّ مُبتعدِ
أظُنُّهُ (مُكردَ القاضي) كقامتِهِ
لا . . بل (مثنَّى الرداعي) (مرشدَ الصَيَدي)
لعلَّه (دبعيٌّ) أصلُ والدِهِ
مِنْ (يافِعٍ) أُمُّهُ مِنْ سورةِ المَسَدِ
عرفْتُهُ يمنيّاً في تَلَفُّتِهِ
خوفٌ . . . وعيناهُ تاريخٌ مِنْ الرَّمَدِ
من خُضرةِ القاتِ في عينيْهِ أسئلةٌ
صُفرٌ تَبوحُ كعودٍ نصفِ مُتَّقِدِ
رأيتُ نخلَ (المُكلاَّ) في ملامِحِهِ
شمَّيتُ عِنْبَ (الحَشا) في جيدِهِ الغَيِدِ
مِنْ أينَ يا ابني؟ ولا يرنو وأسألُهُ
أدنو قليلاً: صباح الخير يا ولدي
ضمَّيتُهُ ملءَ صدري . . . إنَّهُ وَطَني
يبقى اشتياقي . . . وذُوبي الآنَ يا كَبِدي
يسْعَدُ صباحُك يا عمّي أتعرفُني؟
فيكَ اعتنقتُ أنا قبَّلتُ منكَ يدي

لاقيتُ فيكَ (بكيلاً) (حاشداً) (عَدَنَاً)
ما كنتُ أحلمُ أن ألقى هنا بلدي

رأيتُ فيكَ بلادي كلَّها اجتمعَتْ
كيفَ التقى التِّسعةُ المليونَ في جسدِ

* * *

عرفتُ مَنْ أنتَ يا عمِّي، تلالُ (بَنَا)
(عيبانُ) أثقلَهُ غابٌ من البَرَدِ

(شمسان) تنسى الثريَّا فوقَ لحيتِهِ
فاهاً وينسى ضحى رجليهِ في الزَّبدِ

(بينون) عريانُ يمشي ما عليه سوى
قميصِهِ المرمريِّ الباردِ الأبدي

صخرٌ مِنْ السَّدِّ يجتازُ المُحيطَ إلى
ثانٍ يُنادي صداهُ: مَنْ رأى عُمُدي؟

* * *

ما اسمُ ابن أمي؟(سعيدٌ) في (تبوكَ) وفي
(سيلانَ) (يحيى)، وفي (غانا) (أبو سندِ)

* * *

وأنتَ يا عمُّ؟ في (نيجيريا) (حسنٌ)
وفي (الملاوي) دَعَوني (ناصر العَنَدي)

سافرْتُ في سنة (الرَّامي) هربتُ على
عَمِّي غداةَ قَبَرْنا (ناجيَ الأسدي)

مِنْ بعدِ عامينِ من أخبارِ قتلِ أبي
خلفَ (اللَّحِيَّةِ) في جيشٍ بلا عَدَدِ

أيامَ صاحوا: قوى (الإدريسيَ) احتشَدَتْ
وقابلوها: بجيشٍ غيرِ مُحتَشِدِ

* * *

رحلتُ في ذلكَ التّاريخِ أذكُرُهُ
كأنّها ساعةٌ يا (سعدُ) لم تَزِدِ

صباحَ قالوا: (سعودٌ) قبلَ خُطبتِها
حُبلى، و(حيكان) لم يحبلْ ولم يلدِ

و(الدّودحيةُ) تَهْمي في مراتِعِنا
أغانيَ العارِ والأشواقِ والحَسَدِ

ودَّعْتُ أغنامِيَ العشرينَ (مُحصَنَةً)
حتى أعودَ... وحتى اليومَ لم أعُدِ

* * *

مَنْ ماتَ يا ابني؟ مَنْ الباقي؟. أتسألُني!
فصولُ مأساتنا الطُّولى بلا عَددِ

ماذا جرى في السنينَ السِّتِّ من سَفَري؟
أخشى وقوعَ الذي ما دارَ في خَلَدي

مارسْتُ يا عمُّ حَربَ السَّبعِ مُتَّقِداً
تقودُني فطنةٌ أغبى من الوَتَدِ

كانت بِلا أرجُلٍ تَمشي بلا نظرٍ
كانَ القتالُ بلا داعٍ سوى المَدَدِ

* * *

وكيفَ كُنتُمْ تنوحونَ الرِّجالَ؟ بلا
نَوحٍ نموتُ كما نحيا بلَا رشَدِ

فـوجٌ يـمـوتُ ونـنـسـاهُ بـأربـعَـةٍ
فـلَـمْ يَـعُـدْ أحـدٌ يـبـكـي عـلـى أحـدِ
وفـوقَ ذلـكَ ألـقـى ألـفَ مُـرتـزقٍ
في اليومِ يسألُني... ما لونُ مُعتَقَدي
بلا اعتقادٍ... وهُمْ مِثلي بلا هدفِ
يا عمُّ... ما أرخصَ الإنسانَ في بَلَدي
والآنَ يا ابني؟.. جوابٌ لا حدودَ لَهُ
اليومَ أُدجي لكي يخضرَّ وجهُ غَدي

سبتمبر ١٩٧٤م

ابنُ فُلانة

لا تَسلْ مَنْ أنا . . . فلاِسمي صِلاتٌ
بالتّي أرضعَتْهُ ذوبَ المهانهْ
كيف أحكي . . . فُلاناً ابنَ فُلانِ
ورِفاقي يدعونني ابنَ فُلانهْ
إن رأوني أبدو رصيناً أشاروا
علَّمَتْهُ تلكَ البتولُ! . . الرَّصانهْ
وإذا لا حظوا قميصي جديداً
ردَّدوا: فوقَ رُكبتيْها خزانهْ
دخلُها كلَّ ليلةٍ نصفُ ألفِ
أحسنوا الظَّنَّ. تُهمةٌ لا إدانَهْ
ولَدَيْها كما يقولونَ جَيْشٌ
درَّبَتهُ خبيرةٌ في المجانهْ
وهي سِمسارةٌ لكُلِّ دعيٍّ
فوقَ هذا . . . وللعِدى قهرمانَهْ
أعجبَتْ سادةَ النُّقودِ فأعطَوْا
وجدُوا عندَها أحطَّ استكانهْ
حَسَناً . . إنّها عليهِمْ دليلٌ
إن تَخَفَّوْا دلَّتْ بأخزى إبانَهْ

نحنُ ندري . . . هل أبدعوا غيرَ هذا
وانتزافَ البلادِ في كُلِّ حانَهْ
كان يحكي هذا . . . وهذا يليهِ
ويُداجي هذا بُخبثِ الرَّزانَهْ
ألفُ أُمٍّ روَتْ حكاياتِ أُمِّي
لبنيها فَردَّ دوا في أمانَهْ

* * *

بيتُها أشهرُ البيوتِ جميعاً
ولَهُ دونَ كُلِّ بيتٍ حَصانَهْ
إنَّني ساقطٌ . . . لأنَّ لأُمِّي
عند أغنى الرجالِ أعلى مكانَهْ

* * *

لا تَلُح لي يا اسمي . . . فإني جبانٌ
حينَ تبدو بفضلِ تلكَ الجبانَهْ
يا التي يخبرونَ عَنْها كثيراً
أتركيني . . . ودَّعْتُ دارَ الإهانَهْ
صِرتُ غَيري . . . رميتُ باسمي ورائي
وسأعتادُ جِدَّتي بالمِرانَهْ

فبراير ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

الهدهدُ السَّادِس

مـن أيـنَ لـي يـا (مـذحـجـيَّـة)
وتـرٌ كـقِـصَّـتِـكِ الـشَـجـيَّـة؟
أيـنَ انـطـفَـتْ عـيـنـاكِ؟ . . أسـكـتْ
أيـنَ جـبـهـتُـكِ الأبـيَّـة؟
أُسـكـت . . . أتـبـتـدعـيـن يـومـاً
جـبـهـة أعـلـى طـريَّـة؟
أُسْكُتْ . . . رجعتُ إلى التَّعقُّلِ
لا أريـدُ الـعَـبـقـريَّـة
أوَلـيـسَ فـلـسـفـةُ الـهـزيـمـةِ
أن أمـوتَ تـعـقُّـلِـيَّـة؟
وهَـلِ الـعـمـالـةُ حـكـمـةٌ؟
وهـلِ الـشَّـجـاعـةُ مـوسـمـيَّـة؟
أُسـكُـتْ . . . ولـكـن لـسـت مـن
أبـطـالِ تـلـكَ الـمـسـرحـيَّـة
بـعـدَ الـغـروبِ سـتَـبـزُغـيـن
كـشـمـسـكِ الـبـكـرِ الـجـريَّـة
أُسـكـتْ . . . لأنَّ الـجـوَّ أحـجـارٌ
حـلـوقٌ بـربـريَّـة

أَلشِّعرُ أقوى فاعزفي
رِثَتَيْكِ أو موتي شقيَّة

* * *

أَلصَّمتُ يُعشِبُ طُحْلُباً
حُمَّى، ذيولاً، عوسجيَّة
وقرونَ أشباحٍ كأبوابِ السُّجونِ العَسكريَّة
سقفٌ مِنَ الحيَّاتِ والأيدي وألوانِ المَنيَّة
يطفو ويركضُ يَمتطي
عينيْهِ يسقطُ كالمطيَّة

* * *

ماذا هُنا؟.. شيءٌ كلا شيءٍ
شظايا متحفيَّة
أَللَّيلُ يبحَثُ عَنْ ضُحى
والصُّبحُ يبحثُ عن عشيَّة
هرب الزَّمانُ من الزمانِ
خوَتْ ثوانيهِ الغبيَّة
من وجههِ الحجري يفرُّ
إلى شناعتِهِ الخفيَّة
حتى الزَّمانُ بلا زمانٍ
والمكانُ بلا قضيَّة

* * *

أَلتَّابعونَ بلا رؤوسٍ
والملوكُ بلا رعيَّة

والمُستغِلُّ بلا امتيازِ
والفقيرُ بلا مزيَّة

* * *

مَنْ ذا هُنا: ؟ (صنعا) بلا
صنعا، وجوهٌ أجنبيَّة

متطوِّعونَ وطيِّعاتٌ
أوصياءُ بلا وصيَّة

حُزَمٌ مِنَ الشَّعرِ المُسرَّحِ
والعيونِ الفوضويَّة

خبراءُ في عُقْمِ الإدارةِ
وافدونَ بِلا هويَّة

ومسافرونَ بلا وداعٍ
واصلونَ بلا تحيَّة

ومُؤَمْرَكونَ إلى العظامِ
لهم وجوهٌ فارسيَّة

ومُؤَمْرَكاتٌ يرتدين
قميصَ (ليلى العامريَّة)

كتلٌ من الإسمنتِ لابسةٌ جلوداً آدميَّة
تسعونَ فوجاً والمسافةُ في بدايتِها القَصِيَّة
يا (هدهدُ) اليومَ، الحمولةُ
فوقَ طاقتِكَ القويَّة

هٰذي حقائبُكَ الكِبارُ
تَنِمُّ عن خُبثِ الطَّويّة

* * *

هل جِئتَ من سبأٍ؟
وكيفَ رأيتَهُ؟.. أضحى سَبيّة
ولّى، عليهِ عباءةٌ...
مِنْ أُغنيَاتِ (الدَّودَحيّة)
سقطَ المُتاجرُ، والتِّجارةُ، والمُضَحِّي، والضَّحيّة
حتى البقاعُ هَرَبْنَ مِنْ
أسمائِهنَّ الجِمْيريّة

* * *

هل للقَضيّةِ عَكْسُها؟
هل للحكايةِ من بقيّة؟
كلُّ الحلوقِ أقلُّ من
هٰذي الجبالِ اليحصُبيّة
كلُّ السِّلاحِ أقلُّ مِنْ
هٰذي الملايينِ العصيّة

* * *

(صنعاءُ) من أينَ الطَّريقُ؟
إلى مجاليكِ النَّقيّة
وإلى بكارتِكِ العجوزِ
إلى أنوثتِكِ الشَّهيّة

يا زوجةَ السَّفَّاحِ والسِّمسارِ يا وجهَ السَّبِيَّهْ
سقطَتْ لَحى الفرسانِ
والتحَتِ المُسِنَّةْ والصَّبيَّهْ

فبراير ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

30/06/2011

يوم ١٣ حزيران

جبينُهُ دبَّابةٌ واقفَهْ
أهدابُهُ... دبَّابةٌ زاحفه
ليس لهُ وجهٌ... له أوجهٌ
ممسوحةٌ كالعملةِ التَّالفَهْ
ساقاهُ جنزيران... أعراقُهُ
إذاعةٌ مبحوحةٌ راجفَهْ
تلغُوكماتسقي الرياحُ الحصى
تخمَرُّ كالجِنِّيَّةِ الرَّاعِفَهْ
بعدَ قليلٍ... مِئتا مرَّةٍ
وعدٌ كسكر الليلة الصائفه
وبعدَ عشرينَ احتمالاً، بَدَتْ
ولادةٌ مكرورةٌ زائفَهْ
حماسَةٌ صفراءُ معروقةٌ
أنشودةٌ مسلولةٌ واجِفَهْ
شيءٌ بلا لونٍ... بلا نكهةٍ
ماذا تُسَمِّيهِ؟ اللُّغى الواصفَهْ
يا عمُّ: دبَّاباتٌ.. إنِّي أرى
- هذا انقلابٌ - جدَّتي عارفَهْ

نـفـسُ الـذي جـاء مـراراً كـمـا
تـأتـي وتـمـضـي دورةُ الـعـاصـفَـهْ
وسـوفَ يـأتـي... ثُـمَّ يـأتـي إلـى
أن تـسـتـفـيـقَ الـثَّـورةُ الـوارفـه

* * *

لا يـركـبُ الـشَّـعـبْ إلـى فـجـرِهِ
دبَّـابَـةً... لا يـمـتـطـي قـادِفَـهْ
أَلـشَّـعـبُ لا هِـثـاً، صـابِـراً
مُـمـتـطـيـاً أوجـاعَـهُ الـنَّـازِفَـهْ
يـأتـي.. كـمـا تـأتـي سـيـولُ الـرُّبـى
نـقـيَّـةً خـلَّاقـةً جـارِفَـهْ
يـبـرعِـمُ الـشَّـوقُ الـحَـصَـى تـحـتَـهُ
والـشَّـمـسُ فـي أجـفـانِـه هـاتِـفَـهْ
وتَـهـجِـسُ الأعـشـابُ فـي خـطـوهِ
هـجْـسَ الـمَـجـانـي لـلـيـدِ الـقـاطِـفَـهْ

* * *

يـا عـمُّ: دبَّـابـاتٌ قُـلْ: لُـعـبـةٌ
سـخـيـفَـةٌ كـالـلُّـعـبـةِ الـسَّـالِـفَـهْ
لـكـنْ لِـمـاذا لـمْ تُـثـرْ لـفـتـةً؟
ولا اسـتـفـزَّتْ لـمـحـةً كـاشـفَـهْ
لأنَّ مَـنْ كـانـوا مـضَـوْا وانـثـنـوْا
طـائـفـةٌ ولَّـت بَـدَتْ طـائـفَـهْ

أَلمُنتهي أمسى هو المُبتدي
والصُّورةُ المخلوقةُ الخالقة

قد يستعيرُ العزفُ غيرَ اسمهِ
لكنها نفسُ اليدِ العازفة

* * *

دبَّابةٌ أُخرى... وأُخرى.. ولا
ألقى رصيفٌ نظرةً خاطفة

لم تلتفِتْ دارٌ... ولا بُقعةٌ
بدَتْ على أمنٍ ولا خائفة

شيءٌ جرى لم يستدِرْ شارعٌ
ولا انجلَتْ زاويةٌ كاسِفة

ماذا جرى؟ لم يجرِ شيءٌ هنا
صنعاءُ لا فَرحى... ولا آسفة

أَلقاتُ ساهٍ... والمقاهي على
أكوابها محنيَّةٌ عاكِفة

* * *

ماذا جرى؟ لاحِسَّ عمَّا جرى
ولا لديْهِ ومضةٌ هادفة

ماذا يعي التاريخُ؟ ماذا رأى؟
ولّى بلا ذكرى.. بلا عاطفة

١٩٧٤م

بينَ ضَياعيْن

كُلُّ ما عِنْدَنا يزيدُ ضياعا
والذي نرتجيهِ ينْأى امتناعا

نتشَهَّى غداً، يزيدُ ابتعاداً
نُرجعُ الأمسَ... لا يطيقُ ارتجاعا

بين يومٍ مَضَى ويومٍ سيأتي
نزرَعُ الريحَ نبتَنيهَا قِلاعا

والذي سوف نبتَنِيهِ يُوَلِّي
هارِباً... والذي بنْينَا تداعى

* * *

نمتطي موجةً إلى غيرِ مرسى
إن وجدْنا ريحاً فقدْنَا الشِّرَاعَا

وإلينا جاءَ الشُّراةُ تِباعاً
حبِلَتْ أخصبُ الجيوبِ تِباعَا

لا يُحِسُّ الذي اشتَرَانا لِمَاذا
والذي باع ما دَرى كيف بَاعَا!

فَتَهَاوى الذي تَلقَّى وأعْطَى
وشمخْنَا مستهزئين جِياعَا..!

يناير ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

أصيل من الحب

قد كان لا يصحو ولا يَروى
والـيومَ لا يسلو ولا يَهْوَى
ينسى، ولكنْ لم يزلْ ذاكراً
حبيبةً، كانت لَهُ السَّلوى

* * *

وكان إنْ مَرَّ اسمُها أزهَرَتْ
في قلبهِ الأشواقُ والنَّجْوَى
وانثالتِ الساعاتُ من حولِهِ
أحلامَ عُشَّاقٍ بلا مَأوَى
وكانتِ الحلوى لطفلِ الهَوَى
والآنَ.. لا خِلاًّ، ولا حَلْوَى

* * *

وكانَ يشكُو إن نَأتْ أو دَنَتَ
لأنَّهَا تَستعذبُ الشَّكوى
كانت لديهِ الكلُّ لا مثلُها
لا قبلُها لا بعدَها حَوَّا
فأصبحَتْ واحدةً لا اسمُها
أحلى ولا مجنونُها أغْوَى

* * *

يـودُّ أن يَـهْـوَى فـيـخـبُـو الـهَـوَى
ويـشـتـهـي يـنـسَـى فـلا يـقْـوَى
فـلـمْ يـعـدْ فـي حـبِّـهِ صـادقـاً
ولـيـس فـيـهِ كـاذبَ الـدَّغْـوَى
أصـيـلُ حـبٍّ يـسـتـعـيـدُ الـضُّـحَـى
ويـنـطـوي فـي الـلـيـلـةِ الـعَـشْـوَى

١٩ ـ ٢ ـ ١٩٧٤م

ألوان من الصمت

مثلُ طفلٍ حالمٍ يصحُو ويغفُو
يرسبُ الصمتُ بعينيْهِ ويطفُو

ينطوي خلفَ تلوِّي جلده
كعُقابٍ ينتوي الفتكَ ويعفُو

يهمسُ الإنشادَ. . . ينسى صوتَهُ
يتزيَّا بالهَوَى يحنو. . . ويجفُو

يحتسي أنفاسَهُ. . . يرسِلُهَا
زمَراً كالنَّخْل ترتدُّ وتَهْفُو

ينحني. . يرحلُ في لِحيتهِ جائِياً
ينْجَرُّ. . يغبرُّ. . . ويصفو

بعضُهُ ينسلُّ مِنْهُ. . . بعضُهُ
يمتَطي أطرافَ كفَّيْهِ ويقفُو

* * *

صرخةُ المذياعِ تُدمي هجسهُ:
قاتلوُا في (قبرص) اليوم وكفُّوا
(الفيتكنج) استحَالوا شَجَراً
هبطوا كالجمرِ كالعُقبانِ خَفُّوا

* * *

إرتدى أبطالُ سيجون الحصى
دخلوا الأعشابَ كالأعشابِ جَفُّوا

* * *

حشَدَتْ (واشنطن) الموتَ سدًى
ركضَ الأمواتُ أخطاراً وحفُّوا
أنبتَتْ كَلُّ حصاةٍ موكباً
كعفاريتِ الرُّبى اصطفُّوا وصَفُّوا
وثَبُوا كالسَّيلِ، كالسَّيل انثنَوْا
تحتَ أمطار اللَّظى احمرُّوا ورفُّوا

* * *

قررَّ الأقطابُ حلاً حاسماً. . . للمآسي
لحظةً، تَابُوا وعَفُّوا
إستشفُّوا أنَّ إقلاقَ الأَسى
يطلقُ الأطفالَ. . . هذا ما استشفُّوا
إنتهَتْ أخبارُنا فانتظروا
واستراحُوا ساعةً، غَنَّوْا وزفُّوا
يَخلعُ الصَّمتُ هنا ألوانَهُ
يتعبُ التمزيقُ فيها ثُمَّ يرفُو

أغسطس ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

ثرثرات محموم

كان يحكي.. يبكي.. يجيبُ.. يُنَادي
يدَّعي.. يشتكي.. يصافي.. يُعَادي

مرحباً (سعيدُ).. خذ نورَ عيني
أسكتي.. هاتِ بُنْدُقِي يَا (عُبادي)..

غادَرتْ عُمقَهَا البحارُ وجاءَتْ
ركبتْ ظلَّهَا الرِّمالُ الحَوَادي

* * *

هل تخافينَ أن أموت؟ حياتي
لم تحقِّقْ شَيئاً يثيرُ افتِقَادِي

كنتُ كالآخرينَ، أمشطُ شَعْري
أنتقي بزَّتِي، أبيعُ كَسَادي

أشتري (ربطة)[1]، وأصحو بكاس
وبكاسٍ أُطفي شموع سهادي

وأُوَالي بلا اعتقادٍ وأنوي
سحقَ مَنْ لم يتاجروا باعتِقَادي

كلُّ هٰذَا عُمْرِي... وعمرٌ كَهٰذا
لا يُسَاوي.. عذابَ يومِ وِلادِي

* * *

(١) رِبطةٌ: حزمة قات

إسقِني يا(صلاح) . . زدْ . . مَنْ دعَاني؟
يـا عـيـالَ الـكـلابِ : ردُّوا جَـوَادي
كـيـف أقـضـي ديْـنـي ولـيـس بـبـيـتـي
غـيـرُ بـيـتـي ومِـعـزفٌ غـيـرُ شـادي
والّـذي كـانَ والـدي . . . صَـارَ طـفـلـي
مـن أُداري عـنـادَه أو عـنـادي؟

* * *

لـبـسَـتْ قـامـةُ الـرّيـاحِ جَـبـيـنِـي
نـسـي الـلّـيـلُ رجـلَـه فـي وِسَـادي

* * *

زَوَّجَـتْ بـنـتَـهَـا بـعـشـريـن ألـفـاً
بـاعَ (نـاجـي سـعـيـد) (زيـدَ الـجَـرَادي)
كـلُّ آتٍ مَـضَـى . . . أتـى كـلُّ مـاضٍ
ضـاع فـي كـلِّ رايـحٍ كـلُّ غَـادي
(مَا كَفَى واحِداً كَفى اثنين) . . قالوا
أكـلـونـي . . ويـحـذرونَ ازدرادي
ولأنّـي مُـجـوَّفٌ مـثـلُ غـيـري
بِـغـتُ وجـهـي لـوجـهِ مـائِـي وزَادي
أَلـيـسـاريُّ رزقُ الـيـمـيـنـي . . وقـالـوا :
أَجْـودُ الـخُـبـزِ مِـنْ طـحـيـنِ الـتَّـعَـادي
مـن سـيـعـطـي (سـعـداً) حُـسـامـاً بـصـيـراً
ثـالـثُ الـسَّـاعـديْـنِ، ذيـلٌ، حِـيـادِي

* * *

ذاتَ يومٍ كانتْ ممراتُ (صنعاء)
من نبيذٍ ومِنْ زهورِ نوادي
تَتَهَادى النُّجومُ في كلِّ دَرْبٍ
كالغَوَانِي. فأين ذَاكَ التَّهَادي؟
سألوا من أَنَا.. وصرَّحتُ باسمي
كاملاً.. أنكروا بأني (مُرَادي)

* * *

قلت (إبِّي).. (عنسيٌّ).. (زبيديٌّ) أشاروا
أَلريالاتُ نسبتي وبلادي
أضحكتْهُمْ كتابةُ اسمي... وفوْراً
بَيَّضَتْ خضرةُ النُّقُودِ مِدَادِي

* * *

عندهُ نعجةٌ فأمسى مديراً..!
نهدُ أنثَى مؤهَّلٌ غيرُ عَادِي
أَلحليبُ الذي يُسمَّى جلوداً
طازجاتٍ.. أمسَى سريرَ (ابنَ هَادي)[1]
قَبلَ بدءِ الزَّواجِ طُلِّقتْ.. صَارَتْ
كلُّ زوجاتِهِمْ.. خيولَ رقَادي
كانَ يخشى أبي فَسادِي ويبني
يومَ عُرسي رفضْتُ.. عاشَ فسادي

(١) ابن هادي: اشتهر بالرشوة فسميت باسمه.

كنتُ أعتادُهَا (غَزَالاً) . . فأضحَتْ
(فاتناً) . . ودِّعِ الهَوَى يَا فُؤَادِي

* * *

من أرادَ النَّجاةَ . . ماتَ ليحيا
والذي لم يَمُتْ . . . إلى الموتِ صادي
سَلَّحُونَا (شيكي)[1] وقَالوا عليكُمْ
وعليكم . . . حسبُ القَرارِ القيادي
كانَ (يحيى) كالتَّيسِ يعدو ويثغُو
و(مثنَّى) يُلقي خِطاباً زيادي[2]
وهَجَمنَا . . . مِتْنَا قليلاً . . . أفقنا
موتُنَا كانَ مولِداً لا إرادي
ورجعنا . . . وللصخورِ عيونٌ
كالصَّبَايَا وللرَّوَابِي أيادي

* * *

إنَّ تحتَ القناعِ والوجهِ وجهاً
يختفي تحتَ ظهرِهِ . . . وَهْوَ بادي
صاحبُ الوَادِيَيْنِ - دونَ تمنٍّ -
نَالَ ألفاً . . . وباعَ مليونَ وادي

* * *

بدءُ ليلي حبٌّ، بدونِ عشاءِ
نصفُ يومي هوى . . وخبزٌ معادي

---

(١) شيكي: نوع من البندقيات يكشف للعدو باضاءته مصدر الرماية الليلية.
(٢) زيادي: نسبة إلى زياد بن أبيه صاحب الخطبة الشهيرة (البتراء).

هل سأعتاد وجهَ غيري بوجهِي؟
زَعَمُوا... ربَّمَا أخونُ اعتيادي
قلتَ لي: أنْ ذا (أكيداً) ولكن
أيُّ شيءٍ مؤكَّدٌ يا (حَمادي)؟

* * *

آه... مَاذا أريدُ؟ أدري وأنسى
ثم أنسى.. أنِّي نسيتُ مُرَادي

* * *

كان يحكي... وفَتَحتَا مُقْلتيْهِ
مثلَ ثقبيْنِ.. في جدارٍ رمادي

يناير ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

في الشاطئ الثاني

يا وجهَهَا في الشاطئ الثّاني
أسرجْتُ للإبحار أَخزَانِي
أشرعْتُ يا أمواجُ أوردَتِي
وأَتيتُ وخْدِي فوقَ أشجَانِي
ولِمَ أتيتُ؟ أَتَيْتُ ملتمساً
فَرحي وأشْعَارِي وإنسَانِي

* * *

مِنْ أينَ؟ لا أرجوكِ لا تسَلي
تدرينَ... وجهُ الرِّيحِ عنْوَانِي
لو كانَ لي من أين قبلَ هنا
قدّرتُ أنَّ التِّيهَ أنساني
مِنْ أينَ ثانيةٌ وثالثةٌ
أضنيتُ بحثَ الرَّدِّ أضناني
من قبريَ الجوَّالِ في جسدي
من لا متى من موتِ أزماني
من أخبرتْني عنكَ؟ لا أحدٌ
مَنْ دلَّني..؟ عيناكِ... شيطاني

قلقي حنينُ العمرِ عَفرتَتِي
في البحثِ عن تربيتِكِ الحاني
عن نبضِ أعراقي وعن لغتي
عن منبتي من عقمِ أكفاني
أَعَلَيَّ أفنى هٰهُنَا عطشاً...
جوعاً؟ وفي كَفّيْكِ بُستَاني

* * *

حانَ اقترابي منكِ... أينَ أنا؟
أَلشَّوقُ أقصاني وأدناني
من أينَ لي يا ريحُ معجزةٌ
يا موجُ أينَ رأيتَ رُبَّاني؟
يا صبحَها مِنْ أينَ مدَّ يَداً
يا عطرَهَا مِنْ أينَ نَادَاني؟
أَلشاطىءُ اللَّهفَانُ يدفعُنِي
وأخافُ هذا المعبرَ القاني
مِنْ أينَ يا جذلى أمدُّ فَمِي
ويدي إلى بستانِكِ الهاني؟
مِنْ أينَ؟ إنَّ البعدَ قرَّبنِي
مِنْ أينَ؟ إنَّ القربَ أقصاني

* * *

اليومَ كانَ البدءُ يا سَفَري
وغداً سألقَاهَا وتلقاني

فلتنتظرني حيثُ أنتَ غداً
يا وجهَها في الشاطىءِ الثاني

دمشق ـ أكتوبر ١٩٧٤م

وجوه دخانية في مرايا الليل

بين الرجل والطريق

كان رأسي في يدي مثل الثقافة
وأنا أمشي، كساعات الصحافة
وأنادي: يا ممرات، إلى أيـ
ـن تنجر طوابير السخافة؟
يا براميل القمامات، إلى
أين تمضين..؟ إلى دور الثقافة
كل برميل إلى الدور..؟ نعم
وإلى المقهى..؟ جواسيس الخلافة
ثم ماذا...؟ ورصيف مثقل
برصيف... يحسب الصمت حصافة

• • •

ههنا قصف... هنا يهمي دم
ربما سمّوه توريد اللطافة
ما الذي..؟ من أطلق النار؟.. سدى
زادت النيران والقتلى كثافة
وزحام السوق يشتد... بلا
نظرة عجلى... بلا أي انعطافة
لم يعد للقتل وقع..؟ ربما
لم تعد للشارع الذاوي رهافة

لا فضولٌ يرتَئِي... لا خبرٌ
خيفةٌ كالأمن.. أَمْنٌ كالمَخَافَهْ

* * *

ما الذي؟.. موتٌ بموتٍ يلتقِي
فوقَ موتي... مَنْ رَأى في ذا طَرافهْ؟

نهضَ الموتَى.. هوى مَنْ لَمْ يَمُتْ
كالنُّعاس الموتُ..؟ لا شيءَ خُرافَهْ

* * *

يَا عَشَايا... يا هُنا... يا ريحُ... مَنْ
يشْتَري رأسي، بحلقومِ (الزَّرَافَهْ)؟

بين رِجْلي وطريقي، جُثَّتي
بين كفِّي وَفَمِي، عنفُ المَسَافَهْ

أَلمُحالُ الآنَ يَبْدُو غيرُهُ
كذَّبت (عرَّافةُ) (الجوف) العِرَافَهْ

هٰهُنَا أُلقي حُطَامِي..؟ حسناً
رُبَّمَا تُلفت عمالَ النَّظَافَهْ

رُبَّما تسألُني مكنسَةٌ.. ما أنا
أَوْ تزدري هٰذي الإضَافَهْ

(نوفمبر ١٩٧٥م)

ذيل:

- في البيت الخامس عشر (عرافة الجوف) وهي ربعة بنت سنان، كانت تتهم النجوم إذا فشلت في تنبئِها عن المستقبل.

❁❁❁

زامر
القفر العامر

تغنّي؟ . . أغانِيكَ بينَ الرُّكَامْ
عيونٌ يفتِّتُهُنَّ الزِّحَامْ
نُهودٌ تساقطُ مثلَ الحَصَى
جباهٌ يمزِّقُهَا الإرتِطَامْ
وأنتَ تُغَنِّي بِلا مبتَدَا
بلا خبرٍ عن دُنُوِّ الخِتَامْ
ووجهُكَ فعلٌ لَهُ فاعلان
مضافٌ إلى جرِّ ميمٍ ولامْ

* * *

لهٰذا تُغَنِّي بدونِ انقطاع
يَثورُ على وجهِكَ (ابن الحَرَامْ)
على جلدكَ البنكنوتِي، علا
سُعالُ العَشَايَا، وبيعُ المَنَامْ
وسوفَ تُغَنِّي إلى أَنْ يرفَّ
صداكَ ربيعاً ويهمي حَمَامْ
لأنَّك أشواقُ راعٍ (بإبٍّ)
وأحلامُ فلَّاحةٍ في (شِبَامْ)

وأعـــراسُ كـــاذيـــةٍ فـــي (حَـــرَازْ)
وأفـــراحُ سُـــنـــبُـــلـــةٍ فِـــي (مَـــرَامْ)

* * *

لأنَّ حـــروفَـــكَ عُـــشْـــبِـــيَّـــةٌ
كـعـيـنـيْـكَ يـا نـبـيَّ الإهـتَـمَـامْ

تُـزَمِّـرُ لـلـسـهـلِ كـي يَـشْـرَئِـبَّ
ولـلـسَّـفـحِ كـي يـخـلـعَ الإحـتِـشَـامْ

ولـلـمُـنـحَـنَـى كـي... يـمـدَّ يَـدَيْـهِ
ويُـعـلـي ذَوائـبَـهُ لـلـيَـمَـامْ

ولـلـبـيـدرِ الـمُـنْـطَـفِـي. كـي يَـشِـعَّ
ويـورقَ فـي الـمِـنْـجَـلِ الإبـتِـسَـامْ

ولـلـشَّـمْـسِ، كـي تـجَـتـلِـي أوجـهـاً
دُخَـانِـيَّـةً، فـي مَـرَايَـا الـظَّـلامْ

مِـنَ الـحَـقْـلِ جـئـتَ نـبـيّـاً إلـيـهِ
ومـا جـئـتَ مِـنْ (هـاشـمٍ) أو (هِـشَـامْ)

أَغَـانِـيـكَ بَـوْحُ رَوَابِـي (الـعُـدَيْـن)
مُـنَـاكَ تَـشـهِّـي دَوالـي (رِجَـامْ)[1]

لأنَّ بـقـلـبـكَ صـومُ الـحُـقُـولِ
تُـغَـنِّـي لـتـسـودَّ صـفـرُ الـغَـمَـامْ

* * *

(١) إبْ، شبام، حراز، مرام، العدين، رجام. .اسامي مناطق من مختلف جهات اليمن.

هـواكَ اعـتـنـاقُ الـنَّـدَى والـغُـصـونِ
لأنَّ غَـرَامَـكَ غـيـرُ الـغَـرَامْ

تـمـوتُ أسَـى، كـي تُـشـيـعَ الـسُّـرُور
تُـغـنِّـي - وأنـتَ الـقـتـيـلُ - الـسَّـلام

مايو ١٩٧٦م

❁ ❁ ❁

صيَّاد البروق

وَخدي... نعم كالبحرِ وحدي
منِّي ولي، جزرِي ومدِّي
وحدي وآلافُ الرُّبى
فوقي... وكلُّ الدهرِ عندي
من جلديَ الخَشَبيِّ أَخْرُجُ
تدخلُ الأَزمانُ جلْدِي
مِن لامُنى، آتي، أعودُ
مضيِّعاً قبلي وبعدِي
كحقيبةٍ ملأى ولا تدري
كبابٍ، لا يُؤدي
مشروعُ أغنيةٍ، بِلا
صوتٍ، كتابٌ غيرُ مُجدي
شيءٌ يُخَبِّئُنِي الدُّجَى
في زرعِ سُرَّتِهِ وَيُبْدي
منْ تَشْتَهِي... مَنْ أنتَ يا جُنْدي؟
هَلْ أُسمِّي غيرَ جُنْدي؟
حاولْتُ مثلكَ مرةً...
أبدُو ذَكِيّاً... ضاعَ جُهْدِي

مـن أنـتَ يـا مَـجْـدي أَفـنْـدِي؟
قـال لـي: (مَـجْـدِي أَفـنْـدِي)
مـاذَا تُـضـيـفُ إلـى الـغُـروبِ
إذا وصـفـتَ الـلَّـونَ وَرْدِي؟
هل أنتَ مِثْلِي؟ أكْشِفُ المَكْشُوفَ
حـيـنَ يـغـيـمُ قَـصْـدِي؟
... مثلي ركبتُ ذُرى المشيبِ
وَمَـا وصـلـتَ سـفـوحَ رُشْـدي

* * *

أسـرغ... ويـنـجـرُّ الـطـريـقُ،
ويـنـثَـنِـي... يـعـمَـى ويَـهْـدِي
قَـفْ عـنـدَ حَـدِّكَ حـيـثُ أنـتَ
وهَـلْ هُـنَـا حـدٌّ لِـحَـدِّي؟
كـانـوا هُـنَـالِـك يـضْـحَـكُـونَ
يُـودِّدونَ فـمَ الـتَّـعَـدِّي
بـاسـمـي يُـوشُّـونَ الـخِـيـانَـةَ
يـسـفَـحُـونَ دَمِـي. بـزَنْـدِي
بـي يـرفـلـونَ لـيَـخْـفِـرُوا
بـيـدِيَ فـي فـخـذيَّ لَـحْـدِي

* * *

فـأمـوتُ. لـكـنْ يـغـتَـلِـي
فـي كـلِّ ذرّاتـي الـتَّـحَـدِّي

أهـــوي بـــلا كـــفَّـــيْـــنِ . . تـــرفـــعُ
جـبـهَـتِـي . لـلـشَّـمـسِ بِـنـدي
مَـــاذَا؟ وأيـــنَ أَنَـــا؟ وأصـــعـــدُ
مـــن قـــراراتِ الـــتَّـــردِّي
بـعـدَ اعـتـصـارِ الـكَـرمِ يـنـشـدُكَ
الـــرحـــيـــقُ : بـــدأتُ عَـــهـــدي
ســـتـــصـــيـــرُ يَـــا هٰـــذا الَّـــذِي
أدعـــوهُ قَـــبـــري الآن مـــهـــدي
وأجـــيءُ مـــن نـــارِ الـــبـــروقِ . . .
يـســـتـــبـــلُ الأشـــواقَ رَعـــدي

نوفمبر ١٩٧٦م

مأساة... حارس الملك

سيِّدي: هٰذي الرَّوَابِي المُنتِنَهْ
لَمْ تَعُدْ كالأَمسِ، كسلى مُذْعِنَهْ
(نُقمٌ)[1] يهجسُ، يُعلِي رَأْسَهُ
(صَبرٌ)[2] يَهْذِي، يحدُّ الأَلسِنَهْ
(يسلحٌ) يُومِي، يرى ميسرةً
يرتَئي (عيبان)، يَزنُو ميمنَهْ
لِذُرَى (بَغدَانَ) أَلفَا مُقْلةٍ
رفعَتْ، أنفاً كَأَعلَى مِئذَنَهْ

* * *

أُقتلوهم، واسجُنُوا آباءهم
واقتُلوهُمْ، بَعدَ تكبيلِ سَنَهْ
أمرُكُمْ لكنْ! ولكن مثلُهُمْ
سَيِّدي: هٰذي أَسَامِي أَمْكِنَهْ
هُمْ شياطينٌ، أنا أعرفُهُمْ
حينَ أَسْطُو، يَدَّعُونَ المَسْكَنَهْ

---

(١) (نقم) و(عيبان) جبلان مطلان على (صنعاء).
(٢) (صبر) جبل مطل على (تعز)، (يسلح) ربوة بين منطقة صنعاء والمناطق الوسطى.

(صَـبِـرٌ) وغـدٌ، أَنَـا رقَّـيْـتُـهُ
كَـانَ خَـبَّـازاً، أَحِـلْـهُ مِـغـجَـنَـهْ

(نُـقـمٌ) كَـانَ حِـصَـانـاً لأبـي
إِطـحـنـوه عـلَـفـاً لـلأخـصِـنَـهْ

أُقـتـلـوا (يـسـلـح) أَلـفـيْ مَـرةٍ
إِسْحَبُوا (عـيـبانَ) حَتَّى (مؤسَـنـهْ)[1]

إِقـلـعـوا (بـعـدانَ) مـنْ أغـرَاقِـهِ[2]
أُنـقـلـوا نـصـفَ (بـكـيـلٍ) (مَـقَـبَـنَـهْ)[3]

* * *

أمـرُكُـمْ لـكـن! ولـكـن إِقـطـعـوا
رأسَـهْ، دَعْ عَـنْـكَ هٰـذِي الـلـكـنَـنَـهْ

عـنْ أبـي، عـن جـدّه مـمـلـكـتـي...
طـلـقـةٌ بـثَّـتْ خـيُـوطَ الـعَـنْـعَـنَـهْ

سـيِّـدي: إطـلاقُ نـارٍ، رُبَّـمَـا
ثـورةٌ، قُـلْ تـسـلـيـاتٌ مُـخـزِنَـهْ

* * *

هـاجـسٌ فـي صـدرِ مَـوْلانَـا أتـتْ
مَـنْ تَـخَـوَّفْـتَ، أَكَـانَـتْ مُـمْـكِـنَـهْ:

---

(١) (موسنه) منطقة تبعد عن (عيبان) بأكثر من ١٠٠ كيلو متر.
(٢) (بعدان) مجموعة جبال محزمة بالقرى والحقول.
(٣) (مقبنة) منطقة قريبة من (تعز) كانت تخضعها وما حولها رجال منطقة (بكيل) الواقعة شمال (اليمن).

آخرُ الهمسِ، سكوتٌ أوْ لَظَى
أولُ العَزْفِ المُدَوِّي دَنْدَنَهْ

الجهاتُ الأربعُ احمرَّتْ، عَوَتْ
السماءُ الآنَ، صَارَتْ مِدْخَنَهْ

مهرجانٌ دموِيٌّ... ما الَّذِي
شَبَّ عينَيه؟ وَمَنْ ذَا لَوَّنَهْ؟

الشياطينُ الذينَ انفلتُوا
عرفُوا أذهَى فنونِ الشَّيطَنَهْ

* * *

إمضِ يا جُنْدي ومزِّقْهُمْ... نعم
فرصةٌ أخرجُ، أزمِي السلطَنَهْ

أُشعِرُ الثوَّارَ أنِّي منهمو
سَوفَ تبدُو سيِّئاتِي حَسَنَهْ

لستُ من عائِلةِ الأَسْيَادِ يا
إخوتي، إنِّي (مثنًى مُحصنَهْ)

إنَّنِي سيفٌ لِمَنْ يحملُني
خادمُ الأسيادِ، كلَّ الأزمنه

* * *

كنتُ في كَفِّي (أَبِي جهلٍ) كَمَا
كنتُ في تِلكَ الأَكُفِّ المُؤمِنَهْ

في فمِي (أُرجُوزَتَا هندٍ) كَمَا
في فمي (الأعرافُ) و(الممتَحَنَهْ)

كنت في كَفِّي (يَزِيدٍ) شعلةً
في يدِ (السِّبطِ) شَظَايَا مُثْخَنَهْ

وتمضعبتُ بكفَّيْ (مُضعَبٍ)
و (لمروانَ) حذِقْتُ المَرْوَنَهْ

أعرفُ الموتَ (مقاماتٍ) هُنَا
هٰهُنا أشدوُ المَنَايَا (الميجَنَهْ)

ينتضيني، مَنْ يُسَمَّى سَيِّداً
أو هجيناً، واليدُ المستهْجِنَهْ

إنَّني للمُعتَدي، بي يَعْتَدِي
للمُضَحِّي، بي يُفدِّي مَوْطِنَهْ

حينَ قُلْتُمْ ثورةٌ شَعْبِيَّةٌ
جئتُكُمْ أشتاقُ كَفّاً مُثْقِنَهْ

رافِضاً كالشَّعبِ أَنْ يُدمِيَني
(أَخْزَمٌ) ثانٍ جديدُ (الشِّنشِنَهْ)(١)

عَلَّمتْ خطوي حماساتُ الذرى
قلقَ الرِّيحِ وفَنَّ المكنَنَهْ

لا عِيَالي شَكَّلُوا مبخلةً...(٢)
لِيَدَيَّ، لا بناتي مَجْبَنَهْ(٣)

* * *

(١) (الشنشنه) الطبيعة أو العادة السيئة وفيها إشارة إلى المثل العربي (شنشنه أعرفها من أخزم) تعبيراً عن العقوق.
(٢) مبخلة: أسباب البخل
(٣) مجبنه: أسباب الجبن، في الأثر: الاولاد مجبنة مبخلة.

صِرتُ غَيرِي، ولعَينيْ موطِنِي
صغتُ جُرحِي أنجماً مستوطِنَهْ
عن مَمَاتي: وردةٌ تحكي، وعن
مَوْلِدِي في الموتِ تُنبِي سَوسَنَهْ

* * *

فترةً، وارتدَّ مولانَا إلى...
ألف مولى، سلطناتٍ (كَوْمَنَهْ)[1]
أيَّ نَفْعٍ يجتنِي الشَّعْبُ إذَا،
مَاتَ (فرعونُ) لتَبْقَى الفَرْعَنَهْ؟
نَفْسُ ذاكَ الطَّبل، أَضْحَى ستةً
إنَّمَا أَخْوى وأعلى طَنْطَنَهْ
يَمِّنُونِي، يَسِّرُونِي، تَوَّجُوا
مَنْ دَعَوْهَا الوسَطَ المُتَّزِنَهْ
جاءَنا المحتلُّ، في غيرِ اسمِهِ
لبسَتْ وجهَ النبيِّ القَرْصَنَهْ
سادتي عَفْواً! سَتَبدُو قصَّتِي
عندكُمْ عادِيَّةً، مُمْتَهَنَهْ

* * *

كنتُ سَجَّاناً أدقُّ القيدَ عَنْ
خبرةٍ؛ صرتُ أُجيدُ الزَّنْزَنَهْ

---

(١) (الكومنة) دعوى الشجاعة في اللهجة المحلية.

أقتلُ المقتولَ، أُدميهِ إلى...
أن أرى الأسرارَ، حُمْراً مُعلَنَة

قَد تطَّورتُ، على تطويرهِمْ
وأَنا نفسُ الأَداةِ المُوْهَنَة

مِحنَتي أَنِّي - كَمَا كنتُ - لمن
هزَّني، مأساةُ عُمري مُزْمِنَة

أكتوبر ١٩٧٦م

❁ ❁ ❁

الأخضر المغمور

لكي يستهلَّ الصبحُ، من آخرِ السُّرى
يحنُّ إلى الأسنى، ويعمى لكي يَرَى
لكي لا يفيقَ الميِّتونَ. ليظْفَرُوا
بموتٍ جديدٍ... يُبْدعُ الصحوَ أغْبَرَا
لكي يُنبِتَ الأشجارَ... يمتدُّ تَربةً
لكي يصبحَ الأشجارَ والخصبَ والثَّرَى
لكي يستهلَّ المستحيلُ كتابهُ...
يمدُّ لَهُ عينيْهِ، حِبْراً ودفتَرَا

* * *

لأنَّ بهِ كالنَّهرِ أشواقَ باذِلٍ
يعاني عناءَ النَّهرِ، يجري كما جَرَى
يروِّي سواهُ، وهو أظمأ من اللَّظَى
ويهوي، لكي ترقَى السفوحُ إلى الذُّرَى
لكي لا يعودَ القبرُ ميلادَ ميِّتٍ
لكي لا يُوالي قيصرٌ، عَهْدَ قَيْصَرَا

* * *

لأنَّ دمَ (الخضراءِ) فيهِ معلَّبٌ
يذوبُ ندًى، يمشي حقولاً إلى القُرَى

لأنَّ خطاهُ، تُنبِتُ الوردَ في الصفا
وفي الرملِ أضحى، يعشقُ الحسن أحمرا

هُنَا أَوْ هُنَا يَنْمُو، لأنَّ جذورَهُ
بكلِّ جُذورِ الأرضِ، وردية العُرَى

* * *

عن أعينِ (الغِيلانِ) يركضُ حافِياً
ويجترُّ من أحجارِ (عيبانَ) مئزَراً

يقولونَ، من شكلِ الفوارسِ شكلُهُ
نَعَمْ.. ليس تكسيّاً، لِمَنْ قَاد واكتَرَى

* * *

له (عبلةٌ) في كلِّ شبرٍ ونسْمَةٍ
وما قالَ إنِّي (عَنْتَرٌ) أو تَعَنْتَرَا

ولا كانَ دلّالَ المَنَايَا حصانُهُ
ولا بَاعَ في سوقِ الدَّعَاوى ولا اشْتَرَى

يحبُّ لذاتِ البذلِ، بالقلبِ كلِّهِ
يحبُّ ولا يدري، ولا غيرُهُ دَرَى

لأنَّ بهِ سرَّ الحُقُولِ تُجِسُّهُ
يشعُّ ويندَى، لا تعي كيفَ أَزْهَرَا

* * *

حكاياتُهُ، لونٌ وضوءٌ، عرفته؟
كشعبٍ كبيرٍ، وهوَ فَردٌ من الوَرَى

بسيطٌ (كقاعِ الحقلِ) عالٍ (كيافع)[١]
عميقٌ، كما تكسو العناقيدُ (مِسْوَرَا)

* * *

ومن أينَ؟ من كلِّ البِقَاعِ، لأنَّه
يجودُ ولا يدرونَ، مِنْ أَينَ أَمْطَرَا
يغيمُ ولا يدرونَ، من أينَ يَنْجَلِي
يغيبُ ولا يدرون، من أينَ أَسْفَرا
وقد يعتريه الموتُ، مليونَ مرةٍ
ويأتي وليداً، ناسياً كُلَّ ما اعترى
تَدُلُّ عليهِ الرِّيحُ، هَمْساً إلى الضُّحَى
وتروي عَطَايَاه العَشَايَا، تَفَكُّرَا

* * *

هُناك شَدَا كالفجرِ، أورقَ هٰهُنَا
هُنَا رفَّ كالمَرْعَى، هنالك أَثْمَرَا
لأنَّ خُطاهُ برعَمَتْ شهوةَ الحَصَى
لأنَّ هواهُ، في دمِ البذرِ أقمَرَا
تُرَى ما اسمُهُ؟ لا يعرفُ الناسُ ما اسمُهُ
وسوفَ تسمِّيهِ العصافيرُ، أَخْضَرَا

يناير ١٩٧٦م

❁ ❁ ❁

(١) قاع الحقل ـ يافع ـ مسور: مناطق يمنية خصبة.

المحكوم عليه

قيل عن (م. . ن) أَضْحَى مُهِيلا
هل تَحرَّيتَ أنتَ؟ ما نَفْعُ قيلا؟
. . . إشْتَرى مرةً أمَامي كتاباً
اسمهُ. . . كيف تقهرُ المُسْتَحِيلا
ومَضَى شاهراً لهُ، كأميرٍ
أُمويٍّ. . . يَهُزُّ سيفاً صقيلا
راح يُومي إلى الوزَارَاتِ. . يحكي
لصديقَيْنِ. . . سوفَ نَشفي الغَليلَا

* * *

قلتُ هَلْ صارَ ثائراً. . . وعلى مَنْ
وهوَ مِنَّا. . . هل يصبحُ الهرُّ فيلَا؟
ذاتَ يومٍ رأيتُهُ وَسْطَ مقهَى
ورآني، أغضى ومَالَ قليلا
كان في حَلْقةٍ مِنَ النَّاسِ. يُبْدي
مِنْ نَزَاهاتِهِ شُروقاً بليلا
قسّمَ الثائرينَ صِنفيْن. . . صنْفاً
منفعيّاً، صِنْفاً نقيّاً أَصِيلا

لاحَ لِي. كالمُريبِ. لا بل تبدّى
كخطير، يريدُ أمراً جَليلا

* * *

دَسَّ يَوْماً في جيبهِ شبهَ ظرفٍ
قُرْمُزِيٍّ. لمحتُهُ مُسْتَطِيلا
مرةً إِشْتَرى الجريدَةَ.. سَمّى
نصفَها خائناً، ونِصْفاً دَخِيلا
(كي أُنَمّي أُمَيَّتي أَشْتَرِيهَا)
أعجبَ العابرينَ، أرضى (خليلا)
صنَّفَ الكاتبينَ.. هذا عميلاً
لعميلٍ، وذَا دَعاهُ العَمِيلا
كان يرنُو إليهِ، كلُّ رصيفٍ
مثلَ مَنْ يَجْتَلِي غُموضاً جَمِيلا

* * *

سكنَ (القاعَ) مدةً و(شُعُوباً)[1]
نصفَ شهرٍ وحلَّ شهراً (عقيلا)
أجَّرَ الدَّورَ، باسمِ بِنتِ أخيهِ
وأكترى في (المطيطِ) بيتاً نحيلا

* * *

وعلى الذِّكرِ... كم لديه بيوتٌ..؟
تِسعةٌ... هَلْ تَراهُ رَقماً ضئيلا؟

---

(١) (القاع) (شعوب) (عقيل) (المطيط) اسماء احياء في صنعاء.. ويسمى الاخير مضافا (شارع المطيط).

إِبتنى منزلينِ، وهوَ وزيرٌ
سبعةً عندما تولّى وكِيلا

كان لِصّاً محصّناً، إن تولّى...
وطنيّاً إذَا غَدَا مستقيلا

يشتهي الآن مَنْصِباً... ذاكَ سهلٌ
وهو يدري إلى الوصولِ السَّبِيلا

علَّ أسيادَهُ الَّذين امتطوْهُ
أنفذوهُ... بل واستَجَادُوا البَديلا

لم يكنْ ثائراً، على أيِّ حالٍ
إنَّما قَدْ يثوِّرُ الآن جِيلا

يَستفِزُّ الركودَ أيُّ ضجيجٍ
أوَّلُ الإنفجار يبدو فَتيلا

* * *

خمسةٌ يقبضونَ فوراً عَليهِ
إحتياطاً... لقد مَلَكْنَا الدَّليلا

سيِّدي... لَمْ نَجِدهُ في أيِّ شبرٍ
إبحثوا جيِّداً... بَحَثْنَا طَويلا

هاتِ (م...خ) ثلاثينَ عَيْناً
إنتخبْ أنتَ... من تراهُ كَفِيلا

لم نجدْهُ، يقولُ عنهُ أُنَاسٌ
إنَّهُ كالرِّياحِ، يَهْوَى الرَّحيلا

لم نجده، صوتٌ: قَبَضْنَا عَليهِ
ألبسوهُ، سوْطاً وقيداً ثقيلا

أنــزِلــوه زِنْــزَانَــةً، أنــتَ أَدرى
يا أبا الضرب، كيفَ تَرْعَى النَّزِيلا

* * *

كيفَ نلقى يا (م. . ن) خَلاصاً
ساءَني أَنْ أَرَى العزيزَ ذَليلا

أنتَ أغْلَى أحِبَّتِي من زمانٍ
كُنْتَ شَهْماً، وما تزالُ نَبِيلا

إنَّ عندي رَأياً، عسى تَرْتَضِيهِ
ليسَ مِنْ عَادَتي أردُّ الزَّمِيلا

منزلاً للمديرِ، أُكتبُه بيْعاً
سوف يُنْجِيكَ. . . هَلَ تموتُ بَخيلا؟

* * *

لم يوافق. . إِضربْهُ حَتَّى تُلاقِي
نصفَهُ ميِّتاً، ونصفاً عَليلا

* * *

وهنا ضجَّ حارسٌ، كان يُصغِي
ما لَكُمْ يأكلُ المَثِيلُ المثيلا

مثلُكُم كان ثائراً، فرجعتُمْ
نصفَ مِيلٍ، فتابَ وارتدَّ ميلا

كلُّ مَا بَيْنَكُم. . سقطتُمْ عُرَاةً
وهَوَى حاملاً رداءً غسِيلا

هَلْ تُريدونَ قَتْلَه؟ ماتَ يوماً
مثلَكُمْ. . . كيف تَقْتُلونَ القَتيلا؟

أغسطس ١٩٧٥م

أمام المفترق الأخير

يا شعرُ... يا تَاريخُ... يا فلسفهْ
من أينَ يَأتي، قلقُ المَعْرِفَهْ؟
من أينَ يأتي؟ كلُّ يومٍ لهُ
غرابةٌ... رائحةٌ مُزجِفَهْ
نألفُهُ شيئاً... فيبدو لنَا
غيرَ الذي نعتادُ... كي نألفَهْ
لٰكنْ لَهُ في كلِّ يومٍ فَمٌ
ثانٍ... يَدٌ ثالثةٌ مُرهَفَهْ
حيناً لهُ كِبْرٌ... وحيناً لَهُ
تواضعٌ أغبى من العَجْرَفَهْ
وتارةً تعلو وتهوي بهِ
أجنحةٌ غيميَّةُ الرَّفْرَفَهْ
أصَمُّ كالأحجارِ... لٰكنَّهُ
يَدْوي. ولا صوتٌ لهُ، لا شَفَهْ
يَنْوي كَفنَّانٍ. بلا فكرةٍ
يغلي... كطيشِ الفكرةِ المُلحِفَهْ
نُحِسُّ أنَّا مأسَويونَ لا
نملكُ للمأساةِ غيرَ الصِّفَهْ

يَجْتَرُّنَا الخبزُ، فتقْتَاتُنَا
- من قبلِ أن نشتمَّهَا - الأرغِفَهْ
نموتُ ألفيْ مرَّةٍ... كي نَرَى
كلَّ يدٍ مشبوهةٍ، مُسعِفَهْ

* * *

يا دورُ يا أسواقُ، ماذا هُنا
موتٌ تُغَاوي، وجْهَهُ الزَّخْرَفَهْ
رعبٌ صليبيٌّ، لهُ أعينٌ
خضرٌ... وأيدٍ بَضَّةٌ متلِفَهْ

* * *

يا فُندقَ (الزهرَا) مُحالٌ تعِي
قضيةَ (المَنْصُورةِ) المُؤسِفَهْ
ويا (مَخَا)... ماذا سَيبدُو إذَا[1]
تقيَّأتْ أسْرَارَهَا الأغلِفَهْ؟
تَفنَّنَ الموتُ... فأَضْحَى لَهُ
جلدٌ أنيقٌ... مِديَةٌ مُترفَهْ
يَمتَصُّ بالقَتْلِ الحريري كَمَا
يجتاحُ، بالوحشيَّةِ المُسرِفَهْ
يُلَمِّعُ الأوباءَ، كي ترتدي
براءةً أظفَارُها المُجْحِفَهْ

* * *

(١) المخا: فندق بصنعاء، والمنصورة حي شعبي جوار فندق الزهراء بصنعاء أيضاً.

مـن أيـنَ نـمـشـي يـا طـوابـيـرُ. . . يـا
سـوقـاً مِـنَ الأَنْـيَـابِ والـهَـفْـهـفَـهْ؟
مِـنْ أيـنَ يـا جـدرانُ. . . يـا خِـبـرةً
تُـزوِّقُ الـتـمـويـتَ، والـسَّـفْـسَـفَـهْ؟
مـن هٰـهُـنـا. . . أومِـن. . وتَـجْـتَـازُنَـا
- مـن قـبـلِ أن نـجـتـازَهـا - الأرصِـفَـهْ

* * *

هـل نـنـثـنـي يـا شَـوْط؟ هـل يـنـثـنـي
نـهـرٌ يُـريـدُ الـعُـشـبُ، أن يـوقِـفَـهْ؟
هُـنَـا طـريـقُ، لا يُـؤدِّي. . . هُـنَـا
دربٌ. . . إلـى الـرَّابـيَـةِ الـمـشـرِفَـهْ
هٰـذا عـنـيـفٌ، ولـهُ غـايـةٌ
وذا بـلا قـصـدٍ؛ ومـا أعـنَـفَـهْ

مارس ١٩٧٥م

هاتف.. وكاتب

أُكْتُبْ... لا تَتَعَطَّلْ
ما أقسى. أنْ أَفْعَلْ
صارت كَفِّي؛ رِجْلاً
ما جدوى، أن تَتَحَسَّلْ؟
لم أستَولِدْ حَرْفاً
جدّد حرفاً مُهْمَلْ
تدري؟ للحرفِ صباً
يفنى؛ وصباً يحبلْ

* * *

من يُخْرِجُنِي مِنِّي؟
أَلبحثُ عنِ المَدْخَلْ
أَلخفض إلى الأعلَى
أَلرفعُ إلى الأسْفَلْ
أَلتَّوقُ إلى الأَقْسَى
أَلصدُّ عَنِ الأسْهَلْ
أَلموتُ إلى الأَنْهَى
أَلبدءُ مِنَ الأَأْصَلْ

* * *

أُكْتُبْ شِعْراً، فكراً
أنفاساً؛ تَتَشَكَّلْ
تمهيداً.. عنواناً
تفعيلاتِ أفعلْ
إهمِسْ شيئاً. حتَّى
كالقمح إلى (المِنجلْ)
همسُ الأرضِ الوجْعى
فَنٌّ، عندَ الجَذوَلْ
ولِخفقِ البذرِ صدًى
في إبداعِ المَشتَلْ

* * *

أَتَراني مخنوقاً؟
إهمِسْ؛ لا تَتَمَهَّلْ
جَرِّبْ، فلديْكَ فَمٌ
وجنونٌ يَتَعقَّلْ
قَتَلوني، مراتٍ
أُكتبْ كي لا تُقتَلْ
بدمِ المَوْتِ الثَّانِي
تمحو الموتَ الأَوَّلْ
حاولْ... حاولتُ بلا
جَدْوَى، مَاذا أَعْمَلْ؟

* * *

إشتقتُ كما يبدو
ماذا؟ طفحَ المِزجَلْ
شهواتُ الحبرِ على
شَفَتيْكَ، دَنَتْ تَسألْ
تَتَشَكَّلُ أقباساً
أكواخاً تَتَأمَّلْ
مَشْرُوعاً جذرياً
ينسى أنْ يَتَأجَّلْ
أطفالاً أبطالاً
أشجاراً تتهلَّلْ
أظَمِئْتَ الآنَ، ولا
تَدري، مَاذَا تَتَهَلْ؟
إستقبلْ ما يَأتِي
وتَخَيَّر، ما تَقْبَلْ
آتِي الماضي، أدهى:
ماضي الآتي؛ أعضَلْ!

* * *

فلتَكْتُب، تحقيقاً
عن ماضي المُسْتَقبَلْ
عن أحجارٍ طارتْ
وصقورٍ تَتَرَجَّلْ
عن ماءٍ، صار دَماً
ودمٍ أمْسَى، مخمَلْ

عـــن تـــاريـــخِ ثـــانٍ
عـــن أشـــغـــالِ تُـــشْـــغَـــلْ

عـــن (صـــنـــعـــا) ثـــانـــيـــةً
مـــن ضِـــرَّتِـــهَـــا، تـــزْحَـــلْ

عـــن وجـــهِ (يَـــزَنِـــيٍّ)
ولَّـــى وأتـــى أجـــمـــلْ

عـــن مـــعـــنًـــى. لا يـــعـــنـــي
عـــن خَـــجَـــلٍ، لا يَـــخْـــجَـــلْ

عـــن حـــيٍّ لا يـــخْـــيَـــى
عـــن قَـــبـــرٍ يَـــتَـــغَـــزَّلْ

عـــن مـــيـــتٍ يـــتَـــنَـــدَّى
مـــولـــوداً مُـــسْـــتَـــغْـــمَـــلْ

عـــن زوايـــةٍ وَلَـــدَتْ
ثـــوريّـــاً مُـــســـتـــعـــجِـــلْ

* * *

مَـــنْ يُـــعـــطـــيـــنـــي لـــغـــةً
أعـــلَـــى، ويـــداً أطـــوَلْ؟

لـــولـــي صـــوتٌ أعـــتـــى
لـــولـــي حـــبـــرٌ أقـــتَـــلْ

أُكـــتـــب عَـــمَّـــا تَـــذري
تـــســـتـــكْـــشِـــفْ مَـــا تَـــجْـــهَـــلْ

مايو ١٩٧٥م

تحت السكاكين

بعينيهِ حُلمُ الصَّبايَا، وفي
حناياه، مقبرةٌ مستريحَهْ

* * *

لِنيسانَ يشدو، وفي صدرِهِ
شتاءٌ عنيفٌ... طيورٌ جريحَهْ

بلادٌ، تهُمُّ بميلادِها...
بلادٌ تموتُ، وتمشي ذبيحَهْ

بلادانِ، داخلةٌ هٰذهِ
جنينٌ، وهٰذي عجوزٌ طريحَهْ

وآتٍ إلى مهدِهِ يَشْرَئِبُّ
وماضٍ يَئِنُّ، كشكلى كَسيحَهْ

زمانانِ، داخِلُهُ يغتلي
دجًى كالأفاعي... وتندى صبيحَهْ

ورُغْمَ صريرِ السَّكاكينِ فيهِ
يُغنّي، يُغنّي... وينسى النَّصيحَهْ

فتخضرُّ عافيةُ الفنِّ فيهِ
وأوجاعُهُ وحدُهُنَّ الضَّحيحَهْ

أيا شمعةَ العُمْر ذوبِي... يُلحُّ...
فَتَسْخُو وتومي: أأبدُو شَحيحَهْ؟
فيُولَدُ في قلبهِ كلَّ يوم...
ويحملُ في شَفَتَيْهِ ضريحَهْ

* * *

يُوالي، فيرفضُ نصفَ الولاءِ
ويُبدي العداواتِ، جَلوَى صريحَهْ
لهُ وجهُهُ الفرْدُ... لا يرتَدي
وجوهاً تُغطِّي الوُجُوهَ القَبيحَهْ

* * *

يُعرِّي فضائحَ هذا الزَّمَانِ
ويعرى، فيبدو كأنقى فَضِيحَهْ
تَرَى وجهها الشمسُ فيهِ كما
ترى وجْهَهَا، في المَرَايا المليحَهْ

يناير ١٩٧٥م

❁❁❁

بعد سقوط المكياج

إلى (الفا ـ ح)

غيرَ رَأْسِي... اعطني رأسَ (جَمَلْ)
غيرَ قلبي... اعطني قَلبَ (حَمَلْ)
رُدَّني ما شئتَ... (ثوراً)، (نعجةً)
كي أُسَمِّيكَ... يمانيّاً بَطَلْ
كي أُسَمِّيكَ شريفاً... أو أرى
فيكَ مشروعَ شريفٍ مُختَمَلْ
سَقَطَ المكياجُ، لا جدوى بأنْ
تَسْتَعيرَ الآنَ، وجهاً مفتَعَلْ

* * *

كُنتَ حسبَ الطَّقسِ، تبدو ثائراً
صرتَ شيئاً... ما اسمُهُ؟ يا للخَجَلْ
ينقُشُ البوليسُ، ما حقَقتَهُ
من فتوحٍ با (لمواسي) في المُقَلْ
با (لهَرَاوي) با (لسَّكاكين)... بِمَا
يجهلُ الشيطانُ... من أخزى الحِيَلْ
تقتُلُ المقتولَ، كي تحكُمَهُ
ولكي ترتاح... تشوي المعتقَلْ

هـل أُسَـمِّـيـكَ بـهـذا نـاجـحـاً؟
إن يكـن هـذا نـجاحاً. . . مـا الفَشَلْ؟

* * *

إنَّـمـا أرجـوك، عَـلِّـطْـنـي ولـو
مَـرَّةً كـنْ آدمـيّـاً. . . لا أقَـلْ
قـلْ أنـا الـكـذَّابُ، وامـنـحـنـي عـلـى
حِسِّـكَ الإنـسـانـيَ الـشـعـبـي، مَـثَـلْ
فـلـقـد جـادلـتُ نَـفْـسِـي بـاحـثـاً
عَـنْ مَـزَايَـاك، فـأعْـيَـانـي الـجَـدَلْ
أنـتَ لا تَـقْـبَـلُ جَـهْـلـي إنَّـمَـا
لـيـسَ عِـنْـدي، لـلـخـيـانـاتِ غَـزَلْ

* * *

أيُّ شـيءٍ أنـتَ؟ يـا جـسـر الـعِـدَى
يـا عـمـيـلاً، لـيـس يـدري مـا الـعَـمَـلْ
ردَّنِـي غَـيْـري، لـكـي تـبـصـرنـي
لـلـذُّبـابِ الآدمـي، نَـهْـرُ عَـسَـلْ

❁ ❁ ❁

سندباد يمني في مقعد التحقيق

كَمَا شئتَ فَتِّشْ. . . أينَ أُخفي حَقَائِبِي
أتسألني من أنتَ؟. . أعرفُ واجبي
أجِبْ، لا تُحاولْ، عمُركَ، الإسمُ كاملاً
ثلاثونَ تقريباً. . . (مثنّى الشواجبي)
نَعَمْ، أين كنتَ الأمسِ؟ كنتُ بمرقَدِي
وجمجُمَتي في السجنِ في السُّوقِ شَارِبي
رَحلْتَ إذنْ، فيمَ الرّحيلُ؟ أظنُّهُ
جَديداً، أنا فِيهِ طريقِي وصَاحِبِي
إلى أينَ؟ من شعبٍ لشانِ بداخِلِي
متى سوفَ آتي! حين تَمضِي رَغَائِبي
جوازاً سِيَاحيّاً حَمَلْت؟. . جَنَازَةً
حملتُ بجلدي، فوقَ أيْدِي رَوَاسِبِي
. . . من الضِفَّةِ الأُولَى، رحلتُ مُهَدَّماً
إلى الضفةِ الأخرى، حَمَلتُ خَرَائِبِي
هُراءٌ غريبٌ لا أعيهِ. . . ولا أنا
متى سوفَ تدري؟ حينَ أنْسَى غَرائِبِي

* * *

تحدَّيتَ بالأمسِ الحكومةَ، مجرمٌ
رهنتُ لَدَى الخَبَّازِ، أمسِ جَوَارِبِي
مِنِ الكاتبُ الأدنى إليكَ؟ ذَكَرْتُهُ
لَدَيهِ كَمَا يبدو، كِتَابي وكاتِبِي
لدى مَنْ؟ لدى الخمَّارِ، يكتبُ عنْدَهُ
حسابي، ومَنْهى الشهرِ، يَبْتَزُّ رَاتِبِي
قرأتَ لهُ شيئاً؟ كؤوساً كثيرةً
وضيَّعتُ أجْفَاني، لديهِ وحَاجِبِي
قرأتَ ـ كما يحكونَ عَنكَ ـ قَصَائِداً
مهرَّبةً... بل كنتُ أَوَّلَ هَارِبِ
أما كنتَ يوماً طالباً؟.. كنتُ يا أخي
وقدْ كَانَ أستاذَ التَّلاميذِ، طَالِبِي
قرأتُ كتاباً مرةً، صرتُ بعدَهُ
حماراً، حماراًلا أرَى حَجْمَ رَاكِبِي

* * *

أحَبَبْتَ؟ لا بل مِتُّ حُبّاً... من التي؟
أحببتُ حَتَّى لا أَعِي، مَنْ حَبَائِبِي
وكَمْ مِتَّ مراتٍ؟.. كثيراً كَعادتِي
تموتُ وتحيا؟ تلك احدى مَصَائِبي

* * *

ومَاذا عنِ الثُّوَّارِ؟ حتماً عرفتهُمْ!
نَعَمْ، حاسَبُوا عَنِّي، تغدَّوْا بِجَانِبِي

ومَاذا تحدَّثتُمْ؟ طلبتُ سجارةً
أظنُّ وكبريتاً... بدوْا مِنْ أقَارِبي

شكوْنَا غَلاءَ الخُبزِ... قُلنَا ستنْجَلي
ذكرنَا قليلاً... موتَ (سَعْدَان مارِبي)

ومَاذا؟ وأنسَانَا الحكاياتِ مُنْشِدٌ
(إذا لم يسالمْكَ الزمانُ فَحَارِبِ)

وحينَ خرَجْتُمْ، أينَ خبَّأْتُمُ، بلا
مغالطةٍ؟ خبأتُم، في ذَوائِبِي

لدينا مَلَفٌّ عنكَ... شكراً لأنَّكُمْ
تصونونَ، ما أهمَلتُهُ من تَجَارِبِي

لقد كنتَ أمِّيّاً حِمَاراً وفجأةً...
ظهرتَ أديباً... مُذْ طَبَخْتُمْ مَآدِبي

خذُوهُ.. خذوني لَنْ تَزِيدوا مَرَارتِي
دَعُوهُ... دَعُوني لَنْ تَزِيدُوا مَتَاعِبِي

يوليو ١٩٧٥م

❁❁❁

الآتون.. من الأزمة

يا حَزَانَى... يا جميعَ الطيِّبينْ
هٰذِهِ الأخبارُ... من دارِ اليَقينْ

قرَّروا الليلةَ.. أن يتَّجِرُوا
بالعَشَايا الصفرِ... بالصبح الحَزينْ

فافتَحُوا أبوابَكُمْ، واختَزنُوا
من شُعاعِ الشَّمسِ، ما يكفي سِنِينْ

وَقِّعُوا مشروعَ تقنين الهَوَى
بالبطَاقَاتِ، لكلِّ العَاشِقِينْ

ما أَلِفتُم مثلَهُمْ أن تَعْشَقُوا
خَدَرَ الدفءِ، لَكُمْ عشقٌ ثَمِينْ

* * *

قرَّروا بيعَ الأَمَانِي والرُّؤى
في القَنَانِي، رَفَعُوا سِعْرَ الحَنينْ

فَتَحُوا بَنْكَينِ للنَّوْمِ، بَنَوا
مصْنَعاً، يطبخُ جوعَ الكَادِحينْ

إنَّكُمْ أجدرُ بالسُّهْدِ الَّذي
يَعدُ الفجرَ بوصلِ الثَّائِرينْ

* * *

بَدَأُوا تجفيفَ شطآنِ الأسى
كيَ يبيعُوهَا، كأكياسِ الطَّحِينْ

علَّبُوا الأمْرَاضَ... أعلَوْا سِعْرَهَا
كي يصيرَ الطبُّ، سِمْسَاراً أمينْ

حسناً... تجويعكُم... تعطيشُكُمْ
إنَّما الخوفُ، على الوَحْشِ السَّمِينْ

* * *

شَيَّدوا للأمنِ، سِجناً راقِياً
تستَوي السِّكِّينُ فِيهِ والطَّعينْ

إنَّ مَجَّانِيَّةَ المَوْتِ عَلَى
رأيِهِمْ حقٌّ لكلِّ العَالَمِينْ

أزمَةُ النَّفْطِ، لَهَا ما بعدَهَا
إنَّكُم في عهدِ، (تجَّارِ اليَمِين)

فاسْبِقُوهُمْ يَا حَزَانَى. وارْفَعُوا
عَلَمَ الإِصْرَارِ وَرْدِيَّ الجبينْ

واخرُسُوا الأجْواءَ، مِنْهُمْ قبلَ أنْ
يُعلِنُوها، أزْمةً في الأوكْسِجِينْ

* * *

إنَّهُمْ أقْسَى وأدْرَى، إنَّمَا
جَرَّبُوا معرفةَ السِّرِّ الكَمِينْ

عندَمَا تَدْرُونَ، مَنْ بائِعُكُم
يسقطُ الشَّارِي، وسوقُ البَائِعِينْ

عـنَـدمَـا تَـدرُونَ مَـنْ جَـلَّادُكُـمْ
يُحرقُ الشَّوكُ، ويَنْدى اليَاسَمينْ

عَنْدَمَا تأتونَ في صَحْو الضُّحَى
تبلعُ الأنقاضُ، كَلَّ المُخْبِرينْ

إنَّكُمْ آتونَ، في أعينكُمْ
قَدَرٌ غَافٍ، وتَاريخُ جَنينْ

نوفمبر ١٩٧٤م

في وجه
الغزوة الثالثة

حَسَناً... إنَّما المهمَّةُ صَعْبَهْ
فلْيكن... ولْنَمُتْ بكلِّ مَحَبَّهْ
يُصبح الموتُ مَوطِناً... حينَ يُمسِي
وطنٌ أنتَ منهُ، أوحشُ غُرْبَهْ
حين تُمسي من هَضْبِة بعضَ صَخْرٍ
وهي تَنْسَى، أنَّ اسمَهَا كانَ هَضْبَهْ
فلتُصلِّبْ عِظَامَنا الأرْضُ، يدري
كلُّ وحشٍ... أنَّ الفريسةَ صَلْبَهْ
ولْنَكُنْ للحِمَى الذي سوفَ يأتي
من أخَاديدِنا... جُذُوراً وتُربَهْ
مبدعاتٌ هِي الولاداتُ... لكنْ
موجعاتٌ... حقيقةٌ غيرُ عَذْبَهْ

* * *

ولماذا لا تبلغُ الصوتَ؟.. عفواً
من توقِّ إرهابَهُمْ، زادَ رَهْبَهْ
كيف نستعجلُ الرصاصَ! ونخشى
بَعْدَ هٰذَا، نباحَ كَلبٍ وكَلبَهْ

هل يردُّ السيولَ وحلُ السواقي؟
هل تدمّي قوادمَ الرِّيحِ، ضَرْبَهْ؟

أنتَ من موطنٍ يريدُ... ينادي
مِنْ دمِ القَلبِ، للمُهِمَّاتِ شَغْبَهْ

* * *

إِتَّفقْنَا... ماذا هناك؟ جدارٌ
بل جبينٌ، عليهِ شيءٌ كقُبَّهْ

ربَّما (هِرَّةٌ) تُلاحقُ (فأراً)
ربما كانَ طائراً خَلْفَ حَبَّهْ

إنَّمَا هل يَرَى التَّفَاهاتِ حيٌّ؟
تلتقي أحدَثُ الخُطُورَاتِ قُرْبَهْ

هل ترى مَنْ هُنَاك؟ غزواً يُقَوِّي
قَبْضَتَيْهِ، يحدُّ مليونَ حَرْبَهْ

يحتَذِي (البنكوتَ) يومي إليهِ
وعليه من البَراميلِ جُبَّهْ

إنَّهُ ذلك الَّذي جاءَ يوماً
وإلى اليومِ، فوقَنَا مِنْهُ سُبَّهْ

* * *

قبل عامٍ وأربعينَ اعتَنَقنَا
فوقَ (أبهى) عناقَ غيرِ الأَحِبَّهْ

والتقينا بهِ (بنجرانَ) حيناً
والتقينا بقلبِ (جيزَانَ) حِقْبَهْ

والتقينا على (الوديعَةِ) يوماً
والمَنَايا على الرُّؤوسِ مُكبَّهْ
جاءَ تلكَ البقاعَ... خُضْنَا هَرَبْنَا
وهي تعدُو وراءَنَا مُشْرئِبَّهْ
إنَّهَا بعضُ لَحْمِنَا، تَتَلوَّى
تحتَ رجليْهِ، كالخُيولِ المُخِبَّهْ
في حَشَاها، مِنَّا بذورٌ حَبَالى
وجذورٌ ورديَّةُ النَّبضِ خِضبَهْ

* * *

مالهُ لا يكُرُّ كالأمسِ؟ أضحَتْ
بين مَنْ فوقِنَا، ونغليهِ صُحبَهْ
إنَّهُم يَطْبِخُونَنَا، كي يذُوقُوا
عندما يُنضجُوننا، شَرَّ وَجْبَهْ
خَصْمُنا اليومَ غيرُهُ الأمس طَبْعاً
أَلبراميلُ أمركَتْ (شيخَ ضَبَّهْ)
عِنْدَهُ اليومَ قاذفاتٌ ونفطٌ
عندَنَا مَوْطِنٌ، يَرَى اليومَ دَرْبَهْ
عندهُ اليومَ خِبَرةُ الموتِ أغلى
عندَنَا الآنَ، مهنةُ الموتِ لُعْبَهْ
صارَ أغْنَى، صِرْنا نَرَى باحتقارٍ
ثروةَ المعتَدي، كسروالِ (قحبَهْ)
صار أقوى... فكيفَ نقوى عليهِ
وهو آتٍ؟ نمارسُ الموتَ رَغْبَهْ

ونُدمِّي التِّلالَ، تغلي فَيَمْضِي
كلُّ تلٍّ دامٍ، بألفَيْنِ رُكبَهْ
ويُجيدُ الحَصَى القتالَ، ويذري
كلُّ صَخْرٍ، أنَّ الشجاعةَ دُرْبَهْ
يَضعُبُ الثائرُ المضَحِّي ويقوَى
حينَ يدري، أنَّ المُهمَّةَ صَعْبَهْ

(فبراير ١٩٧٥م)

❁ ❁ ❁

أمسية حجرية

كـغـرابٍ يـرتَـمِـي فَـوقَ جَـرَادَه
سقطتْ وَجْعَى، تَدَلَّتْ كالوِسَادَهْ
كنسيجِ الطُّحْلُبِ الصيفي نَمَتْ
أعْشَبتْ فيهَا، وفي وَجْهي البَلَادَهْ
وعلى الجدرانِ، والسقفِ ارتَخَتْ
مثلَ فَخذيْ مرْأةٍ بعدَ الوِلَادهْ
تحتَسِينِي، تحتسي هادئةً
مثلَ مَنْ صَارَ لديهِ القَتلُ عَادَهْ
تَرْتَدِي الأنقاضَ والشَّوكَ على
جيدهَا من أعينِ المَوْتَى قِلادَهْ

* * *

كنتُ أَذْوي، باحثاً عن مطلعٍ
كَانَ يهذي عابرٌ، (فرحانُ غَادَهْ)
سأُسَمّيهِ (ظفاراً) (مَذْحَجاً)
لو أتَتْ أُنثى، أُسمِّيها (سَعَادَهْ)
هَلْ لَهَا، أو هَلْ لهُ مُسْتَقْبَلٌ؟
هل وُلدْنا نحنُ، في حضنِ الرَّغَادَهْ؟

أمِنَتْ (سيجون) (بَيْروتُ) ابتدَتْ
تَرْتَمي ترمي، بلا أَدْنَى هَوَادَهْ
نَفْسُ ذَاك الدورِ (يحيى) قالَها:
كيف أضحَى نابُها، كيرَ الحِدَادَهْ

* * *

كنتُ أضْغي... يا دُجى: قافيةً
لمحةً يُعطي، حكاياتٍ مُعَادَهْ
كان مخمورٌ يُدَوِّي: من أنا
إنَّني (عنترةٌ) هاتوا القِيَادَهْ
ردَّني (إبليسُ) عن أبوابِهِ
وثناني الشيخُ، عن بيتِ العِبَادَهْ

* * *

كنت أَفْنَى... كان يغزو جارةً
فارسٌ يَروي، أعَاجيبَ الإرَادَهْ
بَعْدَ مَضْغِ القَاتِ، ـ فيما يدَّعِي ـ
يغتدي (كَبْشاً) يعبُّ الشَّايَ (سَادَهْ)
يخطف البكرَيْنِ، من بُرجَيْهِمَا
لبطولات الهَوَى ـ طبعاً ـ ريادَهْ

* * *

حارسٌ يبتزُّ ما يحرسُهُ
ويَدينُ الصبحَ (سَعْداً) أو (قَتَادَهْ)
راحَ يَحْكِي: أنَّهُ يَلقَى الذي
كابَدَ (الفاروقُ)، في عامِ الرَّمَادَهْ

يـا دكـاكـيـنُ . . . ويـومـي: رشـوةً
فـي عُـهـودِ الـمـالِ، تَـزْدادُ الـنَّـكَـادَهْ

كـنـتُ أُنـهـي الـشـطـرَ . . . جارٌ يـبـتَـدِي
خَـضْـمَـهُ، أشـبـعـتَ لـلـقـاضـي الـمَـزَادَهْ

شَـاهِـدٌ مـخْـتَـرِفٌ ألـبَـسَـهُ
حـضـرَةُ الـقـاضِـي، قـمـيـصـاً مـن زَهَـادَهْ

يـسـتَـوي فـي الـزَّمـنِ الـسِّـمْـسَـارِ، مـن
يُـلْـهَـمُ الـهـجـوَ، ومَـنْ يُـغْـرِي الإشـادَهْ

قـالَ لـي: مـن أنـتَ؟ نـذلٌ إنَّـنـي
مـثـلُـهُ مُـسـتَـعـمَـرٌ، بـاسـمِ الـسِّـيَـادَهْ

* * *

طـفـلُ جـاري كـان يـسـتـسـقـي . . . أنـا
كـنـتُ أرجُـو. لـحـظـةً حُـبْـلـى جَـوَادَهْ

* * *

مَـنْ هُـنَـا؟ كَـلـبٌ يُـهَـوْهِـي، هِـرَّةٌ
تَـتَـنَـزَّى، مـنـزلٌ يـشـدُو (حَـمَـادَهْ)

شـارعٌ يَـبْـكـي الـضَّـحـايَـا، مـكـتـبٌ
يـمـنـحُ الـجَـانـي، وسَـامـاً وشَـهَـادَه

جُـثَّـةٌ تَـهْـوي، بـلا فِـائـدَةٍ
خـنـجَـرٌ دامٍ، لـهُ كـلُّ الإفَـادَهْ

* * *

زادتِ الأمـسـيـةُ الـوَجْـعَـى أسَـى
مـثـلَ غـيـري لـم أزِدْ، أنـتَ الـزيـادَهْ

أتَرَى الصَّرْعَى؟ لهمْ بَدءٌ، مَتَى؟
ينضجونَ الآنَ، في جوفِ الإبَادَهْ
كُنْتُ أَفْنَى.. لم تُجِبْ، كنتُ على
زَعْمِهَا أَزدادُ، نُضْجاً وإجَادَهْ

يونية ١٩٧٥م

❁ ❁ ❁

في الغرفة الصَّرعى

شيءٌ بعينَيْ جدارِ الحزنِ يلتَمِعُ
يَهِمُّ، يخبرُ عن شيءٍ، ويمتنِعُ

يريدُ يَصرخُ، يُنبي عَنْ مَفاجأةٍ
لكنَّهُ قبلَ بدءِ الصوتِ، ينقطعُ

يغوصُ يبحثُ، في عينيْهِ عن فَمِهِ
تغوصُ عيناهُ فيهِ، يقتفي، يَدَعُ

عَمَّ يُفَتِّشُ؟ لا يدري، يضيع هنا
يقومُ يبحثُ عنهُ، وهو مضطجِعُ

يومي إلى السَّقفِ، تسترْخي أناملُهُ
تمتَدُّ كالدُّود، كالأجراس تَنْزَرِعُ

* * *

مِنْ أينَ يا بابُ يأتي الرعبُ؟ تلمحُهُ
مِنْ أيِّ زاويةٍ، يَغْشوشِبُ الوَجَعُ؟

يمشي على فَمِهِ، هذا السكونُ على
أطرافِ أرجُلِهِ، يهوي ويَرْتَفِعُ

يصفرُ كالسِّلِّ، يهمي من عَبَاءَتِهِ
ينحلُّ كالقشِّ كالأسمالِ يجتَمِعُ

كموسٍ، باغتَ البوليسُ مَرْقَدَهَا
كمُقبلينَ على أشلائِهِمْ، رجِعوا

كـمـيِّـتـيـنَ، يـمـدُّونَ الأكـفَّ إلـى
مـوت جـديـدٍ يـمـنِّـي، وهَـوْ يـبـتَـلِـعُ

* * *

أَلـصـمـتُ يـسـقُـطُ، كـالأحـجـارِ بَـارِدةً
عـلـى الـزَّوَايَـا، ولا يـشـعـرْنَ مـا يـقَـعُ
تُصغي إلى بعضِهَا الجدرانُ، واجفةً
تـئـنُّ تَـخْـمَـرُ، كـالـقـتـلـى وتـمـتَـقِـعُ

* * *

في هـذهِ الـغـرفـةِ الـصَّـرْعـى، أسًـى قـلـقٌ
يـطـولُ كـالـعـوْسَـجِ الـنَّـامِـي ويـتَّـسِـعُ
أَلـحـزنُ يـحـزَنُ، مـن فـوضـى غَـرَابـتِـهِ
فـيـهـا ويـفـزَعُ، مـن تـهـويـشِـهِ الـفَـزَعُ

ديسمبر ١٩٧٥م

وجوه
دخانية في مرايا الليل

أَلدُّجى يَهْمِي . . . وهذا الحزنُ يهْمِي
مطراً من سُهدِهِ، يظما ويُظمي

يتعبُ اللَّيْلُ نزيفاً . . . وعلى
رُغمِهِ يدمى، وينجرُّ ويُدمِي

يرتَدي أشلاءَهُ، يمشي على
مُقْلتَيْهِ حافياً، يَهذي ويومي

يرْتَمِي فوقَ شَظَايا جلدِهِ . . .
يطبخُ القَيْحَ، بشدقَيْهِ ويَرْمِي

* * *

أيُّهَا اللَّيلُ . . أُنَادي إنَّما
هل أُنَادي؟ لا . . . أظنُّ الصوتَ وهمِي

* * *

إنَّهُ صَوْتِي . . . ويبدو غَيرُهُ
حين أُصغي بَاحِثاً عن وجهِ حُلْمي

من أنا؟ . . . أسألُ شخصاً داخلي :
هل أنا أنت؟ ومن أنتَ؟ وما اسمي؟

* * *

أيُّهَا الحَارسُ تَذْرِي من أَنَا؟
إشتروا نومي . . طويلٌ ليلُ هَمِّي

ألأنـي حـارسٌ يـا سـيـدي؟ . . .
زوّجـوهـا ثـانـيـاً، ألـمـالُ يُـعْـمِـي

مـن أنـا؟ . . ألـلّـيـلُ يـبـنـي لـلـرؤى
قـامـةً كـالـرُّمـح، مـن جـلـدي وعـظـمـي

لا تـعـي سـكـران؟ تـسـعٌ أعـلـنـتْ
أوّلَ الأخـبـارِ، مـا سـمّـوهُ رَسْـمـي

مـن أنـا؟ . . صـار ابـنُ عـمّـي تـاجـراً
واشـتـرى شـيـخٌ ثـريٌّ، بـنـتَ عـمّـي

هَـلْ تَـنَـامُ الـصُّـبْـحَ؟ سـيـارتُـهـا
عـبـرتْ قُـدّامَ عَـيْـنِـي، فـوقَ لَـحْـمِـي

إِصـغِ لـي أرجـوكَ؟ . . أغـرى أمّـهـا
شـيَّـدَتْ قـصـرَيْـنِ، مـن أشـلاءِ هَـدْمـي

* * *

من أنا يا تكسِ؟ أفْلستُ وما شَبِعُوا . . .
مَـنْ مِـنْ حُـمـاةِ الأمـنِ يَـحْـمِـي؟

مِنْ هُنا، سرْ، ها هُنَا قِفْ، رخْصَتِي
ما الذي حمَّلتَ، فتّشْ، هاتِ قسمي

خمسةٌ للقاتِ. خمسونَ لَهُمْ . . .
وانتَهَى دَخْلِي، وأنْهَى السِّلُّ أُمّي

* * *

عـاجِـنَ الـفـرنِ . . أتـدري؟ سَـنَـةً
وأنـا أعْـجِـنُ أحـزانـي وَعَـمّـي

مـن أنـا؟ كـانَـتْ تـرى والـدتِـي
ذُلَّ بعضِ النَّاسِ، تحتَ البَغْضِ حَتْمِي
غِبْتَ عن قصْدي! . . . رفيقي غائبٌ
من ليالٍ، رأيهُ في الحبسِ (جَهْمِي)[1]

* * *

مـا الَّـذي أفـعـلُـهُ؟، كـلٌّ لَـهُ
شـاغـلٌ ثـانٍ، وفـهـمٌ غـيرُ فَـهْـمِـي
داخـلـي يَـسْـقُـطُ فـي خـارجِـهِ
غُـربَتي أكبرُ مِنْ صَوْتِي، وحجمِي
(نُـقُـمٌ) يـرنُـو بـعـيـداً، سـيِّـدي
هـل تـرى فـي ضـائـعِ الأرقَـامِ، رَقْـمِـي؟
طـحـنَـتْ وَجْـهِـي - لأنِّـي جَـبَـلٌ
خيلُ كِسْرَى، عجنتْهُ خيلُ نَظْمِي[2]
أعـشـبَـتْ أرمِـدَةُ الأَزْمَـانِ فـي
مُقَلتيَّ، جلمدَتْ شَمسِي ونَجْمِي
تـذهـبُ الـرِّيـحُ، وتَـأْتِـي وأَرَى
جـبـهَـتـي فـيـهـا وهٰـذا حَـدُّ عِـلْـمِـي

* * *

---

(١) نسبة إلى قصيدة الشاعر العباسي علي بن الجهم:
قالوا حبست. . فقلت ليس بضائري
حـبـسـي وأيُّ مـهـنـدٍ لا يـغـمـد

(٢) إشارة إلى الاستعمارين الفارسي والتركي.

مـن هُـنَـا أسـألـه، مَـنْ ذا هُـنَـا؟
غـيـرَ ثـوبٍ، فـيـهِ مـا أدعـوهُ جِـسْـمِـي
مـن أنـا والـلـيـلـةُ الـجَـرْحَـى عـلـى
رُغـمِـهَـا تَـهْـمي، كَـمَـا أهـمي بِـرُغْـمِـي؟
هـل كَـفـى يـا أرضُ غَـيْـثـاً؟ لـم تَـعُـدْ
تـغـسـلُ الأمـطـارُ، أَوْجَـاعِـي وعُـقْـمِـي

إبريل ١٩٧٥م

خوف...

هٰذي الأكاذيبُ الجديدهْ
موتٌ لَهُ أيدٍ، عَديدَهْ

تَنبَثُّ أوكاراً، طوابيراً
عَمَاراتٍ، مَديدَهْ...

تُرْدي... وفورًا ترتَدي
وجهَ الشَّهيدِ، صِبَا الشَّهيدَهْ

حلْقَ المرثّي، تستعيرُ
وتحْتَذِي، لحمَ القَصيدَهْ

تهمي مُؤكّدة الخطورَهْ
وهي لا تبدو، أكيدَهْ

غيرَ الَّذي تُبْدي، تريدُ
ولَا تَراها، كالمُريدَهْ

يدعونها «دَعماً» مُسَاعدةً
مبادرةً، حَميدَهْ

وحقيبةً رَحّالةً
بين (الرشيدَةِ) و (الرَّشِيدَهْ)

وعداً، موافقةً،
مُنَاوَرَةً، زياراتٍ مُفِيدَهْ

هبةً بلا عِوَضٍ... قروضاً،
ذاتَ آجالٍ، بَعيدَهْ

لكنْ لِمَاذا يُغدِقُونَ؟
أشمُّ رائحةَ المَكِيدَهْ

وأرى مؤامرةً، لَبِسَهَا
شكْلُ الأُخوَّةِ، والعَقيدَهْ

تذنُو كمشفِقَةٍ، كعاشقةٍ،
كَقَاتِلةٍ، عَتِيدَهْ

ماذا؟ أُسَمِّيهَا؟ تُبَلِّدُنِي،
أسمِّيهَا البَلِيدَهْ

وتزيدُ مِنْ أُمِّيَّتِي
هٰذي الإذاعةُ، والجَرِيدَهْ

هٰذي الدِّراماتُ الَّتِي
تبْدُو بطولتُها، مُجِيدَهْ

أَأَخَافُ من كَرَمِ المساعِدِ؟
أمْ أخافُ مِن (السَّعِيدَهْ)؟

مارس ١٩٧٦م

❁ ❁ ❁

التاريخ السِّرِّي..
للجدار العتيق

يُريدُ أن يَنْهَارَ هذا الجدارْ
كي ينتهي، من خيفةِ الإنهِيَارْ
يريدُ لكنْ، ينثنِي فَجْأةً
عنْ رأيِهِ، يحسُو حليبَ الغُبَارْ
يَهِمُّ أن يَرْثِي، جِداراً هَوَى
يَرَاهُ فوراً، صارَ ألفَيْنِ دَارْ

* * *

عجيبةٌ يا ريحُ... ماذا جرى؟
تشابَهَ الميلادُ، والإنتِحَارْ
أختارُ هذا ما تَرَى... من رأى
قبلي رُكاماً؟ أحسَنَ الإختِيَارْ
ألإنفجارُ المبتدي ـ عادةً ـ
يُعطي رماداً، قد تسميّه نارْ
ألمْ تُجَرِّبْ؟ كلُّهمْ جَرَّبُوا
منهى التَّردِّي، أوَّلَ الإنفجارْ
يرتدُّ مَذهُوشاً، إلى جِلدِهِ
كهاربٍ يَخْشَى، سقوطَ الإزارْ

كـحـقـلِ دودٍ، وَسْـطَ رُمَّـانَـةِ
كـثـوبِ لـصٍّ، خـارجٍ مـن حِـصَـارْ

يـبـدو كـإنـسـانٍ، لأشـواقِـهِ
روائـحُ الـمَـلـهَـى، وشـكـلُ الـقِـطَـارْ

عـلـيـه جِـلْـدٌ ورقـيٌّ لَـهُ...
عـشـرونَ قـرْنـاً، تـقـبـلُ الإعـتـصـارْ

كـمُـدَّعٍ، ـ مـوطِـنُـهُ عِـنـدَهُ
عـلـى قـمـيـصِ الـعـيـدِ ـ، أحـلَـى زرارْ

* * *

أنـا هُـنـا، أعـلـى الـرُّبـى قـامـةً
يـدايَ لا تَـلـقـى الـيـمـينُ الـيَـسَـارْ

بـلْ لـيـس لـي كـفٌّ لـسـيـفٍ، أمـا
سِـنـانُ[1] (عـمْـرِو) ذاك! أمـضـى الـشِّـفَـارْ

فـي لـحـيـةِ (الـمَـرِّيـخِ)، لـي مـكـتـبٌ
نـهـدُ (الـثـريـا) فـوق بـابـي شِـعَـارْ

---

(١) سنان (عمرو) إشارة إلى (عمرو بن العاص) عندما هاجمه(علي بن أبي طالب) فاحتال (عمرو) تفاديا لسيف (علي) فكشف له عورته فاستحيا (علي) وتراجع وقد أَشارت إلى هذه الحادثة كثير من الأشعار كقول بعضهم:

بـطـل يـصـول بـسـوأتـيـه
لا بـصـارمـه الـذَّكـر

وكقول أبي فراس:

ولا خـيـر فـي رد الـردى بـمـذلـة
كـمـا رده يـومـاً بـسـوأتـه عـمـرو

لكنني كالسهلِ، لا سُورَ لي
مُفَتَّحٌ للفتحِ، والإنجِرَازْ

تصَوَّروا، يَومَ اعتدى جيرتي
أنعلتْ وجهي، خيلُ حُسنِ الجِوازْ

أهوى التَّساوي، قاطعاً كلَّ مَنْ
يبدو طويلاً، كي يساوي القِصَازْ

يَوْمَ اشتكَتْ قمعَ الخِمارِ ابنتي
أنصفتُ، البستُ البنينَ الخِمَازْ

وهُهُنا يُنهي، لكيْ يَبتَدي
يقصُّ عنْ أصدائِهِ، باختِصَازْ

* * *

يُقعي كجنديْنِ، عادا بلا
نصرٍ يبولانِ، دمَ الانتصار

يشتاقُ لوْ يعدو، كسيارةٍ
لو يحملُ البحرَ، كإحدى الجِرَازْ

لو وجهُهُ نعلا حصانيْنِ، لو
ساقاهُ (مبغا) في قميصِ النَّهَازْ

لو تصبحُ الأبحارُ بيدًا، ولَوْ
عواصمُ الأصقاعِ، تمسي بحَازْ

يطيرُ لكنْ، يرتئي نعلُهُ
ترقيعَ رجليْهِ، بماءِ الوَقازْ

لا شيءُ غيرَ النَّعلِ، جِذْرٌ لهُ
يُلهى بهٰذَا القشّ، ريحُ القَرَارْ

* * *

هلْ متُّ؟ يبدو متَّ، لا إنها
دعايةٌ، زيفٌ، دخانٌ مُثارْ

(مسرور) تدري كيفَ إسكاتهمْ
لا تبقَ حياً، صدقَتْ (جُلَّنارْ)

تسدُّ بابَ الريحِ، كي لا تَرَى
إنِّي دخانٌ، من رُؤى (شَهْريارْ)

أَلشعبُ، داءُ الشعب تَقتيلُهُ
أشفى، ليبقى الأمنُ، والإزدهارْ

يهونُ حِقدُ (الشِّمر) يا (كربلا)
لو لمْ يكنْ في كفِّه (ذو الفقار)[1]

ماذا؟ أتَدعو حكمتي فُرصَةً
للغزوِ؟ قلْ: صحّحتُ بدءَ المَسَارْ

كيفَ ألاقي جبهةً خارجي
وفي قَذَالي، جبهةٌ من شَرَارْ

---

(١) ذو الفقار: السيف الشهير لـ(علي بن أبي طالب).. قيل أن (معاوية) اشتراه من (الحسن بن علي) وفي معركة (كربلاء) حمله (الشمر) واحتز به رأس (الحسين) فكان يقول(يزيد) عند ذكر مصرع (الحسين): انما قتلته بسيف أبيه، وفي رواية، بسيف جده باعتباره هدية من (النبي) إلى (علي) يوم فتح (خيبر).

لا لـــمْ أمُـــتْ جـــدّاً، أمـــا رايـــتـــي
خـفّـاقـةً، فـوقَ ظـهـورِ السفِـرَازْ!

حـوافـرُ الـمـحـتـلِّ، فـي شَـارِبـي
لـكـنّـنـي أُشـبـعـتُ، مـنـهُ الـدَّمَـازْ

لأنّـنـي جـزَّأتُـهُ... نـصـفُـهُ
سيفي، ونـصـفٌ داخـلـي مـسـتَـشَـازْ

وهْـهـنـا يُـنْـهـي، يـرى وجْـهَـهُ
مِـنْ مـنـكِـبـيْـهِ، فـي مَـرَايـا الـفَـخَـازْ

غـنّـي (الـيـزا)(جـولـيـان) اخـلـعـي
عـبـاءَتـي، سـاقـي أدِزهـا، أدَازْ

يـودُّ لـوْ مـا بـيـن فـخـذيْـه فـي
إحـدى يـديْـهِ، خـاتَـمـاً أو سِـوَازْ

جـريـدةٌ، أخـبـارُهـا عَـنْ حـصَـى
ينمو، وعـن (ديكٍ) تَـعَـشَّـى(حِـمَـازْ)

روايـةٌ، أبـطـالُـهـا عـوسـجٌ
يـمـشـي، وأطـيـارٌ تـبـيـعُ الـمَـحَـازْ

* * *

لي جـبـهـةٌ مـن مـوقـدِ (الـشَّـنْـفـرى)
وجـبـهـةٌ مـطـبـوخـةٌ، بـالـبُـخَـازْ

فـي غـيـرِ جـلـدِي، أعـشـبـتْ قـامَـتـي
وكـان جـلـدي، مـن شـمـيـم (الـعَـرَازْ)

رأسِي سِوَى رأسِي الَّذي كانَ لي
يا سادَتِي بيني، وبيني قِفَاز

* * *

بيني وبيني، من يُسمَّى أنا
فوقَ الأنَا الثَّانِي، أنا المُسْتَعَاز

وهْهُنَا يُصغِي... أقلتُ الذي
أغني؟ وهلْ أعنِي؟ هُنا الإبتِكَاز

* * *

يودُّ لو كفَّاهُ، أشْهى صدًى
لمغزَفٍ، لو مقلتَاهُ (هَزاز)

لو قلبُهُ منديلُ، (عرَّافةٍ)
لو أنفُهُ، مروحةُ الإنتِظَاز

يريدُ ما ليسَ يَعي، يبتَدِي
يَعي وقَدْ فَاتَ، أوانُ البِدَاز

ألموسمُ الوهميُّ، لأغبى المُنى
يُعطي - قُبيْلَ الحَرْث - وهمَ الثِّمَاز

* * *

مَاذَا أنَا؟ شيءٌ مسيخٌ بلا
عرقٍ، بلا شَيءٍ، يسمَّى إطَاز

قد كانَ يَنْمُو الطِّفْلُ، واليومَ لا
ينمُو صغيرٌ، كي يطولَ الكِبَاز

* * *

يعودُ يُنهي الكأسَ، من بدئِها
فيبتدي قبلَ الشَّرابِ الخُمار[1]

هل كنتُ أحكي؟مطلقاً... من حكَى
في داخلي كأن ينامُ الجِوار

* * *

يُريدُ أن ينهارَ، خصرُ الضُّحَى
واللَّيلُ كي ينهارَ، هذا الجِدَار

فبراير١٩٧٦م

❁ ❁ ❁

(١) الخُمار: وجع الرأس من كثرة الشراب.

الأميرة...
وتحولات مرايا العشق

كَـمَـا تَـرَيْـنَ، حَـوِّلِـي
لَـوْنـي فَـمِـي، عُـمْـرِي الـوَجِـيـغْ
إلَـيـكِ يـا أمـيـرَتِـي
قـلـبـي يُـؤجِّـجُ الـصَّـقِـيـغْ
ولْـتَـجـعَـلـي، عُـشْـبَ دَمِـي
بـعـضَ شـوارِبِ الـرَّبِـيـغْ
ولْـتـغـزلـيـنِـي لـلـرُّبَـى
جَـدَائِـلاً مِـنَ الـنَّـجِـيـغْ
مَـدَائِـنـاً، تـعـدو إلـى
أبـوابِ عَـالـمٍ مُـرِيـغْ
حـكـايـةً، قـاتـيَّـةً
عـلـى مَـرَاتِـع الـقَـطِـيـغْ
خـطـورةً سـرِّيَّـةً
قـبـلَ حُـدُوثِـهَـا تَـشِـيـغْ
قـصـيـدةً بـلا فَـمٍ
جـنـسـيَّـةً بـلا ضَـجِـيـغْ

مـحـبَّـةً فـضـيـحـةً
إدانـةً، بِـلَا شَـفِـيـغ
عـنـقـودَ طَـلٍّ فـي جـنـيـن
كـلُّ نـبـتَـةٍ يَـضِـيـغ

* * *

مـا شـئـتِ مـولاتِـي أرى
مـا تـأمـريـنَ أَسْـتَـطِـيـغ
فـلْـتُـبْـدِعـيـنِـي، صـيـحـةً
ولادَةً، مـوتـاً فَـظِـيـغ
بـدْءاً بـلا بِـدَايـةٍ
نـبـوَّةً، بـلا تـبـيـغ...
سَـيـفـاً لَـهُ، أَلْـفَـا يَـدٍ
مُـقَـارِعـاً، بِـلا قَـرِيـغ
طـفـولـةً، بِـلا صـبـاً
أمـومـةً، بـلا رَضِـيـغ
مـسـافـراً، مِـنْ نَـفْـسِـهِ
فـي نَـفْـسِ غـيـرِهِ يَـبِـيـغ
شـيـئـاً يُـضَـيِّـعُ اسـمَـهُ
يَـعِـي أسـامِـيَ الـجَـمِـيـغ
مِـن الـرِّيـاحِ يـشـتَـري
كـلَّ الَّـذي لَـهَـا يـبـيـغ

جـوعـانُ يُـطـعِـمُ الـحَـصَـى
لـحـمـاً ويـأكـلُ (الـضَّـريـعَ)[1]
دربـاً إلـى ثـلاثـةٍ
بـابـاً إلـى بـابٍ وَسـيـعْ
كَـمَـا تـريـن، حَـوِّلـي
لـوِّنـي فَـمِـي، عـمـري الـوَجـيـعْ

إبريل ١٩٧٦م

❁❁❁

(١) الضريع، طعام سكان جهنم.

ليلة فارس الغبار

مَلَّيْتُ مَملكةَ الجبينِ العَالي
فَوَقَعتُ مِنْ رَأسي، إلى سِرْوَالِي
كانَ المساءُ يجُرُّنِي كَذُيولهِ
وأجرُّ خَلفَ جَنازَتي، أَذْيَالي
أختالُ كالسُّلطانِ، حاشيتي الحَصَى
تحتي - بلا فخرٍ - حصانُ الوَالِي
جَيْشي عفوناتُ الأَزقَّةِ تحتَفِي
حولي، ورايَاتِي خيوطُ سُعالِي

* * *

أهلاً، وكيفَ الحالُ؟ شكراً أدَّعي
تَرَفَ الأَميرِ، حَصَافةَ (اللِّبْرَالِي)
أبدو كمالِيٍّ، يُعَادِي مالَهُ
وأفيقُ أسخرُ، بالفقيرِ المَالي
لكنَّنِي أزمِي، ورايَ حقيقتِي
وأُجيدُ تمثيلَ المحبِّ السَّالِي

* * *

في طينةِ الحُمَّى، أغيبُ دقائقاً
عنِّي وأصحو زَيْرَتَمِي أمثَالي

أنسى تفاصيلي، كبدءِ روايةٍ
قبل البدايَةِ، ينتهي أبْطَالي

وأعودُ، قُدّامي ورائي جَبْهَتي
نعلي وسَاقي، في مكانِ قذَالي

عُريانُ يلبسُني الذبابُ أُحِسُّني
كالنعشِ كالبئرِ العميق الخَالي

كسريرِ ماخورٍ، يُجفِّفُ بعضُهُ
بعضاً، وينتظرُ النَّزِيفَ التَّالي

* * *

هل كنتُ؛ أين أنا؟ أفتِّشُ لمْ أجدْ
شخصي الجديدَ، ولا كَيَانِي البَالِي

من أينَ يا جدرانُ جئتُ؟ خلالها
أمشي، وأرجُلُها تجوسُ خِلالِي

كانَ الطَّريقُ بلا يدَيْنِ، يقول
خَلَطَتْ يميني، حكْمَتي بشمَالي

لا دربَ غيري، منتهايَ كَأَوَّلِي
أنوي السؤالَ، يرُدُّ قبلَ سُؤَالي

الشمسُ، تبحثُ عن جبينٍ تَزْدَهِي
فِيهِ فَتهْوِي، ترتدي أَوْحَالي

هل غيرُ هَذا يا طريقُ تقولُ لِي؟
أسألتَ؟ يمضِي يحتَذِي أَوْصَالِي

فأفرُّ من فخذي إلى فخذي، ومن
عزقٍ إلى عزقٍ، أجرُّ خَبَالي

* * *

فوقي سوى رأسِي، وشيءٌ تحتَهُ
رأسي وفي جلدي، عجينٌ آلِي
شيءٌ كسقفِ السجنِ، ينفينِي إلى
غيري، ويُرجعُنِي إلى أَسْمَالِي

* * *

والآنَ هل خِرسَتْ هَوَاتِفُ أزمتي؟
نامَتْ، وأسْهَرتِ الرُّكَامَ حِيَالِي
كانتْ، كوكرِ المُخْبِرينَ عَشِيَّتِي
تجري ورايَ، تُهيِّءُ اسْتِقبَالِي
وبلا عَشَاءٍ بتُّ ذاكَ لأنَّنِي
بعدَ الغروبِ، لبستُ (إِمبْرِيَالِي)

* * *

أعطيتُ قوتَ الشَّهرِ، أثمنَ تافهٍ
ليصيرَ - أرخصَ ما يكونُ - الغَالِي
أصبحتُ مكتشفَ التَّفاهَةِ فَاتِحاً
بعجينِ ثانيتيْنِ، جذْبَ لَيَالي

* * *

جربْتُ قتلَ الوقتِ، لكن هٰأنا
بتُّ القَتِيلَ، وما قتلتُ مَلالِي
ماذا فعلتُ؟ أردتُ شُغْلَ بَطَالَتِي
لكنْ أردتُ، وما عرفتُ مَجَالِي

ليالٍ بيروتية..
في حقائب سائح عربي

سِوَاهَا، حلوةً أَطْرَى
وهاتِ زجاجةً أخرى

وثالثةً ورابعةً
وأنتَ بعادِتي أَدْرَى

* * *

لِمسؤولِ ملايينِي
أعدُّوا السَّهرةَ الكُبْرَى

لأمِّيِّ ـ لملحمِ النَّاسِ
مِنْ كُلِّ المُدَى ـ أقْرَى

مزاجُ السَّيِّدِ البرميلِ
ضارٍ، يعشقُ الأضْرَى

فهَاتُوا الأغنجَ الأقْوَى
وهاتُوا العَانسَ الشعرى

وهاتوا الأرشقَ الطولى
وهاتوا الأسمنَ الصُّغْرى

لأن حقائبَ السُّلطانِ
من حلواتِنَا أغْرَى

ومـــن أجـــســـادنـــا أمـــلَـــى
فـمَـنْ بـجـلـودِنَـا أحـرَى؟

* * *

لأنَّ بـــــلادَهُ جَـــــزبَـــــى
بـــــدونِ إرادةٍ، أثـــــرى

فـأمَـسـى الـوحْـشُ، فـي (الـمـبـغـى)
وفـــي الـــمـــذيـــاعِ، مـــا أبـــرَى

* * *

وكـانـتْ تـلـبـسُ الـلـحـظَـاتُ
نـــهـــراً طـــائـــرَ الـــمَـــجْـــرَى

وكـانَ الـلَّـيـلُ يـسـتَـلـقِـي
كـسـقـفِ الـحـانَـةِ الـسـهْـرَى

وكـانَـتْ غُـرْفَـتِـي الـعـطـشَـى
بـأظـفـارِ الأَسَـى شَـجْـرَا

كـعـصـفـورٍ بـلا لـونِ
يـجـيءُ الـحُـلـمُ والـذِّكْـرَى

كـأشـلاءٍ مِـنَ الأَحـجَـارِ
تـكـبـرُ. تـرتَـدِي تَـغـرَى

كـشُـرطِـيَّـيْـنِ يَـقْـتـسـمَـان
فِـخْـذَيْ أجـيـرةٍ سَـكْـرَى

وكـانَ الـسـوقُ سـيَّـافـاً
حـصـانـاً، مـن حُـلَـى كِـسْـرَى

وبحراً، يمتَطِي مُهْراً
ومُهراً، يمتَطِي الصحرا

وللأبْوابِ أنفاسٌ
كسجنٍ، يطبخُ الأَسْرَى

وكانت أنجمٌ تَدنُو
تُوَاسي الحانَةَ الحَسْرَى

* * *

وشابَ اللَّيلُ، والسلطانُ
في بَوَّابَةِ المَسْرَى

يغوصُ بعمقِ رجليْهِ
من اليُمْنى، إلى اليُسْرَى

ومن كَبْشٍ، إلي شاةِ
ومن أهْنَا، إلى أمْرَا

لِهٰذَا ترتجيهِ (القُدسُ)
يرفعُ بيرقَ البُشْرَى

أغسطس ١٩٧٥م

فـراغ..

مـــاذا هـــنـــا أفـــعـــلُـــهُ؟
يَـــشْـــغِـــلُـــنـــي أَشْـــغَـــلُـــهُ
أعْـــطِـــيـــه نـــارَ داخـــلـــي
مـــا عـــنـــدَهُ يـــبـــذُلُـــهُ
يـــجـــرحُـــنِـــي، أُحِـــسُّـــهُ
يـــشـــربُـــنـــي، آكـــلُـــهُ
يـــمـــتـــصُّـــنِـــي أذيـــبُـــهُ
يـــحـــرقُـــنِـــي، أُشـــعـــلُـــهُ
يُـــذهـــلُـــنِـــي عـــن عـــدمـــي
عـــن عُـــقْـــمِـــه، أُذهِـــلُـــهُ

* * *

مَـــاذَا هُـــنَـــا؟ أرفُـــضُـــهُ
مـــاذا هُـــنَـــا؟ أقـــبـــلُـــهُ
مـــنْ ذا هـــنـــا يـــقـــتـــلُـــنـــي؟
مـــاذا هـــنـــا أقـــتـــلـــهُ؟
لا شـــيءَ غـــيـــرُ مـــيِّـــتٍ
ومـــيِّـــتٍ يـــحـــمـــلُـــهُ

* * *

أَلـــوقـــتُ لا يـــمـــضـــي ولا
يـــأتـــي خـــوتْ أرجُـــلُـــهُ

أقـــدامُـــهُ رؤوسُـــهُ
رؤوسُـــهُ أسْـــفَـــلُـــهُ

أمـــامَـــهُ وراءهُ . . .
آخـــرَهُ أَوَّلـــهُ

لا يَـــنْـــتَـــهِـــي لـــغـــايـــةٍ
لأنَّ لا بـــدءَ لَـــهُ

* * *

مَـــاذَا أقـــولُ يَـــا هُـــنَـــا؟
ومـــا الَّـــذي أَعْـــمَـــلُـــهُ؟

مَـــاذا؟ ومـــثـــلـــي مـــيِّـــتٌ
هـــذا الَّـــذِي أســـألُـــهُ

يوليو ١٩٧٥م

الضَّباب..
وشمس هذا الزمان

يشتهي الصمتُ، أن يبوحَ فينْسَى
ينتوي أن يرقَّ، يمتدُّ أقْسَى
ينزَوي خلفَ ركبتَيْهِ، كحُبْلى
يرعشُ الطلقُ بطنَهَا، وهي نَغْسَى

* * *

أيَّ شيءٍ تُسِرُّ يا صمتُ؟ تعلو
وجهُهُ صخرتانِ، شعَثاً وملسَا
ربَّمَا لا يُحِسُّ، أوْ ليسَ يدري
وهو يغلي بالحسِّ، مَاذا أحسَّا

* * *

تشرئبُّ الثُّقوبُ، مثلَ أكفٍّ
فاقداتِ البنَانِ، تشتاقُ لَمْسَا
ينبسُ العُشْبُ، بالسؤالِ كطفلٍ
يتهجّى قحْطَ الرِّضاعةِ دَرْسَا
قبلَ أن تبزغَ البراعيمُ، ترمي
لفتاتٍ، تخافُ لَمْحاً وهجْسَا

يحذرُ المَيْتُ رمسَهُ، وجنينٌ
قاذفٌ وجْهَهُ، إلى المَهْدِ رَمْسَا

* * *

ما الَّذِي يستجدُّ؟ لا شيء يُجْدِي
كلُّ شيءٍ، يبيعُ وَجْهَيْهِ بَخْسَا

وجْهُكَ الداخلي، لعينيكَ منفى
وجهُكَ الخارجي، لرجليْكَ مَرْسَى

أنتَ مثلي، بيني وبيني جدارٌ
وجدارٌ بيني، وبينك أجسى [1]

أصبحَتْ (عامرٌ) جواداً (لروما)
وجلوداً سُمرًا، يخبِّئنَ (فُرْسَا)

بعدَ (باذان)[2] جاء باذانُ ثانٍ
(عبدريٌّ) سبى (يريماً) و(عنسا)

كان يسْطو (جنبولَ) ثم تَوَارَى
وانتقى باسمِهِ (لذُبيانَ) (عبْسَا)

---

(١) أشد قسوة وحدة.

(٢) (باذان) قائد النجدة الفارسية التي تحولت إلى احتلال بديل للاحتلال الحبشي، . . (يريم) و(عنس) أخصب المناطق اليمنية أو أكثرها عطاء، لامتدادها وكثرة سدودها في ذلك الحين. . فقد قيل: انه كان على أرضها ثمانون سداً، وتسمى عنس قديما. . (مذحج) كما كانت (يريم) تسمى (يحصب) او بالضاد. . (عبدري) نسبة الى (عبد الدار) جد الامويين. (ذبيان) و(عبس) قبيلتان عربيتان متقاربتان، تقاتلتا نحو اربعين عاما حتى حدود الإبادة.

مـا الـذي يـسـتـجـدُّ؟تـنـوي بـروقٌ
تنهمي تنثني، من الخوفِ تَغْسَا

* * *

يـمـتـطـي نـفـسَـهُ الـضـبـابُ ويـأتـي
كـالـمـسـجَّى، يـلـقِّـنُ الـصـمـتَ هَـمْـسَـا

يـحـتـوي كـلَّ مَـغْـبَـرٍ، يـتـلـوَّى
فـي عـيـونِ الـكُـوى، رؤى جـدَّ خـرْسَـا

* * *

يـحـتـذي سـاعـديْـه، عـيـنـيْـه يـهـوي
خـاسِـئـاً يـرتـقـي، أحَـطَّ وأخْـسَـى

كـجـدارٍ يـنـهـارُ، فـوق جـدارٍ
كـغـبـارٍ، يـسـتـنـزفُ الـرِّيـحَ جِـنْـسـا

يـتـبـدَّى، عـلـيـه جـلـدُ الـصَّـحَـاري
وطـلاءٌ، تـشـمُّ فـيـهِ، (فـرنـسـا)

وركـامٌ مـن الـتَّـلاويـن، حَـتَّـى
لا يُـبَـقّـي، لأيِّ (حِـربـاء) لِـبْـسَـا

كـجـرادٍ لـهُ حـوافـيـرُ خـيـلٍ
كـمَـلاهٍ، مـن بَـولِـهَـا تَـتَـحَـسَّـى...

* * *

صـمـتُ، مـا الـوقـتُ؟ لا أرى مـا أُسَـمِّـي
لا الـصـبـاحُ ابـتَـدَا ولا الـلَّـيـلُ أَمْـسَـى

لـم يـعـدْ - يـا ضـبـابُ - لـلـوقـت وقـتٌ
والـمـكـانُ انـمَـحَـى؟ عـلـى الـريـحِ أرسَـى

أَنـنِـي يـا ضـبـابُ، أسـمـعُ شـيـئـاً
إِسـمـه مـوْطِـنِـي، يُـغـنِّـي ويـأسـى

مـلءُ هـذا الـرحـابِ، يـمـتـدُّ يـرمِـي
عـنـهُ نَـفْـساً، ويـبـتَـدي مـنـهُ نَـفْـسَـا

ذاكَ وادي (عَـسَـى) نـعـمْ كـانَ يـومـاً
وتـخـطَّـى وادي (عـسـى) مَـنْ تَـعَـسَّـى

أتُـراهُ؟ يـحـمـرُّ، يـرنُـو بـعـيـدا
ومُـنـاهُ تـجـتـازُ، عـيـنـيْـهِ حـدْسَـا

مـا الـذي؟ لا تُـحِـسُّـهُ! كـيـف تـدري؟
ومـتـى كـنـتَ؟ أنـت تـمـلِـكُ حِـسَّـا

* * *

أتـرى هَـذِهِ الـعـيـونَ الـدَّوامـي
تـحـتَ رجـلـيْـكَ؟ سـوف تُـنـبـتُ شَـمْـسَـا

شـمـسُ هـذا الـزَّمـانِ، مـن تـحـتِ تـبـدُو
ثـمّ تَـعـلـو، تُـفـجِّـرُ الـمـوتَ عُـرسَـا

يوليو ١٩٧٦م

الوجه السبئي..
وبزوغُهُ الجديد

يقولونَ، قبلَ النجومِ ابتدَيتْ
تضيءُ، وتجتازُ، لولا، وليتْ
وكنتَ ضُحى (مَارِبٍ) فاستَحَلْتَ
لكلِّ بعيدٍ سِراجاً، وزَيتْ
يقولونَ، كُنتَ، وكُنتَ، وكنتَ
وفي ضحوةِ العمرِ، أصبحتَ ميتْ
ولَمْ يبقَ منكَ، على ما حكَوا
سوى عِبرةٍ، أو بقايا صُوَيتْ
و(نونيَّةٌ) شَبَّهَا (دِعبلٌ)
وأصدأُ (بائيَّةٍ) (للكُميتْ)

* * *

ولكنْ متى مُتَّ، كنتَ (بُخَيْتاً)
فصِرتَ شعوباً، تُسمَّى «بُخَيتْ»
لأنَّ اسمكَ امتدَّ فيهم، رأوكَ
هناكَ ابتديتَ، وفيكَ انتهيتْ

فـأيـنَ أُلاقـيـكَ هـذا الـزّمـانَ
وفـي أيّ حـقـلٍ؟ وفـي أيّ بـيـتْ؟

أُلاقـيـكَ، أرصِـفـةً فـي (الـريـاضِ)
وأوراقَ مـزرعـةٍ فـي (الـكـويـتْ)

ومـكـنـسـةً فـي رمـالِ الـخـلـيـجِ
وشَـتْ عـن يـدَيْـكَ، وأنـتَ اخـتـفَـيـتْ

وإِسـفـلـتَ أسـواقِ مُـسـتَـعـمِـرٍ
أضـأتَ مـسـافـاتِـهـا، وانـطَـفـيـتْ

وروَّيْـتَـهَـا مـن عـصـيـرِ الـجـبـيـنِ
وأنـتَ كـصـحـرائِـهـا، مـا ارتـويـتْ

* * *

فـكُـنـتَ هـنـالـكَ، سـرَّ الـحـضـورِ
و(شـيـكـاً) هُـنـا، كـلُّ فـصـلـيْـنِ(كـيْـت)

بـريـداً: لـنـا شـجـنٌ، كـيـف (سـعـدٌ)
و(أروى)؟ وهـل طـالَ قـرنـاً (سُـبَـيْـتْ)

* * *

ولـكـنْ مـتـى مُـتَّ، يُـنـبـي الـعـبـيـرُ
عـلـى سـاعـديْـكَ، وعـن مـا ابـتَـنَـيـتْ

ومـا دُمـتَ تَـبـنـي، وتـهـدي سـواكَ
سـيـحـكـونَ، مـنـكَ إلـيـكَ اهـتـديـتْ

ومـن تـجـربـاتِ الـنـهـايـاتِ، جـئـتَ
ولـيـداً، وقـبـلَ الـبـزوغِ انـتَـقَـيـتْ

أمِثْلُ الربيعِ، لبِستَ المغيبَ
وأنضرُ من كُلِّ آتٍ أتيتْ

سبتمبر ١٩٧٦م

ذيل:

- في البيت الخامس (نونية دعبل) (وبائية الكميت) قصيدتان شيعيتان تشيدان باليمن إشارة إلى افتخار دعبل بالقحطانية وإلى الفكر الشيعي في بائية الكميت.
- في البيت السادس (بخيت)اسم ابن مذحج الذي امتدت منه قوافل العرب من الجزيرة.
- في البيت الثالث عشر لفظه (كيت) وهي رمز للعدد غير المعروف.
- في البيت الرابع عشر (سُبيت) وهو اسم لكل ثور يولد يوم السبت لأنه رمز للحراثة.

طيفٌ ليليّْ

هــزَّ كــفَّــيْــهِ، وأرجــفْ
لــحــظــةً، ثُــمَّ تــوقَّــفْ

وبــــلا داعٍ، تــــأنَّــــى
مــثــلَ مَــنْ يــنــوي، ويــأسَــفْ

مــثــلَ مَــنْ - بــالــخــوفِ - يُــردي
وهــو مــن قــتــلاهُ، أخــوَفْ

* * *

مــرحــبــاً شــرَّفــتَ، لــكــنْ
مــا اســمُــهُ؟ مــن أيــنَ شَــرَّفْ؟

فــجــأةً جــاءَ، كــوحــشٍ
وعــلــى الــفــورِ. تــلــطَّــفْ

عــلَّــهُ شَــمَّ عــبــيــرَ (الــقــا
تِ) فــأخــضــرَّ وفــوَّفْ[1]

وارتــدى جِــلــداً «مَــعِــيــنــيّــاً»
وجــلــبــابــاً مُــنَــصَّــفْ[2]

وتــبــدَّى. كــنــديــم
كــمــغــولــيٍّ، تَــصَــوَّفْ

---

(١) تكاثفت وازدادت ألوان غصونه.

(٢) جلباب مقسوم إلى نصفين.

كطفيليٍّ قديمِ
خارجٍ من جوفِ مقصَفْ

* * *

كانَ في يمناهُ تابوتٌ
وفي يُسراهُ مِغزَفْ

لونُهُ مِنْ كلِّ وادٍ
شكلُهُ مِنْ كُلِّ متحفْ

ولهُ وجهٌ شتائيٌّ
وسروالٌ مُزخرَفْ

وقوامٌ شبهُ قِزمٍ
وقذالٌ، نصفُ أهيَفْ

وفُضولٌ يملكُ الدُّنيا
بدينارٍ مُزيَّفْ

هكذا يبدو، ولكنْ
سرُّ ماضيهِ، مُغلَّفْ

ربما كانَ أميراً
أو لسِمسارٍ موظَّفْ

أو (لذي رَيْدانَ) سيفاً
أو لخيلِ الفُرسِ مَعلَفْ

أو حصاناً لجبانٍ
أو نبيّاً، دونَ مصحَفْ

* * *

رُبَّـــمـــا مـــاتَ مِـــراراً
ربـمـا أبـقـى، وأتـلـفْ

رُبَّـمـا أشـتـى بـنَـيـسْـانَ
وفـي كـانـونَ، صـيَّـفْ

رُبَّـمـا لـلـريـحِ غَـنَّـى
ربـمـا لـلـصـمـتِ، ألَّـفْ

فـهـو يـلـغُـو. كـغـبـيٍّ
ويُـرائـي، كـالـمُـثَـقَّـفْ

مـثـلُ مَـنْ يـعـنـي، ويَـحْـكـي
غـيـرَ مـا يَـعـنـي، مـحَـرَّفْ

يـعـرفُ الـبـابَ، فـيـدنـو
ثُـمَّ يَـنْـسـى مـا تَـعَـرَّفْ

حُـلـمُـهُ أكـبـرُ مِـنْ عـيـنـيْـهِ
مِـنْ كـفَّـيْـهِ أغْـنَـفْ

يـركـضُ الـشـكُّ بـهُـدْبـيْـهِ
ويـسـتـلْـقـي، كـمُـتْـرَفْ

تـسـعـلُ الأشـيـاءُ كـالأطـفـالِ
كـالـفـيـرانِ تـزحَـفْ

وهـو كـالـشُـبَّـاكِ سـاهٍ
وكـحـدِّ الـسَّـيْـفِ مُـرهَـفْ

راحِـلٌ وهـو قـعـيـدٌ
طـائـرٌ وهـوَ مُـسَـلْـحـفْ

بِـيَـدٍ يُـومـي، بـأخـرى
يُـرعِـشُ الـذقـنَ الـمـنـتَّـفْ

* * *

سـاعَـةً وارتَـدَّ، لٰـكـنْ
وجـهُـهُ عـنـدي تَـخَـلَّـفْ

عـنـدَ ذاكَ الـركـنِ، أقْـعـى
عـنـدَ هـذا الـركـنِ، رفـرَفْ

فـي رُؤى الـسـقـفِ، تـنـدَّى
وعـلـى الـبـابِ، تَـكـثَّـفْ

هٰـهُـنـا كـالـوعـدِ، أغْـرى
وهـنـا كـالـمـوتِ، طَـوَّفْ

هٰـهُـنـا مـثـلـي، تَـشَـهَّـى
وهُـنـا مـثـلـي، تـفَـلْـسـفْ

مارس ١٩٧٦م

❁ ❁ ❁

الغبارُ
والمَرائي الباطنيَّة

هٰهُنا الجدرانُ، تَذمى وتُفَكِّرْ
وعلى أرؤسِها تمشي، وتنظُرّ
بعضُها يزحمُ بعضاً هارباً
بعضُها يُقْبلُ كالخيلِ، ويُدبِرْ
بعضُها يمشي، ولا يمشي، يرى
مثلما يستقرئُ الأسرارَ، مُخبرْ

* * *

أَلمرائي، باطنيَّاتٌ هنا
تحجبُ الرائي، وفي عينيْهِ تُسفِرْ
يُجِهدُ الإبصارَ، في رؤيتِها
وسوى ما ينفعُ التقريرُ، يُبصِرْ
عَجَباً رغمَ التعرِّي، تنطوي
ذاتُها فيها، وذاتُ الغيرِ تُظهِرْ

* * *

ما الذي شاهدتُ، تقضي مهنتي
أنْ أرى سِرّاً، فيَخْفَى وأُقدّرْ

أَلمداد الأبيضُ السِّرّي بلا
أيِّ سرٍّ. . ما الذي يُبدي ويُضمِرْ؟

تَبْذِرُ الأوراقُ. . . لكنْ مالَها
في يديْكَ اتَّسَخَتْ من قبلُ تُثمِرْ؟

لمْ تَكُنْ غيرَ أجير، لا تَخَفْ
إنَّ أغبى منكَ، مَنْ سوفَ يؤجِّرْ

مِنْ، إلى، مثلُ ذبابٍ يرتمي
مثلُ ذكرى، لا تُلاقي مَنْ تُذكِّرْ

مثلُ أفكارٍ أضاعَتْ فَمَها
وتُلاقيهِ، فتنسى أن تعَبِّرْ

لا يَعي الآتي، إلى أينَ ومِنْ،
ليسَ يدري صادِرٌ، مِنْ أينَ يُصْدِرْ

اَلغبارُ امتدَّ سقفاً أرجُلاً
أَعْيُناً مثلَ الحصى، تغلي وتمطرْ

أيدياً رمليَّةً دوديَّةً
تكتبُ الأحلامَ، والريحُ تُفسِّرْ

* * *

حسناً ماذا؟ هوى السَّقفُ: ابتدا
وابتدَتْ بعضُ شقوقِ الأرضِ تُقمِرْ

رُبَّما عادَ كما كانَ؟ سُدًى
إلتقى الوجهُ، ومرآةُ المبشِّرْ

أَلـرُفـاتُ الـمُـكـرَمـيَّـاتُ [1] الـتَـقَـتْ
بـدأتْ مـن تـحـتِ جـلـدِ الـمـوتِ، تُـزهِـز

مايو ١٩٧٦م

❁ ❁ ❁

(١) نسبة إلى (المكرم بن أحمد) زوج الملكة (أروى) ومُفلسِف أسرار المذهب.

فهرس المحتويات

تنويه لازم ٧
بين يَدَي البردُوني ١١٢
البَرَدُوْنِي ٢٣
شغل العديد من الأعمال
الحكومية ٢٦
تقديم ٣١

من أرض بلقيس

البردوني بقلمه ٥٥
من أرضِ بلقيس ٥٧
هذه أرضي ٥٩
يقظةُ الصَّحراء ٦١
فلسفة الفن ٦٤
نارٌ وقلب ٦٦
هائم ٦٩
سحرُ الربيع ٧١
طائر الربيع ٧٤
عودة القائد ٧٧
عروس الحزن ٨٢
أثيم الهوى ٨٥
وهكذا قالت ٨٨
ليالي الجائعين ٨٩
حين يشقى الناس ٩٢
الشاعر ٩٣
سائل ٩٦
الشمس ٩٨
أنا والشعر ١٠٠
بعد الحب ١٠٢
روح شاعر ١٠٤
أمي ١٠٨
فلسفة الجراح ١١٢
تحت الليل ١١٤
البعث العربي ١١٦
منبت الحب ١٢٠
محنة الفن ١٢١
من هواها ١٢٣
راهب الفن ١٢٥
منها وإليها ١٢٦
أم الكرْم ١٢٨
نجوى ١٣١
في الطريق ١٣٢
الليل الحزين ١٣٣
أنا ١٣٥
مع الحياة ١٣٧
من أُغنِّي ١٤١
في الليل ١٤٣

فهرس المحتويات

لست أهواك ١٤٥
شعري ١٤٧
فجر النبوة ١٥٠
حيث التقينا ١٥٥
أنا الغريب ١٥٨
ليالي السجن ١٦٠
عندما ضمَّنا اللقاء ١٦١
وحدي هنا ١٦٣
الحب القتيل ١٦٤
كيف أنسى ١٦٦
أين مني ١٦٩
ميلاد الربيع ١٧١
هموم الشعر ١٧٤
مالي صمت عن الرثاء ١٧٦
هو... وهي ١٧٧
حيرة الساري ١٧٨
مدرسة الحياة ١٨١
ليلة الذكريات ١٨٣
سكرة الحب ١٨٤
لا تسل عني ١٨٨
تائه ١٩١
أخي يا شباب الفدا في الجنوب ١٩٢
الربيع والشعر ١٩٥
فجران ١٩٩

في طريق الفجر

إلى قارئي ٢٠٧
في طريق الفجر ٢٠٩
صراع الأشباح ٢١٢
عتابٌ ووعيد ٢١٦
الجناح المحطم ٢١٨
لا تسألي ٢٢٢
عذابٌ ولحن ٢٢٧
قصة من الماضي ٢٣١
نحن والحاكمون ٢٣٦
كلنا في انتظارِ ميلادِ فجر ٢٤١
عيد الجلوس ٢٤٦
رحلة النجوم ٢٥٠
زحف العروبة ٢٥٢
حديث نهدين ٢٥٨
هكذا أمضي ٢٦١
حين يصحو الشعب ٢٦٤
لا تقل لي ٢٦٧
الطريق الهادر ٢٦٨
حوار جارين ٢٧٦
سلوى ٢٨١
أنا وأنتَ ٢٨٤
وحدة الشاعر ٢٨٦
لقيتها ٢٩١
جريح ٢٩٥
بين ليل وفجر ٢٩٨
خطرات ٣٠٦
مروءات العدو ٣١٠
مصرع طفل ٣١١
بعد الضياع ٣١٥
يوم المعاد ٣٢٠
المنتحر ٣٢٣

بين ذهاب ومعاد ٣٢٧
بشرى النبوءة ٣٣١
مغنّي الهوى ٣٣٨
شاعر الكأس والرشيد ٣٤١
ليلة ٣٤٨
يومُ العِلْم ٣٥١
في الجراح ٣٥٦
تَحَدِّي ٣٥٩
رحلةُ التّيه ٣٦٣
الحكم للشعب ٣٦٥
من ذا هنا ٣٦٨
لنعترف ٣٦٩
ثائران ٣٧٠
وطني ٣٧٦
عازفُ الصَّمت ٣٧٧
مآتم وأعراس ٣٨٠
الحريقُ السَّجين ٣٨٩
شمسان ٣٩١
قالت الضحية ٣٩٣
لا ارتِداد ٣٩٩
فارس الآمال ٤٠٢
يوم المفاجأة ٤٠٧

مدينة الغد

فاتحة ٤١٥
مدينةُ الغد ٤١٧
عائد ٤٢٠
امرأةُ الفقيد ٤٢٦
اليوم الجنين ٤٢٩
أسمار القرية ٤٣٢
شعب على سفينة ٤٣٩
الشهيدة ٤٤٢
ابن سبيل ٤٤٥
صديقُ الرِّياح ٤٤٩
كانت وكان ٤٥٥
نهايةُ حسناء ريفيّة ٤٦٠
لا اكتراث ٤٦٣
رائدُ الفَراغ ٤٦٥
من أين؟ ٤٦٨
فارس الأطياف ٤٧٠
وراء الرياح ٤٧٦
يا نجوم ٤٧٨
أُمُّ يعرُب ٤٨٠
آخر جديد ٤٨٤
خدعة ٤٨٨
صَدَى ٤٩٠
أصيلُ القرية ٤٩٢
لصٌّ في منزِل شاعِرْ ٤٩٧
ذهول الذهول ٤٩٩
ذكريات شيخَيْن ٥٠٣
سَبَّاحُ الرَّمَاد ٥٠٧
كلمةُ كُلِّ نَهَار ٥٠٩
ليلة خائف ٥١٢
أُمٌّ في رِحلة ٥١٥
سفَّاحُ العمران ٥١٨
ذات يوم ٥٢٠
سيرةٌ للأيام ٥٢٢

عند مجهولة ٥٢٦
ضائع في المدينة ٥٢٨
بينَ أختين ٥٣٠
سوفَ تَذْكُرين ٥٣٣
نحنُ أعداؤنا ٥٣٥
حماقةٌ وسَلَام ٥٣٨
ثكلى بلا زائر ٥٣٩
حلوةُ الأمس ٥٤٣
من رحلةِ الطَّاحونةِ إلى الميلادِ
الثَّاني ٥٤٥
كاهنُ الحَرف ٥٤٧
حكايةُ سنين ٥٤٩

لعِيني أمّ بلقيس

أنسى أن أموت ٥٧٩
صنعاء والموت والميلاد ٥٨٠
من منفى إلى منفى ٥٨٢
(إلَّا أنا وبلادي) ٥٨٤
صنعاء والحلم والزَّمان ٥٨٦
بلادٌ في المَنفى ٥٨٩
عيِّنةٌ جديدة مِنْ الحُزن ٥٩٠
في بيتِها العَريق ٥٩٣
لعينيْ أم بلقيس ٥٩٧
امرأةٌ وشاعِر ٦٠٠
مدينةٌ بلا وجه ٦٠٣
صبوة ٦٠٥
يمني في بلاد الآخرين ٦٠٧
اعتيادان ٦١٠
صنعاني يبحث عن صنعاء ٦١٢
اعترافٌ بلا توبة ٦١٥
تقرير إلى عام ٧١ حيثُ كُنَّا ٦١٧
مواطنٌ بلا وطَنْ ٦١٩
أبو تمام وعروبة اليوم ٦٢٤
نصيحة سيئة ٦٣٠
لافتة على طريق العيد العاشر ... ٦٣٢
الفاتحُ الأعزل ٦٣٤
كانوا رجالاً ٦٣٨
بعد الحنين ٦٤١
ساعة نقاش مع طالبة العنوان ... ٦٤٢

السَّفر إلى الأيام الخُضر

لها.. ..... ٦٥١
طقوس الحرف ٦٥٣
لصٌّ تحت الأمطار ٦٥٥
يداها ٦٦٠
أُغنيةٌ مِنْ خَشَبْ ٦٦٢
من بلادي عليها ٦٦٦
أحزان.. وإصرار ٦٦٧
مسافرة بلا مُهِمَّة ٦٧٠
الغزو من الداخل ٦٨٠
قبل الطريق ٦٨٥
السَّفر إلى الأيامِ الخُضر ٦٨٨
صنعاء... في طائرة ٦٩١
بين المِدية والذَّابِحْ ٦٩٤
شاعرٌ.. ووطَنُهُ في الغربة ٦٩٥
مناضِلٌ في الفراش ٦٩٨
غريبان.. وكانا هما البلد ٧٠٠
غريبان.. وكانا هُما البلد ٧٠٣

ابنُ فُلانة ٧٠٧
الهدهدُ السّادِس ٧٠٩
يوم ١٣ حزيران ٧١٤
بينَ ضَياعيْن ٧١٧
أصيل من الحب ٧١٨
ألوان من الصمت ٧٢٠
ثرثرات محموم ٧٢٢
في الشاطئ الثاني ٧٢٧

وجوه
دخانية في مرايا الليل

بين الرجل والطريق ٧٣٣
زامر القفر العامر ٧٣٥
صيّاد البروق ٧٣٨
مأساة... حارس الملك ٧٤١
الأخضر المغمور ٧٤٧
المحكوم عليه ٧٥٠
أمام المفترق الأخير ٧٥٤
هاتف.. وكاتب ٧٥٧
تحت السكاكين ٧٦١
بعد سقوط المكياج ٧٦٣
سندباد يمني في مقعد التحقيق . ٧٦٥
الآتون.. من الأزمة ٧٦٨
في وجه الغزوة الثالثة ٧٧١
أمسية حجرية ٧٧٥
في الغرفة الصّرعى ٧٧٩
وجوه دخانية في مرايا الليل ... ٧٨١
خوف... ..... ٧٨٥
التاريخ السّرّي.. للجدار العتيق ٧٨٧
الأميرة... وتحولات مرايا
العشق ٧٩٤
ليلة فارس الغبار ٧٩٧
ليالٍ بيروتية.. في حقائب سائح
عربي ٨٠٠
فـراغ.. ..... ٨٠٣
الضّباب.. وشمس هذا الزمان . ٨٠٥
الوجه السبئي.. وبزوغُهُ الجديد .. ٨٠٩
طيفٌ ليليّ ٨١٢
الغبارُ والمَرائي الباطنيّة ٨١٦

أقفُنا عَلى فَجْرِ يومٍ صَبيْ
فيَا ضحواتِ المُنى: إطرَبيْ

أتدرينَ ، يا شمسُ ماذا جرى؟
سلبْنا الدُّجى فجرَنا المختَبي

وكان النُّعاسُ على مُقلتيكِ
يُوشوشُ كَالطّائرِ الأرغبِ
أتدرين أنَّا سَبَقنا الرَّبيعَ
نُبشِّرُ بالموسِمِ الطَّيبِ ؟
وماذا؟ سؤالٌ على حاجبَيكِ
تَزنْبقَ في همسِكِ المُذْهَبِ
وسرنا حُشوداً تطيرُ الدّروبُ
بأفواجِ ميلادِنا الأنجبِ
وشعباً يُدوِّي : هي المُعجزاتُ
مُهودي، وسيفُ (المثنىَّ) أبي
غَرَبْتُ زماناً غروبَ النَّهارِ
وعُدْتُ يقودُ الضُّحى مَوكِبي

أَضأْنا المدَى ، قبل أن تستشفَّ
رؤى الفجرِ ، أخبلةُ الكوكَبِ
فولَّى زمانٌ كعِرضِ البَغِيِّ
وأشرقَ عهدٌ كقلْبِ النّبي
طلعنا نُدلّي الضّحى ذاتَ يومٍ
و نهتفُ : يا شمسُ لا تغرُبي

(سبتمبر١٩٦٢)

الجمهورية اليمنية
وزارة الثقافة
الهيئة العامة للكتاب
صنعاء

الهيئة العامة للكتاب
ص.ب. : ١٩٧٧٤ - هاتف: ٤٤٥٣٧٣ - فاكس : ٤٤٥٣٦٨